جامعة القاهرة
معهد البحوث والدراسات الأفريقية
قسم التاريخ

الحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا

(١٩٣٩ – ١٩٦١)

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الدراسات الأفريقية
من قسم التاريخ
(تاريخ حديث ومعاصر)

إعداد الطالب
محمد عبد الكريم أحمد عبد الكريم

إشراف الأستاذ الدكتور
السيد على أحمد فليفل
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
عميد معهد البحوث والدراسات الأفريقية
القاهرة ٢٠٠٥

مقدمة

لعبت الحركة العمالية الأفريقية دوراً كبيراً ومؤثراً في تاريخ نضال الشعب الأفريقي في اتحاد جنوب أفريقيا ، وكانت هذه الحركة شريكاً أساسياً مع كافة التيارات التي عملت لصالح تحقيق استقلال الشعب الأفريقي في هذه الدولة ، وواجهت الحركة العمالية الأفريقية المواقف المتشددة من قبل الحكومة العنصرية وأحياناً من قبل بعض التيارات الوطنية بصلابة ، ومع توالى الدراسات العربية المتعلقة بتاريخ جنوب أفريقيا والتي أشرف على معظمها الأستاذ الدكتور السيد على أحمد فليفل كان هناك تركيز على الجوانب السياسية والاجتماعية المتعلقة بتاريخ هذه الدولة وسياسة النظام العنصري ، ومن ثم تم تغطية جوانب عديدة في تاريخ هذه الدولة ، وظل العامل الأهم – في رأيي – في تطور الحركة الوطنية مهمشاً ، وهم العمال الأفارقة ، وكان الحديث عنهم قاصرا على تلقيهم المبادرة من الحركة الوطنية وخاصة المؤتمر الوطني الأفريقي .

وكانت ثمة إشارات متناثرة عن العمال الأفارقة في الفترة محل الدراسة ، ومن ثم رأي الباحث أهمية دراسة الحركة العمالية الأفريقية ، وكان هناك تخوف مبدئي بصدد مدى أهمية الدور الذي لعبته الحركة العمالية الأفريقية في تاريخ جنوب أفريقيا ، وهل هو دور تابع أم دور فعال في حد ذاته ؟ وكان هذا التخوف في محله فمعظم الدراسات التي تناولت تاريخ جنوب أفريقيا ركزت على الدور الذي لعبه المؤتمر الوطني الأفريقي في الحركة الوطنية ، وهو الدور الذي لم يتبلور بالصورة التي تجعل منه النموذج الوحيد للتيار الوطني الجنوب أفريقي إلا في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين ، أي بعد نحو أربعين عاما من تأسيس المؤتمر الوطني الأفريقي ، وبالتالي فإن الحركة العمالية الأفريقية لعبت دورا بارزا ويكاد يكون الأبرز في الحركة الوطنية الأفريقية حتى أواخر الأربعينيات ، وهي التي قادت المواجهة مع النظام العنصري في وقت كان فيه المؤتمر الوطني الأفريقي منظمة نخبوية آخذة في التحول نحو مواقف أكثر راديكالية تجاه النظام العنصري ، وعلى الرغم من ذلك فإن الكثير من الكتابات تنطلق من فرضية مسبقة بأن المؤتمر الوطني الأفريقي هو الذي قاد الحركة الوطنية منذ نشأته وأن دور الحركة العمالية هو الدور التابع له ، لكن تتبع دور الحركة العمالية الأفريقية وضح أن هذه الحركة

هي التي أضافت زخما للمؤتمر الوطني الأفريقي عندما غير الأخير سياسته الوطنية المتحفظة في أواخر الأربعينيات من القرن العشرين ، ليتحول من مجرد منظمة للنخبة الأفريقية إلى منظمة تمثل غالبية الشعب الأفريقي – ومعظمه من العمالة الرخيصة – في أوائل الخمسينيات .

وكان الأمر الذي شجع الباحث على تناول هذا الموضوع هو دراسة الدكتور إبراهيم جلال مدرس التاريخ بكلية الآداب جامعة عين شمس للماجستير عن الصناعة والعنصرية في جمهورية جنوب أفريقيا ، وهي الدراسة التي تمكن خلالها من الإلمام بموضوع اقتصادي بحت ، وهو الأمر الذي كان يعني إمكانية القيام بدراسة مقاربة وإن اختلفت الفترة الزمنية وبعض الجوانب الأخرى ، وكان اختيار عام بداية الدراسة بعام ١٩٣٩ بسبب قيام الحرب العالمية الثانية والتغير الجوهري الذي لحق بالمجتمع الجنوب أفريقي من مختلف الجوانب ، وكان ثمة تردد في الاختيار بين عام ١٩٣٩ أو عام ١٩٤١ (الذي شهد تكوين اتحاد عمال المناجم الأفارقة) إلى أن تم حسم الاختيار بالعام الأكثر تأثيرا في الحركة العمالية الأفريقية وهو عام ١٩٣٩ ، ومع هذا فإن تناول الباحث للعديد من القضايا ذات البعد التاريخي الذي يعود قبل عام ١٩٣٩ دفعه إلى الرجوع قبل هذا العام أحيانا في التناول ، وذلك إما لأن القضية تكون ذات طبيعة اجتماعية من الصعب فصلها زمنيا بصورة حاسمة ، كقضية التحضر مثلا ، أو لتبيين التغير الذي طرأ على موقف حركة ما أو حزب ما ، ولم يكن بمقدور الباحث أن يسقط من حسابه ارتباط القضايا الناشئة بعد عام ١٩٣٩ بالفترة التي سبقتها ، وكان عام نهاية البحث هو عام ١٩٦١ مع قيام الجمهورية في جنوب أفريقيا ودخول الحركة الوطنية الأفريقية عموما والحركة العمالية التي اندمجت فيها منذ منتصف الخمسينيات في مرحلة الكفاح المسلح ضد النظام العنصري .

وقد واجهت الباحث عدة مشكلات خلال هذه الدراسة ، من هذه المشكلات ضرورة تفهم منهج التعامل مع دراسة الحركة العمالية ، وهو المنهج الذي يتطلب حدا أدنى من فهم الأفكار التي تقوم عليها دراسة الحركة العمالية وخاصة الفكر الماركسي ، وقد حاول الباحث قدر جهده الإطلاع على الكتب الخاصة بهذه النقطة لتحصيل هذا الحد الأدنى ، وإن اتسمت هذه الكتب بالتعقيد والتفصيل ، وهو الأمر الذي جعل الباحث يلجأ للكتب التي تتناول الماركسية بصورة عامة أو تلك التي

تتناول الفكر السياسي الغربي عموما ، وحاول من خلالها استقراء المصطلحات المتعلقة بالموضوع ، كما حاول الباحث أن ينتهج منهجا موضوعيا في تناول الحركة العمالية الأفريقية وعدم المبالغة في أهميتها أو دورها ، وحاول أيضا التخفيف من حدة بعض التفسيرات الماركسية المنتشرة في المراجع المتخصصة في موضوع الدراسة كلما كان ذلك ضروريا .

كما واجهت الباحث مشكلة أن الكثير من الكتب الخاصة بتاريخ جنوب أفريقيا تركز على قضية واحدة وهي التفرقة العنصرية ، وأحياناً كثيرة تكون هذه الكتب تكرارا للمعلومات ، إلا أن هذه المشكلة تم تجاوزها نوعا ما من خلال الوقوع على مجموعة مراجع تتناول العمالة الأفريقية بصورة عامة من مختلف الجوانب ، وكذا توفر مجموعة دوريات علمية متخصصة - في قاعدة بيانات مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة - غطت جوانب شتى من تاريخ جنوب أفريقيا وبنوع من التفصيل الدقيق ، وهو الأمر الذي أدى إلى مأزق ضرورة محاولة الإطلاع على أكبر قدر ممكن من هذه الدراسات المنشورة في هذه الدوريات .

وقد اعتمد الباحث على مجموعة من الوثائق غير المنشورة والمنشورة ، كان من أهم الوثائق غير المنشورة تقرير دونه حسين منصور القائم بالأعمال في قنصلية مصر في بريتوريا في أواخر يونيو عام ١٩٥٢ ، وقد دون فيه حسين منصور ملاحظات ومشاهدات ذكية ودقيقة للغاية عن قانون قمع الشيوعية وموقف الحكومة العنصرية من نقابات العمال ، ومن الواضح اعتماده على عدة مصادر مقربة من صنع القرار في هذه الحكومة ، كما كانت هناك مجموعة وثائق غير منشورة أمدني بها الدكتور إبراهيم جلال كان قد حصل عليها من دار الوثائق في لندن ، وكانت هناك أيضا مجموعة هامة من الوثائق المنشورة أهمها على الإطلاق بياني تأسيس المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات والحزب الشيوعي ، ومجموعة الوثائق الخاصة بالحركة الوطنية الأفريقية (بما فيها المؤتمر الوطني الأفريقي والحزب الشيوعي والمؤتمر الوطني الهندي) المنشورة في موقع حكومة جنوب أفريقيا على الإنترنت ، ومجموعة مراسلات يوسف دادوو زعيم المؤتمر الهندي ، وغير ذلك من الوثائق المتضمنة في هذه الدراسة .

أمـــا المـــراجع فقــد توفــر للباحث عددا كبيرا من المراجع ، اكتسب بعضها أهمية فائقــة بالنســبة لموضـــوع الدراســة ، وأهــم هــذه الكــتب هو كتاب كين لوكهاردت عن المؤتمــر الجــنوب أفريقــي للــنقابات ، وغيره من الكتب ، كما كانت الدراسات المنشورة فــي الــدوريات ذات أهمــية قصــوى لتــناولها تفصــيلات مفيدة للغاية في بعض الجوانب التي لم تغطها الكتب .

وقــد اتــبع الــباحث المــنهج [illegible] التحليلي فــي الــنقاط التــي أثــارت جــدلاً في المراجع المختلفة ، مثل دور اتحاد العمال الصــناعي والــتجاري الأفريقــي ودور الحــزب الشــيوعي ، وكان تقسيم الدراسة تقسيماً موضــوعياً هــو أمــر ضـــروري لتغطــية الجــوانب المخــتلفة للحركة العمالية الأفريقية وصــعوبة التقســيم الزمنــي فــي هــذه الدراسة ، ذلك أن هذا التقسيم الموضوعي يسر من تــناول القضـــايا التــي واجهــت الحــركة العمالية الأفريقية تناولاً محدداً ومكثفا ، كما أن الظــروف التــي عانــت مــنها الحركة العمالية الأفريقية كانت عديدة ومتداخلة مما صعب معه تناول هذه الظروف وفق التقسيم الزمني .

وقسم الباحث الدراسة إلي فصل تمهيدي وأربعة فصول كما يلي

الفصل التمهيدي

الحركة العمالية الأفريقية قبل عام ١٩٣٩

أولا- مفهوم الحركة العمالية الأفريقية.

ثانيا - ظهور طبقة العمال الأفارقة .

ثالثا - الحركة الوطنية الأفريقية والعمالة الأفريقية (١٩١٠-١٩١٩).

رابعا - اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي.

خامسا - الحركة العمالية الأفريقية قبيل الحرب العالمية الثانية (١٩٢٩-١٩٣٩)

الفصل الأول

تطور المجتمع الحضري الأفريقي.

أولاً - حالة المجتمع الأفريقي.

ثانياً - التبشير ودوره في تطور المجتمع الحضري الأفريقي .

ثالثاً - التحضر وصلته بنمو الوعي العمالي الأفريقي .

الفصل الثاني

التنظيمات العمالية الأفريقية.

أولاً – السياسة العمالية للنظام العنصري (١٩٣٩-١٩٥٠).

ثانياً – اتحاد عمال المناجم الأفارقة (١٩٤٢ – ١٩٤٦).

ثالثاً – المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات (١٩٥٥ – ١٩٦١) .

الفصل الثالث

الدور السياسي للحركة العمالية الأفريقية

أولاً – موقف المؤتمر الوطني الأفريقي من القضايا والحركة العمالية الأفريقية .

ثانياً – علاقة الحركة العمالية الأفريقية بالحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا .

ثالثاً – الإضرابات العمالية الأفريقية ودورها في الحركة الوطنية الأفريقية .

الفصل الرابع

العمالة الوافدة وتأثيرها على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية

أولاً – نظام العمالة الوافدة إلى اتحاد جنوب أفريقيا .

ثانياً – اتجاهات العمالة الوافدة إلى اتحاد جنوب أفريقيا .

ثالثا – أثر العمالة الوافدة على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا .

وتناول الباحث في التمهيد الحركة العمالية الأفريقية قبل عام ١٩٣٩ ، وبداية كان هناك تعريف بمفهوم الحركة العمالية الأفريقية وخصوصية هذا المفهوم في حالة جنوب أفريقيا خاصة ؛ حيث واجه العمال الأفارقة مشكلات تجاوزت مشكلات العمل نفسه إلى مشكلات مرتبطة بسياسة التفرقة العرقية والضغط على الأفارقة وانتهاج نظام العمالة الرخيصة والتمييز العرقي في العمل ، كما تناول التمهيد ظهور طبقة العمال الأفارقة إثر نمو الثورة التعدينية في المناطق التي كونت اتحاد جنوب أفريقيا فيما بعد ، وخاصة في جمهورية جنوب أفريقيا (الترانسفال) وأورانج فري ستيت ، وموقف الحركة الوطنية من القضايا التي واجهتها الطبقة العاملة الأفريقية ، وركز الباحث على اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي لكونه التنظيم النقابي الأهم – بالنسبة للعمال الأفارقة – حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية وتكون مجلس النقابات غير الأوروبية بعدها ، واستعرض الباحث الآراء المختلفة تجاه هذا الاتحاد ، وهي الآراء التي كانت مدفوعة بالتوجهات الإيديولوجية غالباً ، ثم تناول التمهيد ظروف

تطور الحركة العمالية بعد انهيار اتحاد العمال الصناعي والتجاري وحتى قيام الحرب العالمية الثانية .

أما الفصل الأول فقد تناول تطور المجتمع الحضري الأفريقي ، وهو المجتمع الذي نشأت فيه الحركة العمالية الأفريقية في ضوء أن العمال الأفارقة في المناطق الريفية لم ينخرطوا في عمـل نقابي أفريقي بصورة تكاد تكون كاملة حتى أوائل الستينيات من القرن العشرين ، لذا كانت دراسة تطور المجتمع الحضري الأفريقي المصاحب لعملية تطور الحركة العمالية نفسها عـاملاً هامـاً في توضيح ظروف نشأة التنظيمات النقابية للحركة العمالية الأفريقية ، وتناول الفصل الأول دراسة موجزة لظروف المجتمع الأفريقي ثم عملية التبشير التي مر بها وأسهمت في تطوير مجتمع حضري أفريقي ، ثم تناول القضية الأهم في تطور هذا المجتمع وهي عملية التحضـر نفسها بما عنته من تحويل قسم كبير من السكان الأفارقة الذين حشروا في مناطقهم الوطنـية إثر عمليات التوسع الأوروبي في جنوب أفريقيا إلى سكان حضريين مروا بتجربة العمـل النقابي والتصادم المباشر مع آليات النظام العنصري التمييزية ضد العمال الأفارقة ، ومـن ثـم تولد حركة مضادة لهذه الآليات شكلت الجانب الأهم في الدور الذي لعبته الحركة العمالية الأفريقية في تاريخ دولة جنوب أفريقيا .

وتناول الفصل الثاني التنظيمات العمالية الأفريقية ، وبدأ بتناول للسياسة العمالية للنظام العنصـري حتى عام ١٩٥٠ ، مع استمرار تناول هذه السياسة في بقية هذا الفصل من خلال تـناول التنظيمات العمالية الأفريقية ، وكان أهم تنظيمين عماليين في الفترة محل البحث هما اتحاد عمال المناجم الأفارقة والمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، ذلك أنهما اتسما بتمثيل قطاع عريض من العمال الأفارقة في مختلف أقاليم اتحاد جنوب أفريقيا ، كما أنهما لعبا دوراً قيادياً للحركة العمالية الأفريقية ، وتعبئة العمال في القضايا الوطنية بصورة عامة .

وتناول الفصل الثالث الدور السياسي للحركة العمالية الأفريقية ، وكان هذا الدور محكوماً بعلاقة الحركة العمالية بكل من المؤتمر الوطني الأفريقي والحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا ، ثم ركز الباحث على الإضرابات العمالية بدراسة أهم إضراب قام به العمال الأفارقة في تاريخ جنوب أفريقيا وهو إضراب عام ١٩٤٦ .

أمـا الفصل الرابع فقد تناول نظام العمالة الوافدة بنوع من التفصيل نظراً لأنه أثر تأثيراً مباشـرا على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية وجعل هذا الدور يكاد يكون منعدماً

باستثناء فترة أواخر الخمسينيات عندما أصبح العمال الأفارقة أكثر تواجداً وحيوية بالنسبة للصناعة الثانوية.

وكانت ملاحظات الدكتور السيد فليفل حادة في تصويب ما غفل عنه الباحث ، وتنبئ عن مقدرة علمية ثاقبة ، كما أنه أحاطني برعاية أبوية ، وسمح لي بهامش كبير من حرية النقاش والاختلاف في الرأي معه في بعض الأحيان ، وهو ينطلق في هذا السماح من حرص على الباحث نفسه ، كما تفضل كل من الدكتور إبراهيم جلال والدكتور محمد عاشور مدرس العلوم السياسية بقسم السياسة والاقتصاد بالمعهد بتوجيه الباحث توجيهاً علمياً مقترناً برعاية أخوية ، وأرجو أن أكون قد وفقت في الاستفادة من كل تلك التوجيهات .

ختاما فقد بذل الباحث قصارى جهده في دراسته تلك ، التي أرجو أن تكون مفيدة ، ولم يترك – قدر علمه – بابا قد يضيف إليها ، وهو ما علمنا إياه الأستاذ المشرف ، فلعلي أكون بذلك تلميذاً أميناً معه ، وأرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتقبل هذا العمل خالصا لوجهه سبحانه وتعالى.

الفصل التمهيدي

الحركة العمالية الأفريقية قبل عام ١٩٣٩

أولا- مفهوم الحركة العمالية الأفريقية.

ثانيا - ظهور طبقة العمال الأفارقة .

ثالثا - الحركة الوطنية الأفريقية والعمالة الأفريقية (١٩١٠-١٩١٩).

رابعا - اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي.
(Industrial and Commercial Workers Union of Africa)

خامسا - الحركة العمالية الأفريقية قبيل الحرب العالمية الثانية .
(١٩٢٩-١٩٣٩)

يتناول التمهيد مفهوم الحركة العمالية الأفريقية وخصوصية هذا المفهوم من حيث أنه يعني أن مجال العمل الأساسي للحركات العمالية في أفريقيا – في ظل الأشكال المختلفة من الاستعمار – كان هو تحسين أوضاع العمل حتى تكون أوضاعا إنسانية ، والسعي الحثيث في هذا الصدد ، وهو مفهوم يتباين عن الحركات العمالية في أوروبا والولايات المتحدة التي كانت تعمل – إضافة إلي ما سبق – على المشاركة في السلطة السياسية وتنمية المكاسب العمالية في هذه البلاد ، كما يتناول التمهيد ظهور طبقة العمال الأفارقة في جنوب أفريقيا وما صاحب هذا الظهور من تطور اقتصادي كبير اعتمد علىهذه العمالة ، ويتناول التمهيد أيضا موقف الحركة الوطنية الأفريقية من القضايا التي واجهتها العمالة الأفريقية وهو موقف لم يتجاوز مجرد تذكير حكومة الاتحاد بأهمية اتخاذ موقف أقل تعسفا تجاه هذه العمالة ، وهو ما يبدو أمرا منطقيا في ظل كون الحركة الوطنية نفسها في هذه الفترة كانت مجرد حركة نخبوية ، ويتناول التمهيد اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي الذي كونه كلمنت كادالي عام ١٩١٩ والتغيرات التي طرأت على هذا الاتحاد باعتباره أهم منظمة أفريقية عمالية حتى فترة الأربعينيات من القرن العشرين ، ويتناول التمهيد – أخيرا – التطور الذي طرأ علىالحركة العمالية الأفريقية في فترة الثلاثينيات حتى قيام الحرب العالمية الثانية وجهود نقابي بارز هو ماكس جوردون في هذا الصدد .

أولا–مفهوم الحركة العمالية الأفريقية.

يعرف روجر سكرتون Roger Scruton الحركة العمالية Labour Movement بأنها تلك الحركة التي تبحث عن تعظيم مصالح الطبقة العاملة ،سواء من خلال التمثيل السياسي أو السيطرة المباشرة على السلطة ،وتوجد الحركة العمالية حيث كثافة التصنيع و نتيجة لمعاناة العمال.(١)

1- Scruton , Roger , A Dictionary of Political Thought .Macmillan , London , 1996 ,p. 294.

وتندرج دراسة الحركة العمالية في إطار التاريخ الاقتصادي والاجتماعي ، الذي يعتبر جزءاً ضرورياً للغاية عند دراسة تاريخ مجتمع ما بشرط أن يكون مرتبطاً بالفروع الأخرى للتاريخ وعدم انعزاله (١) ، وتتبع أهميته – بصفة خاصة – في تباينه عن التاريخ السياسي ، وتركيزه على محددات دقيقة مثل الإنتاج والتبادل والاستهلاك والاستثمار والعلاقات بين تلك المحددات ، وهو الأمر الذي يؤدي إلى فهم أكثر دقة لطبيعة التغيرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي لحقت بهذا المجتمع (٢).

وعلى سبيل المثال ، فإن تفسيرات جذور حرب البوير (٣) التي اندلعت بين بريطانيا و جمهورية جنوب أفريقيا (الترانسفال Transvaal) عام ١٨٨٩ و هي الغنية بالذهب ، لابد من تقديمها في ضوء معلومات دقيقة عن تقلب أسعار الذهب عالميا آنذاك ، وارتباط هذه الحرب بنفوذ أصحاب المصالح الرأسمالية البريطانيين في مناطق استخراج الذهب في المناطق التي تكون منها في عام ١٩١٠ اتحاد جنوب

1- Gardiner, Juliet (editor), what is History Today? , Macmillan Education Ltd., London. 1989, p. 38.

2- Tosh, John, The Pursuit of History, Aims, Methods and New Directions in the Study of Modern History. Longman, New York, 1991, p. 95.

٣- يري أندرو بورتر Andrew Porter أن حجر الزاوية في تفسير تلك الحرب هو رؤية الفريد ملنر A. Milner – حاكم مستعمرة الكيب Cape Colony آنذاك – للافريكانرز على أنهم " أقلية عرقية من العصور الوسطي a medieval race oligarchy يجب أن تتمدين أو يتم القضاء عليها " ، راجع:

Porter, Andrew, The South African War (1889-1902): Context and Motive Reconsidered, The Journal of African History, Vol. 31, No. 1, 1990, pp.43-57 .

و فيه يتناول بورتر بالعرض أهم الدراسات التي تناولت حرب البوير ، وما قدمته من تفسيرات مختلفة لاندلاعها مرجحا التفسير الاقتصادي ، وهو بذلك يتفق مع رؤية روبرت جيفن عن حرب البوير التي صاغها في عام ١٩٠٠

Giffen , Robert , Some Economic Aspects of the War , The Economic Journal , Vol. 10 , No. 38 (June ,1900) , pp.194-207.

وقد قدم بورتر بحثا آخر في نفس الموضوع يواصل فيه تأصيله للتناول التارخي لحرب البوير ويؤكد من خلاله – في إضافة للدراسة السابقة – على تغاير الرؤى المتناولة لحرب البوير طوال القرن العشرين ، وهي الرؤى التي يوجزها في عدة أطر وهي الأهمية العسكرية لحرب البوير ، و دورها في توسيع النظام الرأسمالي الدولي ، و دورها في إرساء فهم نظري لطبيعة النزعة الإمبريالية ، أو دورها الهام في صنع العالم الحديث===

أفريقيا [١] .

وقد ارتبط التأريخ للحركة العمالية أو الكفاح الطبقي بأفكار كل من روبرت أوين [٢] Robert Owen و كارل ماركس[٣] Karl Marx الذي كان لفلسفته أكبر

====ويشير إلي أن التناول الحالي (تاريخ البحث عام ٢٠٠٠) يميل إلي التركيز على تأثير هذه الحرب علىالعلاقات بين السكان البريطانيين والبوير

Proter , Andrew , The South African War and the Historians , African Affairs , Vol. 99 , No. 397 (Oct. 2000) , pp. 633 - 648 .

ويلاحظ دونالد لوري أن الإمبراطورية البريطانية عندما قررت شن الحرب على البوير في جمهورية جنوب أفريقيا (الترانسفال) وأورانج فري ستيت Orange Free State فإنها كانت تعتقد أن تلك الحرب ستكون قصيرة الأمد غير أنها كانت أكبر حرب دخلتها بريطانيا منذ الحروب النابوليونية وفاقت حتي حرب القرم ، ويلاحظ أيضا أنه باتباع بريطانيا سياسة حرق مزارع البوير في الحرب فإنها واجهت رأياً عالمياً عاماً معادياً لها ومتعاطفاً مع البوير

Lowry , Donald , When the World Loved the Boers (Boer War) , History Today , May , 1999 , www.findarticles.com

1- Gardiner, Juliet (editor), op. cit., p.36.

٢- روبرت أوين (١٧٧١-١٨٥٨)،اقتصادي بريطاني من أصل أيرلندي ،لاحظ التغيرات في الحياة الاقتصادية والاجتماعية المصاحبة لتزايد عملية التصنيع ،وعاين، عن قرب ظروف العمل الإجباري شديدة القسوة في مقاطعة نيو لانارك New Lanark ، ورأى ضرورة تقديم إصلاحات اجتماعية للعمال ، وتبلورت أفكاره في تقريره الذي أرسله لإدارة المقاطعة عام ١٨٢١، متضمناً ما أسماه بالمبادئ الصحيحة True Principles ، والتي تضمنت - بإيجاز - أن الطبيعة لديها إمكانات لجميع السكان ، وإشباعهم بشكل تام، راجع:

- Ekelund, Robert B. and Hebert, Robert, A History of Economic Theory and Method, Mc Graw Hill Kogakusha Ltd, Tokyo, 1975, pp.157-159

٣- كارل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) ألماني ،حصل على الدكتوراه من جامعة جنة Jena عام ١٨٤١ ،وحرر جريدة Rheinishe Zeitung لفترة وجيزة ،ثم انتقل إلى باريس عام ١٨٤٣،واتصل بمجموعة من العمال الألمان المهاجرين ،وبفصائل عديدة من الاشتراكيين الفرنسيين ،و أصدر عدة مؤلفات هامة منها: الإيديولوجية الألمانية the German Ideology ،وبؤس الفلسفة Poverty of Philosophy ،وأصدر عام ١٨٤٨ - مع انجلز - البيان الشيوعي The Communist Manifesto محددا مفهوم الشيوعية بتأثير من أفكار الفيلسوف الألماني لودفيج فورباخ Lodweg Feuerbach ،وفي عام ١٨٥٩ أصدر نقد الاقتصاد السياسي ====

الأثـر فـي تحديـد مفهـوم الكفـاح الطبقـي[١] Class Struggle ، ويـوجز برترانـد راسـل Bertrand Russell هـذه الفلسفة بأنهـا قائمـة علـى أفكـار هيجـل Hegel واقتصاديات بريطانيا ، وأن تطور العـالم – وفـق مـاركس – قـائم علـى صـيغة جدليـة تتمركـز فـي المفهـوم المـادي للتـاريخ Materialism Conception of History [٢] ، ورغم عدم قبول راسل بأسس تلك الفرضية كما هـي إلا أنـه يـرى أنهـا تـضم مفـردات غاية في الأهمية مثل التأكيد على أهمية العامل المادي [٣] .

ومـن أبـرز الكتابـات التـي تناولـت الحركـة والطبقـة العمـاليتين مؤلـف إ.ب.طومبـسون E. P. Thompson عـن تكـوين الطبقـة العاملـة الإنجليزيـة (١٩٦٣) ، وكذا دراسـة ديـست كـرو G. E. M. de Ste Criox عـن الكفـاح الطبقـي فـي العـالم الإغريقي القديم (١٩٨١)[٤] .

و يرى غالبية الباحثين أن الحركة العمالية الأفريقية تتـسم – بـصفة عامـة – بعـدم فاعليتها ،وتكثف جهودها في مشكلات بعينها مثل الأجـور ،وظـروف العمـل دون امـتلاك رؤية شاملة لكل ما يتعلق بالعمالة خاصة النـواحي الـسياسية [٥] ، كمـا أنهـا ترتكـز – خاصة جنوب الصحراء الكبرى – على طبقة عاملـة تتنازعهـا روابـط القبليـة مـن جهـة ،و الروابط الطبقية من جهة أخـري ،بحيـث يمكـن القـول بـأن هـذه الحركـة تـستند للولاءات القبلية،إضافة للمحددات الأخرى داخل المجتمع الحضري مثل الدخل و المهنة

==ثم ظهر مؤلفه الـشهير رأس المـال Das Kapital عـام ١٨٦٣وتـوفي عـام ١٨٨٣ قبـل طبـع المجلدين الثاني والثالث منه ، راجع :

- Ekelund, Robert B. and Hebert, Robert, A History of Economic Theory and Method, op. cit., pp. 168-170.
- Kuper, Adam and Kuper , Jessica (editors), The Social Science Encyclopedia, Routledge, London, 1996 , pp. 503-506.

1- Tosh, John, The Pursuit of History , op. cit., ,p.95.
2- Russell, Bertrand, History of Western Philosophy, Routledge ,London, 1993 ,P. 750.
3- Ibid.
4- Southgate , Beverly , History : What and Why , Ancient , Modern and Postmodern Perspectives , Routledge , London , 1996 , pp.92-93.
5- Whetham, Edith and Currie, Jean I. , The Economics of African Countries, Cambridge University Press, Cambridge, 1991, p.

والتعليم وإلى حد ما درجة التحضر (١) .

وهذه الطبقة – في إطار الفترة الزمنية قيد البحث بصفة أكثر تحديداً – يشار إليها بالطبقة المستغلة أو البروليتاريا الأفريقية ، وعلى الرغم من أن غالبية جموع الأفارقة من الفلاحين إلا أن مفهوم البروليتاريا ينسحب عليهم أيضاً إضافة للعمال ، كما يشير إلى ذلك كلود آكي ، مع ملاحظة الاختلافات العديدة بين البناءات الطبقية للدول الأفريقية وتعلق هذه الاختلافات بنمو البورجوازية الأفريقية (٢) .

وثمة دراسة موجزة لـ و. ز. موشتوك O. Z. Mushtuk يحاول فيها أن يحلل نشوء النقابات الأفريقية ، واعتمد فيها بصورة تامة على التفسير الماركسي اللينيني لنشوء النقابات والقائل بأن ظهور النقابات هو المرحلة التالية المنطقية والحتمية لنمو الحركة الداخلية للعمال – على الرغم من أنه هناك شواهد على أن هذا الأمر قد تم بصورة معكوسة في حالات متعددة أفريقيا ، بمعني نشوء النقابات بداية ثم قيامها بنشر الوعي العمالي بين العمال – وإن حاول التخفيف من تلك الحتمية غير العلمية بقوله : على الرغم من المحددات الخاصة للاستعمار في أفريقيا فإن التقدير الماركسي لجذور الحركة النقابية ينطبق تماما في أفريقيا أيضاً (٣) .

1- Allen, V. L., The Meaning of the Working Class in Africa , The Journal of Modern African Studies, Vol. 10, No 2 (1972) p. 173.

وهي دراسة يتناول فيها ألين استخدام مفهوم الطبقة العاملة أفريقيا، و أنماط الاستغلال الاقتصادي ، وتحديد مفهوم الطبقة العاملة وأنماط الاستغلال الاقتصادي وتقوم الدراسة بتقديم تصور لإعادة تحديد مفهوم الطبقة العاملة وتقسيماتها

2- Ake , Claude , Revolutionary Pressures in Africa , Zed Press ltd. , London , 1978, p. 63.

– وهذا الكتاب شديد الأهمية فيما يتعلق بمفهوم الحركة العمالية الأفريقية بصفة عامة ، اذ يتناول في الفصل الثالث منه الكفاح الطبقي مضمنا إياه مفهوم الطبقة ، و البناء الطبقي في أفريقيا ، والبورجوازية الأفريقية ، والطبقات الحاكمة الأفريقية والإيديولوجية الغربية للتنمية و الرأسمالية في أفريقيا ...الخ ، كذلك يتناول الفصل الخامس من الكتاب آليات (ديناميات) القوى الاجتماعية مثل ظروف التحول للاشتراكية ، وإن كان لكلود آكي – الكاتب – حكما مسبقا بحتمية انتهاج الدول الأفريقية للاشتراكية لأن البديل الوحيد لها – في نظره – هو البربرية .

3- Mushtuk , O. Z. , The Genesis of Trade Unions in Africa , (in : African Studies in The Soviet Union , Yearbook 1989) , Nauka , Moscow , 1990 , pp. 109 - 118.

وبالنسبة لتاريخ جنوب أفريقيا فإن الماركسيين يتناولون هذا التاريخ باعتباره حركة تقدمية من فترة ما قبل الرأسمالية التي تنتهي مع بدء ستينيات القرن التاسع عشر مروراً بفترة الرأسمالية الحالية باتجاه تكون المستقبل الاشتراكي ، ويؤكد الماركسيون على أنه نظراً لأن تكلفة تعدين الذهب في جنوب أفريقيا عالية للغاية نتيجة لأسباب جيولوجية فإن أصحاب العمل عمدوا إلى تخفيض تلك التكاليف خاصة من خلال الضغط على العمالة ، ورأوا أن العوامل المهيمنة على اقتصاد جنوب أفريقيا هي : الطبقة الرأسمالية الناشئة نتيجة لصناعة التعدين ، و الطبقة العاملة البيضاء سواء الماهرة أو شبه الماهرة ، والنظم المالية للدولة الحديثة ، والبروليتاريا الأفريقية المرتحلة بين المدينة والحضر ، ويؤكد الماركسيون على أن تلك العوامل (فيما عدا البروليتاريا الأفريقية) قد عملت سويا لتنظيم أسواق العمالة عرقيا بما يخدم مصالح الطبقة المهيمنة ، وبالنسبة للرأسماليين فإن التمييز العرقي في الأجور والحواجز اللونية في التوظيف وتخصيص تجمعات سكنية للعمال الأفارقة وقمع النقابات الأفريقية ، فإن كل ذلك أدى إلى تأمين توفير قوة العمل الأفريقية الرخيصة ، وبالنسبة للعمال البيض فإن تلك الممارسات ساعدت على حدوث ندرة مهنية حمت وضعهم المميز في أسواق العمالة (١) .

ويعتبر هذا التفسير متسقا بصورة واضحة للغاية مع مؤلف كارل ماركس الذي يحمل عنوان The Critique of the Gotha Programme الذي يحصي فيه ماركس مرحلتين لقيام المجتمع الشيوعي ، في المرحلة الأولي يتم الإنتاج على أساس غير استغلالي ، وهي مرحلة انتقالية إلي المرحلة المؤدية لقيام المجتمع الشيوعي وهي المرحلة التي ينتهي فيها تقسيم الأفراد باعتبارهم عبيداً لتقسيم العمل حيث يصبح العمال labour أنفسهم " ليسوا مجرد أدوات للحياة لكن الضرورة الأساسية للحياة " ، وبعدئذ فقط – كما يرى ماركس – يتحقق المجتمع الشيوعي (٢) .

1- MacDonald , Michael and James , Wilmot , The Hand on the Tiller : The Politics of State and Class in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 31 , No.3 (1993) , p. 389.
2- Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London, 2000, p. 529 .

ويطبق كيلتسو آتكينز هذا التحليل في دراسة له – وهو يركز على مشكلة العمالة الأفريقية في القرن التاسع عشر في ناتال ، ويركز على استبدال لفظ أفارقة بكافير kafir للاستفادة من دلالة المصطلح وارتباطه بالسياق التاريخي للفترة – بقوله إن تاريخ العمالة الجنوب أفريقية يقدم رؤية متعددة الجوانب تبين لنا كيف أن العوامل الخارجية (الاستعمار الأوروبي) والكوارث البيئية والتحكمات الاجتماعية التي كان يفرضها رأس المال والدولة الاستعمارية قد دفعت جميعها العمالة الأفريقية للخروج إلى سوق العمل وتكون البروليتاريا الأفريقية (١) .

كما يتناول في نفس الصدد ج. ف. دوكسي جذور التمييز العرقي في سوق العمالة الجنوب أفريقية ، ويركز على الفترة التي واكبت مجيء البريطانيين ودور الحكم البريطاني في الكيب في تغيير الخريطة الديموغرافية للبوير والأفارقة ، وهو الأمر الذي أدي إلي بروز التمييز العرقي بصورة أكثر وضوحا بعد الصدام بين البوير والأفارقة في المناطق التي نزح إليها البوير ، وهو الأمر الذي تضاعف بعد اكتشافات الماس (٢) .

ويلاحظ جاي سيدمان أن معظم من يتناولون الحركة العمالية في جنوب أفريقيا لا يتحدثون عن الطبقة العاملة الأفريقية نفسها بنفس القدر الذي يتحدثون فيه عن التحول من أعلى إلى أسفل (من القيادات النقابية إلي العمال) ، وكيف أن النخبة – في رأي هذا التناول – هي التي تستجيب بداية للمتغيرات ثم يكون دور العمال هو التلقي السلبي لهذه المتغيرات من خلال القيادات النقابية(٣) .

1- Atkins , Keletso E. , ' Kafir Time ' : Preindustrial Temporal Concepts and Labour Discipline in Nineteenth - Century Colonial Natal ,The Journal of African History , Vol. 29 , No.2 , (1988) , p. 229 .

2- Doxey , G. V. , The Origins of Racial Discrimination in the South African Labour Market (in : Konczacki , Zbigniew A. , Parpart , Jane L. and Shaw , Timothy M. (eds.) Studies in the Economic History of Southern Africa, Vol. II, South Africa, Lesotho and Swaziland), Frank Cass, London, 1991, pp.

3- Seidman , Gay W. , Oppositional Identities in Brazil and South Africa : Unions and the Transition to Democracy (in : Greenstein , Ran (editor) , Comparative Perspectives on South Africa) , Macmillan Press Ltd. , London , 1998 , p. 245

ويتضح من كل ما سبق أن مفهوم الحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا بصورة خاصة يواجه أكثر من مشكلة ، فهو ليس مشابها للمفهوم السائد عن الحركات العمالية من حيث أنها تبحث عن تعظيم مصالح العمال وتحقيق المشاركة السياسية الملائمة لهم ، بل إن الحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا تبحث عن أساس لمعاملة العمال الأفارقة معاملة إنسانية بقدر الإمكان والمطالبة بأبسط الحقوق التي تكفل حداً أدنى من ظروف عمل إنسانية ، مما كان يعني أنها تبدأ عملها من نقطة متأخرة للغاية ، كما أن هذه الحركة واجهت أكثر من مستوى من الصدام مع المؤسسات القائمة في الدولة ، وأول هذه المؤسسات هي الحكومة نفسها التي انتهجت سياسة التفرقة والأبارتهيد ضد الأفارقة عموما ، وبصورة أكبر حدة تجاه العمالة الأفريقية المكونة لنظام العمالة الرخيصة ، وثاني هذه المؤسسات معظم الأحزاب والجهات التابعة للبيض بما في ذلك الحركة العمالية البيضاء ، وثالث هذه المؤسسات بعض فصائل الحركة الوطنية الأفريقية التي رأت في التنظيمات العمالية – في فترة من فترات عمل الحركة الوطنية الأفريقية – تهديداً مباشراً لوجودها .

وليس تجاوزاً القول بأن الحركة العمالية الأفريقية في جنوب أفريقيا هي من أبرز الحركات العمالية الأفريقية عموماً ، إن لم تكن أبرزها على الإطلاق ، من ناحية استيعاب ثقافة العمل النقابي والارتباط الواعي من جانب الحركة العمالية بالحركة الوطنية والإسهام – في ذات الوقت – في تنمية هذه الحركة ، والتفاعل الخارجي ، ومواجهة نظام تمييزي متشدد في فرض قواعده وقوانينه للتحكم في مقدرات اتحاد جنوب أفريقيا بصورة أقرب للإطلاق .

والجدير بالذكر أن أول بروز دولي للحركة العمالية هو تكوين اتحاد العمال الدولي International Workers Union في لندن – ذات الصلة الوثيقة بجنوب أفريقيا – عام ١٨٦٤على يد ماركس، مع ملاحظة افتقاد هذا الاتحاد – إلى حد كبير – للتفهم الدقيق للعمال وأوضاعهم في الدول المتعددة (١) .

1- Schieder, Theodore , Political and Social Development in Europe (in: Hensley, F. H. (editor) The New Cambridge Modern History, V OL XI, Material Progress and World -Wide Problems (1870-1898), Cambridge, 1962. p.269.

وقد عرف اتحاد العمال الدولي فيما بعد باسم الدولية الأولى First International مع ملاحظة تركيز هذا الاتحاد على مناطق بعينها خاصة أيرلندا والتي لاحظ ليسنر Lessner في إحدى ====

وقد نشطت الحركة العمالية في بريطانيا في ظل الظروف السيئة للعمال وعدم تمكين الطبقة العاملة من ممارسة النشاط السياسي ،وكان لهذا التطور أثره البطيء في جنوب أفريقيا التي شهدت توافد أعدادا كبيرة من المهاجرين الأوروبيين خاصة من بريطانيا ، والذين أثروا بدورهم على العمالة الأفريقية من عدة نواحي [1] .

===جلسات المجلس العام للاتحاد (١٩ نوفمبر١٨٦٧) اهتمام الاتحاد بمشكلتها أكثر من أي مشكلة أخري ، راجع:

- Marx, Karl and Engles, Fredrick, Ireland and the Irish Question, Progress Publishers, Moscow, 1978, pp. 485-489.

راجع المقدمة الهامة التي كتبها إ. جولمان I. Golman للكتاب السابق موضحاً أسباب ذلك التركيز ، وأهمها أن الاستغلال الرأسمالي – وفق جولمان – للعمالة كان واضحاً للغاية في أيرلندا ، كما أنه كانت توجد بها جماعة يهودية كبيرة العدد نسبيا وهو ما كان يبلور توجهات الاتحاد بتخليص المضطهدين من الاستغلال pp.22-39 ، وكان تكوين هذا الاتحاد مرتبطا بالبيان الشيوعي والأفكار التي وردت فيه .

ومما ورد في البيان الشيوعي أن تاريخ أي مجتمع موجود هو تاريخ للكفاح الطبقي ، وأن نظام الصناعة الإقطاعي ، الذي يتم فيه احتكار الإنتاج الصناعي من قبل طوائف عمال مغلقة لم يعد يكفي للوفاء بالحاجات المتزايدة للأسواق الجديدة ، لذا فقد دخل النظام الصناعي التحويلي manufacturing system وحل محلها ، ويتناول دور البورجوازية في الصراع الطبقي معتبراً أنها صاحبة اليد العليا في أي تغير ثوري ثم يتحدث عن العلاقة بين البروليتاريا والشيوعيين باعتبار أن الشيوعيين هم القسم الأكثر تقدماً في الطبقة العاملة في أي بلد كانت ، وهو القسم الذي يدفع بقية الأقسام إلي الأمام ، وأن الهدف العاجل للشيوعيين هو تشكيل البروليتاريا في شكل طبقة ، واسقاط التفوق البورجوازي واستيلاء البروليتاريا على السلطة ، ويتناول الجزء الثالث من البيان الأدبيات الاشتراكية والشيوعية معرفا بالمفاهيم الأساسية للفكر الاشتراكي الشيوعي مثل الاشتراكية الرجعية بما تتضمنه من تقسيمات (الاشتراكية الإقطاعية واشتراكية البورجوازية الصغيرة والاشتراكية الألمانية) ، وغير ذلك من مفاهيم ، أما الجزء الرابع والأخير من البيان فهو يتضمن موقف الشيوعيون فيما يتعلق بالأحزاب المعارضة العديدة الموجودة ، راجع نص بيان الحزب الشيوعي مع مقدمة للطبعة الإنجليزية لعام ١٨٨٨ :

- Engels , Freidrich (preface) , Manifesto of The Communist Party , Preface to the English Edition of 1888 (in : Cahn , Steven M. (editor) , Classics of Modern Political Theory : Machiavelli to Mill) , Oxford University Press , New York , 1997 , pp. 867-889.

1- Schieder, Theodore, op. cit., pp. 269-270.

ثانيا – ظهور طبقة العمال الأفارقة .

التزمت بريطانيا حتى سبعينيات القرن التاسع عشر بتأمين طريق الكيب إلى الهند من خلال احتلالها للكيب Cape وناتال Natal،تاركة جمهوريتي الترانسفال Transvaal و أورانج فري ستيت Orange Free State الداخليتين للبوير المهاجرين [١] ، ولم يكن ثمة استثمار كبير لرأس المال بحيث تكون هناك حاجة للعمالة الأفريقية على نطاق واسع ، وكان الطلب عليها يتركز في العمالة شديدة الرخص [٢] .

و رغم أن اكتشافات الماس قد ظهرت بالقرب من هويتاون Hopetown في مستعمرة الكيب ،وفي أعقابها أعلن كارل موتش Carl Mauch عن توافر الذهب في تاتي Tati على الحدود بين نجواتو Ngwato وندبيبل Ndebele ، الا أن الكميات الاقتصادية الوفيرة من الماس قد وجدت على الضفة الشمالية لنهر فال Vaal بالقرب من التقائه بنهر هارتس Harts عام ١٨٦٩-١٨٧٠[٣] ، وهو الأمر الذي أدى إلى وفود المستثمرين و التجار الأوروبيين الذين جلبوا معهم الآلات الصناعية التي ساهمت بشكل بارز في تطوير اقتصاد جنوب أفريقيا [٤] .

1- Robinson, R. E. and Gallagher, J. G., The Partition of Africa, (In: Hinsley , H. (ed), op. cit., p.633.
2- Robertson, Hector Menteith, South Africa, Economic and Political Aspects, Cambridge University Press. London, 1957, pp. 19-20.
3- Omer-Cooper, J.D., Colonial South Africa and Its Frontiers,(in: Flint, John E., (ed) ,The Cambridge History of Africa, Vol. 5 ,(1790-1870) Cambridge Univ. Press. Cambridge. 1976. P352.
4- Robinson, R. E. and Gallagher, J. G., The Partition of Africa, op. cit., p. 633.

وسرعان أن انتشرت أنباء الحاجة للعمالة الأفريقية ،التي بدأت في القدوم إلى المناجم بحثاً عن العمل ،وفي عام ١٨٧٤ وصل عدد قوة العمل الأفريقية في كيمبرلي Kimberleyوحدها إلى عشرة آلاف عامل ،وأدي هذا التزايد إلى تضاعف أجور العمال الأفارقة خاصة في أوقات الاحتياج الشديد [١] ،و لم يقتصر الطلب على العمالة الأفريقية في مناجم الماس فحسب ، لكن اشتد الطلب عليها مع بناء السكك الحديدية [٢] وظهور ما عرف بتجنيد العمالة ،وفي نفس العام الذي وصلت فيه السكك الحديدية إلى كيمبرلي(١٨٨٥) تم اكتشاف الذهب بوفرة في مناطق الترانسفال ، مما أدى إلى تدافع ملحوظ لرؤوس المال إلى جنوب أفريقيا من الخارج الأمر الذي خلق حاجة ملحة ومستمرة لاستقدام المزيد من العمالة الأوروبية وغير الأوروبية [٣] ، وقد تركزت اكتشافات الذهب في مناطق باربرتون Barberton بداية ،ثم في أنحاء ويتووترزراند Witwatersrand والتي سرعان أن تفوقت مستخرجاتها على الأولى، ونمت المدن الصغرى في تلك المناطق مع تدافع العمال عليها [٤].

وقد ظهرت أول هيئة في جنوب أفريقيا تدعو لقيام نظام اشتراكي في السنوات الأخيرة لجمهورية كروجر في الترانسفال ،وهي الهيئة التي عرفت باسم الاتحاد العمالي Labour Union الذي أسس في جوهانسبرج Johannesburg في أغسطس ١٨٩٢ ،وكانت اجتماعاتها تعقد في سرية ،حيث ألزم أعضاؤها بتوخيها ،وكانت ترمي إلى حمل العمال في الترانسفال على بذل كل قواهم للنضال ضد الرأسمالية [٥] .

1- Robertson, Hector. Mentieth, South Africa , op. cit., PP. 23-24.

٢- منح الفولكسراد Volksraad امتياز السكك الحديدية لمجموعة من البنوك ورجال المال الألمان عام ١٨٨٣،وأنشئت لهذا الغرض شركة جنوب أفريقيا الهولندية للسكك الحديدية Netherlands South African Railway Companyوالتي اعتبرها كروجر ملبية لمصالح جمهورية جنوب أفريقيا. ولمزيد من التفاصيل حول بناء السكك الحديدية والشركة السابقة راجع :

- Van - Helten , J. J. , German Capital, The Netherlands Railway Company and the Political Economy of the Transvaal (1886- 1900), the Journal of African History, Vol. 19, No. 3, 1978, pp. 369-390.

3- Robertson, Hector Mentieth: Op. Cit.,, p. 24.

4- Marias, J. S., The Fall of ,Kruger's Republic , Clarendon Press, Oxford , 1961 , p.1 .

5- Cope, John , South Africa , Ernest Benn Ltd. , London ,1965 , p.153 .

ونجح هذا الاتحاد في تكوين مجلس النقابات Unions Council الذي ضم العديد من الجمعيات الحرفية وفروع النقابات البريطانية التي تأسست في مناجم الذهب ،واحتفل الاتحاد بيوم مايو May Day (١) لأول مرة عام ١٨٩٥ ،ووصل عدد أعضائه خلال خمس سنوات نحو ٥٠٠شخص غير أنه في عام ١٨٩٧ أصيب الاتحاد بالتمزق ،بسبب الخلافات المتوالية بين الفصائل الراديكالية والفصائل المحافظة بسبب نظام العضوية وكذلك حدوث عمليات اختلاس داخل الاتحاد ،مما أدى إلى توقف نشاطه (٢) .

ويوضح الإحصاء الوحيد المأخوذ في عهد الجمهورية بالترانسفال عام ١٨٩٦ طبيعة التركيبة السكانية في جوهانسبرج – باعتبارها أوضح نموذج للتنوع العرقي في مناطق التعدين – إذ بلغ إجمالي عدد سكانها ١٠٢,٠٧٨ منهم ٥٠,٩٠٧ من العناصر الأوروبية المختلفة(بنسبة تقل عن ٥٠ بالمائة) ، أما غير الأوروبيين فقد بلغ عددهم ٥١,١٧١منهم نحو ٤٢,٥٣٣ من الأفارقة Natives (٣) (بنسبة قدرها ٤٢ بالمائة) (٣) .

١- خلال المؤتمر الاشتراكي الدولي الذي عقد في باريس ١٤-٢٠ يوليو ١٨٨٩ تقدم الفرنسيان رايموند لافين R. Lavigne وجان دورموي J. Dormoy بعد التشاور مع بعض المندوبين الفرنسيين والألمان باقتراح لتنظيم يوم عالمي للعمال ، وبالفعل قرر المؤتمر تنظيم : *مناسبة دولية في يوم معين في كل الدول والمدن في نفس الوقت يمكن للعمال من خلالها إجبار السلطات بصورة قانونية على خفض عدد ساعات يوم العمل إلى ثماني ساعات وتنفيذ بقية قرارات مؤتمر باريس* . وكان الاختيار يتراوح بين يومي ١٨ مارس أو ١٤ يوليو (وهما مناسبتين قوميتين في دولتين من الدول الأعضاء) ، إلا أن الاختيار وقع – بعد الخلاف على هذين التاريخيين – على يوم الأول من مايو لارتباطه بأحداث الاضرابات الأمريكية التي كانت جارية آنذاك ، وهو الأمر الذي كان محل اتفاق الدول الأربع المشاركة في مؤتمر باريس وهي فرنسا وبلجيكا وألمانيا وبريطانيا .

Deneckere , Gita and Others , May Days ,(in Robert , Jean-Louis , Prost , Antoine and Wrigley , Chris (eds.) , The Emergence of European Trade Unions , Ashgate , London , 2004 , pp.141-142

2- -Cope; John, South Africa, op. cit.,, p. 153.

٣- يعرف هيكتور روبرتسون كلمة Native بأنها تحدد المواليد أو الوفيات بالنسبة للأشخاص ممن هم من أصل بدائي aboriginal أو القبليين بأفريقيا ،و يرى أن تلك الكلمة غير مستساغة لدى الزعماء الأفارقة ، الذين يفضلون كلمة أفريقي African راجع

- Robertson , Hector . Mentieth , op. cit., p. 136.

أما أرنولد توينبيA. Toynbee فيرى أن الغربيين عندما يسمون شعباً بـ Native فإنهم يرونه على صورة قطيع من حيوانات مفترسة تجوب الأرض التي احتلوها ، وأنهم -Natives- جزء من البيئة النباتية و الحيوانية ، و أنهم ليسوا بشرا، ويؤكد توينبي : و طالما أننا نفكر فيهم كـ Natives فإننا قد نفنيهم ، أو نقنع أنفسنا –كما نفضل الآن – بأننا نحسن سلالتهم. راجع

- Temu, A. and Sawi, B., Historians and Africanist History: A Critique, Zed Press, London, 1981, pp. 43-45

3- Marias, John, South Africa, op. cit.., p. 153

وفي عـــام ١٨٩٧ تكونـــت جمعيـــة عمـــال الرانـــد Rand Labour Association والتي أعيد تكوينهـــا عـــام ١٩٠١ تحـــت مـــسمى جمعيـــة العمالـــة(الأفريقيـــة) الوطنيـــة بويتووترزراند Witwatersrand Native Labour Association وكانـــت مهمتهـــا الأساسية تولي عملية تجنيـــد العمالـــة لمنـــاجم الـــذهب فـــي الترانـــسفال [١] ، وأدى التزايـــد الهائل في عملية التعدين في ويتووترزراند بنهاية القرن التاسع عـــشر إلـــى وجـــود عمالـــة أفريقية بلغت نحو ١٩٦ ألف أفريقـــي ممـــا أدى إلـــى تطـــوير نظـــام التجنيـــد وتوســـيعه ، وظهور المنافسة بين وكلاء التجنيد ،وكذلك شيوع ظـــاهرة التـــأجير المؤقـــت للعبيـــد الـــذين يخصون الزعماء الأفارقة ، وعدم المزايـــدة فـــي أجـــور العمالـــة الأفريقيـــة نظـــرا لتـــوافر العرض منها [٢] .

وكان لاندلاع حرب البوير عام ١٨٩٩ أثره في إبطـــاء التطـــور الـــسابق ، لكـــن فـــي أعقاب الحرب (١٩٠٢) ظهرت مرة أخري جمعيات الحرف ،وتكـــون مـــا عـــرف بمجلـــس الحرف و العمـــال Trades and Labour Council ، وعملـــت بريطانيـــا علىتـــشجيع استيراد العمالة من خارج جنوب أفريقيـــا لتلبيـــة الحاجـــة للعمالـــة [٣] ، ففـــي عـــام ١٩٠٣ قامت جمعية العمالة الأفريقية بويتووترزراند باســـتقدام عمالـــة مـــن موزمبيـــق للعمـــل فـــي مناجم الترانسفال [٤] ،و بانتهاء حـــرب البـــوير تزايـــد عـــدد العـــاطلين مـــن الأفريكـــانرز بسرعة شديدة في المراكز الحضرية فـــي الترانـــسفال ، خاصـــة فـــي مـــدينتي جوهانـــسبرج وبريتوريا ، ولحل هذه المشكلة بـــدأت الحكومـــة فـــي تطبيـــق مـــشروع لتوظيـــف العمالـــة البيضاء غير الماهرة في الترانسفال – وهو المـــشروع الـــذي كـــان معـــداً أصـــلا لتـــشغيل الجنود غير النظاميين الذين خدموا في الجيش البريطـــاني – عـــام ١٩٠٤ ، وكـــان إجمـــالي العاملين وفقا لهـــذا المـــشروع ١٠٠٣ شـــخص مـــن البـــيض ، مـــنهم ٤٤ أجنبيـــا و ٤٠٨ بريطاني الجنسية و ٥٥١ بويريا[٥] .

1- Robertson, Hector. Mentieth, South Africa, op. cit., p.25.
2- Ibid.
3- Cope, John, South Africa, op. cit., p.154.
4- Coquerg-Vidrovitch, C., The Colonial Economy of the Former French, Belgian, and Portuguese Zones (1914-35), (in: Boohen, A. Adu (editor), General History of Africa VII, Africa under Colonial Domination (1880-1935). ' UNESCO, California, 1985, p. 364.
5- Katz , Elaine N. , The Underground Route to Mining : Afrikaners and the Witwatersrand Gold Mining Industry from 1902 to the 1907 Miners' Strike , The Journal of African History , Vol. 36 , No.3 , 1995 , pp. 473-475

وصدر كذلك مرسوم استقدام العمالة الصينية Chinese Labour Importation Ordinance عام ١٩٠٤ ، بهدف إحلال العمالة الصينية محل نظيرتها الأفريقية ، كما تضمن القانون قائمة بالأعمال التي يقوم بها أوروبيون ويمكن للصينيين – بدلاً من الاستعانة بالأفارقة – أن يقوموا بها[1] ، و اتضح بذلك أن العمالة الأفريقية عليها أن تنحصر في العمل البدائي ، وعليها أيضا ألا تتطلع للأعمال الفنية .

وقد بلغ عدد العمال الصينيين عام ١٩٠٦ نحو ٥٢ ألف صيني من إقليم كانتون Canton أساسا ، وفي غضون قرابة الثلاثة أعوام من بدء استقدام العمالة الصينية للعمل في مناطق مختلفة فيما سيعرف باسم اتحاد جنوب أفريقيا (من فبراير ١٩٠٤ إلي نوفمبر ١٩٠٦) بلغ عدد المتعاقدين الصينيين ٦٣,٢٩٦ رجل ، وتم إرسالهم من شمال الصين وجنوبها ، وكانت الجهة التي تتولى العملية بالكامل هي وكالة استيراد العمالة التابعة لحجرة المناجم Chamber of Mines Labour Importation Agency (CMLIA) [2] ، غير أن ميلهم للعنف والتمرد – على عكس العمالة الأفريقية وبجانب عوامل أخرى – أجبر حجرة المناجم بالترانسفال Transvaal Chamber of Mines على إعادتهم للصين ، ولم ويبق منهم بحلول عام ١٩١٠ سوى أعداد ضئيلة في جوهانسبرج [3].

ولا يمكن اعتبار قانون استيراد العمالة الصينية سوى مجرد قرار سياسي ليس له أي جدوى اقتصادية ، إذ كان من آثاره اضطراب العملية الإنتاجية ، وحدوث نقص في العمالة الأفريقية ، ورداءة خام المعادن المستخرج ، رغم البدء في استخدام بعض التقنيات الحديثة مثل آلات الحفر Jack- hammer [4] .

---

1. Robertson, Hector. Mentieth, op. cit., p.25.
2. Richardson , Peter , The Recruiting of Chinese Indentured Labour for the South African Gold Mines , 1903 – 1908 , The Journal of African History , Vol. 18 , No.1 (1977) , p. 86.
3. Niddrie, David , South Africa : Nation or Nations? , D. van Norstrand Co. Inc., Princeton, 1981, p.45.
4. Van- Helten, Jean. Jacques, La France et L'Ore des Boers: Some Aspects of French Investment in South Africa between 1890 and 1914, African Affairs, Vol. 84, No. 335 , (April 1985) p. 262.

كما كان استقدام العمالة الصينية أحد عوامل إضراب عام ١٩٠٧ الذي قام به العمال البيض ، إذ اعتقد العمال البيض أن صدور مرسوم باستقدام عمالة من الخارج (من غير الأفارقة) هو أمر يرسى سابقة ستؤثر على المدى الطويل عليهم ، خاصة أن مستوى مهارة العمالة الصينية التي يتم جلبها لم يكن أمراً واضحاً آنذاك ، وبدأ في منجم نايتس ديب Knights Deep في ويتووترزراند في أول مايو ، وانتشر الإضراب في مناجم الذهب طوال شهر مايو ، ووصل عدد المضربين إلى ما نسبته ٢٠% من إجمالي العمالة البيضاء ، و هو الإضراب الذي أرسى قواعد اللعبة بين العمالة البيضاء المنظمة و أصحاب العمل ، بحيث أصبحت الاستجابة من قبل أصحاب العمل تجاه مطالب زيادة الأجور التي يطالب بها العمال البيض تتم بصورة شبه تلقائية (١) .

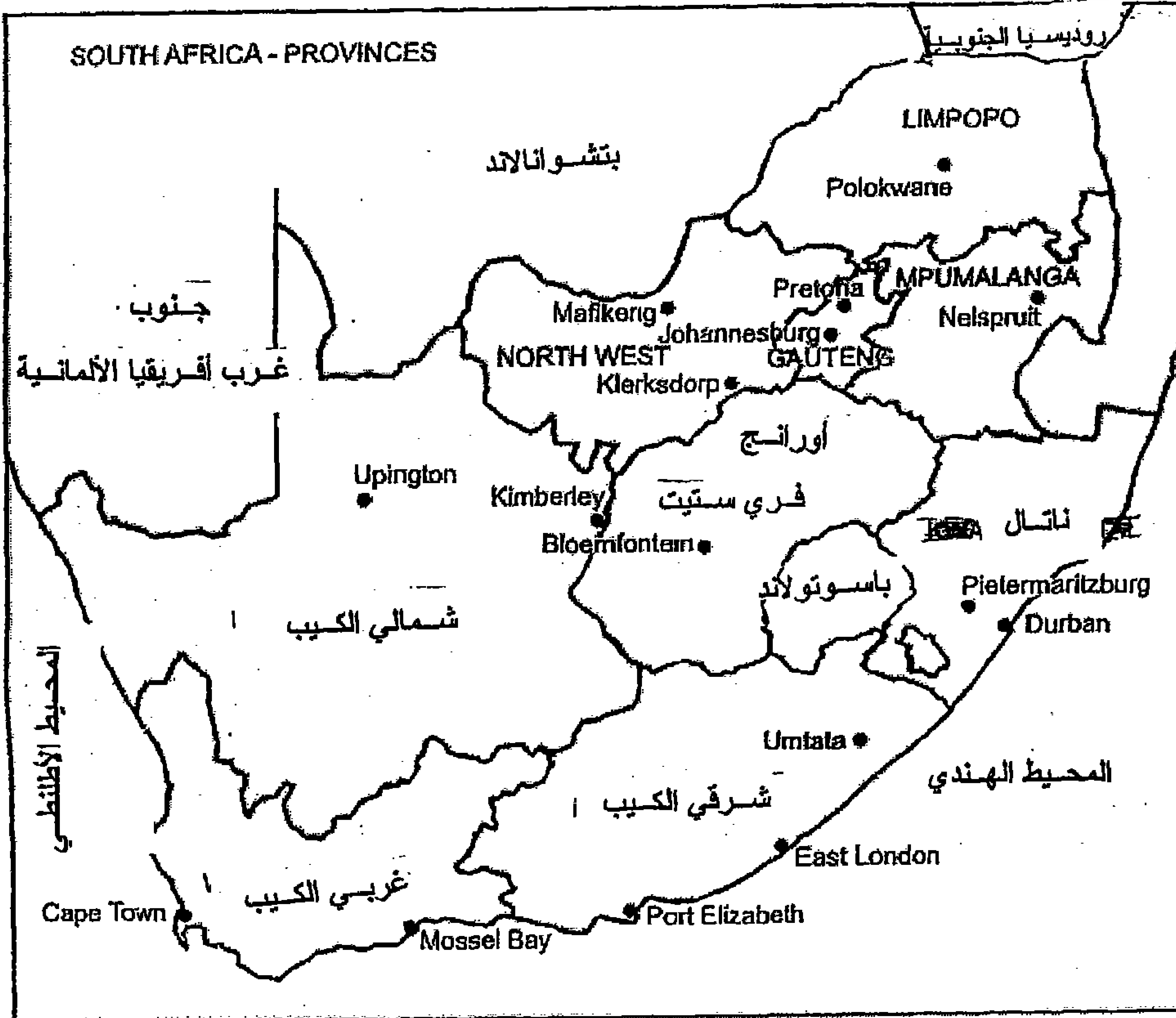
و استمر تزايد الطلب على العمالة الأفريقية ، وذلك نتيجة لحصول المناجم بالترانسفال على تعهد حكومي باستمرار التوسع في صناعة استخراج الذهب ،و قرار الحكومة بعدم استقدام المزيد من العمالة الصينية (٢) .

و مع التوجه نحو توحيد جمهوريات جنوب أفريقيا في كيان واحد ، تقاربت الأفكار الافريكانية – البريطانية ، ودفعت الظروف كلا الطرفين نحو هذا الهدف ، وكان منح الحكم الذاتي للأفريكانريين هو الخطوة الأولى – والتي عززها المندوب السامي التالي لملنر وهو سلبورن Selborne بالتعاون مع مجموعة من إداريي ملنر – الهامة على ذلك الطريق ، وكان حرص بريطانيا على ذلك ليس للجدوى الاقتصادية لهذا الاتحاد فحسب ، ولكن لما سيعنيه من فرض سيادتها على جنوب أفريقيا (٣) .

1- Yadelman, David, Lord Rothschild, Afrikaner SCABS and the 1907 Strike; A State-Capital Daguerreotype, African Affairs Vol. 81 No. 323 (April 1982) p.
2- Thompson, L. M., The Unification of South Africa (1902–1910), Clarendon Press, Oxford, 1960 P14.
3- Selby , John, A Short History of South Africa ,George Allen and Unwin Ltd. , London , p. 207

وكذلك : السيد علي أحمد فليفل: مستعمرة الرأس البريطانية (١٨٥٣- ١٩١٠) ، رسالة دكتوراه غير منشورة١٩٧٣، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣، ص ٣٤٧.

اتحاد جنوب أفريقيا



http://www.anc.org.za/images/maps/samapo.gif

و بالفعل – وبعد إجراءات قانونية متلاحقة – تم الإقرار النهائي بقانون تكوين اتحاد جنوب أفريقيا ، وتحديد يوم ٣١مايو عام ١٩١٠ تاريخاً لميلاد هذا الاتحاد رسمياً (١) .

وتشبه شيلا باترسون النظام الذي قام عقب تكوين اتحاد جنوب أفريقيا بنظام الدولة –المدينة اليوناني ، والذي يتكون من مجموعة أقلية حاكمة يتمتع أعضاؤها (وهم هنا الأوروبيون أو ذوو البشرة البيضاء) بالحقوق المدنية كاملة ومتساوية فيما بينهم ، وتفرض هذه الأقلية هيمنة مباشرة على المجموعة الأكبر عددا والمختلفة عرقياً – وغالباً ثقافياً أيضاً – وأفراد هذه المجموعة الأكبر يقع على عاتقهم دفع الضرائب إلا أنهم محرومون من المشاركة السياسية إلا في أضيق الحدود ، وهو الأمر الذي انطبق تماماً على الأفارقة بصورة خاصة في ظل اتحاد جنوب أفريقيا منذ تأسيسه (٢) .

1- Thompson, L .M., op .cit., , p. 14.

و لتفاصيل الإعداد للاتحاد راجع كل من :

Ibid

- السيد فليفل: مرجع سابق ، ص ص ٢٤٧-٢٦٤.

2- Patterson , Sheila , Colour and Culture in South : A Study of the Status of the Cape Coloured People within the Social Structure of the Union of South Africa , Routledge and Kegan Pall Ltd. , London , 1953 , www.questia.com , p. 31.

راجع بالتفصيل عن النقاش بين أصحاب الآراء المختلفة من البيض بصدد حقوق ومصالح الأفارقة قبيل تكوين الاتحاد وعما ستكون عليه هذه الحقوق والمصالح بعد تكوين الاتحاد دراسة رونالد هيام ، وقد اعتمدت هذه الدراسة بالدرجة الأولي على وثائق بريطانية وأوراق خاصة بالشخصيات التي ساهمت في عملية تكوين الاتحاد

- Hyam , Ronald , African Interests and the South African Act , 1908 - 1910 , The Historical Journal , Vol. 13 , No.1 (Mach , 1970) pp. 85-105.

ثالثا - الحركة الوطنية الأفريقية والعمالة الأفريقية (١٩١٠-١٩١٩).

أدى تكوين اتحاد جنوب أفريقيا إلى إجراءات متسارعة للحركة الوطنية الأفريقية على نحو يدعم القومية الأفريقية ويبحث للأفارقة عن فرصة وجود محترم في عالم الهيمنة البيضاء ، واتضح ذلك من تأسيس المؤتمر الوطني لأفارقة الجنوب أفريقي South African Native National Congress عام ١٩١٢ (١) .

وقد تشكل المؤتمر في أعقاب فشل زيارة وفد الاتفاق الوطني Native convention للندن قبيل تكون الاتحاد لمناقشة مشكلة التمثيل المباشر للبانتو في قانون تكوين الاتحاد(٢) ، وبعد لقاء عقد في بلومفنتين Bloemfontein بمشاركة نحو ٦٠شخصية أفريقية هامة ،أختيرجون ل. ديوب(٣) J. L. Dube كأول رئيس للمؤتمر(٤) .

1- Selby, John , A Short History of South Africa, op.cit.,p.252
وقد تغير الاسم في عام ١٩٢٣إلى المؤتمر الوطني الأفريقي The African National Congress

2- Viddrie, David L., South Africa, op.cit.,p.151 .

٣- هو جون لانجاليباليلي ديوب J. Langalibalele D.(١٨٧١-١٩٤٩) ولد في إناندا Inanda بإقليم ناتال،والتحق بكلية أمانزمتوتيAmanzimtoti ،وعقب تلقيه للتعليم الابتدائي بالإرساليات،ثم التحق أيضاً بكلية أوبرلينOberlin بمدينه أوهايو Ohio الأمريكية عام ١٨٨٩،والتقى هناك بالنخب السود أمثال بوكر واشنطون ت.Booker T. W ودى بوا W. E. B. du Bois وجون هوب J. Hope ، وعند عودته لجنوب أفريقيا أسس مدرسه الزولو الصناعية المسيحية بناتال عام ١٩٠١،وفي عام ١٩٠٣ شارك في تأسيس جريدةlose Natal Ilanga (The Natal Sun) لتصبح أول جريدة زولويه اللغة ،واهتم بتسجيل التراث الزولوي ،ومن مؤلفاته الهامة :العدو الأعظم (للإنسان) الأسود هو نفسه Isita esikhulu Somuntu Omnyamn nguye Ugobo Lwake عام١٩٢٢ ، وهو عبارة عن تسجيل للفن الشعبي للزولو وأغانيهم الراقصة،وروايتين هما صدام اللون(١٩٢٦) بالإنجليزيه The Clash of Colours، ورواية عن حياة ملك الزولو تشاى بالزولوية،وشارك في المؤتمر الدول للإرساليات المسيحية،وحصل على الدكتوراه الفخرية كأول أفريقي يحصل عليها من جامعة جنوب أفريقيا.

- Makers of Modern Africa, Profiles in History, Africa Books LTD. London 1981, pp.170-171.

4-Rich, Paul B. , State Power and black Politics in /South Africa, 1912-51, Macmillan press LTD, London.1996, p, 16

وكان هدف المؤتمر الأساسي هو خلق وحدة وطنية وحماية حقوق الأفارقة وامتيازاتهم [١] ، وتحقيق تقدم في الحقوق السياسية للأفارقة في إطار دستور جنوب أفريقيا[٢] غير أن الجيل الأول من قادة المؤتمر لم يكن مؤهلاً لتطوير القومية الأفريقية بالقدر اللازم،وذلك نظراً لاندماجهم في أسلوب الحياة المسيحي والغربي، ودونية نظرتهم للجماهير، واعتمادهم على الولاءات القبلية[٣] .

وكان أول محك للمؤتمر الوطني هو صدور قانون أراضى الوطنين عام Natives land Act.١٩١٣ [٤] والذي حدد المعازل الأفريقية، ومنع الأفارقة من حيازة أراضى خارج تلك المعازل، إلا بتصريح من الحاكم العام،وذلك باستثناء (إقليم الكيب) [٥] ، كذلك تضمن القانون فقرة تهدف مباشرة إلى إلغاء مشاركة السود في ملكية أو استئجار الأراضي، وأُعلن وفقاً للقانون إلغاء وضع اليد من قبل الأفارقة ،وكذا إلغاء وضعهم كمستأجرين، وأصبح عليهم في سبيل أو استمرار وجودهم في الأراضي أن يقوموا بأعمال خدمية لصالح السادة البيض[٦] .

غير أن رد فعل المؤتمر الوطني لم يتجاوز أبداً الرفض والاعتراض على هذا القانون، كما أظهر ذلك س. م. ماكجاتو S. M. Makgatho زعيم فرع المؤتمر الوطني بالترانسفال في خطبته التي ألقاها في موقع نيومارباستاد New Marabastad Location في بريتوريا إذ وصف القانون بأنه مليء بالقضايا الخطيرة ، كما أنه يخالف الحقوق المشتركة Common Rights للشعب .كما عبر عن مخاوف النخبة الأفريقية ذات التعليم الإرسالي والتي تعتبر القانون ثورة اجتماعية واقتصادية تهدد بتحطيم كل ما تحقق في القرن التاسع عشر بجنوب أفريقيا وأكد أن " ذلك القانون يخيفنا....إننا نخشى أن نفقد شعبنا الذي لم يعرف الحياة المتحضرة ، وألا

1- Hoagland, Jim, South Africa, Civilizations in Conflict, George Allen and Unwin LTD, London, 1973.p. 129.
2- Rich, Paul B. , State Power, op. cit., , p. 16.
٣- ابراهيم نصر الدين : حركة التحرر الأفريقي في مواجهة النظام السياسي بجنوب أفريقيا ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠ ، ص٢٥٠ .
4- Hoagland, Jim, South Africa, Civilizations in Conflict, op. cit.,, p. 128.
5- FO / 371 / 167549/, What's Apartheid? , 1963.
6- Freund, Bill, The African Worker, Cambridge University Press, Cambridge, 1988, p. 120.

يقبل بالمسيحية كما تعلمناها على يد البيض[١] ، ويلاحظ بيل فروند أن التحول إثر ذلك القانون نحو العلاقات الرأسمالية في المزارع وتحويل المستأجرين لعمالة أجيرة كان بطيئاً للغاية[٢] .

وبقيام الحرب العالمية الأولى أختل التطور الاقتصادي لجنوب أفريقيا، وما يتعلق به من أوضاع خاصة بالعمالة الأفريقية، إذ سرعان أن أعلنت حكومة الاتحاد دخولها الحرب بجوار بريطانيا وأعدت لمهاجمة جنوب غرب أفريقيا الألمانية German South West Africa [٣].

1- Rich, Paul B., State Power, op. cit.,, p16.

للمزيد عن موقف المؤتمر الوطني الأفريقي من قانون الأرض راجع :

-Ibid, pp. 16-22

وراجع أيضا في الفصل الثالث من هذه الدراسة ص ص .

وكذلك رأى سولومون بلاتيجى في :

Dethrone O. R. and Wilfred, Leds, Africa in a Prose, Penguin Books Ltd. Middlesex.1969.PP.53-61

2- Freund, Bill, OP. cit., P. 120.

3- Selby, John, A short History of South Africa , op.. cit., p.216.

وبداية قامت الحكومة بقمع تمرد القيادات الأفريكانرية من أمثال كريستيان دى فيت Christiaan de wet ودى لاريه De Larey مما ساهم في قوة الحكومة وإطلاق يد بوثا Botha (رئيس الوزراء) في القيام بعمليات ضد القوات لألمانية، وتواصلت العمليات الحربية ضد الألمان في جنوب غرب أفريقيا الألمانية، ونجح الجنرال بوثا- بقيادته(١٢٠ألف جندي) - في الاستيلاء على تريكوبيس Trekkoppies ثم على كاريبيب Karibib (مايو ١٩١٥) ثم ويندهوك نفسها لتتم العمليات الحربية فىجنوب غرب أفريقيا في يوليو ١٩١٥، واتجه جيش الدفاع الجنوب أفريقي للمشاركة في حملة شرق أفريقيا، بهدف تحقيق وعد بريطانيا لجنوب أفريقيا(وفى حالة الانتصار على ألمانيا) بمبادلة البرتغال للأخيرة بجزء من أملاك ألمانيا في شرق أفريقيا مقابل خليج ديلاجوا Delagoa الميناء الطبيعي للترانسفال. وقاد الحملة سمتس Smuts وبمصاحبته-بالإضافة للجنود البيض- عشرة آلاف أفريقي للخدمة خلف الجنود، انظر:

-Selby, John, op. cit.,, p. 217.

-Ewing, John, South Africa in the World War (1914-1918), in (Walker, Eric. (ed) : The Cambridge History of the British Empire, vol. III, South Africa, Rhodesia, and the High Commission Territories Cambridge University Press, London, 1963, p..747

Walker, Eric. A History of South Africa, Longmans, Green and Co., London, 1941, pp. 562- 563.

وخلال الحرب انصرف جزء كبير من عائد النشاط الاقتصادي لصالح المجهودات الحربية ،وتطورت الحركة العمالية البيضاء في ظل تدعيم صناعة تعدين الذهب، وما صاحبه من ارتفاع في معدلات الأجور بالنسبة للعمالة البيضاء، وفي ظل آثار اضطرابات عامي ١٩٠٧ و ١٩١٣ وتجسد هذا التطور في اعتراف حجرة الترانسفال للمناجم بالاتحاد الصناعي الجنوب أفريقي South African Industrial Federation كمنظمة ممثله للعمالة البيضاء عام ١٩١٥ (١).

وكانت جنوب أفريقيا عموماً قد أخذت تشهد مجموعة من الإضرابات خلال الحرب العالمية الأولى ، وقد شملت هذه الإضرابات معظم القطاعات ولم تقتصر على العمال (سواء البيض أو السود) فقط ، فعلى سبيل المثال قام رجال شرطة مدينة كيب تاون بالاضراب في عام ١٩١٨ إذ امتنع نحو مائة شرطي عن العمل حتى يتم رفع رواتبهم في أول يناير ، وتم سجنهم مما دفع أعداداً أكبر من زملائهم للامتناع عن العمل بدورهم ، وانتشرت هذه الدعوة في أنحاء الكيب ، وبعد توسع حركة الاضراب بين الشرطة توجه وزير العدل إلي كيب تاون وقابل قيادات الاضراب شخصياً ووعدهم بالعفو العام مع زيادة رواتب أفراد الشرطة (٢) .

وكانت ثمة مشكلة آخذة في التزايد خلال الحرب العالمية الأولي وهي مشكلة الفقراء البيض ، لدرجة أنه في عام ١٩١٦ دعا الزعيم الأفريكانري د. ف. مالان D. F. Malan إلي عقد مؤتمر في كرادوك Cradock من أجل " حل مشكلة الفقراء البيض " الذين بلغت نسبتهم في العديد من المقاطعات (خاصة في الترانسفال) نحو ٢٠ % من السكان البيض ، وهو الأمر الذي كان يعني بذل المزيد من الجهود لصالح تحسين أوضاع البيض على حساب الأفارقة (٣)

1- Plant, Arnold, Economic Development (1795-1921), (in Walker, Eric .C .A (ed.). op. Cit.,,), p.831.
2- Nasson , Bill , ' Messing with Coloured People ' : The 1918 Police Strike in Cape Town , South Africa , The Journal of African History , Vol. 33 , No. 2 , 1992 , p.302.
3- Macmillan , W. M. , The Road to Self-Rule : A Study in Colonial Evolution , Faber and Faber , London , 1959 , p. 192 .

بينما واصلت العمالة الأفريقية عملية التطور البطيء الذي تمر به ،ودارت في إقليم الكيب بين أوساط بعض الاشتراكيين البيض آراء حول تنظيم العمالة الأفريقية، وإن لم يتجاوز هذا التفكير مجرد تنظيم هذه العمالة لتيسير توفيرها وقت الحاجة ، ونتيجة للظروف السيئة للعمل في المناجم،قاطع عمال المناجم الأفارقة بالترانسفال-المحلات التى يبيع فيها أصحاب المناجم الطعام والسلع المصنعة للأفارقة، وكذلك شهدت جوهانسبرج إضراب عمال الصرف الصحي وجامعو القمامة،لتبرز بعدئذ فكرة الدعوة لإضراب عام من قبل العمال الأفارقة ويكون موعده يوليو ١٩١٨، وذلك للمطالبة برفع الأجر اليومي للعمال الأفارقة بمقدار شلن واحد،وبرغم تحفظ بعض قيادات المؤتمر فإن المؤتمر أيد تلك الدعوة، والتقى بوثا بوفد أفريقي يرأسه سول مسين Soul Mesane زعيم المؤتمر في الترانسفال ، وهو اللقاء الذي أسفر عن سحب المؤتمر لتأييد دعوة الإضراب ، غير أنه في ١ يوليو ١٩١٨ أضرب نحو ١٥ ألف عامل أفريقي في ثلاثة مناجم ، وهو الإضراب الذي تمكنت الشرطة من إنهائه بعنف واضح (١).

1- Davidson. A. B., Isaaeman. A and Pelissier R., Politics and Nationalism in Central and Southern Africa.1919-1932 (in: Boahen Adu A. (ed.), op. cit., p .686.

رابعا – اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي
(Industrial and Commercial Workers Union of Africa)

يعود تأسيس اتحاد العمال الصناعي و التجاري الأفريقي لظروف فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى ، ومحاولات بعض الاشتراكيين البيض بإقليم الكيب تنظيم العمالة الأفريقية بمدينة كيب تاون Cape Town كما كان للنقص المفاجئ في العمالة غير الماهرة خلال فترة الحرب وشيوع النقابات متعددة الأعراق في الكيب ، كان كل ذلك حافزا لظهور الحركة العمالية الأفريقية (١) .

وقد أسسه كليمنت كادالي Clements Kadalie في عام ١٩١٩ بالتعاون مع بعض الاشتراكيين البيض (٢) ، وكان يهدف إلى تجميع العمالة الأفريقية في منظمة واحدة ، والمناداة بإصلاح أوضاع هؤلاء العمال من خلالها ، دون التطرق لمواجهة مباشرة مع النظام للحصول علىحقوق العمال الأفارقة (٣).

ويري هنري ويلسون أن كادالي لم يكن مقرا – في البداية – بأن تنظيمه الجديد هو تنظيم نقابي صرف أو أنه حركة احتجاج سياسي إذ كان التنظيم المركزي للاتحاد ضعيفاً للغاية ولم يمكنه من السيطرة على عملية توسع العضوية به (٤).

1- Lodge, Tom, Black Politics in South Africa since 1945, Longman Group Ltd., London, 1983, p. 5.
2- Selby, John, A Short History of South Africa, op. cit.,, pp. 250-251.
3- Freund, Bill, The African Worker, op. cit.,, pp. 130- 131.
4- Wilson , Henry S. , The Imperial Experience in Sub-Sahara Africa Since 1870 , University of Minnesota , Minneapolis , 1977 , p. 257 .

وكان توسع الاتحاد بداية في المناطق الريفية خارج إقليم الكيب في ناتال ، ثم في شرقي الترانسفال بعدئذ(١) ،كذلك سارع الاتحاد في إقامة علاقات مع الجماعات النقابية المختلفة خاصة في موانئ الكيب الشرقي Eastern Cape وديربانDurban،(٢) ، كما كانت رؤية الاتحاد متأثرة ببعض الميول الاشتراكية ،ويتضح ذلك فيما نص عليه برنامجه على أن كل من : مصالح العمال وأصحاب الأعمال employers متعارضة ، حيث أن الأوائل يعيشون من بيعهم لعملهم ، والذي يتلقون مقابله جزءاً (يسيراً) من الثروة ، أما الأخيرون فيعيشون من استغلال عمل العمال ،وحرمانهم من جزء من المنتج الذي يقدمونه(العمل وعائده) في شكل فوائد ، ولن يكون ثمة سلام بين الطبقتين ، ويجب أن يكون الكفاح الدائم هدفا حتى يتمكن للعمال من الاستيلاء علىوسائل الإنتاج الرأسمالية وتملكها (٣) .

وكان لتمرير تشريع يقضي بإسقاط الذهب من التداول القومي (كعملة) في البرلمان -يوليو ١٩٢٠- أثره في إثارة حفيظة العمال في مناجم الذهب ، و نشوب احتجاجات في عدة مناطق ، أهمها مجمع اندونا مجوايا Induna Mgwiya Compoundومجمع بورجس Porges Compound و راندفونتين Rand Fonteien (٤) ، الأمر الذي ساهم في إبراز أهمية الاتحاد -على الأقل كفكرة- بالنسبة للأفارقة .

وفي أوائل عام ١٩٢١ اندلعت اضطرابات ضخمة بين العمال الأفارقة بالمناجم ، وقام بعض أعضاء الاتحاد بأعمال عنف في بورت اليزابيث Port Elizabeth الأمر الذي جعل ج. ف. هربست J.F. Herbest أمين الشئون الأفريقية يلاحظ أن الوضع العام للعمالة الأفريقية في منطقة ريف Reef (منطقة شرقي الترانسفال) بمثابة إنذار " *إذ لم تكن حالة الهيجان بمثل ذلك التوتر والحقد في أي وقت مضى* " (٥) .

1- Lodge, Tome , op. cit . p. 5.
2- Ibid.
3- Davidson, A.B and Others, Politics and Nationalism, op. cit., p.688.
4- Breckenridge , Keith ,'Money with Dignity ' , Migrants, Mine Lords and the Cultural Politics of South African Gold Standard Crisis , 1920-1933, Journal of African History, Vol.36. No. 2(1995), Ps 271,278.
5- Ibid, pp. 279-280.

كما شهد معزل الترانسكي في عام ١٩٢١ حركة احتجاج من قبل النساء الأفريقيات علىرفض التجار الأوروبيين لبيعهم سلعا بالأجل كما هو معتاد ، وكذلك لرفع هؤلاء التجار للأسعار ، وتضمنت حركة الاحتجاج هذه سلسلة مقاطعات ضد التجار الأوروبيين ، وهي الحركة التي كان لاتحاد العمال تأثير فيها من خلال بعض قياداته في المنطقة [١] .

وتزايدت حدة الآثار السلبية لسياسة قصر فرص عمل العمالة غير الأوروبية على الأعمال ذات الأجور المتدنية ، ويلاحظ رايموند بويل R. Buell أن الفارق بين راتب العمالة البيضاء الماهرة والعمالة الأفريقية غير الماهرة أكبر من أي مثيل له في أي دولة في العالم ، ويرى أن ذلك يعود في المقام الأول إلي تنظيم الصناعة على أساس تشغيل الحد الأدني من العمالة الماهرة والحد الأقصى من العمالة غير الماهرة – خاصة في ضوء توفر العمالة الأفريقية الرخيصة – وهو الأمر الذي تسبب ، وفق ما ذكرته البعثة الاقتصادية والمتعلقة بالأجور Economic and Wage Commission عام ١٩٢٤ في تقليل قدرة الوطنيين native على الشراء ، وبالتالى فإن كون العمالة الأفريقية كسوق للسلع المصنعة يقلُ ، وهو ما يؤثر بدوره على العمالة الأوروبية التي تعمل في تصنيع هذه السلع [٢] .

وازداد انضمام الأفارقة للاتحاد ، خاصة أن المؤتمر الوطني لم يستطع جذب أعداد كبيرة من العمال ، أما أولئك العمال الذين لم يؤيدوا الاتحاد وقياداته فقد اعتنقوا الأفكار الشيوعية وانضم بعضهم للحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا The Communist Party of South Africa بقدر ما سمحت به شروط العضوية بالحزب [٣] .

1- Boahen , A. Adu , African Perspectives on Colonialism , The Johns Hopkins University Press , Baltimore , 1989 , p. 80.

2- Buell , Raymond leslie , The Native Problem in Africa , Vol. 1 , The Macmillan Company , London , 1928 , p. 65 .

٣– إبراهيم نصر الدين :حركة التحرر الافريقي ،مرجع سابق . ص ص.٢٥٩-٢٦٠ .ولمزيد من التفاصيل حول علاقة الحزب الشيوعي بالحركة العمالية الأفريقية راجع الفصل الثالث من الرسالة .

وفي ظل تلك الظروف كانت الحكومة تحرص على فرض سيطرة الدولة على قوة العمل الأفريقية ، لذا أصدرت قانون المناطق الحضرية للوطنيين Natives (Urban Areas) Act عام ١٩٢٣ بغرض إحكام السيطرة على العمال الأفارقة ، و تمكين المجالس البلدية من تحديد مواقع Locations خاصة لإقامتهم للحد من تدفقهم من جهة وللسيطرة على ذلك التدفق من جهة أخرى ، وكذلك إنشاء هيئات استشارية تختص بمناقشة المسائل المحلية الخاصة بالأفارقة ، على أن تضم بعض الممثلين لهم لكن بدون أية سلطة تغييرية في سياسة الحكومة تجاه الأفارقة ،و كذا لرصد وتقدير أجور الأفارقة[١].

ورغم توسع القاعدة العمالية للاتحاد ، فإنه قد اهتم بصورة أساسية ببعض مشروعات شراء الأراضي ، وتقنين الملكية ، ومحاولة تحسين أوضاع الفلاحين الأفارقة من خلال التفاوض مع " أصحاب الأرض البيض" ، ويرى البعض أن الاتحاد كان ضعيفا لحرص قيادته البورجوازية[٢] في أغلبها على تكوين حزب سياسي ذي قاعدة جماهيرية أكثر من حرصها على تشكيل نقابة عمالية [٣] .

و قد دعمت تلك الرؤية عملية تدافع العناصر الشيوعية على الاتحاد ، وهو الأمر الذي كان له أثره في محاولة إعادة تشكيل الاتحاد على نمط الحركة العمالية البريطانية بما يعنيه ذلك من تقليص لدور كليمنت كادالي، الذي كان حريصا أشد الحرص على اعتبارات زعامته الخاصة ، والتي اتضحت أشد الوضوح من خلال تحرك الاتحاد – على حد تعبير بيل فروند – باعتباره حركة قومية منتظرة Messianic Nationalist Movement مما أدى إلى جعل مطالبه غير واقعية ، وغير ملائمة مرحلياً [٤] .

1- Maylam, Paul, The Rise and Decline of Urban Apartheid in South Africa, African Affairs, Vol. 89, No. 354 (1990), p.66.

٢- تلاحظ هيلين برادفورد أن معظم قيادات ومنظمي الاتحاد يحملون اسماء انجليزية أو مشتقة من الكتاب المقدس Biblical وذلك في سياق توضيحها للأصول الاجتماعية لهذه القيادات والتي تنتمي أساسا للبورجوازية الصغيرة ،مع ملاحظة أن الفروق الطبقية – كما ترى برادفورد – لم تكن واضحة تماماً بين الأفارقة سواء كعمال او بورجوازية ، راجع :

-Bradford, Helen, Mass Movements and the Petty Purgeoisie; the Social Origins of ICU Leadership, 1924-1929, Journal of African History, vol. 25, No. 3, (1984) PP297-299.

3- Lodge, Tom: Black Politics, Op .cit .P6.

4-Freund, Bill, The African Worker, op. cit., p.131.

وبوصول حكومة الميثاق Pact Government للحكم عام ١٩٢٤ تعهدت بمواجهة " الهيمنة الراسمالية والاحتكارية " وبانتهاج " سياسة عمالية متحضرة " (١)، ولكن هذا التعهد اقتصر على العمالة البيضاء ، إذ سرعان أن أصدرت الحكومة عدة قوانين بهدف تحجيم قوة العمالة الأفريقية ، مع ملاحظة هامة و أولية مفادها أن سماح هيرتزوج Hertzog لوجود الاتحاد – دون الاعتراف بشرعيته –يعود لحرصه على استغلال تأثير كادالي على أصوات أفارقة الكيب لصالحه ، وهو الأمر الذي أكسب كادالي شعوراً عارماً بالأهمية والقوة ودفعه إلى المطالبة باعتراف المجلس النقابي والعمالي الجنوب أفريقي South African Trades and Labour Council الذي يجسد التنظيم النقابي للبيض في اتحاد جنوب أفريقيا باتحاد العمال الصناعي والتجاري ، غير أن رد فعل المجلس الرافض لوجود أية صلة مع الاتحاد من منطلق عنصري بحت أوضح لكادالي حقيقة وضعه المتدني بالنسبة للنظام (٢)

وأصبحت الدولة تلعب دوراً كبيراً في عملية التصنيع منذ منتصف العشرينيات ، إذ أصبحت الدولة تقوم بالاستثمار المباشر في الصناعة ، وكان أبرز مجال دخلته الدولة في الصناعة هو صناعة الحديد والصلب (خاصة في أواخر العشرينيات) ، وهو الأمر الذي دفع الحكومة إلى اتخاذ المزيد من القوانين المتعلقة بالعمالة الأفريقية لفرض المزيد من السيطرة عليها وضمان خضوعها الدائم واستمرار وضعها كعمالة رخيصة لا تزيد من أعباء العملية الإنتاجية التى دخلت فيها الدولة كمستثمر مباشر (٣) .

1- Davies, Ioan, African Trade Unions, Penguin Books, London, 1970, p.58.

راجع عن تكوين حكومة الميثاق:

محمد عبدالحليم الزرقا :اتحاد جنوب أفريقيا ، دراسة لتاريخه السياسي و العنصري (١٩١٠-١٩٤٨) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢ ، ص ص ١١٠-١٣٤ .

2- James, Selwyn , South of the Congo , John Long Ltd., London , (without date) p. 83.

3- Rogerson , Christian M. , Apartheid , Decentralization and Spatial Industrial Change , (in : Smith , David M. (editor) , Living Under Apartheid : Aspects of Urbanisation and social Change in south Africa) , George Allen Unwin , London , 1982 , p.48

ومن أهم القوانين التي أصدرتها حكومة الميثاق بخصوص العمالة الأفريقية قانون المناجم و الأعمال عام ١٩٢٥ Mines and Works Act ، وهو تعديل لقانون مماثل صدر عام ١٩١١ ، وقد أرسى ذلك القانون الحاجز اللوني بإقراره توقف الالتحاق بالأعمال الماهرة أو نصف الماهرة على معايير خاصة بالعرق واللون (١) .

وفي ظل تواصل الضغوط على العمالة الأفريقية استمر تزايد انضمام الأفارقة للاتحاد ، كذلك تزايد انضمام العناصر الشيوعية له ،والتي رفضت بدورها تركيز الحزب الشيوعي على استقطاب العمالة وتأييده لزعماء ثورة عمال مناجم الراند رغم تطرفهم العرقي ، وكذا تأييد التحالف القومي- العمالي (حكومة الميثاق) في انتخابات ١٩٢٤ (٢) ، لكن سرعان أن ظهرت توترات ملحوظة بين العناصر الشيوعية داخل الاتحاد من جهة وبين قياداته من جهة أخرى، وكانت ناتجة عن الاختلافات الحركية Tacticalوالايديولوجية ، اذ رأي معظم الشيوعيين أن الاتحاد ليس منظمة نقابية بالمعني الصحيح ، فمعظم أعضائه كانوا من عمال المزارع أكثر من كونهم بروليتاريا صناعية ، كما أن كادالي -كبورجوازي وذي رؤية أقل راديكالية على صعيد الكفاح الطبقي -كان يري التركيز علىالنضال السياسي ، ولم يشارك الشيوعيين الرأي في أن الكفاح هو كفاح طبقي بالأساس (٣) ، وكذلك طالبه الشيوعيون بانتهاج سياسة ثورية والقيام باضراب فعال غير أنه - كادالي - سرعان أن أعلن أن العناصر الشيوعية تشكل خطراً مباشراً على الاتحاد ، وتراجع عن مطلبه الذي سبق أن أعلنه عام ١٩٢٥بتأميم المناجم و الصناعات و السكك الحديدية ، مقصراً هدف الاتحاد على تحقيق أجور عادلة للأفارقة وتحسين ظروف العمل (٤) ، على الرغم من أن التوترات في المناطق الريفية كانت قد وصلت في هذه الفترة إلى درجة الغليان لتأثر العمال الأفارقة في الأرض بسياسة الحكومة وازدياد ظروف العمل سوءاً بدلاً من استقرارها- على الأقل - وهو الأمر الذي كان دليلاً على فشل اتحاد العمال الصناعي والتجاري وقصر مدى نجاحه(٥) .

1- Davies , Ioan, op. cit., p.58.
2- Lodge , Tom , Back Politics, op. cit., p. 7.
3- Ibid
4- Ibid , pp. 7-8.
5- Keegan , Timothy , Crisis and Catharsis in the Development of Capitalism in South African Agriculture , African Affairs , Vol.84,No.336 (July,1985) , p. 395

وخلال عام ١٩٢٦ أعلن كادالي طرد العناصر الشيوعية ، اتساقاً مع الفصيل الذي طالب باستبعاد العناصر الشيوعية والاستمرار في انتهاج سياسة ملتزمة بالمبادئ" الدستورية " [١] ، ومن أجل التأكيد على أن الاتحاد ضد التفرقة العنصرية اتخذ كادالي موقفاً مهدداً باتخاذ " تصرف قانوني " ضد إدخال الحاجز اللوني في ترامات جوهانسبرج (أبريل ١٩٢٦) ، غير أن ج. ب. ميلفورد G. B. Milford المدير العام لترام جوهانسبرج أكد على أن السماح للأفارقة بركوب الترام سوف يثير مشاكل عرقية من الأسهل تفاديها بدلاً من معالجتها ، وفي نفس الوقت لم يتحرك كادالي أية خطوة في اتجاه اتخاذ التصرف القانوني [٢] ، و في عام ١٩٢٧ أصبح الاتحاد أكبر منظمة عمالية في أفريقيا ، إذ ضم في عضويته نحو مائة ألف عضو [٣] ، وفي العام نفسه– والذي شهد ايضا بداية عدم انتظام الأعضاء في دفع الاشتراكات– انضم كادالي لوفد جنوب أفريقيا في مؤتمر الكومنترن [٤] Comintern ببروكسل اضافة إلى دانيال كولرين D . Colraine ممثل المؤتمر النقابي الجنوب أفريقي South African Trade Union Congress ، و و. هـ . أندروز W. H . Andrews الأمين العام السابق للحزب الشيوعي – والذي استقال من أمانة الحزب بعد التصويت لصالح انتهاج سياسة حزبية أكثر تعاطفاً مع الأفارقة–لكن الخلافات الحادة بين أندروز وكادالي أدت إلى استبعادهما،والاستعاضة عنهما بكل من جوميدى J.T . Gumede زعيم المؤتمر الوطني الافريقي ، وجيمس لاجوما J. la Guma الأمين العام السابق

1- James, Selwyn , South of the Congo , op. cit., pp.84-85.

2- Pirie , G. H. , Racial Segregation on Johannesburg Trams : Procedures and Protest , 1904 - 1927 , African Studies , Vol. 48 , No.1 , (1989) , p.45.

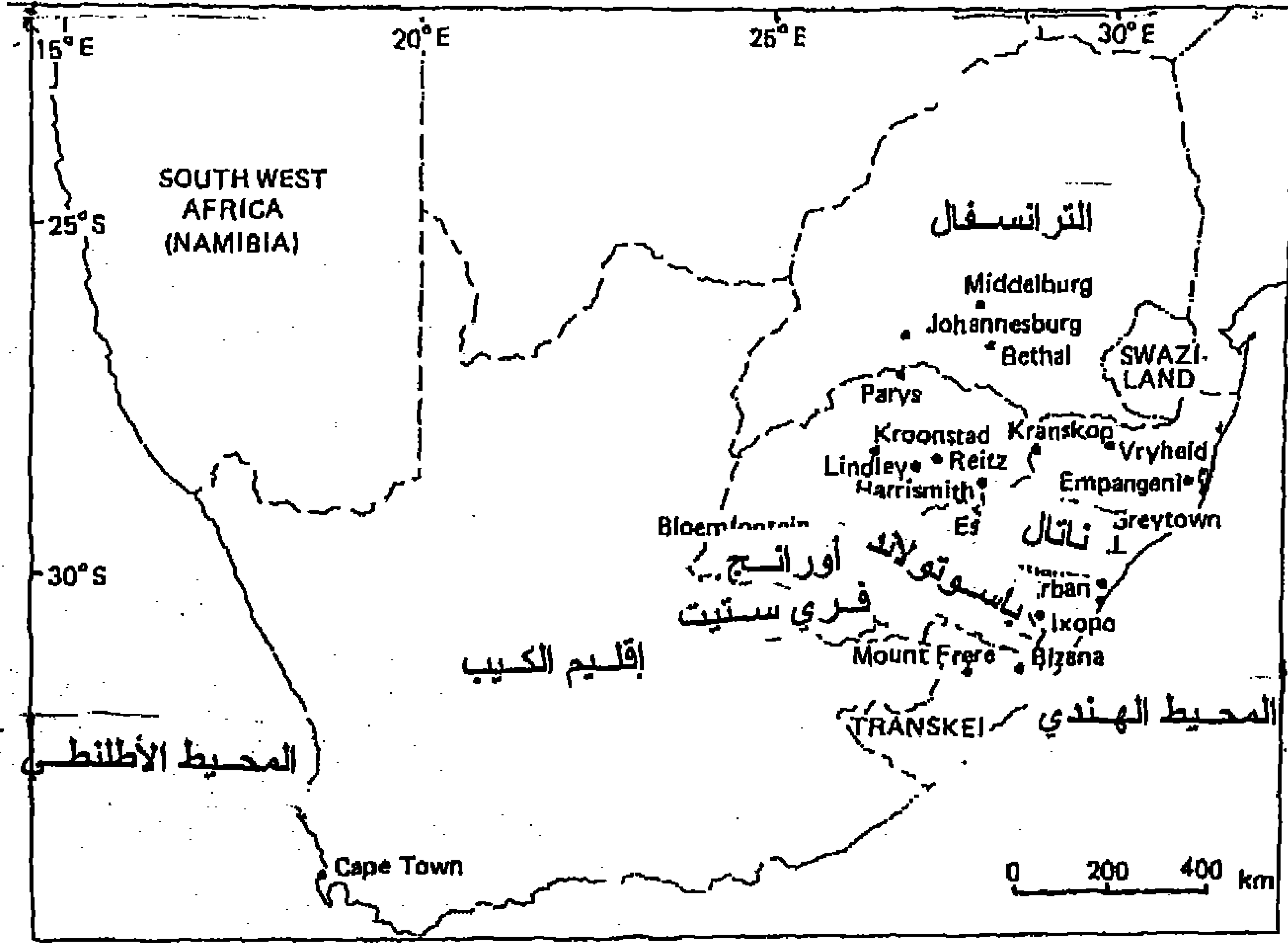
وعن التفرقة العرقية بين البيض والأفارقة في السكك الحديدية ومحطاتها راجع لنفس المؤلف :

- Pirie , Gordon H. , Rolling Segregation into Apartheid , South African Railways , 1948-53 ,Journal of Contemporary History, Vol. 27 , No. 4 (October 1992) , pp. 671 - 693.

3- Bute, E.L. and Harmer, H.J.P., The Black Handbook, the People ,History and Politics of African Diaspora, Chassell , London ,1997, P 138 .

٤– الكومنترن : هي تجمعات دولية للأحزاب الاشتراكية ، وهي مرادف للدوليات Internationals التي بدأ عقدها في لندن ١٨٦٤ وكان آخر انعقاد لها في فرانكفورت عام ١٩٥١ ، إذ أدى الصراع السوفيتي –الصيني إلى انقسام الحركة التي كانت تخضع أساسا لتوجيهات الحزب الشيوعي السوفيتي ورؤيته بأن الأحزاب الشيوعية في العالم هي مجرد فروع له ، وهو الأمر الذي رفضته الصين في ضوء تنامي قوتها ونزوعها لانتهاج سياسة خارجية خاصة بها كانت تتعارض أحيانا مع السياسة الخارجية السوفيتية . راجع

-Scruton, Roger:, A Dictionary of Political Thought, Op. Cit., PP271-272



بعض فروع اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي

Bradford , Helen , Mass Movements and Petty Bourgeoisie , op. cit.,

وقد يرجع ذلك -في جزء أساسي منه- إلى اعتراض بعض قيادات الاتحاد على تدخل "رجل أبيض"في منظمة "بانتوية" ، إضافة إلى توجس كادالي نفسه من بالينجر لتسلط شخصيته - أو على حد تعبير الأول نفسه "لقد طلبت خبيرا فإذا بي بديكتاتور"- وبدئه في وضع نظام للتحكم في أموال الاتحاد ، ووصل الأمر إلى إعلان كادالي عن تكوين اتحاد العمال الصناعي و التجاري المستقل[١] I.I.C.U. .

وقد عاونه في إدارته كل من هـ .د.تيامزاش H. D .Tyamzashe وهبرت مسين Hebert Msane متخذاً مدينة إيست لندن East London مقراً له ، وزاول نشاطه في الكيب الشرقي مع وجود فروع قليلة تابعة له بإقليم الراند ، وتركز نشاطه في تأجير الأراضي للأفارقة من خلال تكوين شركة سميت The African Native Land Settlement Corporation ووطد صلاته مع الكنائس المستقلة Independent Churches[٢] ، كما اتجه مرة أخرى لليسار طالباً دعمهم ، الأمر الذي لم يتحقق في ظل إخفاقات كادالي المستمرة سواء كزعيم نقابي أو كزعيم سياسي [٣].

و باستمرار حكومة هيرتزوج في الحكم إثر انتخابات ١٩٢٩ أعلنت عن منع "الأنشطة البلشفية " بين الأفارقة ، وقررت كذلك وقف الهجرات الوافدة من أوروبا الشرقية خاصة من ليتوانيا Lithuania ؛ لأن أولئك المهاجرين لديهم " رؤية شيوعية " [٤] وسرعان أن سقط كادالي وقيادات الحركة العمالية الأفريقية الوليدة سواء داخل الاتحاد القديم أو المستقل في أوائل الثلاثينيات [٥] وذلك دون تحقيق نتائج ملموسة ، نظرا لتصارع كل الأطراف داخل الاتحاد [٦].

1- Davies, Ioan, African Trade Unions, op.cit. p.60.
2- James, Selwyn, South of Congo, op. cit., p.87.
3- Davies, Ioan , African Trade Unions , op. cit., p 60.
4- Rich, Paul. B., State Power, op. cit., p.87.
5- Ibid.
6- Freund, Bill: The African Worker, op. cit.,p.131

وبالنسبة لقيادات اتحاد العمال الصناعي والتجاري فثمة رأيان متباينان ، الأول يقوده فيليب بونر ويقول بأن زعامة الاتحاد تتسم بكونها شخصية وتقوم على تحقيق أهداف متناقضة – كما سبقت الإشارة – وأن كل من كادالي وتشامبيون يحملان طابعاً واحداً إذ يعتمدان علىالكاريزما أكثر من مهارات التنظيم النقابي ، وأن كليهما نظر للاتحاد على أنه شئ يخصه ، خاصة أن كادالي كان يشار له في الكثير من اللقاءات الجماهيرية بوصفه " رسولاً " و" مخلصاً " ، أما الرأي الثاني فتقوده هيلين برادفورد التي تخصصت في دراسة الاتحاد وعلقت على مذكرات كلمنت كادالي ، وترى برادفورد أن الاتحاد تحول إلى حركة جماهيرية للتحرر القومي في العشرينيات على عكس المؤتمر الوطني الأفريقي ، وأنه لا يمكن القول بأن زعامة الاتحاد كانت تنتمي لبورجوازية صغيرة فمعظم منظمي الاتحاد كانوا ينتمون للطبقة الوسطى الأفريقية ، والتي كان وضعها المادي أقرب للطبقات الدنيا ، غير أن الاتحاد نجح في جذب بعض الحرفيين المدربين بالإرساليات وأصحاب الأملاك الصغيرة ، وقد أخذت هذه المجموعات جميعها في التحول إلي بروليتاريا نتيجة لسياسة حكومة الميثاق [١] ، غير أن رأي فيليب بونر هو الأقرب للصحة في ضوء العلاقة الودية لكادالي مع هيرتزوج ، وعدم استعداد كادالي لتبني القضايا العمالية الأفريقية إلا في إطار الالتزام بالتوجهات الحكومية ، غير أنه يمكن القول أيضاً أن الاتحاد كان مرحلة هامة في طريق تطور الحركة العمالية الأفريقية نظراً لأن التفاعلات التي تمت داخله بين العناصر الشيوعية وغيرها أدت إلى اكتساب الأفارقة خبرة في العمل النقابي تطورت فيما بعد بشكل كبير .

1- Maylam, Paul, A History of the African People of South Africa: From the Early Iron Age to the 1970s, St. Martin's Press, New York, 1986, p.159.

انظر أيضا في هذا الصدد :

- Baines , Gary , From Populism to Unionism : The Emergence and Nature of Port Elizabeth's Industrial and Commercial Workers' Union , 1918 - 1920 , Journal of Southern African Studies , Vol.17 , No.4,(December , 1991) , pp. 679 - 716.

وتتناول في الجزء الأكبر منها نقدا للدراسات التي تناولت اتحاد عمال الصناعة والتجارة، وكذلك :

- Wickins , Peter L. , The One Big Union Movement among Black Workers in South Africa , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 7 , No. 3 (1974) , pp. 391 - 416.

وهي تتضمن أيضا نقدا موجزا لأهم الدراسات التي تناولت الاتحاد حتي عام ١٩٧٤ .

خامسا : الحركة العمالية الأفريقيـــة قبيـــل الحـــرب العالميـــة الثانيـــة (١٩٢٩-١٩٣٩).

تعرض اتحاد جنوب أفريقيا لهزة عنيفة ، وذلك عقـب مرحلـة هامـة فـي عمليـة التطور التي مر بها مجتمع جنوب أفريقيا في فتـرة العـشرينيات بـسبب النمـو الـصناعي وتزايد قوة العمل الحضرية والزراعة التجاريـة ، وإن كانـت هـذه العمليـة فـي إجمالهـا غير تامة [١].

وكان مصدر هـذه الهـزة انهيـار بورصـة وول سـتريت Wall Street بنيويـورك عام ١٩٢٩ وتولد ما عرف بالكساد الكبيـر ، وهـو الأمـر الـذي أحـدث عـدم ثقـة فـي شركات التعدين أو في حكومة اتحاد جنوب أفريقيـا وقـدرتها الاقتـصادية [٢] ، وقـد نـتج هذا الكساد عن اختلال التوازن بين الزراعة والصناعة وانهيـار أسـعار المنتجـات الاولية بصورة كبيرة بالنسبة للسلع المصنعة[٣] ، و أصبح اهتمام الـساسة الرئيـسي هـو تجنيـب الاقتصاديات القومية آثار هذا الكساد خاصة مع تفاقم مشكلة البطالة [٤].

1- Worden, Nigel, The Making of Modern South Africa, Conquest, Segregation, and Apartheid, Blackwell Publishers, Oxford, 1994.
2- Simons, H.J., Struggles in Southern Africa for Survival and Equality, Macmillan Press Ltd, London, 1997, p. 54.
3- Wilson, Henry S., Africa Decolonization, Edward Arnold, London, 1994, P 48.

ولمراجعة الأبعاد التاريخية للكساد الكبير

- Allen ,G.C., The Economic Map of the World , Population , Commerce and Industries(in: Thomson , David (editor) : New Cambridge Modern History, Vol. , XII, op. cit., pp.14-41).

4- Ibid. pp.32-33.

وقد انهارت صادرات جنوب أفريقيا من كل من الصوف والذرة والفاكهة والسكر ، وأغلقت مناجم الماس ، وأعقب ذلك كله حدوث جفاف شديد أثر على الإنتاج الزراعي تأثيراً شديداً(١) ، مما كان له آثار سلبية شديدة الوطأة على العمالة الأفريقية وأصبحت الحركة العمالية الأفريقية – بالتبعية– في ظل الضغوط المتوالية في فترة كمون خلال فترة الثلاثينيات . وقد حاولت حكومة هيرتزوج مواجهة آثار هذا الكساد ، وأعلنت تخليها عن قاعدة الذهب –اقتداء ببريطانيا على لسان هافنجا – Havengaوزير المالية –في ديسمبر ١٩٣٢(٢) ، خاصة بعد ضغوط متوالية من سمتس Smuts (الذي شبه الدولة على أنها إنسان جريح) ،وكذا من تيلمان روس Tielman Roos زعيم الحزب الوطني في الترانسفال (٣)

وبعد انتخابات ١٩٣٣ تكونت حكومة ائتلافية برئاسة كل من هيرتزوج و سمتس ، وفي العام التالي اندمج كل من الحزب الوطني وحزب جنوب أفريقيا ، وشكلا معاً حزباً جديداً سمي بالحزب المتحد United Party (٤) ، وتواكب ذلك مع ازدهار صناعة تعدين الذهب مرة أخرى ، وذلك بسبب تزايد الطلب العالمي على الذهب وارتفاع أسعاره ، وكذلك تدخل الدولة لضبط القيمة المالية للذهب ولتأمينها للنشاطات التعدينية (٥) ، وتزايدت أعداد العمالة الأفريقية زيادات ملحوظة ، غير أن هذه العمالة – كباقي الأفارقة – واجهت في ظل حكومة الحزب المتحد إجراءات عنيفة حرمتها الاستفادة من الازدهار الاقتصادي فضلا عن سلبها فرص الحياة العادية ، إذ أنه بمجرد استقرار الأمور لهذه الحكومة تم الانتباه مرة أخرى لما عرف بالمشكلة الوطنية Native Problem خاصة من ناحية الوضع الدستوري و القانوني للأغلبية الأفريقية ، و طالب هيرتزوج الهيئات البرلمانية بتعديل الفقرة الخاصة في قانون الكيب بشأن حماية الحق الدستوري للأفارقة في الإقليم (٦) .

١– محمد عبد الحليم الزرقا :اتحاد جنوب أفريقيا. مرجع سابق ، ص ١٥٣ .
ولمراجعة آثار الكساد الكبير علىأفريقيا عموماً ، راجع :
-Wilson, Henry S., African Decolonisation, op. cit., pp.32-40.
2- Selby, John, A Short History of South Africa, op. cit., p.236.
3- Wilson, Henry S., op. cit., p.48.
4- Ibid.
5- Breckenridge, Keith, "Money with Dignity", op. cit., p300.
6- Wilson, Henry S. , African Decolonisation, op. cit .p 48

جدول (١)

التركيبة السكانية

(١٩٠٤-١٩٣٦)

السنة	الأوروبيين			غير الأوروبيين			إجمالي		
	عدد السكان الحضر لأقرب ألف	% من إجمالي سكان الحضر	إجمالي السكان (البيض) لأقرب ألف	عدد السكان الحضر لأقرب ألف	% من إجمالي سكان الحضر	إجمالي السكان (غير البيض) لأقرب ألف	عدد السكان الحضر لأقرب ألف	الحضر بالنسبة لبقية السكان	إجمالي السكان لأقرب ألف
١٩٠٤	٥٩١	%٥٣	١,١١٧	٦٠٩	١٥	٤,٠٥٩	١,٢٠٠	٢٣	٥,١٧٦
١٩١١	٦٥٨	٥٢	١,٢٧٦	٨٠٢	١٧	٤,٦٩٧	١,٤٧٨	٢٥	٥,٩٧٣
١٩١٨	٧٦٧	٥٤	١,٤٢٢	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠
١٩٢١	٨٤٨	٥٦	١,٥١٩	٨٨٨	١٦	٥,٤٠٩	١,٧٣٦	٢٥	٦,٩٢٩
١٩٢٦	٩٧٦	٥٨	١,٦٧٧	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠
١٩٣١	١,١٢٠	٦١	١,٨٢٨	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠	٠٠٠٠
١٩٣٦	١,٣٠٧	٦٥	٢,٠٠٤	١,٧٠٢	٢٢	٧,٥٨٦	٣,٠١٠	٣١	٩,٥٩٠

- Stent , G. E. , Migrancy and Urbanization in the Union of South Africa , Africa , Vol. XVIII , (July 1948) , No. 3 , p. 165.

ومع تنامي اتجاهات الفاشية والقومية الاشتراكية في مناطق عديدة من العالم باعتبارها حلاً للمشكلات الاجتماعية وبديلا أفضل لليبرالية أو الديموقراطية من جهة ، وللاشتراكية أو الشيوعية من جهة أخرى (١) ، مع حدوث ذلك تزايدت احتمالات اندلاع حرب عالمية جديدة وما يعنيه ذلك من تأثير على جنوب أفريقيا بصورة قوية في شتى الاتجاهات و الأوضاع .

وهكذا كان اندلاع الحرب العالمية الثانية بداية لتغير واسع النطاق ومتسارع بالنسبة للحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا في ضوء مشاركة جنوب أفريقيا في الحرب في جانب الحلفاء وما صاحبت هذه الحرب من تطورات اقتصادية في الاتحاد ، وهو ما شكل ثورة صناعية لا تقل أهمية عن الثورة التعدينية التي شهدتها البلاد في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وصاحب هذه التطورات الاقتصادية تنامي الوعي القومي بين الأفارقة – خاصة المشاركين منهم في الحرب العالمية الثانية في مناطق مختلفة من القارة الأفريقية التي حاربت فيها قوات جنوب أفريقية ، ومن بينهم العمال الأفارقة الذين أصبحوا على دراية كبيرة – بفضل نخبة مثقفة تعتنق المبادئ الشيوعية بصورة أساسية– بآليات الكفاح الطبقي ومواجهة النظام العنصري ، كما تزايدت أعداد الأفارقة في المناطق الحضرية مما عزز من قدرات العمالة على المواجهة وإحداث تغيير ديموغرافي ساهم في تدعيم الحركة الوطنية ككل (٢) .

1- Kurth, James, War, Peace and the Ideologies of the Twentieth Century, Current History, Vol. 98, No.824 (Jan. 1999), p.5.
2- انظر الجدول رقم ١ ، ص ٣٧

الفصل الأول

تطور المجتمع الحضري الأفريقي

أولاً – حالة المجتمع الأفريقي.

ثانياً – التبشير ودوره في تطور المجتمع الحضري الأفريقي .

ثالثاً – التحضر وصلته بنمو الوعي العمالي الأفريقي .

يتناول هذا الفصل تطور المجتمع الحضري الأفريقي في اتحاد جنوب أفريقيا ، وهو التطور الذي غير من طبيعة الصراع بين النظام العنصري – بكل ما يتضمنه هذا النظام من نخبة حاكمة ومصالح فئات رأسمالية تتبنى الأبارتهيد كوسيلة مثلي للإبقاء علي نظام العمالة الأفريقية الرخيصة – والأفارقة ، إذ أصبح الأفارقة مندمجين في المجتمع الذي وصف بأنه أوروبي وأصبحوا جزءاً لا يمكن الاستغناء عنه ، وإن واجهوا تحركات تعسفية من قبل الحكومة ، وقد مر هذا التطور بعدة مراحل منذ الاحتكاك الأول بين الأوروبيين والأفارقة واهتزاز المجتمع القبلي الأفريقي نتيجة صدمة هذا الاحتكاك ، وكان أبرز أدوات الاتصال بين الأوروبيين والأفارقة التبشير ، وهو العامل الذي ظل مهيمناً ويكاد يكون وحيداً علي هذا الاتصال لفترات طويلة – تتجاوز قرنين – وقد ساهم التبشير في توعية الأفارقة ونشر بينهم ثقافة مغايرة عن الثقافة القبلية خاصة في الأبرشيات التي أسست مناطق سكنية للأفارقة ، وكان أبرز عوامل تطور المجتمع الحضري الأفريقي هو عملية التحضر نفسها ، والتي كانت حادة للغاية في حالة جنوب أفريقيا ، وحاولت الحكومات المتعاقبة تحجيمها دون جدوى .

أولاً – حالة المجتمع الأفريقي .

خضع تناول المجتمع الأفريقي في جنوب أفريقيا قبل بدء الاستيطان الأوروبي للكثير من وجهات النظر والاستنتاجات أكثر من الركون لحقائق ثابتة ، فقد ركزت معظم الدراسات الأنثروبولوجية المبكرة علي التجهيل بهذا المجتمع ، والقول بخلو ما يعرف حالياً بدولة جنوب أفريقيا من السكان إلا ما ندر من أمثال السان San .

إلا أنه علي عكس هذا الاعتقاد فـان الـبلاد لـم تكـن " خاليـة " عنـدما وصـلها المستوطنون الهولنديون عام ١٦٥٤ ، إذ سبق أسـلاف متحـدثي اللغـة الخويـة kosian – speaking (الخوي خوي) وشعب الـسان (البوشـمن) البـيض بمـا لا يقـل عـن ثلاثين ألف عام ، كما يرجح أن متحدثي البـانتو قـد عبـروا نهـر ليمبوبـو limpopo إلى داخل جنوب أفريقيا في أوائل القرن الرابع للميلاد (١) .

ويعتبر السان هم أقدم سكان جنوب أفريقيا ، وهم ينتمون لعـرق كـان مـستقرا فـي وسط أفريقيا وشرقها ، وهـم قـصار القامـة ذوو بـشرة سـمراء مـصفرة ، ويتحـدثون لغات تضم طقطقات مميزة ، وهذه الطقطقات غيـر معروفـة لـدى أي لـسان بـشري ، فيما عدا الشعوب التي كانت تتصل معهم (٢) .

وكانت ثقافتهم من أبسط ما يمكـن ، فالرجـال يـصطادون الحيوانـات البريـة ، وتجمع الثمار التي تنمو طبيعياً ، ولم يمارسـوا أي نـوع مـن الزراعـة ، ولـم يربـوا الحيوانات المنزلية فيما عدا كلاب الـصيد ، ويعيـشون فـي جماعـات لا تتجـاوز كـل جماعة منها بضعة مئـات فـرد ، وتؤخـذ القـرارات داخـل الجماعـة بالتـشاور بـين الأعضاء الأكبر سنا (٣) ، أما الخـوي خـوي (أو الهتنتـوت Hottentot كمـا أسـماهم الهولنديون) فقد اعتبروا فرعاً للـسان ، وتميـزوا عـن بقيـة الـسان بكـونهم ملاكـاً للماشية ، والتي ربما حصلوا عليها مـن متحـدثي البـانتو (٤) ، وقـد قـدر عـددهم فـي القرن السابع عشر بنحو ٢٠٠ألف فرد (٥) .

1- Furlong , Patrick , South Africa , (in :Gordon , April A. and Donald , L. (eds.) , Understanding Contemporary Africa) , Lynne Rienner Publishers, Boulder , 2001, p 373.
2- Omer - Cooper , J. D. , South Africa at the Dawn of the Nineteenth Century . (in : Anne, Joseph C. and Brown , Godfrey N. (eds.), Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries) , Ibadan University Press and Nelson , London ,1968 , p 339 .
3- Ibid. pp 339-340.
4- Furlong , Patrick , South Africa , op. cit. p 373.
5- Ibid.

والخوي هم الأقرب للسان سواء في العرق أو في اللغة ، ولكنهم يختلفون عنهم اختلافا كبيرا في الثقافة ، ويعتمد جزء منهم علي الصيد وجمع المحار ، وهم شعب رعوي ، لكنهم مثل السان لا يزرعون ، وليس للزعماء سوي سلطة محدودة ، كما أنه ليس لأولئك الزعماء أتباع يختصون بمساعدتهم علي تأدية واجباتهم أو لفرض أوامرهم ، وكانوا دائمي التنقل (١) .

وكانت كل جماعة من الخوي تعلن سيطرتها علي مساحة من الأرض كمنطقة قبلية لها ، وكانوا يهاجرون لمسافات بعيدة ، وفاق مستوى معيشتهم بالكاد مستوي معيشة السان ، ولم يكونوا (الخوي خوي) منتشرين في جنوب أفريقيا ، بل كانوا يوجدون بالقرب من السواحل في جنوب غرب أفريقيا الألمانية (ناميبيا) والكيب نفسها وشرقا حتى منطقة الترانسكي Transkei علي الأقل ، وغلب الطابع العدائي علي علاقاتهم مع السان (٢) .

أما البانتو (٣) فيتشكلون من جماعات عرقية – لغوية متعددة ومختلفة ، ويمكن بصفة عامة أن نميز بين عنقودين هما : السوتو Sotho والنجوني Nguni ، ويشكل السوتو غالبية سكان السهول ويشملون السوتو الجنوبيين (في دولة ليسوتو Lesotho) والسوتو الغربيين أو تسوانا Tswana (في بتسوانا) والسوتو الشماليين أو بيدي Pedi ، وينقسم النجوني إلى النجوني الجنوبيين بما فيهم الاكسوزا Xhosa والزولو Zulu والسوازي Swazi والنجوني الشماليين .(٤)

1- Omer – Cooper, J. D., South Africa, op. cit., p 340.
2- Ibid. p 341.
٣- وهي التسمية الأقرب للاستخدام من قبل الحكومة العنصرية في فترة الخمسينيات تفاديا لرد الفعل الأفريقي تجاه كلمة native التي كان يستخدمها الأوروبيون كنظير للكلمة الفرنسية indiegene والقريبة في معناها من كلمة بدائي primitive أو متوحش savage أو وضيع inferior .
- Herskovits , Melville J. , The Human Factor in Changing Africa, A. Knopf , New York , 1967 , p.34.
4- duToit , Brian M., Consciousness , Identification , and Resistance in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol.21 , No.3 , 1983, p 368 .

ويرجح أومر – كوبر Omer –Cooper أن أصل البانتو ككل يرجع لمكان ما بغرب أفريقيا ، ثم انتشروا بصورة منتظمة عبر آلاف السنين للاستيطان في شرق ووسط وجنوب أفريقيا ، وخلال تلك العملية تزاوجوا مع شعوب أخرى وطوروا نظماً عديدة ثقافية و سياسية ، كما يرجح أن دخولهم جنوب أفريقيا ، وإن لم يكن معروفا علي وجه الدقة ، إلا أنه قد تم بكل تأكيد قبل القرن التاسع عشر بقرون عديدة (١) .

وبالنسبة للتوزيع الجغرافي للبانتو داخل جنوب أفريقيا فقد تركز في قطاع الساحل الشرقي عدة قبائل تنتمي للجماعة المتحدثة بلغة نجوني ، وتوغلوا بامتداد الجنوب نظراً لخصوبته ، وكانت لهجات النجوني متقاربة بما يكفي لتفاهم تلك القبائل بسهولة ، وذلك علي الرغم من وجود اختلافات هامة في المفردات واللهجات ، ومع اتصالهم بالسان والخوي فإن النجوني استخدموا صوت طقطقات بصورة كبيرة في لغاتهم ، أما الهضبة الوسطي من جرفها إلى حواف صحراء كلهاري فقد احتلتها جماعة كبرى من الشعوب المتحدثة بلغات السوتو ، وانتشرت بقية جماعات السوتو في الترانسفال والأجزاء الشمالية من أورانج فري ستيت (٢) .

ومعظم بانتو منطقة جنوب أفريقيا فلاحون باستثناء الهيريرو Herero الذين تشبه طريقة حياتهم طريقة الخوي ، ولكنهم احتفظوا بالماشية التي هي معيار الثروة لديهم ، ومارسوا الزراعة ، وكانت منازلهم تتخذ شكل أكواخ دائرية ، تبني أحيانا من الطين وتسقف بالقش ، وتزينها زخارف جذابة مرسومة بالطين الملون علي الجدران (٣) ، ولقبائل البانتو نظام أكثر تطورا من كل من السان والخوي ، فكل قبيلة تتكون من عشيرة مركزية ، ويأتي منها الزعيم ، وهو رئيس القبيلة ، وله الكلمة الأخيرة في كل شئون القبيلة ، كما أنه همزة الوصل بين القبيلة والأسلاف ، ويتقلد القيادة في كل المناسبات الهامة ، كما أنه يسيطر علي أنشطة السحرة الذين يستجلبون المطر وغير ذلك (٤).

1- Omer – Cooper, J . D. , South Africa , op. cit. , p342.
2- Ibid, pp. 341-343.
3- Ibid, p.343.
4- Ibid, pp. 343-344.

وقد بلغ تطور هذا النظام ذروته في حالة قبيلة الزولو ، والذي تبلور في انتظامها في مملكة مركزية ، ويعتمد أفرادها النسب الأبوي ، ويؤكد دين الزولو علي وجود رب أسمى ، وكذلك وجود كائنات فوق طبيعية ، ويسود اعتقاد في الأسلاف كحراس للأرواح ، ويعبر الأسلاف عن رغباتهم من خلال العرافين / المتنبئين diviners الذين يتوقع كونهم مملوكين من قبل الأرواح (١) .

وثمة مؤشر آخر علي هذا التطور ، وهو انتشار مهنة رجل الطب ، وهو متميز كلية عن العراف / المتنبئ ، وإن اشتركا في الاسم وهو I-nyanga ، وأحيانا يختلف اسم رجل الطب كـ I-nyanga yokubula (طبيب التنبؤ) ، وقد اعترفت الإدارة الاستعمارية برجال الطب ومنحتهم رخصاً للتعامل في الأعشاب والجذور الطبية وممارسة مهنتهم بين بني جلدتهم (٢).

وعلي الرغم من أن ذلك الاعتراف لاقى اعتراض أطباء المحطات التبشيرية مثل د. جيمس .ب.ماكورد J. B. MaCord مؤسس مستشفي ماكورد زولو في ديربان ، و الذي علق قائلا: إن منح مثل تلك التراخيص لهو خطأ عميق في رأيي ، لأنها تمنح الشرعية بدرجة ما لموزع العقاقير (رجل الطب) ، دون إلزامه بأية معرفة بالعقاقير أو التدريب علي إعدادها (٣).

علي الرغم من ذلك فإن وجود هذه المهنة يشير لدرجة التطور داخل المجتمع الزولوي ، و إن بدا هذا التطور محدوداً وضئيلاً قياساً علي المجتمع الأوروبي الوافد .

1- Onwuejeogwa, M. Angulu, the Social Anthropology of Africa, An Introduction, Heinemann, London, 1975, pp 268-269.
2- Jolles, Frank and Stephen, Zulu Ritual Immunisation in Perspective, Africa, Vol.70, No.2. (2000), p.237
3-Ibid. p.238

وفي أعقاب تأسيس المستعمرة الصغيرة بالكيب على يد المستوطنين الهولنديين عام ١٦٥٢ كانت السياسة التي تطبقها شركة الهند الشرقية الهولندية Dutch East India Co. هي حظر أي اتصال بين المستوطنين وجيرانهم الأفارقة ، وواصل البريطانيون تلك السياسة عندما احتلوا الكيب في أوائل القرن التاسع عشر ، وفي عام ١٨١٧ أخذ الحاكم البريطاني للكيب لورد تشارلز سومرست C. Somerset في التخفيف من تلك المحظورات ، والسماح بجزء محدود من الاتجار عبر الحدود الاستعمارية ، وحتى عام ١٨٣٤ لم يصدر أي قانون لتشريع هذا المسلك ، وإن كان الاتجار فيما سبق يتم غالبا على يد مبشرين تجار والذين وصلوا للكيب أول مرة عام ١٧٩٩ ، واضطروا إلى أن يكونوا مبشرين تجاراً إذ لم يكن لديهم خيار آخر لأن الجهات التبشيرية المسئولة عنهم لم تكن تمدهم بأموال كافية [1].

واتسم النصف الأول من القرن التاسع عشر بتوسعات استعمارية متوالية ومتدرجة في قوتها ومؤدية إلى تغيير الخريطة الديموغرافية لجنوب أفريقيا [٢]، كذلك أثر التطور الصناعي في تغيير المحيط الاقتصادي والاجتماعي والديني لجنوب أفريقيا [٣]، وقد أدت الثورة التعدينية في ثمانينيات وتسعينيات القرن التاسع عشر إلى تزايد المشكلات العرقية بين مئات الآلاف من العمال الأفارقة .

1- Beck, Roger B., Bibles and Beads : Missionaries as Traders in Southern Africa in the Early Nineteenth Century, Journal of African History, Vol.30, No.2 (1989) , pp. 311-313.

2- Worden, Nigel, The Making Of Modern South Africa: Conquest, Segregation, and Apartheid, Black Well, Oxford, 1994, p.11.

وراجع لتفاصيل تلك التوسعات : Ibid ,pp5-33 و السيد فليفل : جمهورية جنوب أفريقيا ، مرجع سابق

3- Demissie, Fassil , The Urban African Worker and the Crisis of Apartheid, Africa Development (Journal of the Council for Development of Economic and Social Research in Africa, Dakar), Vol. XVI, No.2, 1991, p 121.

إلا أن التبـشير يعتبـر هـو أكثـر أدوات احتكـاك الثقافـة الأوروبيـة بـالمجتمع الأفريقي في المرحلة المبكرة ومنذ بدء هذا الاحتكـاك ، ولـه تـأثير أولـي وكبيـر فـي تطوير المجتمع الأفريقي ، وإضافة محدد قوي للهويـة الأفريقيـة فـي مواجهـة المجتمـع الوافد ، خاصة أن معظم الجهات الإرسالية التي وفدت إلى جنـوب أفريقيـا عمـدت إلـى تكوين مناطق سـكنية لإيـواء بعـض الأفارقـة المتحـولين لاعتنـاق المـسيحية ، وقـد أصبحت هذه المناطق بمرور الوقـت داخـل مـا أطلـق عليـه البـيض جنـوب أفريقيـا البيضاء .

ثانيا – التبشير ودوره في تطور المجتمع الحضري الأفريقي

لعب التبشير دوراً مؤثراً في بلورة الشخصية الأفريقية الحضرية ، وتطور المجتمع الحضري الأفريقي ، فقد ترافق التبشير بين الأفارقة مع عملية احتكاك حادة بينهم وبين الأوروبيين ، ففي بداية الاستعمار الأوروبي مثلت الكنيسة الهولندية المستصلحة Dutch Reformed Church ذات النزعة العنصرية – الدين المسيحي في هذه المنطقة النائية .

وقسمت الكنيسة الهولندية بانتظام بين المسيحية والوثنية ، في ثنائية تناظر ثنائية الخير / الشر ، والأبيض / الأسود ، ... الخ ، والتصقت المسيحية بالبشرة البيضاء والوثنية بذوي الألوان الأخرى ، وخلال الحروب العرقية التي نتجت من حملات البوير ضد القبائل الأفريقية فقد وفرت الكنيسة للجماعة البيضاء حماسة صليبية بالتأكيد على أن تعاليم الرب تقتضي تدمير" الفلسطينيين الأفارقة " – على حد تعبير رجال الدين البوير – ولم يكن مستهجناً أن تقبل الكنيسة وتتهج مقولة أن المسيحية الحقة هي ديانة الإنسان الأبيض وحده ، وأن الملونين – عموماً – في درجة أدنى إنسانيا (1).

1- Hatch, John, Africa Today and Tomorrow : An Outline of Basic Facts and Major Problems, Fredrick A. Praeger Publishers, New York, 1960, p.147.
   - Robertson, H., Race Relations in South Africa Before 1902 (in: Mason, B.F., The History of Race Relations in South Africa) University of Cape Town, Cape Town , 1961, p 6.

وراجع الدراسة هذه الموجزة عن العلاقات العرقية في جنوب أفريقيا قبل عام ١٩٠٢ ، وفيها يتتبع روبرتسون طبيعة العلاقات العرقية في جنوب أفريقيا من منظور تاريخي مركزا على محوري الاتصال والصراع :

Ibid ,pp.1-6.

ومن ثم فلم تر الكنيسة الهولندية أي داعي للتبشير بين الأفارقة ، خاصة أنه من بين الأفكار التي تتضمنها الكالفنية [١] أنه ثمة بشر " هاوون " fallen وهم محتم عليهم البقاء خارج الكنيسة الحقيقية (وهي الفكرة التي صاغها جون كالفن

١- المذهب الكالفيني نسبة إلى جون كالفن (ولد عام ١٥٠٩) ، وقد تركزت مبادئ كالفن علي ضرورة العودة للجذور الأولى للمسيحية ، وهو ما تمثل في قيامه بنشر مجموعة رسائل تتضمن خطباً وشروحاً مبسطة عن المسيحية ، ويتبلور هذا المذهب في أهم مؤلفات كالفن الذي حمل عنوان Institutes of the Christian Religion (صدرت أول طبعاته بالألمانية في عام ١٥٣٦) وتحدث كالفن في هذا الكتاب عن السلطة العظيمة التي منحها الرب للأمراء ، وعن ضرورة طاعة العامة لهم ، وأكد كالفن في هذا الكتاب على أن " السلطة المدنية ليست مجرد مهمة مقدسة holy vocation وشرعية لكنها ضرورية للبشرية " ، ووفقاً لما ذكره كالفن فإن الحكام magistrates قد " منحوا سلطة إلهية وأنهم مسئولون عن الكنيسة الحقيقية والمذهب النقي " ، ، وهو بهذا يتفق مع رأي قادة الحركة الإصلاحية في أوروبا بأن الكتاب المقدس كان واضحاً تماماً في وجوب طاعة المسيحيين لحكامهم الشرعيين ، وقد لعب التجار دوراً هاماً في نشر المذهب الكالفيني في أوروبا وخارجها في النصف الثاني من القرن السادس عشر.

- Dillenberger , John (editor) , John Calvin : Selections from His Writings , Scholars Press ,U.S.A. , 1975 , P. 1.
- Grell , Ole Peter , Merchants and Ministers : The Foundations of International Calvinism (in : Pettegree , Andrew , Duke , Alastair and Lewis , Gilliam (eds.) , Calvinism In Europe , 1540 - 1620) , Cambridge University Press , New York , 1994 , p. 254.
- Murdock , Graeme , Beyond Calvin : The Intellectual , Political , political and Cultural World of Europe's reformed Churches , c. 1540 - 1620 , Palgrave Macmillan , New York , 2004 , p. 56.

راجع النص الكامل لبعض كتابات كالفن

Dillenberger, John (editor), op. cit.

وعن السيرة الذاتية لكالفن والتاريخ الاجتماعي للكالفنية خاصة في هولندا راجع كل من :

- Bouwsma , William j. , John Calvin , A Sixteenth - Century Portrait , oxford university Press , New York , 1989 .
- Benedict, Philip, Christ's Churches Purely Reformed: A Social History of Calvinism, Yale University Press, New Haven, 2002, pp. 173-201.

وكانت تنسحب علي بعض المذاهب المسيحية – من وجهة نظره – كما تنسحب علي غير المسيحيين) ، ولكن قدوم الإنجليز غير من طبيعة الأمور بالنسبة للتبشير ، فقد حاولوا زعزعة السيطرة الأفريكانرية الدينية ، وحاول الأسقف روبرت جراي R. Gray بمساعدة كنيسة إنجلترا Church of England دعم نشاط الكنائس الإنجيلية في المستعمرة ، وزادت البعثات التبشيرية في جنوب أفريقيا ، حيث شجعت إنجلترا كافة الجمعيات التبشيرية الدولية علي إرسال بعثات لها لتقليص نفوذ سيطرة الكنيسة الهولندية [1] من جهة ، وكذا كسب مساحة داخل العقل الأفريقي لتيسير عملية السيطرة عليه من جهة أخرى.

وكما يلاحظ جيمس كوتشرين J. Cochrane في كتابه عن دور الكنائس الناطقة بالإنجليزية ، فإن الصلات المالية للكنائس مع مصالح أصحاب أعمال التعدين والزراعة تبدو واضحة للغاية ، وعلى أساسها يمكن تفسير أحد جوانب عملية التبشير السابق الإشارة إليه. [2]

إلا أن عملية التبشير لم تتخذ طابعاً عاماً في مناطق جنوب أفريقيا حتى بدايات القرن التاسع عشر ، فمع هذه البدايات كثر توافد الإرساليات الأجنبية ، وتولت العمل في مناطق متفرقة داخل جنوب أفريقيا ، لكن النقطة الأكثر بروزاً هي بدء هيئة المبعوثين الأمريكيين للإرساليات الأجنبية The American Board of Commissioners for Foreign Missions عملها في ناتال عام ١٨٣٥ [3] .

١-السيد علي أحمد فليفل : مستعمرة الرأس البريطانية (١٨٥٣-١٩١٠) ، مرجع سابق ، ص ٤٧٣.

2- Gray, Richard , Christians and Capitalism, The Journal of African History, Vol.30 (1989), No.3, and p 505.

3- Groves, C. P., The Planting of Christianity in Africa, Vol.4 (1914-1954), Lutter Worth Press, London, 1958, p197.

وهي الهيئة التي كانت متأثرة بشدة بالدراسة الفلسفية لروبرت ألكساندر يونج R. A. Young المعروفة باسم البيان الأثيوبي The Ethiopian Manifesto (١٨٢٩) ، التي قام فيها بتعريف الشعب الأفريقي الأسود بالإثيوبي ، وهو المفهوم الذي يطلق علي أفريقيا وذوي البشرة السوداء في نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدس ، وهو المفهوم نفسه الذي اعتمدته الكنائس الوطنية المستقلة في جنوب أفريقيا في ثمانينيات القرن التاسع عشر (١) .

وفي عام ١٨٦٩ أعلنت الهيئة عن هدفها لتكوين كنائس مستقلة ، اعتماداً علي بعض الأفارقة ، وذكر البيان أنه : *إذا تخلي المبشرون (ومن بينهم أمريكيون سود) عن حذرهم في تطوير المسئوليات الملقاة علي عاتق الوطنيين natives ، فإنهم (...) سيلقون بذلك تشجيعاً لممارسة إيمان أقوى ، وستكون هناك جرأة في التصرف(من قبل الهيئة) في هذا الصدد* ، وقام أمين الهيئة ناثانيل كلارك Nathaniel Clark بتعيين الكثير من أبناء الزولو كقساوسة في كنائس عديدة (٢).

وغيرت اكتشافات الماس والذهب كل صور الحياة بين مختلف الفئات في جنوب أفريقيا ، وتأثرت كذلك أوضاع الكنيسة ككل (٣) ، خاصة بعد الانقسامات الدينية بين الأفريكانريين أنفسهم، ففي عام ١٨٥٩ مثلاً تم تأسيس الكنيسة المستصلحة لجنوب أفريقيا Gereformeerde Kerk von Suid-Afrika لتتبني اتجاهاً أكثر قومية عن الكنيسة الهولندية(٤) .

1- Geiss, Imanuel, The Pan - African Movement, (translated by, Keep, Ann), Methuen and Co. Ltd., London, 1974, p 141 .
   - George , Shepperson , Pan -Africanism and " Pan-Africanism " : Some Historical Notes , Phylon , Vol. 23 , No. 4 (4th. Qtr. , 1962) , p. 351.
   - ويري جورج شيبرسون أن الكنائس الإثيوبية اصبحت كيانات معبرة عن التوجهات السياسية للأفاقة المحرومون من القنوات العلمانية للتعبير السياسي .

2- Groves, C. P. , op. cit, p. 197.
3- Sundkler, Benget and Steed, Christopher , A History of the Church in Africa, Cambridge University Press, Cambridge, 2000, p 399.
4- South Africa , Religion and Apartheid, www.Lcweb.gov/com. p1.

بحيث أصبح من الصعب تعميم الحديث عن تنظيم حياتهم الدينية ، حتى في ظل استئثار الكنيسة الهولندية بالنفوذ الأكبر داخل تلك الحياة [١] .

وتحولت صور الحياة التقليدية للمحطات التبشيرية القديمة ، والتي كانت عبارة عن بطريركية تحكمها مجموعة كرادلة ولها مدارسها ومزرعتها وأحياناً عيادتها [٢] مثل الضاحية المنفصلة التي أسستها جمعية لندن التبشيرية London Missionary Society لأبرشيتها في بورت إليزابيث عام ١٨٣٤ [٣] ، لتتوسع أعمال الإرساليات وتنتشر في المناطق الجنوب شرقية لجنوب أفريقيا ، خاصة في بوندولاند Pondoland وناتال وزولولاند Zululand ، وهي المناطق التي عملت فيها نحو تسع جمعيات مختلفة بنهاية القرن التاسع عشر[٤] .

وكانت الإرساليات في جوهانسبرج بصفة خاصة تقيم نزلاً للنساء الأفريقيات القادمات للعمل في الخدمة المنزلية أو غير ذلك ، وكانت أنشط الكنائس في هذا الصدد الكنائس الأنجليكانية Anglican (التابعة للكنيسة الانجليزية) والميثودية وبعثة الهيئة الأمريكية American Board Mission [٥] ، كما كانت الإرساليات في المناطق الحضرية الأفريقية تقوم بتحذير الفتيات الأفريقيات العاملات من ممارسة الجنس والحمل قبل الزواج ، واهتمت هذه الإرساليات بصورة عامة بتأهيل الفتيات الأفريقيات من خلال تدريبهن على الأعمال المنزلية سواء في بيوتهن أو كخادمات لدى البيض ، وترى إيريس بيرجر أن دين المستعمر هو الذى شكل للأفريقيات نوعا من الكرامة ، وهو الأمر الذى مثل تناقضا واضحا[٦] .

1- Seegers , Annette : Towards an Understanding of the Afrikanersation of the South Africa State , Africa , Vol.63 ,No.4, 1993, p 483.
2- Sundkler , Benget and Steed , Christopher : op.cit , p399.
3- Christopher , A. J : The Atlas of Apartheid , Routledge , London , 1994, p.35.
4- Sundkler , Benget and Steed , Christopher :op .cit , p 403.
5- Gaitskell , Deborah , ' Christian Compounds for Girls ' : Church Hostels for African Women in Johannesburg , 1907 - 1970 , Journal of Southern African Studies , Vol. 6 , No. 1 , (October , 1979) , pp.44-45.
6- Berger , Iris and White , E. Frances , Women in Sub-Saharan Africa : Restoring Women to History , Indiana University Press , Bloomington , 1999 , p. 40.

ونظراً لسيادة الرؤية المستعلية من قبل البوير تجاه السود ، حتى على المستوى الكنسي ، فقد أصبحت الكنيسة الهولندية التي تعتنق المذهب الكالفيني هي الداعم الأول لسياسات التفرقة [١] ، أما الكنائس ذات المذاهب الأخرى مثل الكاثوليكية و المعمدانية Baptism و الانجيليكانية فإنها لم تدعم بصورة تامة وعقائدية تلك السياسات ، إلا أنها مارست فعلياً تلك التفرقة ، وكان بها تمييز عرقي في شغل الوظائف بالكنائس [٢] .

وقد عبر معهد الدراسات المسيحية القومية Institut vor Christelike-Nasionale Onerwys عن منطلق هذه التفرقة الدينية بتأكيده إن : *تعليم أبناء الآباء البيض يجب أن يتم علي أساس مفاهيم هؤلاء الآباء ، أي أنه يجب أن يقوم علي الكتب المقدسة Holy Scriptures ..... إننا نؤمن بأن الرب قد أراد أن تتفرق الأمم ، وأن يكون الناس متفرقين ، وأعطى كلا منهم صنعته ومهامه ومواهبه .... إن التكاثر بين الأعراق (المختلفة) والمساواة بينها لهو أمر ضد مشيئة الرب ، (وهي المشيئة) التي يستطيع البوير فقط أن يفسروها [٣].*

١- لمزيد من التفاصيل حول ارتباط الكالفينية الهولندية بتطور القومية الأفريكانرية راجع :

- Hexham, Irving, Dutch Calvinism and the Development of Afrikaner Nationalism, African Affairs, Vol. 79, No. 315 (April, 1980), pp. 195-208

ويتناول إرفنج هكسام فيها نقداً لأهم الدراسات التي تناولت هذا الموضوع ، خاصة دراسة شيلا باترسون Sheila Patterson التي حملت عنوان The Last Trek (١٩٥٧) ودراسة وليام هنري فتشر W. H. Vatcher التي حملت عنوان White Laager (١٩٦٥) ، ويتطرق هكسام لتناول صلب المسائل الدينية للكالفنية وارتباطها (او تفسيرها) بالكتاب المقدس ، وجذور تلك القومية المسيحية في هولندا واشتدادها في أوائل القرن التاسع عشر.

ويرى بعض المؤرخين ، مثل المؤرخ الهولندي أبراهام كوبير Abraham Kuyper (١٨٧٣ – ١٩٢٠) أن السياسة العرقية التي يتبعها الأفريكانرز هي كالفنية جديدة neo-Calvinism ، راجع ذلك بالتفصيل في :

Dubow , Saul , Scientific Racism in Modern South Africa , Cambridge University Press , Cambridge , 1995 , pp. 246-283

وهذا الجزء هو الفصل السابع من الكتاب ويحمل عنوان : الإيديولوجيا المسيحية القومية والأبارتهيد ومفهوم العرق .

Onwuejeogwa , M. Angulu , The Social Anthropology of Africa, op. cit. ,p 26.

Ferro , Marc , Colonization : A Global History , (translated by , K. D. Prithipaul) , Routledge , London , 1997 , pp. 144-145

ونظرا لذلك فقد أدرك رجال الــدين المــسيحي الأفارقــة أن علــيهم دراســة الكتــاب المقدس للتوصل لفهم مغاير لمــا تلقنــوه مــن المبــشرين البــيض ، ورســخت لــديهم – الأفارقة – قناعة بضرورة الارتباط بالمسيحية بعيداً عن وساطة المبشر الأبيض (١).

وقد ساهم في تحقق هذا الوعي كثافة التواجد التبشيري فــي جنــوب أفريقيــا خــلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ، و كذلك انعقــاد المــؤتمر الويــسلايني البريطــاني British Wesleyan Conference عام ١٨٨٢ الــذي أرســى مبــادئ مــا ســتعرف عــام ١٨٩٧ بالكنيــسة الميثوديــة الويــسلاينية لجنــوب أفريقيــا Wesleyan Methodist Church of S.A (٢) ، وهــي امتــداد للكنيــسة الويــسلاينية ذات الانتشار الواسع بين الزنوج في الولايات المتحدة .

وقد سمحت تلك الكنيسة – أكثر من غيرهــا – بانــضمام الأفارقــة ووصــولهم إلــى مراتب كهنوتية غير مسبوقة في جنوب أفريقيا ، لكــن فــي عــام ١٨٩٢ عــارض القــس مانجنا م. موكون Mangena M. Mokane ما اعتبره تفرقــة عرقيــة فــي زعامــة الكنيسة ، وقام بتأسيس ما عرف بالكنيسة الإثيوبية إثــر اجتمــاع تــم فــي مبنــي صــغير في مارباستاد Marabastad (وهي ضاحية أفريقيــة صــغيرة فــي بريتوريــا) فــي نفس العام ، وهو الأمر الذي رحبت به قبائــل عديــدة بالرانــد ، كمــا لاقــت الكنيــسة دعماً قوياً من الزنوج الأمريكيين بصفة خاصة (٣)

١- السيد فليفل : مستعمرة الرأس البريطانية ، مرجع سابق ، ص٤٧٩.

2- Groves , C. P., The Planting of Christianity in Africa , Vol. 3 (1878-1914) , Lutter Worth Press , London , 1955 , pp ,175-176.

3- Onwuejeogwa , M. Angulu , The Social Anthropology of Africa, op. cit., p 270.

كان من أوائل من خرج علي الكنيسة الويسلية هو القس دواني Dwane ، الذي كــان قــد بــدأ فــي نــشر المسيحية بين الأفارقــة فــي تمبولانــد ، وكــذلك تايــل Nehemiah Tile الــذي اســتقل عــن الكنيــسة المنهجية الويسلية عام ١٨٨٤ وأنــشأ كنيــسة التمبــو الوطنيــة Tembu National Church ، وتبــع تلك المحاولات وغيرها بروز ماكونا الذي أسس الكنيسة الإثيوبية في جوهانسبرج ، انظر :

- السيد علي أحمــد فليفــل : مــستعمرة الــرأس البريطانيــة (١٨٥٣-١٩١٠) ، مرجــع سابق ، ص ص ٤٧٨- ٤٧٩ .

وقد زاد من انتشار الكنيسة الإثيوبية بين الأفارقة ذلــك الإرث الــذي ورثتــه عــن الكنيــسة الويــسلية حيث كانت الأخيرة قد مارست عملها فــي كــل مــن الكيــب الــشرقي والترانــسفال وأورانــج فــري ستيت ، كما أنها تميزت ، علي حد ذكر الكنيسة نفسها : ===

وأصبحت الكنيسة الإثيوبية – إثر هذا الدعم – رسمياً فرعاً للكنيسة الأفريقية الميثودية الأسقفية The African Methodist Episcopal (مقرها الولايات المتحدة الأمريكية) في جنوب أفريقيا عام ١٨٩٦ [١] ، وقد أقرت الكنيسة الإثيوبية تفسير الكنائس الإرسالية البروتستانتية للكتاب المقدس ، ولكن كان شعارها الأهم هو " أفريقيا للأفريقيين " ، كما أنها تأثرت بالنظام الإداري الزولوي وبعض الطقوس القبلية [٢] ، إلا أن الملمح الأهم لتلك الكنيسة هو تأثرها بالمكان الذي ولدت به وهو الراند ، الذي كان مركزاً لتجمع العمال من جماعات عرقية مختلفة ، لذا لم تقتصر تلك الكنيسة علي قبول أي جماعة منهم [٣] ، ويوضح صندكلر أنه : من وجهة نظر الزولو فإن البرنامج الإثيوبي يبدو في الوقت ذاته (كبرنامج) مسيحي وأفريقي ، وتبدو الإيديولوجيا والثيولوجيا تقريبا كشيء واحد في كنيسة الإرسالية [٤].

وإذا كانت بريتوريا هي مهد الإثيوبية فإن جوهانسبرج هي مهد الكنائس المستقلة علي النمط الصهيوني ، وهي الكنائس التي استقلت بدورها عن الكنيسة الإثيوبية [٥] ، وتعود الكنائس الصهيونية – عموماً – في جذورها إلى " مدينة صهيون " Zion City في إلينوي Illinois بالولايات المتحدة الأمريكية ، ومالت الكنائس الصهيونية أكثر نحو قبول تطبيق الطقوس القبلية ، كما عارضت متبنئي الزولو [٦] ، وحدث نوع من " أفرقة المسيحية " إن جاز القول .

===بمجموعة من الوعاظ المتطوعين (التي) تمنحنا الفرصة لأخذ زمام المبادرة في معسكرات المناجم compounds وفي الضواحي townships الناشئة . وكذلك اعتمادها علي مفسرين interperters أفارقة ، راجع :

- Sundkler , Benget and Steed , Christopher, op.cit., pp.406-407.

1- Campbell , James , ' Like Locusts in Pharaoh's Palace ' , The Origins and Politics of African Methodism in the Orange Free State , 1895-1914 , The Journal of Modern African Studies , Vol. 53 , No.1 (1994) , p. 39.
2- Onwuejeogwa , M. Angulu , op. cit., p.270.
3- Herskovits , Melville , J., The Human Factor in Changing Africa, op. cit., p.422.
4- Ibid , p.423.
5- Sundkler , Benget, Bantu Prophets in South Africa : The International African Institute , London , 1961 , p .80.
6- Onwuejeogwa , M. Angulu , op.cit , p 270.

ويمكن القول إن التباين بين الكنائس المستقلة والكنائس الصهيونية هو مجرد الفارق في درجة " الأفرقة " فقط ، فجذور كل منهما ترجع لمبادئ جون ويسلي القائمة علي التبرير بالإيمان ثم التطهر من الخطيئة sanctification من خلال التعميد [١] ، وتركزت تعاليمهما المستقاة من الكتاب المقدس علي وجود ثلاثة أقانيم ، وهم الرب – الأب وهو (له سلطة ذات شكل) بارد cold ومتسامي distant ، وهو المرشد ومصدر المعونة ، ويلقى الاحترام بدرجة أكبر من الحب ، والابن ، وهو أيضا مرشد ومصدر للمعونة ، لكنه يبدو أكثر دفئاً وحباً ، ثم الروح القدس وهو قوة أكثر من كونه شخصاً ، وقيم أيضا على أنه مرشد وله تأثير خارجي حيث يدخل أجساد الناس ويرشدهم ، وأحياناً يسيطر عليهم [٢].

ويحلل أنجولو أسباب عملية تتابع الانشقاقات داخل الكنائس المستقلة ، علي الرغم من عدم توفر السبب الرئيسي للانشقاق عن الكنائس " البيضاء " وهو التمييز العرقي والرغبة في التحرر من سيطرة تلك الكنائس ، يحلل أنجولو ذلك بذكر ثلاثة أسباب وهي : أولاً : الزعامة ، حيث أن تصور الزولو للزعامة قائم علي نموذج الملك شاكا Chaka وقواد جيشه ، وهو النظام الذي أقرته الكنائس الأفريقية عموما ، فهناك زعيم رئيس وعدد من الزعماء الآخرين تحت إمرته ، ويكونون مستقلين في أنشطتهم ، وسلك كهنوتي يستطيع أيا من أفراده إدعاء تلقيه " الوحي المقدس " والاستعداد لتطهير الكنيسة ، وذلك في ظل افتقاد الزعيم لأية آلية مؤثرة للسيطرة علي الزعماء الآخرين أو رجال الكنيسة ، لينتهي الأمر غالبا بالانشقاق . ثانياً : توزيع ملكية الكنيسة ، فقد سمح لبعض الكنائس (خاصة في مناطق الزولو بناتال) بتملك الأرض والبناء عليها ، وهو ما شكل إغراء في حد ذاته ، إضافة لتلقي الكنيسة لدعم الزعماء القبليين مادياً ، وتقديم بعض السلع من قبل المواطنين البسطاء ، وهكذا أصبح تكوين كنيسة أحد أيسر الطرق لتحقيق ثروة ما .

1- Maxwell , David , Historicizing Christian Independency : the Southern African Pentecostal Movement , 1908-1960, The journal of African History , Vol.40 , , No.2 , (1999) p. 245.
2- Rounds , John C. , Curing What Ails Them , Individual Circumstances and Religious Choice among Zulu- Speakers in Durban , South Africa , Africa , Vol.52 (1982) , No.2 , p. 79.

. ثالثاً : تأثير النظام الاجتماعي القبلي (خاصة الزولوي) علي الكنيسة ، خاصة فيما يتعلق بمسألة تعدد الزوجات ، إذ أراد الأفارقة السماح بتعدد الزوجات ، مؤكدين علي أن العهد القديم يسمح بذلك ، بينما العهد الجديد هو " مجرد " إضافة للإنسان الأبيض (من وجهة نظرهم) ، مما يؤدي غالباً للانشقاق(١) .

وأثرت حركة الكنائس المستقلة في تزايد عدد المسيحيين الأفارقة ، فقد وصل عددهم في المناطق الخاضعة لإحصاء عام ١٩٠٤ (الكيب وناتال) إلى قرابة ٩٠٠ ألف أفريقي ، أو نحو ١٥ % من إجمالي السكان الأفارقة ، وتركزوا في الكيب تحديداً وبين الخوي خوي (٢).

وفي عام ١٩٠٩-١٩١٠ بدأت كنيسة Full Gospel Church of God أنشطتها في مناطق الضواحي الأفريقية مثل صوفيا تاون Sophiatowwn وألكساندرا Alexandra وفريديدورب Vrededorp ، إلا أن هذه الكنيسة جذبت الفقراء البيض بصورة أساسية رغم أنها وجهت نشاطها بين الأفارقة والملونين ، وكان هذا يرجع إلى أن الكثير من الفقراء البيض كانوا من أصول أوروبية مختلفة ومتقاربة أكثر مع رجال الدين القائمين علي هذه الكنيسة. (٣)

وهناك نموذج آخر لتأثير التبشير علي المجتمع الحضري الأفريقي ، وهو أنه في عام ١٩١٦ عندما تم افتتاح كلية الوطنيين Native College في فورت هير Fort Hare قامت الكنائس المحيطة بجامعة رودس (التي تتبعها الكلية) بفتح غرف بها لإقامة الطلبة الأفارقة . (٤)

1- Onwuejeogwa , M. Angulu , op. cit. , pp. 270-271 .
2- Groves , C. P. , The Planting of Christianity in Africa ,op. cit., vol.3, p. 177.
3- Sundkler , Benget and Steed , Christopher , A History of the Church in Africa , op. cit., p. 405.
4- Parrinder , Geoffrey , Religion in Africa , Penguin Books , Middlesex , 1969, p. 139.

وعلي الرغم من سعي رجال التبشير – بدرجات متفاوتة – لإدخال مفاهيمهم الثقافية ومساعدة من تلقوا التعليم الإرسالى ، أو المدرسيين school – people ، علي تطوير المجتمع الأفريقي ، لكن كان من نتائج عدم الاكتمال النسبي للتبشير في مناطق المعازل حدوث تباين حاد بين تلك المناطق والمناطق الأخرى التي أصبحت جزءاً من النظام الاجتماعي الإمبريالى ، وأيضاً تباين بين المعتقدات والممارسات الفعلية في إطار المجتمع المحيط [١] ، ومن أوضح حالات هذا التباين حالة قبيلة اللوفيدو lovedu بالترانسفال ، وهي قبيلة صغيرة العدد ومنعزلة بصورة كبيرة ، ومثل المسيحيون بها نسبة ضئيلة (وصلت في منتصف القرن العشرون إلى ٥% من سكانها) ، حيث اعتمد أهلها المسيحيون على الأفكار المسيحية في المعاملات وأحلوا الرب محل الأسلاف ، لكنهم استمروا في الاعتقاد بأن ملكة القبيلة هي التي تصنع المطر ، إلا أنهم قرنوه بمشيئة الرب [٢] .

وهكذا ، فانه على الرغم من الدور القوي الذي لعبه التبشير في تطوير المجتمع الأفريقي ، إلا أن هذا الدور ظل محكوماً باعتبارات اجتماعية واقتصادية لدى الأفارقة ، إضافة للاعتبارات العقائدية ، ومن هذه الاعتبارات التراتبية القبلية ، وأوضاع العمالة الأفريقية ، والقمع المنتظم لحقوق الأفارقة ، وغير ذلك .

ولم يؤد تباين المفهوم الديني للكالفيني بأنه (كإنسان) يعيش أولاً وأخيراً في سبيل مملكة الرب عن المفهوم الإنجليزي للدين بأن الرب يقيم خارج العالم على حد قول الكاتب فنترفورد Venterwoord en Daad (في الجريدة الأفريكانرية عدد ٢ فبراير ١٩٦١)[٣] ، لم يؤد هذا التباين إلى تأثير قوي لأحد النمطين على الأفارقة وتصورهم للمسيحية ، لكن الذي أثر بحدة على الأفارقة هو علاقتهم الواقعية

1- Rex , John , Race Relations in Sociological Theory , Weidenfeild and Nicolson , London , 1970, pp. 52-53.
2- J . D and E. J. Erige , The Lovedu of the Transvaal (in : Forde , Daryll , African Worlds : Studies in the Cosmological Ideas and Social Values of African People , Oxford University Press , London , 1970 , P, 81 .
3- Hexam , Irving , Dutch Calvinism and the Development of Afrikaner Nationalism , op. cit., p. 196.

بالأوروبيين ، والتصور الإجمالي والنهائي من قبل البيض للأفارقة ، ولعل هذا التصور يتضح فيما طرحته الكنائس الإنجليزية (اللغة) من أنها بصدد إلغاء التمييز العرقي في الرواتب الكنسية وإنهاء البناءات المتوازية وتشجيع وضع حد للتمييز العرقي في الإيمان ، كل هذا مع الإبقاء الفعلي للتفرقة الحقيقية بين جموع الأعضاء الأفارقة عن نظرائهم الأوروبيين في التعليم والثقافة والمهنة والوضع الاقتصادي والمعيشي [١] ، وهو الأمر الذي شكل مأزقاً للمدرسيين الذين ثاروا ضد الحاجز اللوني ، وانحازوا بالتالي لصالح شعبهم وثقافتهم وقيمهم بعيداً عن الأوروبيين ، في الوقت الذي انتقدوا فيه بعض القيم القبلية ، خاصة الزعامة و رأوا أن الزعماء القبليين عناصر معارضة للتقدم [٢].

وكان تقارب النخبة و الزعامات الوطنية الأفريقية من الفهم الأوروبي للمسيحية أكثر وضوحاً عنه بين عموم الأفارقة ، واتضح هذا في حالات جون ديوب وألبرت لوتولي بصفة خاصة ، فالأخير كان زعيما في الدوائر الكنسية وشارك في المؤتمرات الكنسية الدولية ، ودعم وضعه أمام الأفارقة من خلال عضويته في الهيئات الكنسية بمختلف أنواعها [٣] ، وكان موقف أولئك الزعماء (حتى أواخر الأربعينيات) يميل أكثر لاعتبار أن مشكلات الأفارقة تحتاج حلاً " سياسياً " بالاتفاق مع الحكومة البيضاء ، وبالاتساق مع ما تسمح به " القوانين " الموجودة من تحرك ، وهو الموقف الذي ينفصل عن رؤية تيار متصاعد داخل الحركة الوطنية من جهة ، وعن معاناة جموع الأفارقة علي الأرض من جهة أخري .

1- Kuper , Leo , Structural Discontinuities in African Town : Some Aspects of Racial Pluralism (in : Miner , Horace (ed.) , The City in Modern Africa) , Pall Mall Press , London , 1967, p. 147 .
2- Gluckman , Max , Order and Rebellion in Tribal Africa , Cohen and West , London , 1963 , p. 175 .
3- Hastings , Adrian , The Christian Churches and Liberation Movements in Southern Africa , African Affairs , Vol. 80 , No. 320 (July , 1981) , p 345 .

ويري أدريان هاستنجس أن منطق الجهات الكنسية الدولية في مسألة استقطاب الزعامات الأفريقية (في جنوب أفريقيا تحديدا) هو التخوف من النصر الشيوعي في الصين ، واعتبار تلك الجهات أن القضية لم تكن : هل ستكون هناك ثورة ، ولكن : من سيقود الثورة ؟

- Ibid, p.346.

وكان الحزب الوطني أكثر دقة وتحديداً في صياغة طبيعة التوجه العنصري الذي ستشهده جنوب أفريقيا (بعد فوزه بانتخابات عام ١٩٤٨)علي الصعيد الديني أيضاً ، إذ ذكر الحزب في بيان انتخابي (مؤرخ بـ ٢٩ مارس ١٩٤٨) : إن سياسة التفرقة قد نمت من خبرة تأسيس السكان الأوروبيين للدولة ، وتقوم (التفرقة) علي المبدأين المسيحيين بالعدل والمسئولية ، وإنها تهدف إلى إبقاء السكان الأوروبيين وحمايتهم كعرق أبيض نقي ، والإبقاء علي الجماعات العرقية البدائية وحمايتهم ككيانات منفصلة مع إمكانية تطورها إلى كيانات قائمة بذاتها داخل مناطقها الخاصة ٠٠٠٠ ولسوف تخضع الكنائس والجمعيات (الدينية) التي تشوه سياسة الأبارتهيد للرقابة [١] .

وكان نتيجة الضغط المتواصل علي الأفارقة في شتى المجالات أن تراجع الدور التبشيري وتأثيره بصورة واضحة ، حتى أنه صار من أهم أسباب ذهاب الكثير من المسيحيين الأفارقة خلال الأربعينيات والخمسينيات للكنائس هو تلقي العلاج، وأصبح التبشير خاضعا للظروف التي تسود المجتمع الأفريقي أكثر من كونه أداة لتغيير هذا المجتمع ، وهو المجتمع الذي عانى بشدة من سوء الأحوال المعيشية وتدهور المستوى الأخلاقي فيه [٢] ، وهو الأمر الذي يشير إليه روبرت جارنر في دراسة له عن علاقة الدين بمرض الإيدز في جنوب أفريقيا ، وفيها يرجع انتشار الإيدز في مناطق كوازولو وتراجع التأثير الديني المسيحي بين الأفارقة إلى حرص المبشرين (في الفترة السابقة علي دراسته) على عدم التصادم مع الممارسات الاجتماعية للأفارقة ، وهو ما يبرر تقارب السلوك الجنسي للأفارقة ككل بغض النظر عن التمايزات الدينية فيما بينهم ، وينقل عن أحد المبشرين قوله : نحن نقول لهم (الأفارقة) إن الغرض الوحيد للجنس هو الزواج ، لكن من الصعب عليهم الاحتفاظ بهذه الفكرة ، ونحن لا نريد ان نضع عبئاً ثقيلاً عليهم [٣] .

1- Election Statement by The National Party of South Africa ., 29 March , 1948 (in : Wroughton , John and Cook , Denys , Documents on World History) , Macmillan Education , London , 1983 , p 102.
2- Landau , Paul , Explaining Surgical Evangelism in Colonial Southern Africa : Teeth , Pain and Faith , The Journal Of African History , Vol. 37 , No. 2 , 1996 , p 280.
3- Garner , Robert C. , Safe Sects ? Dynamic Religion and AIDS in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 38 , No. 1 (2000) , pp. 41-42.

جدول (٢)

الانتماءات الدينية للأفارقة

(١٩١١ - ١٩٦٠)

	١٩١١	١٩٣٦	١٩٦٠
الهولندية المستصلحة	٧١,٤٢٢	١٥٤,١٨٠	٥٥٦,٨٩٨
الأنجليكانية	١٧٠,٧٠٤	٤٠٧,٥٢٨	٧٤٨,١٣٥
المشيخانية	٦٨,٢١١	١٠٨,٠٩٤	٢٠٤,٥٨٥
Congregational الأبرشية	٩٥,٧٠٦	٥٧,٠٥٤	١٣٥,١٦٧
ميثودية	٤٥١,٧٤٦	٧٩٥,٣٦٩	١,٣١٣,١٢٩
لوثرية	١٤٤,٢٤٤	٣٠٧,٣٨٧	٥٣٩,٢١٣
رومان كاثوليك	٢٤,٠٥٨	٢٣٢,٩٠٥	٧٦٠,٦٠٧
رسولية		١٣,٠٠٣	٣٠٤,٥٨٣
مذاهب مسيحية أخرى	٢٧,٦١٥	٦٢,٦٩١	٥٠٧,٥٦٧
كنائس البانتو		١,٠٨٩,٤٧٩	٢,١٨٨,٣٠٣
الاسلام	١,٨٩٦	١,٤٤٠	
ديانات أخرى وغير مصنفة	١,٣٠١	٣٧,٩٥٩	٣,٦٤٩,٦٠٢
وثنيين	٢,٩٦٢,١٠٣	٣,٣٢٩,٦٠٠	
إجمالي	٤,٠١٩,١٠٣	٦,٥٩٦,٦٨٩	١٠,٩٠٧,٧٨٩

- Kuper , Leo , African Nationalism in South Africa , 1910-1964 (in : Wilson , Monica and Thompson , Leonard (eds.) , The Oxford History of South Africa , Vol. II, South Africa, 1870-1966 p.475.

وأخذ دور التبشير في تطوير المجتمع الأفريقي ينحسر بصورة واضحة خلال الخمسينيات مع فرض المزيد من قوانين التفرقة العرقية خاصة – في هذا الصدد – فيما يتعلق بالتعليم – خاصة أن نحو ٩٠ % من المدارس المخصصة للأفارقة كانت تابعة لجهات كنسية – كما يشير و. و. هـ . إيزلين W. W. H. Eiselen الذي رأس البعثة المكلفة بوضع قانون تعليم البانتو The Bantu Education Act (صدر عام ١٩٥٣) إلى ضرورة :*أن يتم تشكيل مبادئ وأهداف الوطنيين (من خلال هذا القانون) كعرق مستقل في ماضيه وحاضره وصفاته التعليمية العرقية المتوارثة ، وحاجاتهم وفق الظروف القائمة وقابليتهم الاجتماعية التي لا تتغير مطلقا ، وأن يؤخذ ذلك في الاعتبار.* (١)

وهو الأمر الذي يمكن تلمسه في تصريح لرئيس الوزراء فيرفورد في أواخر الخمسينيات : *إن سياسة وزارتي هي أن تلك التعليم (البانتوي) يجب أن يرسخ في المعازل ، وأن تتخلل جذوره روح وكيان المجتمع البانتوي ... (إذ انه) ليس للبانتو مكانة في الجماعة الأوروبية أعلى من مستوى الأشكال المعهودة للعمالة ؛ ولهذا السبب فإنه ليس مفيدا للبانتو أن يتلقوا التدريب الدراسي الذي يتم تلقيه في المجتمع الأوروبي ... وحتى الآن فإن البانتوي تابع للنظام الدراسي الذي يجنبه بعيداً عن مجتمعه ويضلله من خلال تعريفه بالمراعي الخضراء للمجتمع الأوروبي والتي لن يسمح له بالرعي فيها* (٢).

1- du Toit , Brian M. , Missionaries , Anthropologists and the Policies of the Dutch reformed Church , The Journal of Modern African Studies , Vol. 22 , No.4 , 1984 , p. 625.
- Smith , Edwin W. , The Blessed Missionaries , Oxford University Press , Cape Town , 1950 , p. 25.
2- Tabata , I. B. , education for Barbarism in South Africa : Bantu (Apartheid) Education , Pall Mall Press , London , 1960 , p. 54.

وكان الهدف من ذلك القانون هو مواجهة انتشار التعليم الإرسالي الأوروبي بين الأفارقة ، وكان من نتيجة ذلك أن تركز تعليم الأفارقة في الكنائس الإثيوبية والصهيونية حتي وصل عدد المدارس التابعة لهاتين الكنيستين حوالي ١٨٦ مدرسة في عام ١٩٥٨ وقل عمل الكنائس غير الأفريقية بين الأفارقة بصورة ملحوظة منذ أواخر الخمسينيات ، خاصة أن الكنائس الأخرى التي قدمت من خارج اتحاد جنوب أفريقيا أصبحت تواجه موقفاً عدائياً من قبل النظام الحاكم (١)

وتصاعدت عوامل اجتماعية وسياسية أخرى ، كانت مترافقة مع التبشير ، لتأخذ زمام تطوير المجتمع الأفريقي الحضري ، وأهمها على الإطلاق هو عملية التحضر ، وهي العوامل التي لم يستطع النظام الحاكم التحكم فيها بنفس قدرته علي التحكم في عملية التبشير .

1- Turner , Harold W. , African Independent Churches and Education , The Journal of Modern African Studies , Vol. 13 , No. 2 (1975) , p. 299.

ثالثا – التحضر وصلته بنمو الوعي العمالي الأفريقي .

تعتبر عملية التحضر التي مر بها المجتمع الأفريقي في جنوب أفريقيا من أشد عمليات التحضر تطرفا على مستوى العالم ، سواء من حيث سرعتها أو نوعية استجابة النظام العنصري الحاكم تجاهها ، وكذلك الآثار التي تركتها .

ويعتبر التحليل الماركسي (خاصة لدى كل من ماكس فيبر وإميل دوركايم) أن المدينة هي الوحدة الأساسية للحياة الاجتماعية في التاريخ وأن عملية التحضر هي التي تقضي علي الإقطاع (كما يقول ماركس في المجلد الأول من رأس المال) ، إلا أن ماركس نفسه يلاحظ أن عملية التحضر تفقد خصوصيتها في حالة التوسع الحضري المبالغ فيه ، والرأي الأرجح هو أن التحضر أداة لتحليل المجتمع وليس إيديولوجيا قائمة بذاتها ، فهو يعرف نوعاً معيناً من البناء الاجتماعي يتأثر بطبيعة المجتمع الذي يتم فيه ، ويرى روبرت برايس أن الفكرة الماركسية القائلة بأن ظروف حياة الطبقة العاملة تقدم الأساس الاجتماعي للتنظيم السياسي وترفع من الوعي العمالي – كانت واضحة تماماً في اتحاد جنوب أفريقيا في عقد الأربعينيات من القرن العشرين (١) .

- Cooper , Frederick , Urban Space , Industrial Time and Wage Labor in Africa, (in : Cooper , Frederick (editor) , Struggle for the City : Migrant Labor , Capital and the State in Urban Africa ,) , Sage Publications , Beverley Hills , 1983 , pp. 12-13.
   - Price , Robert M., The Apartheid State in Crisis : Political Transformation in South Africa , 1975-1990 , Oxford University Press , New York , 1991 , p. 16 .

وقد صاغ ماركس مفهوم التناقض الريفي – الحضري rural-urban contradiction ، ووفقا لهذا المفهوم فإن العلاقات العدائية بين سكان الريف وسكان الحضر ترجع إلى مؤسسة الملكية الخاصة والاستغلال الناتج عنها وظهور طبقات اجتماعية وصلت لأقصى حالات الخطورة acute ، وهناك عدة أوجه لهذا التناقض منها :

١- تركيز الأراضي في أيدي الملاك على حساب الفلاحين الفقراء الذين لا يملكون أية أراضي .
٢- الرفع التدريجي المستمر لأسعار المنتجات الزراعية مما يضر بالبروليتاريا الصناعية .
٣- ويؤدي احتكار ملكية الأرض إلى وقف تدفق رأس المال إلى الزراعة مما يؤدي إلى تخلف طرق الإنتاج وخفض الإنتاجية ====

وهو ما ينطبق علي عملية التحضر في جنوب أفريقيا ، فهو تحضر مرهون بالحاجة للعمالة الرخيصة وبالطرد السكاني من المعازل إلى " المناطق الأوروبية " للعمل ، وليس رهناً بتغير اجتماعي كالذي تم في أوروبا مثلا ، وبالتالي فإن فهم التحضر في جنوب أفريقيا يظل رهنا بالسياسة العنصرية أكثر من كونه حراكاً اجتماعياً تلقائياً .

وقد شهدت مناطق ما عرف باتحاد جنوب أفريقيا خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر تسارعاً شديداً في عملية التحضر ، وهو الأمر الذي غير من التركيب الحضري الجنوب أفريقي ، وسرعان أن تحولت التجمعات compounds المقامة بجوار مناجم الذهب والماس إلى مدن صغيرة ثم مدن كاملة ، وهو الأمر الذي تجسد في حالة مدينة جوهانسبرج [١]، فقد انقرضت تجمعات البيوت الريفية التي كانت في المدينة مع تنامي عملية التعدين ، وكان من تأثير نمو مدينة جوهانسبرج أن واجه أصحاب المزارع ومزارع القصب بصورة خاصة – حيث أنه كان المحصول الرئيسي في جنوب الترانسفال وشمال أورانج فري ستيت – صعوبات في تلبية احتياجات السوق الحضري المتنامي ، وهي المشكلات التي تطورت لتؤدي إلى حدوث تغيير في النشاط الزراعي في المناطق المتاخمة لمناطق التعدين [٢] .

٤- كما أن البورجوازية الحضرية تستغل الحضرية تستغل السكان الريفيين برفع أسعار السلع الصناعية ، ومن وجهة النظر الماركسية فإن الاشتراكية ، وخاصة الشيوعية فقط هي التي يمكنها القضاء علي هذا التناقض من خلال تأميم الأرض والصناعة والتجارة والأعمال البنكية وسيطرة الدولة علي أسعار المنتجات الزراعية والميكنة mechanization ، وأن التناقض الريفي – الحضري سوف يختفي بتكوين مجتمع غير طبقي classless society

Wilczyński , J. , An Encyclopedic Dictionary of Marxism , Socialism and Communism , walter de Gruyter , Berlin , 1981 , p.501

وعن عملية التحضر في أفريقيا ككل راجع :

Coquery-Vidrovithc , Catherine , The Process of Urbanisation in Africa From Origins to the Beginning of Independence , African Studies Review , Vol. 34 , No. 1 (April , 1991) , pp. 1-98

خاصة الجزء الثالث من هذه الدراسة والذي يتناول التغير الحضري في أفريقيا منذ أواخر القرن التاسع عشر .

1- Chandler , Tertius and Tarver , James D. , Urbanisation in Colonial Africa , Africa Insight , Vol. 23 , No. 4 , (1993) , p. 251.
2- Beinart , William , Lowdown on the Highveld , The Journal of African History , Vol. 29 , No.1 (1988) , p. 122.

وتعتبر الفتـرة الـسابقة علـى إصـدار قـانون أراضـي الـوطنيين Natives Land Act عام ١٩١٣ هي فترة التحـضر علـي نطـاق محـدود ، لكـن إصـدار هـذا القانون (١) جعل وضع الزراعـة فـي جنـوب أفريقيـا – وهـي النـشاط الاقتـصادي الأكثر أهمية آنذاك – وضـعاً متطرفـاً وشـاذاً ، فوفقـاً لهـذا القـانون تـم " حـشر " الأفارقة والملـونين فـي مـساحة ١٣ % مـن أراضـي جنـوب أفريقيـا (فـي أكبـر التقديرات) في المعازل Bantustans ، وهـو مـا أدى إلـى تـصنيف معظـم الـسكان الأفارقة في نطاق الفقر والفقر المدقع ، وحـدثت كـذلك عمليـات تفتيـت للملكيـة علـى نطاق واسع ومتكرر (٢) .

وكان الهدف الأساسي من تكوين المعازل للأفارقـة تـسهيل الـتحكم فـيهم ، وفـصل التشارك الاقتصادي والاجتماعي بـين الأوروبيـين والأفارقـة ، ولاسـتيعاب الأفارقـة الذين شتتهم قانون الأرض وتغير نظم ملكية الأرض (٣) ، كمـا تمثـل سياسـة تكـوين المعازل بلورة مبكـرة لفكـرة التفرقـة أو الأبارتهيـد (٤) ، وتأكيـد علـي الاختلافـات العرقية والثقافية والإيديولوجية لصالح الأفريكانرية المرتكـزة علـى تعـاليم العهـد القـديم

١- راجع تفاصيل قانون الأرض وتأثيراته علي الأفارقة :

- Plaatji, Solomon Tshekisho , Native Life in South Africa Before and Since the European War and the Boer Rebellion , Tsala ea Batho , Kimberley , www.anc.org.za

وراجع بصفة خاصة الفصول : الثالـث بعنـوان قـانون أراضـي الـوطنيين ، والحـادي عـشر بعنـوان قـانون أراضي الوطنيين في مستعمرة الكيب ، والفصل السابع عشر بعنـوان صـحافة لنـدن وقـانون أراضـي الـوطنيين ، وراجع كذلك نص القانون في الفصل الثالث .

2- Jacobs , Susie , Past Wrongs and Gender Rights : Issues and Conflicts in South Africa's Land Reform , The European Journal of Development Research , Vol. 10 , No.2 , Dec. 1998 , p .

3- Adams, Thomas R., Government and Politics in Africa South of the Sahara, Random House, New York, 1967, p.20.

٤- راجع تعريف الأبارتهيد بنوع من التفصيل :

- de Kiewiet , C. W., The Delusion of Apartheid (in : Gould , Peter . R (ed.): Africa: Continent of Change), Wadsworth Publishing Company, Belmont, 1961, pp.22-23

وفيها يتتبع دي كيوايت جذور كلمـة الأبارتهيـد ، ويرجـع أصـلها لجـذور تاريخيـة تتعلـق أساسـاً بجنوب أفريقيا ، سواء في الكالفينية الهولندية أو الحروب القبلية في القـرن التاسـع عـشر ، كمـا يـرى أن لهـا جـذوراً فـي سياسـة وزارة الاسـتعمار البريطانيـة ، ويـرى أن المظـاهر الاجتماعيـة والاقتصادية والسياسية المكونة للأبارتهيد هـي النتـائج المنطقيـة (فـي نظـر القـائمين علـي تطبيـق سياسة الأبارتهيد أيضاً) للعلاقة الاستعمارية المتولدة عن الاخـتلاف بـين البدائيـة والتمـدين ، والفقـر والثروة ، والخرافة والعلم .

وفق التفسير الخاص بها [١].

وكثفت الحكومة لذلك سياسة الترحيل الاجباري ، والتي لم تقتصر علي مناطق بعينها ، بل إنها امتدت ومنذ أوائل القرن العشرين إلى مناطق بإقليم الكيب نفسه حيث كان يعترف بمواطنة الأفارقة به آنذاك ، وكما لاحظ أحد الأفارقة في جريدة South African News عام ١٩٠١ فإن الأفارقة : *يطردون خارجاً (من المناطق الريفية والحضرية في الكيب) أما الأجانب فبعضهم يدعي للمجيء والتملك ... نحن نلقى معاملة سيئة من الحكومة التي تتباهي بالحقوق المساوية بغض النظر عن العقيدة أو اللون ، وحطمت منازلنا وأثاثنا غطاه التراب ، وفي حالات عديدة تم تدميره .* [٢]

وقد ميزت السياسة " الوطنية " لحكومة الاتحاد بين " الوطنيين " الذين يعيشون في المعازل ، وأولئك الذين يعيشون خارجها ، إذ خضع الذين يعيشون في المعازل للسيطرة المباشرة من قبل وزارة شئون الوطنيين Department of Native Affairs ، والتي كانت لها – إلى جانب كونها هيئة تنفيذية – سلطة تشريعية عامة ، وقد شارك الأفارقة في المعازل في عملية إدارة شئونهم من خلال المجالس المحلية ، وتم الاعتراف إلى حد ما بعاداتهم القبلية ، وحاز زعماؤهم دورا تنفيذياً محدوداً ، ووصل الأمر أحياناً إلى ممارسة سلطات قضائية ، وتم إقرار مبدأ عدم جواز ملكية أي " غير وطني " للأرض في المعازل ، مقابل عدم جواز تملك الأفريقي للأرض خارج تلك المعازل . [٣]

---

1. Lundahl , Mats , Apartheid in Theory and Practice : An Economic Analysis , Westview Press, Boulder , 1992 , p.155.
2. Bickford , Smith , Black Ethnicities , Communities and Political Expression in Late Victorian Cape Town , The Journal of African History , Vol. 36 , No.3 , 1995 , pp. 462-463 .
3. Evans , Ifor L. , Native Policy in Southern Africa : An Outline , Cambridge University Press , Cambridge , 1934 , pp 63-64.

ومن أجل تحقيق سيطرة تامة للحكومة الجنوب أفريقية علي المعازل تم استيعاب الزعامات الأفريقية داخل بناء الحكم في جنوب أفريقيا ، وتحقق نوع من الاستقلال الذاتي للأفارقة في الإطار الاستعماري ، وتوصلت النخبة الحاكمة إلى أن تفاعل هيمنة البيض مع الزعامات الأفريقية يؤدى إلى سهولة السيطرة علي أفارقة المعازل (١) .

ويمكن القول إن فكرة المعازل كانت مجرد رؤية نظرية أكثر من كونها خطوات سياسية واقتصادية مدروسة ، فهي الفكرة التي طورتها العديد من المؤسسات الأفريكانرية مثل رابطة الإخوان الأفريكانر Afrikaners Broederbond ، والمكتب الجنوب أفريقي للشئون العرقية South African Bureau for Racial Affairs ، فقد ذكر مثلاً دستور رابطة الإخوان الأفريكانر أن : *إخوان الأفريكانر يملؤهم إيمان عميق بأن الأمة الأفريكانرية قد وضعت في تلك الأرض من قبل الرب ، ومحتماً عليها البقاء فيها كأمة لها طبيعة ودعوة خاصتين بها* ، ودعم تلك الفكرة كذلك المكتب الجنوب أفريقي للشئون العرقية الذي كان يضم في عضويته قادة النخبة الأفريكانرية ، ونفس الأمر بالنسبة للكنيسة الإصلاحية الهولندية على الرغم من وجود بعض المعارضة من بين رجالها أمثال

---

1. Costa , A. A. , Chieftaincy and Civilisation : African Structures of Government and Colonial Administration in South Africa , African Studies , Vol. 59 , No. 1 , (July , 2000) , p 37 .

وهي دراسة في عدد خاص من مجلة African Studies يتناول البحث التاريخي وصنع السياسة في جنوب أفريقيا ، وبه عدة دراسات هامة وهي المقدمة بنفس العنوان ، وملكية الأرض في بعض مناطق جنوب أفريقيا ، وأخيراً عن الرؤي السياسية والوقائع التاريخية .

وراجع أيضاً في تفاصيل توظيف الأبارتهيد عملياً :

-Banton , Michael : Race Relations , Tavistock Publications , London , 1967 , pp 164-192 .

وهذا الجزء فصل بعنوان : White Supremacy in South Africa وفيه يتناول ميشيل بانتون عدة أبعاد لتلك القضية ، مثل الوظائف السياسية للإيديولوجية العرقية ، والتحالفات العرقية والطبقية داخل جماعات البيض ، والتحالفات بين الجماعات المهمشة ويركز في هذا الجزء (ص ص ١٧٥-١٨٥) على تمكن البيض من السيطرة التامة علي المعازل من خلال الزعامات القبلية لهذه المعازل ، ويضرب مثالاً بالزعيم فيكتور بوتو Victor Potoبمعزل الترانسكي ، ويتناول أخيراً الأبارتهيد علي الصعيد الاقتصادي .

ب . ب . كيت B. B . Keet وبنيامين ماريـاس B . Marias اللذين عارضا بشدة قبول فكرة أن التكريس للكهانة يقوم علي التفرقة [1]، وتكمن عدم واقعية فكرة المعازل في أنه في ظل ضيق مساحة المعازل وفقر مواردها وزيادة الطلب علي العمالة الرخيصة ، خاصة في أثناء الحرب العالمية الأولي ، وتزايد الصناعات القائمة في جنوب أفريقيا ، في ظل كل ذلك خرج الأفارقة نحو مناطق حضرية جديدة ، خاصة في جوهانسبرج وكيب تاون وبريتوريا. [٢] .

وردت الحكومات المتعاقبة بعمليات الترحيل الإجباري (وهي العمليات التي بلغت ذروتها في فترة الخمسينيات) لمن سماهم النظام الحاكم بالفائض البشري ، والمقصود بهم الذين لا يمارسون عملاً في خدمة الاقتصاد " الأوروبي " ، أي أن الأفارقة في حركتهم المستمرة نحو الحضر كانوا يواجهون بأحد الموقفين ، الأول هو غض البصر عن وجودهم من قبل السلطات الحكومية في حالة الحاجة إليهم ، والثاني طردهم خارج المناطق التي استقروا فيها بغض النظر عن المشكلات المترتبة علي ذلك في حالة اعتبارهم فائضاً بشرياً.

ومن هنا برز التناقض الذي واجهه الأفارقة ، وهو التناقض الذي تم التعبير عنه بصورة كاملة في سياسات حكومة جنوب أفريقية التي أرست سياسة المعازل ، وكان أحد ثوابتها في الوقت ذاته الاتجاه مباشرة لإجبار الأفريقي علي الخروج من المعزل للحصول علي عمل في المدن حيث يجابه هناك بالتفرقة [٣]، مثل العيش في

1- Shepherd , George W.,' The Politics of African Nationalism : Challenge to American Policy , Frederick A . Prager Inc. New York , 1963 , pp. 119- 120.
2- Demissie , Fassil , The Urban African Worker and the Crisis of Apartheid , Africa Development , Vol. XVI , No. 2 ,(1991) , p. 121.
3- Rex , John , Race Relations in Sociological Theory , op. cit , p 53.

منازل مؤجرة من قبل البلديات أو أصحاب العمل ، وفرض مغادرته لمكان إقامته إذا فقد عمله ، ويقبض عليه ويعاقب إذا لم تكن معه وثائق تثبت سبباً لائقاً لتواجده خارج المعزل سواء أكان الحصول فعلاً على عمل أو أنه سيبحث خلال فترة وجيزة عن عمل ، وإذا لم يثبت سبباً لائقاً يؤمر بالعودة إلى المكان الذي وفد منه (١) ، ليدرك الأفريقي خلال تجربته تلك أنه ليس مواطناً ، لكنه مجرد زائر أجنبي لجنوب أفريقيا " الأوروبية ". (٢)

وكان الدافع الأساسي لهذا التناقض هو اضطرار كل من النخبة الأفريكانرية التي تحوز السلطة والنخبة الإنجليزية التي تحوز الثروة إلى التراخي في مسألة التفرقة نظرا لتسارع عملية التنمية الاقتصادية بعد الحرب العالمية الأولى ، وتزايد الاعتماد المتبادل بين الجماعات العرقية المختلفة (٣) ، وإن ظلت السلطة السياسية تعمل على عدم سماح هذا التطور الاقتصادي بتغيير العلاقات القائمة بين البيض والسود على المستويين الاجتماعي والاقتصادي ، خاصة وأن نظام التفرقة قد وضع لحماية العمالة البيضاء ذات الكفاءة المنخفضة بصفة خاصة من المنافسة مع العمالة الأفريقية المستعدة للعمل بأجور أقل (٤) ، ومن أجل تثبيت استقدام قوة العمل الأفريقية في الوقت ذاته (٥) .

1- Mason , Philip , Race Relations , Oxford university Press , London , 1970 , p 102 .
2- Curtin , Philip , African History , Longman Group Ltd. London , 1978 , p. 364.
3- Kuper , Leo , Structural Discontinuities in African Towns : Some Aspects of Racial Pluralism (in : Miner , Horace (ed.) : The City in Modern Africa ,op. c , p 147 .
4- Lundahl , Mats : Apartheid in Theory and Practice , op. cit., p 156
5- Posel , Deborah , The Making of Apartheid , 1948-1961 : Conflict and Compromise , Clarendon Press , Oxford , 1991 , p. 79.

راجع الدراسة التفصيلية عن الدراسات التي تناولت أوجه التعارض بين سياسة الأبارتهيد والاحتياجات الواقعية للرأسمالية لتسهيل دخول العمالة الأفريقية وتوطينها بالقرب من مناطق الانتاج : Natrass , Nicoli , Controversies about Capitalism and Apartheid in South Africa : An economic Perspective , Journal of Southern African Studies , Vol. 17 , No.4 , (December , 1991) , pp. 654-677

ومع تزايد توافد العمالة الأفريقية من المعازل إلى مناطق العمل سمحت حكومة جنوب أفريقيا بتخصيص أماكن لإقامة هؤلاء العمال بشرط ألا تكون تلك الأماكن داخل المدن ، ولكن في المناطق المتاخمة للمدن ، وذلك بهدف منع تكون العشوائيات في المدن ، والسيطرة علي تدفق العمالة الأفريقية ، والحفاظ على مستويات المعيشة للبيض (١)، كما لم تسمح الحكومة للعمال بإحضار عائلاتهم فيما عدا أولئك العمال الذين مر على وجودهم في المناطق الحضرية قرابة ١٥ عاما (٢) ، وهي السياسة التي كانت متبعة منذ بدء وصول العمال الأفارقة إلى مناطق التعدين ، والتي ربطت بين تزايد حدة القوانين التي تسيطر علي تدفق هذه العمالة و قوة تدفقها (٣)

كما أن ضعف النظام الأبوي للأفارقة داخل المناطق الزراعية التابعة للبيض قد أدى إلى حالة توتر لمسها تقرير صدر في عام ١٩٣٩ في أورانج فري ستيت وورد فيه : *في حالة العمالة الأجيرة فإن المزارع يستأجر العامل هو وعائلته ومن يعولهم أيضاً ، وقد نتج عن هذا الشكل من التعاقد توتر في العلاقات بين صاحب العمل والعمال لأنه وفقاً للتقاليد البانتوية فإن الأتباع يطيعون رب الأسرة ، وبينما يحترم بعض المزارعين تلك التقاليد ويقدمون تعليماتهم للعمال من خلال رب الأسرة فإن أغلبية المزارعين لا يحترمون ذلك* ، وقد زادت حدة هذا التوتر مع تدافع العمال إلى المناطق الحضرية مما أسهم في المزيد من تفكك نظام الأسرة الأفريقية ، مع الأخذ في الاعتبار أن هجرة الأفارقة من المعازل إلى المدن لم تكن قائمة على أساس من العلاقات الأسرية أو القبلية ، وهو ما نجم عنه – كما يرى ج. م. رتيف G. M. Retief – أن كل من عملية التحلل القبلي detribalization والتغريب Westernization التي مر بهما الأفريقي في عملية التحضر لم تكتملا بطريقة

1- Gilbert , Alan , The Housing of the Urban Poor (in : Gilbert , Alan and Gulger , Josef , Cities , Poverty and Development : Urbanization in the Third World , Oxford University Press , Oxford , 1981 , p 109 .
2- Gilbert , Alan , Urban and Regional Systems : A Suitable Case for Treatment ? ,, Ibid , pp. 187-188.
3- Worger , William , Workers as Criminals : The Rule of law in Early Kimberley (in : Cooper , Frederick (editor) , Struggle for the City ,op. cit. , pp. 51-52

منظمة أو طبيعية ، وهو مانتج عنه حالة فراغ ثقافي وبـروز مـشكلة الجريمـة بـصورة مفزعة (١)

وفي نفس الوقت كانت المدن الجنوب أفريقيـة آخـذة فـي التطـور ، وكـان هـذا الأمر ملموسا بصورة خاصة في المدن الساحلية وخاصة ديربـان التـي اكتـسبت أهميـة خاصة في الصناعة نظراً لموقعهـا القريـب مـن المـواد الخـام اللازمـة للـصناعة ، خاصة خام الحديد ، مما جعل تكلفة المواد الخام أقـل ، ونمـت صـناعة الكيماويـات فـي هذه المدينة نتيجة لهذه الميزة ، كما أن وقـوع ديربـان علـي المحـيط الهنـدي وقربهـا النسبي من أسواق الرائـد مكنهـا مـن الوصـول للأسـواق الدوليـة والمحليـة بـصورة اقتصادية . (٢)

ورأت حكومة سمتس ضرورة تقنين توافـد الأفارقـة علـي المنـاطق الحـضرية المتنامية ، فـتم إصـدار قـانون وطنـيً المنـاطق الحـضرية رقـم ٢١ لعـام ١٩٢٣ Natives (Urban Areas) Act ، وفقا لما أوصى به تقريـر بعثـة الـشئون الوطنيـة Natives Affairs Commission (١٩١٩-١٩٢١) ، وبمقتـضى هـذا القـانون تقتصر إقامة الأفارقة الحضريين علي مناطق معينـة ، ويكـون عـددهم فيهـا محـدداً ، كما تفرض الرقابة على إقامتهم في أي مكان آخر ، وذلـك لـضمان الـتحكم فـي أمـاكن استقرار الأفارقة بصورة تامة (٣) ، وكذلك للـتحكم فـي تـدفق العمالـة الأفريقيـة علـى المناطق الأوروبية بما لا يسبب اضـطراباً فـي تلـك المنـاطق خاصـة خـارج إقلـيم

1- Bank , Leslie , Angry Men and Working Women : Gender , Violence and Economic Change in Qwaqwa in the 1980s , The Journal of Modern Studies , Vol. 53 , No. 1 , (1994) , pp.94-95.

انظر جدول النشاط الثقافي لأفارقة الحضر ، ص ٧٣.

- Retief , G. M. , Social Disorganisation , Crime and the Urban Bantu People of South Africa , (in : Mideley , J. , Steyn , J. H. and Graser , R. (eds.), Crime and Punishment in South Africa) , London , 1998, p.50.

2- Freund , Bill , The City of Durban : Towards a Structural analysis of the Economic Growth and character of a South African City (in : Anderson , David M. and Ruthbone , Richard (eds.) , Africa's Urban Past) , James Currey , Oxford , 2000 , p. 152.

3- Hellmann , Ellen , Urban Areas (in : Hellmann , Ellen and Abrahams , Leah (eds.) , Handbook on Race Relations in South Africa) , Oxford University Press , Cape Town , 1949 , p. 233.

جدول رقم (٣)

دراسة حالة لأنشطة أوقات الفراغ بين أفارقة الحضر (ذكور / إناث) في الأربعينيات

النشاط	ذوو الياقات البيضاء	غير حمر		غير ذلك	شبه حمر	إجمالي
		متوسطو الحال	بسطاء			
(إجمالي عينة الذكور)	١٤	٢٠	٢٥	٩	٨	٧٦
أنشطة كنسية	١٣	١٥	١٤	٦	١	٤٩
تناول كحوليات	٤	٥	١٣	٣	٧	٣٢
رياضة	١١	١٢	١٠	٥	٣	٤١
أنشطة مدنية مختلفة *	١٠	٩	٦	٣	١	٢٩
زيارات	٨	٨	١٢	٥	٤	٣٧
منظمات سياسية	٤	١	٢	١	–	٨
(إجمالي عينة الإناث)	٩	٢٧	٥٨	١٨	١٤	١٢٦
أنشطة كنسية	٧	٢٢	٤١	١٣	١	٨٤
تناول كحوليات	–	٣	١٠	٢	١٠	٢٥
رياضة	١	٤	٨	٣	–	١٦
أنشطة مدنية أخرى	٤	٦	٨	٦	٢	٢٦
زيارات	٣	١٠	١٦	٨	٤	٤١
منظمات سياسية	–	–	–	٢	–	٢
تزين	١	٢	٥	٣	١	١٢

* تتضمن الأنشطة المدنية الأخرى مشاهدة الأفلام والحفلات الموسيقية وزيارة الشوطئ وحفلات الرقص ... إلخ

- Pauw , B. a. , The Second generation : A Study of the Family among Urbanized Bantu in East London , Oxford University Press , Cape Town , 1963 , p. 43.

الكيب [1] ، ويتم وفقاً لهذا القانون حجز عائلات عمال الحضر في المناطق الريفية بالمعازل ومنعهم من اللحاق بذويهم [2] ، ويصبح على ذويهم أن يعتمدوا على اقتصاد المعزل لأن نظام الأجور للعمال الأفارقة ليس مرتبطاً بكفائتها (الأجور) في تلبية تكاليف المعيشة إلا في حدود ما يفي بالضريبة المفروضة عليهم ، وأن يكون العامل مستهلكاً في مكان عمله بالحضر [3] ، وهو الأمر الذي سبب الكثير من المشاكل الاقتصادية و الاجتماعية سواء في المعازل أو في المناطق الحضرية ، فعلى سبيل المثال فإنه الرغم من اشتراط السلطات الحضرية على النساء الأفريقيات القادمات للمناطق التابعة لها أن تكون وجهتهن إلى آبائهن أو أزواجهن في المناطق الحضرية التي مضوا فيها ما لايقل عن عامين ، إلا أنه تم التغاضي عن هذه القيود مقابل الحاجة الشديدة للنساء في هذه المناطق لممارسة البغاء (في ضوء رفض السلطات لفكرة التوفيق العائلي للعمال الأفارقة إلا في أضيق الحدود وبنسبة لا تتجاوز ٣% من العمال) وأعمال الخدمة المنزلية والغسيل والكي والطبخ وخياطة الملابس ، وهو ما أدى إلى تدمير الحياة الاجتماعية والأسرية في كل من المعازل وفي المناطق الحضرية علي حد سواء ، وقد انتشرت مهنة البغاء بين الأفريقيات منذ أوائل القرن العشرين ، وخاصة في مدينة جوهانسبرج [4]

1- Walker , Eric A. , A History of South Africa , op. cit.,p 596 .

ويري جوزيف جوجلر J. Gugler أنه يمكن إعادة أصول تحكمات المرور إلى فترة الرق في الكيب في القرن الثامن عشر،وأنه بعد منع الرق في أوائل القرن التاسع عشر أقرت تحكمات المرور بغرض التوثيق والسماح بعمالة الأطفال ، وعندما رسخت اكتشافات الماس والذهب في أواخر القرن التاسع عشر أعيد تنظيم تلك التحكمات لتلائم العمالة الوافدة المؤقتة ، واستخدمت لتنشيط التجنيد المنتظم والعقود محددة الفترة و تجنب الاستقرار الدائم للعمال في مناطق التعدين وما جاورها ، وهو ما أبرز في النهاية نظام " العمالة الرخيصة " ، راجع :

-Gugler , Josef , Urbanisation in Africa South of Sahara : New Identities in Conflict (in : Gilbert , Alan and Gulger , Josef , Cities , Poverty and Development) , op. cit., p 226 .

2- Patterns , Policies and Prospects (in : Hauser , Philip . M (ed.), World Population and Development : Challenges and Prospects) , Syracuse University Press, New York , pp 422-423.

3- Rex , John, Race Relations in Sociological Theory , op. cit., p 55.

4- Coquery-Vidrovitch , Catherine , African Women : A Modern History (translated by, Beth Gillian) , Westview Press , Boulder , 1997 , pp.76-77.

كما انتشرت بينهن أيضا مهنة تصنيع البيـرة المحليـة (الكـافير) ، وعـن هـذه المهنة يذكر أحد الأفارقـة ويـسمى بلـوك موديـسين Bloke Modisane كيـف التحقـت أمه بهذا العمل بعد وفاة أبيه : *لقد حولت منزلنـا إلـى حانـة ، تعمـل لمـدة ١٤ سـاعة يوميا بدءا من تخمير وعصر البيرة المحليـة المـسماة سـكوكيان Skokiaan وبـاربرتون Barberton ، وكانت تنفق من الأرباح على تعليمي ، ورغـم أنـه كـان يعتبـر عمـلاً وضيعاً إلا أنه كان يوفر عائداً أفضل مـن المهـن الأخـرى* (١) ، وفـي مواجهـة هـذا التردي قامت بعض الجهـات التبـشيرية المختـصة بالنـساء بعمليـة تأهيـل الأفريقيـات وتدريبهن حتي يصبحن ربات بيوت أو خادمات لـدى البـيض فـي جوهانـسبرج ، ومـن الجهود المميزة في هذا الصدد ما قامـت بـه إيديـث جـونز Edith Jones رئيـسة فـرع الترانسفال لحركة الـشابات المـسيحيات Christian Youth Movement وهـي الحركـة التي أسست في عام ١٩٢٥ بهدف إيواء الأفريقيات(٢) .

1- Goodhew , David , Working-Class Respectability : The Example of the Western Areas of Johannesburg , 1930 - 55 , Journal of African History , Vol. 41 , No.2 , (2002) , p. 246.
2- Gaitskell , Deborah , Housewives , Maids or Mothers: Some Contradictions of Domesticity for Christian Women in Johannesburg 1903-39 , Journal of African History , Vol. 24 , No. 2 , (1983) , pp. 245-247 .

ومن الملاحظ ظهور تيار من الكتابة النسائية feminism الخاصـة بوضـع المـرأة الجنـوب أفريقيـة ، غير أن هذا التيار علي الرغم من تفرد تناوله لقـضايا المـرأة الأفريقيـة فـي ظـل الأبارتهيـد بـصورة خاصة إلا أنه يتناول هذا التاريخ من منظور نوعي gender وهـو مـا يفـرض عليـه تعاطفـاً مـسبقاً وأحيانا تفسيرات قسرية لبعض الأحداث واستخدام مفـاهيم مـن قبـل القهـر والنظـام الأبـوي والتمييـز النوعي (إضافة للتمييز العرقي) ، ومن أبرز الدراسات النسوية في هذا الصدد

Walker , Cherryl (ed.) , Women and Gender in Southern Africa to 1945 , David Philip , Cape Town , 1990

وفي دراسة لشيريل ووكر يتضح هذا التعسف في تفـسير التـاريخ إذ تتنـاول أنوثـة الخدمـة المنزليـة ، وخضوع المرأة (البيضاء تحديدا وفي أواخر القرن التاسع عشر) لذكورية السلطة ، راجع :

Walker , Cherryl , The Women's Suffrage Movement : The Politics of Gender , Race and Class, (In : Walker , Cherryl , op. cit.) , pp. 313-345.

وهو الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى فصل تجربة معاناة النـساء عـن الرجـال ، ويتنـافي مـع الواقـع التاريخي بأن النساء (أفريقيات أو أوروبيات) كن في وضع أفضل نـسبياً مـن الرجـال ، ولعـل هـذا يتضح في حقيقة أن الأفريقيات لم يجبرن علي حمل تراخيص مرور إلا في منتصف==

وعلى الرغم من أن قانون وطني المناطق الحضرية قد أعطى للسلطات المحلية البسيطة – التي تكونت في المناطق الحضرية بإشراف الأفارقة – سلطات إضافية إلا أن هذه السلطات لم تكن كافية لمواجهة المسئوليات الملقاة على عاتقها (١) ، وكانت بهدف السيطرة على المواقع Locations الحضرية ، وتقديم نوع من الحكم المحلي للأفارقة الذين كان وعيهم السياسي يتزايد بينما تزداد عملية حرمانهم من العمل في العديد من الحرف والصناعات (٢) .

وقد خضع أفارقة المناطق الحضرية بشكل مباشر للسلطة القضائية ممثلة في وزارة العدل ، وأصبحوا أكثر خضوعاً للسيطرة البرلمانية مباشرة من خلال القوانين المتعاقبة ، ولم تكن مشاركة الأفارقة في الحكم المحلي مشاركة واقعية باستثناء إدارة المواقع Locations Board الموجودة في مناطق حضرية أفريقية معينة (٣) ، وكانت الهيمنة الفعلية على الأفارقة بالحضر من قبل البيروقراطية البيضاء المتشعبة ، والتي أخذت تنظم كل شئ في حياتهم ، أما في معسكرات شركات التعدين فإن مسئولي تلك الشركات ومراقبي المناجم هم الذين كانوا يديرون كل تفاصيل حياتهم بدءا من النظام الغذائي إلى ساعات النوم (٤) ، وبصفة عامة فإن هذا القانون يمثل نقطة تحول كبرى أدت إلى إرساء أسس التفرقة المكانية residential segregation ، وفرض مفهوم أنه ليس للسكان الأفارقة حقوقا دائمة في المدن (٥) .

===القرن العشرين ، وقد وجهت ايريس بيرجر نقدا مباشرا للرؤية النسائية السابقة بقولها إن الموجة الأخيرة من التأريخ للنساء والتي بدأت في تسعينيات القرن العشرين قد عمدت إلى تحليل حياة النساء العاملات وتجاوزت الاهتمام بثنائية الذكورة – الأنوثة التي كانت سائدة خلال السبعينيات والثمانينيات

Berger , Iris , Marxists or Fashionable Ladies ? Gender , Identity and Working-Class History , (In : Walker , Cherryl , op. cit.), p. 37 .

1- Hellmann , Ellen , Urban Areas , op. cit. , p. 233.
2- Walker , Eric . A : op. cit.
3- Evans, Ifor L.,Native Policy in Southern Africa, op. cit., p. 64.
4- Hoagland , Jim , South Africa : Civilizations in Conflict , op. cit., p. 79.
5- Frescura , Franco , The Spatial Geography of Urban Apartheid , (in ; Zegeye , Abebe (ed.) , Social Identities in the New South Africa , After Apartheid , Vol. One , Kwela Books , Cape Town , 2001 , p.99 .

وكان وصول حكومة الميثاق Pact Government للسلطة عام ١٩٢٤ (وهي الحكومة التي كان يدعم زعيمها هيرتزوج الزعيم الأفريقي كلمنت كادالى) قد شكل نجاحاً لفئات المزارعين التجاريين وأصحاب رؤوس الأموال الأفريكانريين ، كما شكل كسراً لاحتكار أصحاب المناجم – الذين دعمتهم حكومة سمتس السابقة – للمبادرة السياسية ، وتأكيد هذا الوصول على هيمنة رأس المال " القومي " (الأفريكانري) كنقيض لرأس المال التعديني " الإمبريالي " [١] ، وبناء على ذلك فإن أوضاع الأفارقة بالحضر ظلت تسير باتجاه ثابت نحو السوء ، واستمر حرص الحكومة علي تقنين التفرقة تجاه أولئك الأفارقة ، فصدر في عام ١٩٣٠ تعديل قانون وطني المناطق الحضرية كي يزيد من إحكام السيطرة على عملية تجنيد عمال المزارع على أيدي أصحاب الأعمال بالحضر ، وذلك بهدف وضع مزيد من القيود والشروط علي توافد العمال الأفارقة من المعازل إلى المناطق الحضرية ، بما يخدم المزارعين البيض ، وفي عام ١٩٣٢ صدر قانون تعاقد الخدمة الوطنية Native Service Contract الذي مكن المزارعين البيض من استدعاء العمالة من بين عائلات العمال الذين يعملون لديهم دون الحاجة لكتابة عقود جديدة ، وهو ما يراه ديفنبورت مماثلاً لقوانين الرق بالكيب في الفترة (١٨٠٩ – ١٨٢٨) [٢] ، وفي نفس العام صدر تقرير للبعثة الاقتصادية الوطنية The Native Economic Commission محدداً أسباب اندفاع الأفارقة من المعازل إلى المدن ، وهذه الأسباب هي :

١– تخلف المعازل ، إذ عبرت البعثة عن تأكيدها وقناعتها بأن السبب الأساسي " لهجرة " الوطنيين إلى المدن يعود إلى الحالة المتخلفة للمعازل ، خاصة أن التقديرات تشير إلى أن الناتج الزراعي للمعازل لا يفي إلا بنصف الاستهلاك فقط .

1- Worden , Nigel , The Making of Modern South Africa : Conquest , Segregation and Apartheid , Blackwell Publishers , Oxford , 1994 , p.59.
2- Davenport , T. R. H. , South Africa : A Modern History , Macmillan , London , 1991 , p. 267.

٣- عدم كفاية الأرض ، وذكرت البعثة أن المعازل غير كافية للسكان الوطنيين ، إذ تشغل المعازل فعليا حوالي ٨% من إجمالي مساحة الاتحاد (على عكس ما روجت له الحكومة من أن قانون الأرض يخصص ١٣% من مساحة الاتحاد للمعازل الأفريقية) ، ووصلت الكثافة بها إلى ٥٢,٣ نسمة / ميل مربع عام ١٩١١ مقارنة بكثافة عامة في الاتحاد قدرها ١٢,٦ نسمة / ميل مربع .

٤- الضريبة .

٥- الديون [١].

وإجمالا فإن مناطق إقامة الأفارقة بالحضر تركزت علي حواف المناطق الحضرية الكبرى بجنوب أفريقيا ، مثل جوهانسبرج و ديربان وبورت إليزابيث وكيب تاون وغيرها ، وتميزت تلك المناطق بأن الإقامة بها أخذت تتحدد وفق التركيب العرقي أكثر من محدد مستوى الدخل [٢] ، وأصبحت الحياة الحضرية في ظل تزايد حدة التفرقة وتحكمات المرور وتقييدات المشاركة في الصناعة معركة يومية تحايل الأفارقة علي صعوبتها من خلال وسائل ترفيه عديدة مثل حفلات الرقص والموسيقى وأحاديث السمر [٣] ، وأخذت ظاهرة تكوين الضواحي الأفريقية townshipsفي التنامي منذ منتصف العشرينيات و أوائل الثلاثينيات ، وأطلق علي تلك الضواحي لفظا عنصريا هو البقع السوداء black spots ليشيع استخدامه علي المناطق التي يقطنها الأفريقيون ، سواء أكانت تلك المناطق داخل أراضي البيض أم ملاصقة لمزارع البيض أم المدن التي يقيمون بها ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أول ضاحية تخصص لإقامة العمال الأفارقة هي ضاحية بيمفيل Bimville بجوهانسبرج التي أقيمت في اعقاب الثورة التعدينية في ستينيات القرن التاسع عشر [٤] .

1- Jones , J. D. Rheinallt, Social and Economic Condition of the Urban Native (in : Schapera , I. (editor) , Western Civilization and the Natives of South Africa , Studies in Culture Contact) , Humanities Press , New York , 1967 , P. 168.
2- Boaden, B. G., The Urban Housing Problem in an Apartheid Economy , African Affairs , Vol.77 , No.309 (oct.1978) , p.499 .
3- Beinart , William , Social Change in the Transvaal , The Journal of African History , Vol.25 ,(1984) , No.2 , p. 236 .
4- Hellmann , Ellen , The Natives in Towns , (in : Schapera , I. , (editor) , The Bantu-Speaking Tribes of South Africa : An Ethnographical Survey , Routledge and Kegan Paul Ltd. , London , 1959 , p. 410

واهتمت السلطات الحكومية في مراحل مبكرة بتحديد أوضاع الضواحي الأفريقية ، ففي عام ١٩٠٢ مثلا صدر قانون المواقع (الحضرية) الوطنية المعزولة The Native Reserve (Urban) Locations Act ، وكان هذا القانون قد صدر لمعالجة مشاكل منطقة يوتفلجت Uitvlugt في مدينة بورت إليزابيث من وجهة نظر السلطات الحكومية ، لكنه قيد في مواده تحركات الأفارقة المقيمين فيها وملكيتهم الخاصة داخلها وحرمانهم من الحقوق التصويتية (١) .

ومن أبرز الضواحي الأفريقية الضاحية الوطنية الشرقية Eastern Native Township التي تأسست عام ١٩٢٦ بالقرب من جوهانسبرج ، وبلغ عدد سكانها آنذاك ٣,٩٦٨ نسمة ، وضاحية أورلاندو Orlando والتي تأسست عام ١٩٣٠ وبلغ عدد سكانها (عام ١٩٣٠) ٦٥,٥٩٣ نسمة (٢) ، وضاحية كلير مونت Clermont بديربان – وصل عدد سكانها في سبعينيات القرن العشرين إلى قرابة ٥٠ ألف أفريقي – والتي ارتبط سكانها بالصناعات القائمة في باينتون Pinetown ، وهي الضاحية الصناعية لديربان (٣) .

وأحياناً كان يتم دمج أكثر من ضاحية في ضاحية واحدة ، كما حدث بالنسبة لضاحيتي صوفيا تاون ونيوكلير إذ تم دمجهما سوياً في عام ١٩١٩ لتحمل اسم الضاحية الوطنية الغربية Western Native Township والتي كان إجمالي سكانها في عام ١٩٢١ نحو ٣٠٠ أفريقي فقط ، إلا أن الترحيلات التي تمت للأفارقة من قلب جوهانسبرج خلال العشرينيات والثلاثينيات رفعت هذا الرقم إلى ٤٠ ألف أفريقي في منتصف الثلاثينيات (٤) .

1- Kirk , Joyce F. , Making a Voice : African Resistance to Segregation in South Africa , Westview Press , Boulder , 1998 , www.questia.com , p. 209.
2- Frescura , Franco , The Spatial Geography of Urban Apartheid , op. cit., p.111.
3- Fagan , G. Honor , Munc , Ronald and Nadasen , Kathy , Gender , Culture and Development : A South African Experience , The Journal of Development Research , Vol.8 , No.2, (Dec.1996) , p.98.
4- Goodhew , David , Working-Class Respectability, op. cit.,pp.243-244.

وقد ارتبط تكوين الضواحي الأفريقية أحيانا بصعوبة إسكان العمال الأفارقة داخل المدن ، لكن العامل الأكبر في هذا الصدد كان رغبة السلطات البلدية في المدن في توفير مساحات لمواجهة الاحتياجات العمرانية المتزايدة للمدن ، فعلى سبيل المثال فإن منطقة وسط كيب تاون في فترة الثلاثينيات (وخاصة قبيل قيام الحرب العالمية الثانية) أصبحت غير قادرة علي استيعاب المزيد من الأنشطة الاقتصادية ، وفي نفس الوقت لم يكن ممكناً التخلي عن المعالم المميزة لها (مثل الحدائق ذات القيمة التاريخية) ، وبالتالى فإن الحل تمثل في التوسع علي حساب الضواحي الأفريقية القديمة التي كانت علي حواف كيب تاون وترحيل سكانها الأفارقة إلى مناطق جديدة أكثر بعداً عن وسط المدينة(١) ، وإثر نمو عدد من المستوطنات العشوائية على حواف كيب تاون تم التفكير في إنشاء المقاطعة السادسة District Six في أوائل الأربعينيات نتيجة للحاجة لتوسيع الميناء وتزايد الحاجة للعمالة الأفريقية في أعمال الميناء لتزايد عدد السفن المارة بالميناء خلال الحرب العالمية الثانية ، أي أن تكوين الضواحي الأفريقية كان مرتبطا بتفكيك الضواحي القديمة واستغلالها لصالح الحركة العمرانية " البيضاء " من جهة ، ومن جهة أخرى كان مرتبطا بالحاجة للعمالة الأفريقية في ظروف عمل قد تكون مؤقتة (٢)

وتصف إحدى الأفريقيات ، وتسمى ماريا (ولدت خلال حرب البوير وتم ترحيلها من سكنها في منتصف الخمسينيات) ، القسوة التي كانت تتم بها عملية الترحيل : *عندما جاءوا إلينا ليرحلونا جاءوا بالبنادق البنادق (مكررة في رواية ماريا) والشرطة وبكل الأشياء ولم يعد أمامنا أي خيار إذ قاموا بإلقاء حاجياتنا وكسروها ، وعندما جئنا هنا (منطقة الترحيل) فإنهم ألقوا بحاجياتنا ... ما الذي نستطيع أن نفعله ؟ هل نستطيع أن نفعل شيئاً ؟ لا نستطيع أن نفعل شيئاً ، ما الذي نستطيع أن نفعله !! ثم جاءوا بنا إلى هذا المكان الكئيب ، وهو لا يصلح أن يعيش فيه إنسان ، فالأرض مثل الصخر ... لا يوجد في هذا المكان سوى الموت ، فحتي الحيوانات لا تريد هذا*

1- Davies , D. Hywel , Land Use in Central Cape Town : A Study in Urban Geography , Longmans Southern Africa Ltd. , Cape Town , 1965 , p. 9.
2- Marks , Rafael and Bezzoli , Marco , The Urbanism of District Six , cape Town , (in : Anderson , David M. and Rathbone , Richard (eds.) , Africa's Urban past ,op. cit., p. 270.

المكان ، فقد ماتت هي أيضاً (كان زوجها قد توفي إثر قرار الترحيل) ... ففي هذا المكان يستيقظ الطفل صباحاً ويجلس ثم يجلس وينظر وفي الغد يموت [١] .

وقد أسهمت هذه الضواحي في تزايد معدلات الجريمة في جنوب أفريقيا بصورة ملفتة ، إذ أن مدينة مثل كيب تاون سجلت أعلى معدل للجريمة مقارنة بمعدلات الجريمة في مدن أوروبا والولايات المتحدة ، وبلغت نسبة المسجونين إلى السكان في جنوب أفريقيا ضعف النسبة المناظرة في الولايات المتحدة (خلال الخمسينيات) ، وتعود هذه المعدلات المرتفعة إلى الأوضاع المعيشية السيئة في هذه الضواحي والاضطرابات الاقتصادية والاجتماعية التي سببتها التفرقة العنصرية للأفارقة في المناطق الحضرية ، علي حين أن معدلات الجريمة بين الأفارقة في المناطق الريفية لم تكن تقارن بنفس المعدلات في المناطق الحضرية[٢] ، خاصة مع ظهور عصابات مسلحة في هذه المناطق مثل عصابات التسوتسي Tsotsi ، والما-راشي Ma-Rashea التي تركزت كل منهما في ويتووترزراند ، وكانت مكونة أساسا من العمالة الأفريقية الوافدة من خارج اتحاد جنوب أفريقيا [٣] ، لدرجة أن الشرطة لم تكن تدخل هذه الضواحي بعد حلول الظلام ، واضطرت الحكومة إلى الإبقاء علي نظام رجال الشرطة السود للتدخل في هذه المناطق [٤] .

ويوضح نورمان سكوتش Norman Scotch ذلك التباين بين مشكلات العمال الأفارقة في الريف عنها في الحضر في دراسة له (صدرت عام ١٩٦٠) عن العمال الزولو ، فهو يذكر أنه عندما سئل العمال المبحوثون في المناطق الريفية عن

1- Hallett , Robin , Desolation on the Veld , Forced Removals in South Africa , African Affairs , Vol. 83 , No. 332 (July , 1984) , pp. 312-313.
2- O'Meara , Patrick , South Africa : The Politics of change , Current History , (March , 1981) , Vol. 80 , No.463 , pp. 111-112 .
3- Freund , Bill , The Making of Contemporary Africa : The Development of African Society since 1800 , The Macmillan Press Ltd., London , 1984 , p. 266.
- Bank , Leslie J. , The Making of the Qwaqwa ' Mafia ' ? : Patronage and Protection in the Migrant Taxi Business , The Journal of Modern African Studies , Vol. 49 , No. 1 (1990) , p. 81.
4- Bartlett , Vernon , Struggle for Africa , Frederick A. Parger , New York , 1953 , p. 46.

المشاكل الأساسية التي تواجههم كانت الإجابة تتركز في مشكلتين اثنتين : الفقر والعمل المتنقل ، وفي المدينة لم تكن إجابة العمال عن نفس السؤال الفقر فقط بل الإهانة والذل في معاملة الأوروبيين للأفارقة ، ثم الاعتقالات وارتفاع معدل الجريمة والطلاق والتفريق بين الأزواج - إذ كانت مناجم الذهب مثلا تمنع التوفيق العائلي لأكثر من ٣% من قوة العمل الأفريقية - وإدمان الكحول والأمراض والمنافسة المفتوحة على عدد محدود من فرص العمل (١) .

1- Herskovits , Melville J. , The Human factor in Changing Africa ,op. cit., p. 277.
- Gilbert , Alen , Introduction , (in: Gilbert, Alen and Gugler , Josef , Cities , Poverty and development , op. cit., p.6

ودراسة سكوتش هي :

Scotch , Norman A. , A Preliminary Report on The relation of Socio-Cultural factors to Hypertension among the Zulu , Annals of New York Academy of sciences , Vol. 84 (1960) .

راجع عن مرض الإيدز في جنوب أفريقيا وأثر البيئة العمالية في انتشاره بصورة وبائية والآثار الاجتماعية والسياسية الناجمة عنه :

Cross, Sholt and Whiteside , Alan (eds.) , Facing Up to AIDS : The Socio-economic Impact in Southern Africa , The Macmillan Press Ltd., London , 1993

وخاصة الجزء الثالث منه ويحمل عنوان

Economic Assessment for South Africa , pp. 135-214

وترى كل من كاثرين كامبل و بريان وليامز أن صعوبة الحد من انتشار مرض الإيدز في جنوب أفريقيا ترجع إلى عدة أسباب ، أهمها التدني الشديد في مستويات الفقر والبطالة والعنف، وكانت حالة الفقر بالنسبة للعمال أو النساء اللاتي قدمن للتجمعات العمالية قد جعلت الاهتمام بالحالة الصحية لهم أمراً صعباً ، وهو الأمر الذي لازم العمالة الأفريقية في المناجم منذ بدء العمل فيها

Campbell , Catherine and Williams , Brian , Briefing : Riding the Tiger Contextualizing HIV Prevention in South Africa , African Affairs , Vol. No.398 , (January, 2001) , pp. 137-138

وثمة عامل آخر في هذا السياق وهو انتشار ممارسة الشذوذ الجنسي في التجمعات السكنية العمالية بصورة خاصة ، راجع عن الدراسات التي تناولت هذه القضية :

Morell , Robert , Of Boys and Men :Masculinity and Gender in Southern African Studies ,The journal of Southern African Studies , Vol. 24 , No.4 , (December , 1998) , pp. 605-630.

وراجع أيضا عن تأثير البغاء على إنتشار الأمراض الجنسية بين عمال المناجم:

Luiz , John M. and Roets , Leon , On Prostitution , STDs and the law in South Africa : The State as Pimp , Journal of Contemporary African Studies , Vol. 18 , No.1 (January , 2000) , pp. 21-38

وانظر بصورة خاصة : pp. 28-30 وبها دراسة حالة في أحد مناجم الذهب في أورانج فري ستيت .

وشكلت البطالة مشكلة كبيرة في المناطق الحضرية خاصة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ، وكانت الشرطة تقوم بإلقاء القبض على العاطلين في المناطق الحضرية بصورة مستمرة ، وهو الأمر الذي ضاعف من المشكلات الأمنية في التجمعات السكنية الأفريقية (١).

ومن خلال مقارنة الأرقام الخاصة بتحضر سكان جنوب أفريقيا في الفترة ما بين عامي ١٩٠٤- ١٩٣٦ ، ويتضح من خلالها أن عدد سكان الحضر من غير الأوروبيين (ويمثل الأفارقة من بينهم الغالبية الكبرى) قد وصل عام ١٩٣٦ إلى ثلاثة ملايين نسمة ، مقابل مليون وسبعمائة ألف أوروبي في نفس العام ، مع ملاحظة أن هده النسبة تكاد تكون ثابتة في الفترة التي يرصدها الجدول السابق ، مع فارق أن الزيادة العددية للسكان الحضر بين غير الأوروبيين تتجاوز بشدة النسبة بين تحضر كل الأوروبيين وغير الأوروبيين ، فقد زاد السكان الحضر من غير الأوروبيين في الفترة ١٩٠٤-١٩٣٦ بنحو مليوني نسمة ، بينما تزايد السكان الحضر الأوروبيين (أخذاً في الإعتبار محددات الزيادة غير الطبيعية مثل الهجرة من أوروبا) بنحو سبعمائة ألف نسمة في نفس الفترة (٢)، واعتبرت عملية التحضر بالنسبة للأفريكانري تحررا من القيم التقليدية التي يعتنقها ، خاصة فيما يتعلق بقيم الأسرة ، وكان التغير الناجم عن التحضر محدوداً في هذه الناحية ، أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الأوروبيين وغير الأوروبيين فلم تزدد الأمور إلا سوءاً ، فمثلا رأت الطبقة العاملة البيضاء أن التفرقة العرقية هي في صالحها ، وأن منح العمالة الأفريقية أية حقوق يعني مباشرة الاعتداء على حقوق العمال البيض (٣).

1- Stadler , A. W. , Birds in Cornfields : Squatter Movements in Johannesburg , 1944-47 , (in : Belinda , Bozzoli (editor) , Labour , Townships and Protest : Studies in the Social History of the Witwatersrand , Ravan Press ,Johannesburg , 1979 , p.23.

2- انظر الجدول ص ٣٨ .

3- Petryszak , Nicholas , The Dynamics of Acquiescence in South Africa , African Affairs , Vol. 75 , No. 301 , (Oct. 1976) , pp. 447 - 448

وبدخول جنوب أفريقيا الحرب العالمية الثانية بجوار الحلفاء وترافق ذلك مع تأثيرات عمليتي التعدين والتصنيع ، أدى كل ذلك إلى تحول سياسات جنوب أفريقيا - وبصفة خاصة ومؤقتة تجاه الأفارقة - مع إنفراد سمتس Smuts الذي يمثل نخبة متحدثي الإنجليزية بالسلطة وإقصاء هيرتزوج الذي يمثل النخبة الأفريكانرية (١) .

وزاد عدد العمال الأفارقة في عملية التصنيع ليصل إلى نحو ٥٧% من إجمالي القوي العاملة في الاتحاد ، وهو الأمر الذي أدى إلى تبلور نشوء بروليتاريا أفريقية كبيرة العدد ، ومستقرة في المدن " الأوروبية " ومناطق النمو الاقتصادي ، وكانت هذه البروليتاريا تتسم بكونها ذات نمو ثابت وغير مندمجة في النظام الحاكم (٢) .

وحدثت خلال فترة الحرب ظاهرة ملفتة للغاية ، وهي زيادة نسبة عدد الأفارقة سكان الحضر عن نظرائهم من البيض (٣) ، فقد وصل عدد الأفارقة في الحضر وفق إحصاء عام ١٩٤٦ نحو ١,٧٩٤,٢١٢ أفريقي بنسبة ٢٤,٣% من إجمالي السكان الأفارقة بالاتحاد ، وهي النسبة التي كانت في عام ١٩١١ ١٣% ، وهو ما يعني تضاعف نسبة السكان الأفارقة بالحضر خلال ٤٥عاما ، مع ملاحظة أن نسبة السكان الأوروبيين بالحضر بلغت عام ١٩٤٦ ٧٥,٦ % في حين كانت تلك النسبة عام ١٩١١ قد بلغت ٥٣% فقط ، وهو ما يعني زيادة تلك النسبة بنحو ٤٢,٦% خلال نفس الفترة (٤) .

وكانت هذه الزيادة في الهجرة الأفريقية إلى المناطق الحضرية مدفوعة بالضغط المتواصل علي العمال الأفارقة في المزارع الأوروبية ، وإن ظلت عملية التحضر خلال فترة الأربعينيات تتسم بكونها غير مستقرة مما شكل مشكلة كبيرة أمام الحكومة خاصة في ضوء تنامي الوعي العمالي وسط العمال الأفارقة من

---

1. Iliffe , John , Africans : The History of Continent , op. cit., p.277.
2. Good , Kenneth , Settler Colonialism : Economic Development and Class Formation , The Journal of Modern African Studies , Vol. 14 , No.4 ,(1976) , pp. 608-609 .
3. Rhoodie , N. J. and Venter , H. J. , What Is Apartheid ? , op. cit , p.17 .
4. Freund , Bill , The Making of Contemporary Africa ,op. cit., p.187.

- Hellmann , Ellen , Urban Areas , op. cit., p.239.

جدول رقم (٤)

سكان الحضر من الناحية العرقية (١٩٤٦-١٩٧٠)

(بالألف نسمة)

العام	العرق	الأفارقة	البيض	الملونون	الآسيويون
١٩٤٦	إجمالي	١,٩٠٢	١,٧٩٣	٥٨٠	٢٠٨
	% من سكان الحضر	٤٢,٤	٤٠,٠٠	١٢,٩	٤,٦
١٩٦٠	إجمالي	٣,٧٤١	٢,٥٨٢	١,٠٣١	٣٧٩
	% من سكان الحضر	٤٦,٤	٣٤,٥	١٣,٨	٥,٣
١٩٧٠	إجمالي	٤,٩٨٩	٣,٢٥٨	١,٤٩٤	٥٣٩
	% من سكان الحضر	٤٨,٥	٣١,٧	١٤,٥	٥,٢

المصدر :

- Rogerson , Christian . Myles and Pirie , Gordon Harvey : Apartheid , Urbanization , and Regional Planning in South Africa (in : Obudho , R.A and El-Shakhs , Salah (ed.) : Development of Urban Systems in Africa) , Praeger Publishers , New York , 1979 , p. 330.

الوافدين أو من داخل جنوب أفريقيا (بما فيها المعازل) مع تزايد انتشار الأفكار الشيوعية بينهم [١].

ويرجع تزايد عدد الأفارقة في المناطق الحضرية بصورة ملحوظة منذ أوائل الأربعينيات إلى اتباع حكومة الاتحاد لسياسات متعددة بهدف زيادة سيطرة قبضة الدولة على المعازل ، لكن جهود هدا التدخل المتزايد من قبل المسئولين في الحياة اليومية للفلاحين باسم المحافظة على البيئة والتنمية الاقتصادية أدى إلى تفاقم المشكلات المختلفة في المعازل [٢] ، ودفع مزيدا من الأفارقة إلى مزارع الأوروبيين والمناطق الحضرية ، وهو ما يشير إليه فيليب سميث من أن عملية تحضر الأفارقة في جنوب أفريقيا " البيضاء " كان عقبة أمام التحضر في المعازل [٣].

1- Lester , Alan and Others , South Africa , Past , Present and Future : Gold at the End of the Rainbow ? , Longman , 2000 , p.104.
- Cobley , Alan Gregor , Class and Consciousness , The Black Petty Bourgeosie in South Africa , 1924 to 1950 , Greenwood Press , new York , 1990 , www.questia.com , p. 17.

2- Redding , Sean , Government Wichcrat : Taxation , The Supernatural , and the Revolt in the Transkei , South Africa , 1955-1963 , African Affairs , Vol. 95 , No. 381 (October,1996) , p.562 .

راجع في تأثير السياسات الحكومية الجنوب أفريقية علي بيئة المعازل بصفة خاصة فصلا بعنوان : Apartheid : Istitutionalised Bankruptey، وهو يتناول نظام الأبارتهيد في جنوب أفريقيا ، وكيفية إسهامه في إفقار وتدمير البيئة في المعازل الأفريقية ، من خلال رؤية تاريخية منذ الخمسينيات مع التركيز علي فترة الثمانينيات :

- Timbelake , Lioyd , Africa in Crisis : The Causes , the Cures of Enviromental Bankruptey , An Earthsean Paperback , London , 1985 , p-p. 173-184.

3- Smith , Philip , The Process of Black Urbanisation , (in : Giliomee , Hermann and Schlemmer , Lawrence (eds.) , Up Against the Fences : Poverty , Passes and Privilege in South Africa) , St. Martin's Press , New York , 1985 , p.114 .

معدل النمو السكاني سنويا (%) (١٩٣٦-١٩٧٠)
لكل جماعة عرقية

الجماعة العرقية	١٩٣٦-١٩٤٦	١٩٤٦-١٩٥١	١٩٥١-١٩٦٠	١٩٦٠-١٩٧٠
البيض*	١,٧٠	٢,١٨	١,٦٦	٢,١٤
الهنود	٣,٣١	٣,٥٩	٢,٩٤	٢,٦٠
الملونون	٢,٢٧	٢,٦٨	٣,١٣	٣,٠١
الأفارقة	١,٨٧	٢,١٨	٢,٣٩	٢,٥٩
الجميع	١,٩٢	٢,٢٨	٢,٣٣	٢,٥٩

*يرجع التباين الواضح في معدل الزيادة السكانية السنوية للبيض لعامل الهجرة

– المصدر:

- J. L. Sedie , Population and Economic Development in South Africa , South African Journal of Economics , Vol. 39 , No.3. (Sep. 1971) , p. 206 .

وكان بروز عملية تحضر الأفارقة قد لاقى قلقاً مبكراً من قبل المسئولين الحكوميين ، ويمكن تلمس ذلك فيما ذكره تقرير بعثة الشئون الوطنية الجنوب أفريقية South African Native Affairs Commission لعام ١٩٣٩-١٩٤٠ ، من أنه :" *يمكن أن توجد أمة بانتوية في جنوب أفريقيا ، ويمكن لكل فرد من هذه الأمة أن يفخر بكونه جنوب أفريقي ، وحتى يتكون هذا الفخر فإن سياستنا (الهادفة إلى تحقيق ذلك) ستوضع محل سوء فهم ، والفكرة النموذجية هنا بصدد إعادة تكوين عالم البانتو هي أنه يجب أن يتنور enlightened بديننا وعقائدنا وأن يسترشد بخبرتنا الاقتصادية ، سواء أكان ذلك العالم يعيش ويعمل في مناطق أوروبية أم منفصلاً عن الأوروبيين كما في معازل الوطنيين ، ولتحقيق تلك الفكرة فإن البرلمان أيقن أنه بتحقيق تلك السياسة (التفرقة التامة بين " البانتو" والأوروبيين ") فإنها – في حد ذاتها – تعتبر نشأة فلسفة حكم جديدة في العالم ، وساد اعتقاد بأن فعل ذلك له تبرير ؛ لأنه لم يكن هناك مطلقاً وضع مشابه لهذا التطور في جنوب أفريقيا نتيجة لتجاور المتحضر وغير المتحضر ، واعتبر البرلمان تلك السياسة الوطنية محل اتفاق بعد الدراسة المتأنية وكنتيجة لسنوات الخبرة " (١)* .

وقد اتسق ما ذكره التقرير مع ما أخذت النخبةُ الأفريكانرية في تطويره في ذات الفترة من نظرية التفرقة الحقيقية ، وهو التأكيد على أن كل جماعة عرقية في جنوب أفريقيا لها – بالفعل – هويتها وثقافتها الخاصة ، وأنه يجب على كل جماعة أن " تتطور وفق مساراتها في مكانها الخاص " ، ولا يجب لأحد أن يوجه مطالب للحكومة بالمساواة الاجتماعية أو الإقتصادية (٢) ، أما ما ذكر عن " التنوير " في التقرير السابق فالمقصود به ضرورة فهم الأفارقة لما يفرضه هذا التنوير من إلتزامات مفروضة عليهم تجاه الجماعة البيضاء .

1- Legassick , Martin , Race , Industrialization and Social Change in South Africa : The Case of R.F.A. Hoernle , African Affairs , Vol.75 , No.229 (April, 1976) , p-p. 235-236.
2- Curtin , Philip , African History , op. cit., p.564.

وعلى الرغم من أن الظروف القائمة في جنوب أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية كانت تشير إلى تقويض أساس إيديولوجية التفرقة ، وتزايدت في ذلك الوقت مطالبات أصحاب رؤوس الأموال – خاصة المستثمرين الأنجلو – أمريكيين – بتهدئة نظام التفرقة بصفة عامة والحضرية منها على وجه الخصوص باعتبار أن التفرقة السالفة تعتبر أداة قوية لتحجيم التطور الرأسمالي واقعياً" (١) ، خاصة أن سياسة المعازل قد ثبت فشلها نظراً لعجز الحكومة عن تدبير الموارد الهائلة المطلوبة لتنمية تلك المعازل ، كما أن الصناعات التي يسيطر عليها البيض لم يكن بمقدورها الاستغناء عن العمالة الأفريقية (٢) ، على الرغم من ذلك فإن نمو القومية الأفريكانرية وتمكن قياداتها من إبراز حنكة سياسية ، واستغلال لظروف الحرب العالمية الثانية وما أعقبها لصالح هذه القيادات ومن تمثلهم – كان كل ذلك مساهما في تزايد الضغوط علي أفارقة الحضر .

وصدر في عام ١٩٤٥ قانون دمج وطني" المناطق الحضرية للوطنيين رقم ٢٥ Natives (Urban Areas) Consolidation Act No.25. وهوالقانون الذي أصبح يحكم إدارة الوطنيين في المناطق الحضرية ،وأعطى القانون السلطة المحلية سلطة توفير و مد مساحات من الأراضي لأغراض إقامة " الوطنيين " وللاحتياجات الضرورية الأخرى لهم ، وتكون تلك السلطة مرهونة بموافقة وزير الشئون الوطنية ، كما خول القانون للسلطات المحلية إنشاء مواقع locations أو " أي مساحة أخري من الأرض " (تعرف كقرية وطنية native village) ، يسمح للوطنيين أن يقيموا بها منازل أو أكواخ ، وفوض القانون لوزير الشئون الوطنية سلطة مطالبة السلطات المحلية بتوفير تدبير مناسب لاحتياجات الوطنيين الدين يعملون بصورة عادية في المناطق الحضرية ، وإذا فشلت السلطة المحلية في الوفاء بتلك الاحتياجات فإن الوزير يقوم بتنفيذ ذلك بنفسه ، وأن يستعيد أية نفقات تترتب على ذلك ، وأصبح لزاما علي كل سلطة محلية حضرية أن تعين موظفين لإدارة أي موقع أو قرية وطنية أو نزل وطنية native hostel داخل منطقتها ، ومنح وزير السلطة الوطنية سلطة تعيين محققين بالموقع (٣) .

1- Freund , Bill , The Making of Contemporary Africa , op. cit., p.189.
2- Shaw, T. M. , South Africa's Military Capability and the Future of Race Relations (in : Mazrui , Ali A. and Patel , Hasu H. (eds.) African World Affairs : The Next Thirty Years) , The Third Press , New York , 1973 , p.43.
3- Hellmann , Ellen , Urban Areas , op. cit., pp. 234-235.

كما شمل هذا القانون جوانب متعددة من الحياة الشخصية للأفارقة ، فقد كان على الأفريقي – وفقاً لمواد القانون – مثلاً أن يستصدر ترخيصاً من وزارة شئون الوطنيين بشراء بيرة محلية (بيرة الكافير) وأخذها إلى الضواحي الوطنية لأغراض خاصة ، وقد أصدرت الوزارة بالفعل شهادة ترخيص عمم استخدامها بين الأفارقة كان نصها : *إلى من يهمهم الأمر ، فإن هذه شهادة بأن هذا الوطني ٠٠٠٠٠ (اسم الشخص) برقم منزل ٠٠٠٠٠ بناحية ٠٠٠٠٠٠ لديه ترخيص بحيازة ما لا يزيد علي ستة جالونات من بيرة الكافير يوم الأحد ٢٠ نوفمبر ١٩٥٠ (وهي) خاصة باحتفال " عيد الرب " feast for the God ، وقد صدرت هذه الشهادة وفقاً لبنود القسم ٣٤ (٣) من قانون دمج وطنيّ المناطق الحضرية لعام ١٩٤٥ كما تم تعديله* (١).

وكانت سلسلة المحظورات التي فرضتها الحكومة علي تناول الأفارقة للكحوليات قد عرفت باسم نظام ديربان Durban System وهو عبارة عن محاولة من قبل السلطات المحلية للتحكم في عادات الشرب بين الأفارقة التي كانت مسئولة عن الإدمان والخروج علي النظام وخفض إنتاجية العمال والتسمم الأفسنتيني absinthism وارتفاع معدلات الجرائم بصورة غير مقبولة (٢).

وقد زاد من تفاقم سوء الأوضاع الصحية للأفارقة القاطنين في المناطق الحضرية تدني مستوى الخدمات الصحية وارتفاع تكلفتها في الوقت نفسه ، فعلى سبيل المثال كان الأفارقة يتوجهون أساساً إلى مستشفي جوهانسبرج غير الأوروبية Non-European Hospital of Johannesburg ، أما الخدمة الصحية المحلية داخل المناطق الأفريقية فلم يكن يرتادها إلا ما يقل عن ١ % من السكان بكثير (يورد إلين هيلمان إحصاء خاص بالضواحي الوطنية الغربية Western Native

1- Marks , Rafael , Liquor and the Urban African Family (in : Anderson , David M. and Ruthbone , Richard (eds.) , Africa's Urban Past) , op. cit , p.205.
2- Harvies ,Patrick , Historical Cocktails , The Journal of African History , Vol. 36 (1995) , p. 337.

– التسمم الأفسنتيني :حالة مرضية تنجم عن الافراط في تناول مادة الأفسنتين المستخرجة من عشبة معمرة تستعمل في صنع شراب كحولي وتستخدم طبيا للهضم والإدرار .

Townships في أواخر الخمسينيات أن عدد المنازل المملوكة للأفارقة بها كان ٢٣١٤ منزلا في حين أن عدد من يترددون على مركز الخدمة الصحية المحلية لم يكن سوى ١٢٥ أفريقي) نظرا لارتفاع تكلفة الخدمة الصحية ، وأن الأطباء لا يزورون الموقع السكني سوى مرتين في الأسبوع ، وهناك ممرضتان مقيمتان تقومان بالعلاجات الأولية ، ولم يكن ممكناً استدعاء الطبيب في حالة إصابة عاجلة أو مرض طارئ لأحد الأفارقة في غير أيام عمل هذا الطبيب ، ومن ثم كان اعتماد العمال الأفارقة على العلاج في المناطق " الأوروبية " بما يعنيه كل ذلك من مشاق مادية ونفسية (١) ، ووصل الأمر لدرجة مطالبة وزارة الصحة في تقرير لها صدر عام ١٩٤٠ عن لجنة برئاسة السير إدوارد ثورنتون E. Thoronton رئيس الهيئة المركزية للإسكان Central Housing Board بوقف تأسيس المزيد من المناطق الحضرية غير المسيطر عليها صحياً".

وخول القانون أيضاً للحاكم العام سلطة أنه " وقتما يري أنه من الملائم " ، من خلال الإعلان في الجازيت *Gazette* ، أن يعلن أنه بعد تاريخ date محدد فإن كل الوطنيين في المنطقة الحضرية أو في جزء معين منها ، سوف يقيمون في موقع أو قرية وطنية أو نزل مغاير (٢) ، وهو ما كان يعني في محصلته أن أفارقة الحضر معرضون للترحيل في أي وقت من مناطقهم التي استقروا بها ، وهو الأمر الدي تكرر بالفعل في ظل التوسع الحضري للأوروبيين وحاجة هذا التوسع لضم مناطق أفارقة الحضر بصورة متكررة (٣) .

ويمكن اعتبار قانون دمج وطني" المناطق الحضرية على أنه التعبير الأوضح عن سياسة إعادة التسكين relocation ، وهي السياسة التي تقوم الحكومة بمقتضاها بإعادة العمال الذين انتهت شروط حملهم لوثائق الإقامة في المناطق الحضرية إلى

1- Hellmann , Ellen , The Natives in Towns , op. cit., p. 428.
2- Mabin , Alan , Comprehensive Segregation : The Origins of the Group Areas Act and Its Planning Apparatuses , Journal of Southern African Studies ,Vol. 18 , No.2 ,(June , 1992) , p. 413.
3- Hellmann , Ellen , Urban Areas , op. cit., pp. 234-235.

المعازل ، ولم يكن يشترط أن تتم عودتهم إلى نفس المعازل التي جاءوا منها ، وهم متعرضون بصورة دائمة لخطر إعادة التسكين دون أي إنذار (١)

وكما يلاحظ ليو ماركورد L. Marquard فإن أفارقة المناطق الحضرية كانوا هم الأكثر شعوراً وإدراكاً للتمييز اللوني الاجتماعي الممارس ضد الأفارقة عموما (٢) ، خاصة أن ما يمكن تسميته بمدينة الأبارتهيد في جنوب أفريقيا قد شكلت حالة فريدة للتفرقة الاجتماعية الحضرية ، وأعتمدت تلك المدينة على فكرة اعتماد التفرقة العرقية أساسا لتكوين تركيب حضري يهدف إلى تقليل الاتصال المتبادل عرقيا لأدني حد ممكن ، وهو ما عكس أوضاعاً سوسيو- سياسية شديدة التطرف (٣) ، ولعل هذا الأمر يتضح في نموذج مدينة ديربان التي امتلأت بالخدم الأفارقة في منازل البيض ، لكن هؤلاء الخدم كانوا يصنفون في خانة ~~كونهم غير بشريين~~ *non-people* ، وأن التجاوز عن تواجدهم كان ناتجاً فقط عن خدماتهم للبيض ، لكن لم يكن لهم في المدينة أي حضور في الخدمات المتعددة بها واقتصرت حياتهم اليومية في تلك المدينة علي الخدمة في المنازل (٤).

1- De Wet , Chris , Moving Together , Drifting Apart : Betterment Planning and Villagisation in a South African Homeland , Witwatersrand University Press , Johannesburg , 1995 , p.18.

2- Marquard , Leo , The Peoples and Policies of South Africa , Oxford University Press , Cape Town , 1960 , p.126.

3- Pacione, Michael, Urban Geography : A Global Perspective , Routledge , London , 2001 , p-p. 451-452.

وراجع عن مدينة الأبارتهيد في جنوب أفريقيا ، وتأثير فترة الحكم العنصري على الوضع الحضري للمدن الجنوب أفريقية في الوقت الراهن ، راجع:

- Morris , Alan , Continuity or Rupture : The City Post - Apartheid (South Africa) , Social Research (Winter 1998) , www.findarticles.com .

وفي هذه الدراسة يتتبع آلان موريس القوانين التي فرضت علي الأفارقة بالمناطق الحضرية بشئ من الإيجاز ، ثم يركز على تناول تأثير تلك القوانين علي الأفارقة خاصة في فترة الثمانينيات من القرن العشرين ، ويتناول كذلك فترة التحول الديموقراطي في جنوب أفريقيا واستمرار المشاكل الحضرية الناتجة عن الفترة العنصرية بصورة واضحة .

4- Morse , Stanley J. , Living under Apartheid : Aspects of Urbanisation and social Change in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 21 , No. 4 , (1983) , p. 727.

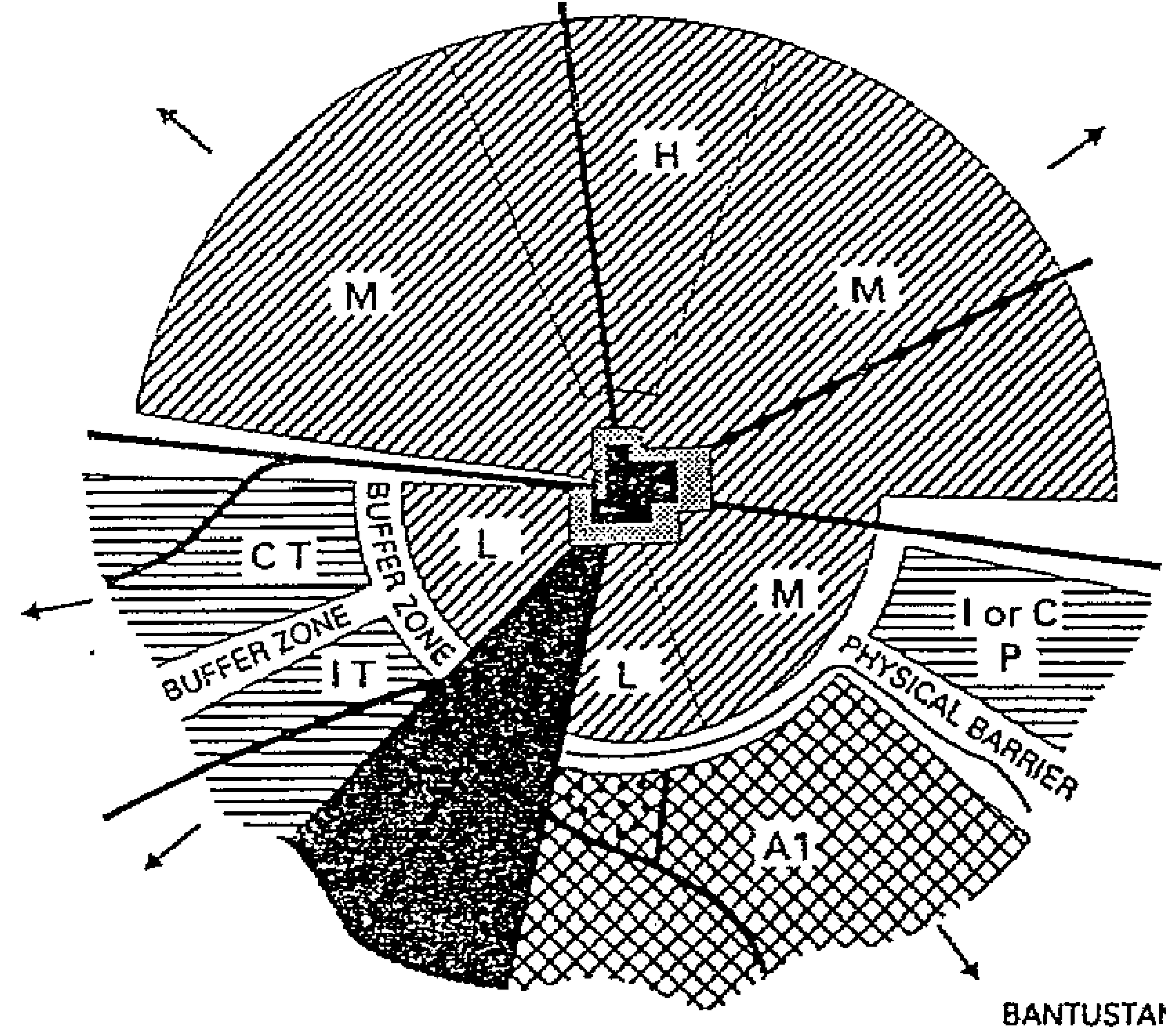
وتوضح المقارنة بين الشكلين المقابلين طبيعة التغيرات التي طرأت على مناطق الأفارقة بالحضر ، ففي الشكل (أ) الذي يمثل شكل المدينة الأوروبية (بورت إليزابيث تحديدا) في فترة ما قبل الأبارتهيد (الشاملة) ، تتوزع مناطق الأفارقة حول المدينة " الأوروبية " ، وتتجاور تلك المناطق مع مناطق البيض على اختلاف مستوي تلك المناطق ما بين منخفض ومتوسط ومرتفع ، وتتجاور كذلك مناطق الأفارقة مع مناطق الهنود والملونين ، أما في الشكل (ب) والذي يمثل المدينة " الأوروبية " في فترة الأبارتهيد فقد تركزت الضواحي الأفريقية في ركن واحد متجاور مع منطقتين مستوى الدخل بهما متوسط ومنخفض ، والجزء الأفريقي بعيد تماماً عن مناطق مستوى الدخل المرتفع ، وفي نفس الوقت يلاحظ وجود حاجز طبيعي يحيط معظم الجزء الأفريقي في اتصاله بالمدينة الأوروبية ، كما يلاحظ أيضا أن منطقة إقامة الأفارقة تتجه في معظمها تجاه أحد البانتوستانات .

وقد بلغ عدد السكان الأفارقة في الاتحاد عام ١٩٤٦ ٧,٨٣ مليون نسمة من إجمالي عدد سكان الاتحاد البالغ عددهم ١١,٤٢ مليون نسمة ، أي ما يشكل نسبة ٦٨,٦ % من الإجمالي ، بينما بلغ عدد السكان الأوروبيين ٢,٣٧ مليون نسمة بنسبة ٢٠,٨ % ، وبلغ الملونون ٠,٩٣ مليون نسمة بنسبة ٨,١ % ، والآسيويون ٠,١٣ مليون نسمة بنسبة ٢,٦ % (١) ، ويلاحظ أن نسبة السكان البيض من إجمالي سكان الاتحاد – وهي النسبة التي كانت تنخفض باستمرار ولكن بمعدل بطيء – أخذت في التدهور السريع بعد عام ١٩٤٥ نتيجة بدء هجرة مضادة في الاتحاد من جانب الأوروبيين ، ولتزايد معدلات نمو الأفارقة بصورة غير مسبوقة (٢) .

1- Kohler , J. A. and Taylor , J. K. , Africa and the Middle East , Edward Arnold , London , 1985 p.41.
2- Ibid.

وما يدعم ذلك هو ما يشير إليه إحصاء عام ١٩٨٠ من أن الأفارقة قد وصل عددهم إلى ٢٠,٦١ نسمة مقارنة بـ ٧,٨٣ مليون نسمة عام ١٩٤٦ و ٣,٤٩ مليون نسمة عام ١٩٠٤ ، أي أنه في الفترة ما بين عامي ١٩٤٦–١٩٨٠ تضاعف الأفارقة بمعدل ٢,٦٣ مرة خلال نحو ٤٥ عاما ، بينما كان هذا المعدل ٢,٢٤ خلال الفترة ١٩٠٤– ١٩٤٦

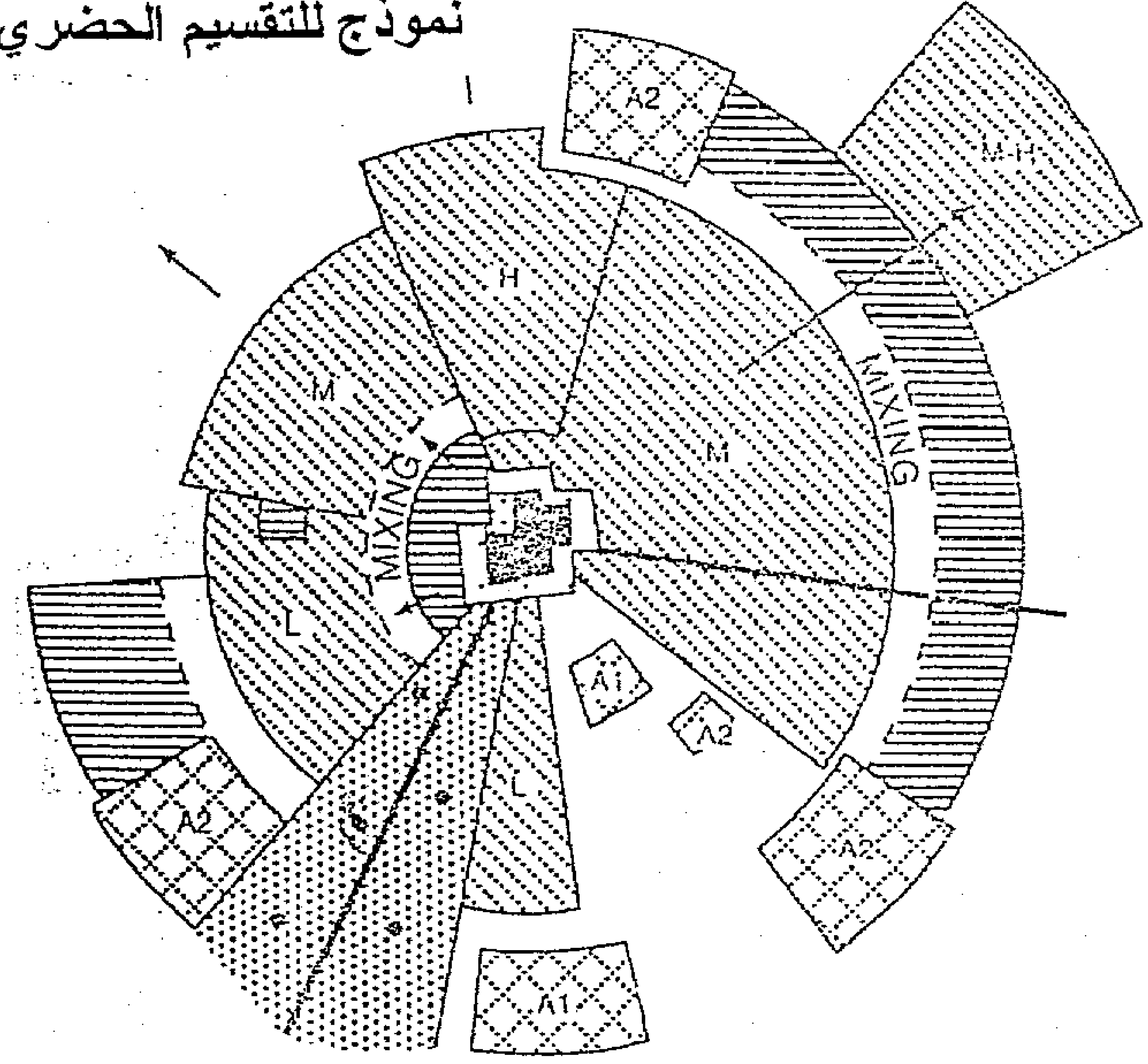
نموذج للتقسيم الحضري لمدينة بورت اليزابيث قبل تطبيق الأبارتهيد وبعده



الضواحي الأفريقية
منطقة الهنود و الملونون
منطقة الجماعة البيضاء

الوضع الاقتصادي
مرتفع H
متوسط M
منخفض L

ضاحية هندية I
نزل *
ضاحية ملونين C
ضواحي بلديات A1



بيض
هنود وملونين
أفارقة

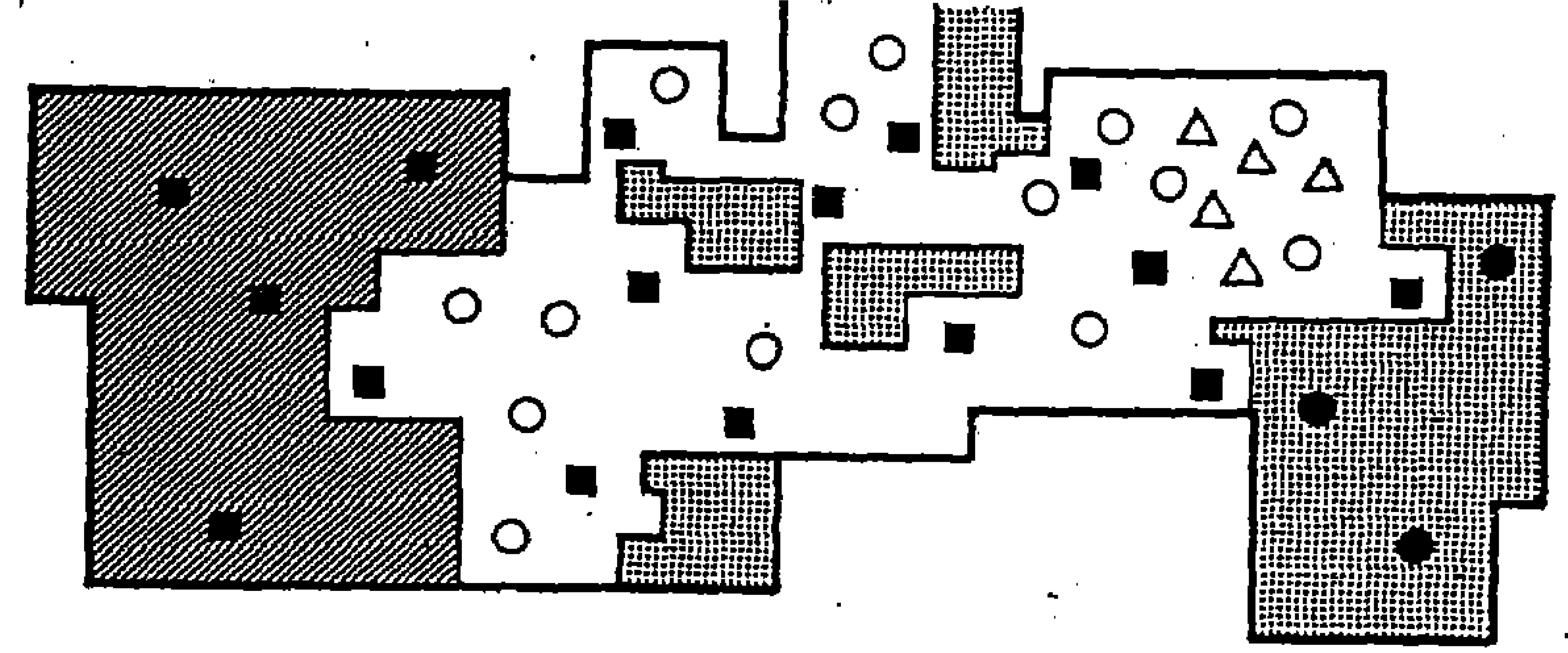
* تجمعات عمالية

الوضع الاقتصادي
مرتفع H
متوسط M
منخفض L

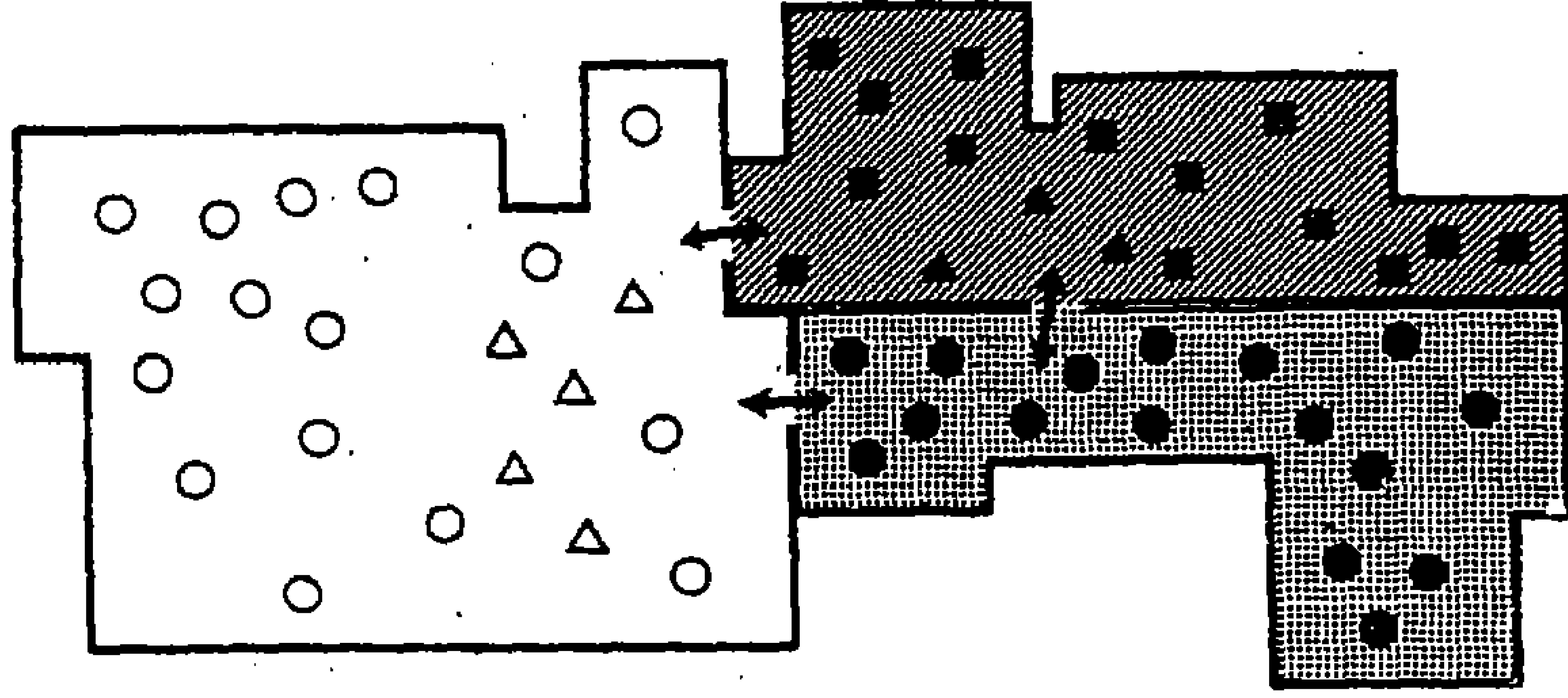
ضواحي بلديات A1
إسكان غير رسمي A2

Lester , Alan , From Colonization to democracy : A New Historical Geography of South Africa , Tauris Academic Studies , London , 1996 , p. 51.

نموذج للترتيب العرقي قبل تطبيق قانون المناطق المجمعة



نموذج للترتيب العرقي بعد تطبيق قانون المناطق المجمعة



■ محال الهنود
○ محال البيض
● محال السود
△ مصانع البيض
▲ مصانع الهنود
□ ضواحي البيض
▨ ضواحي الهنود
▦ ضواحي السود

Vatcher , William Henry , White Laager : The Rise of Afrikaner Nationalism , Frederick A. Praeger , New York , 1965 , p. 159.

وفي انتخابات عام ١٩٤٨ كانت تداعيات فترة الحرب العالمية الثانية قد وصلت لنهايتها فيما يخص تطلعات الأفارقة ، إذ تضافر المزارعون الذين أبدوا عدم رضاهم عن استمرار السيطرة على أسعار المنتجات الزراعية من قبل الدولة مع العمال البيض الذين خشوا المنافسة السوداء في سوق العمالة خاصة بعد الزيادة الملحوظة للعمالة الأفريقية بعد الحرب العالمية الثانية ، وصوت الطرفان لصالح الحزب الوطني ليفوز بالانتخابات [١] ، وليشكل هذا الفوز بداية مرحلة جديدة للأفارقة في مواجهة الإجراءات القمعية التي تقوم بها الدولة ، ولتتخذ تلك الإجراءات طابع الصرامة والقسوة بصورة غير معهودة ، وكان برنامج الحزب الوطني المتطهر يقوم على التفرقة المكانية بين الأوروبيين وغير الأوروبيين عموما ، ويشير البرنامج إلى تطبيق تلك التفرقة كلما كانت أمراً ممكناً في المناطق الصناعية [٢] ، وكان أول قانون أصدرته حكومة الحزب الوطني ليدعم التفرقة المكانية تجاه أفارقة الحضر ككل كان قانون المناطق المجمعة Group Areas Act عام ١٩٥٠ والذي وسع من مبدأ فصل مناطق إقامة الأعراق المختلفة خاصة في المدن علي أساس شمولي وإجباري [٣] ، وتم وفقاً لهذا القانون طرد عشرات الآلاف من مناطق إقامتهم في الضواحي الأفريقية ، والتي ضمت لنطاق المدن " الأوروبية " ، وعلى الرغم من ذلك فقد كان بقاء الملايين من الأفارقة بالمدن ضرورة اقتصادية بالرغم من إرادة الحكومة [٤] ، لذا فقد اقتصرت عمليات الطرد والترحيل علي ضواحي تشكل أهمية قصوى للبيض مثل المناطق الغربية Western Areas والتي تشمل ضواحي صوفيا تاون ومارتنديل Martindale ونيوكلير ، والتي يرى إدوارد فيت أن الرغبة في الاستيلاء علي تلك الضواحي كان أحد دوافع إصدار القانون السابق بملاحظته أن مسألة ترحيل الأفارقة من تلك الضواحي نوقشت على مستوى حكومة الحزب الوطني في عام ١٩٤٩ [٥].

1- Lundahl , Mats , Apartheid in Theory and Practice : An Economic Analysis , Westview Press , Boulder , 1992.p-p,168-169.
2- Yudin , Yu A. , South African New Constitution : The Instrument of Apartheid (in : Africa in Soviet Studies , Annual 1988) , Nauka Publishers , Moscow , 1989 , p. 55.
3- Worden , Nigel , The Making of Modern South Africa : Conquest , Segregation and Apartheid, Blackwell , Oxford , 1994 , p.96.
4- van den Berghe , Pierre L., Racial Segregation in South Africa : Degrees and Kinds (in : Adam , Heribert (ed.) : South Africa : Sociological Perspectives) , Oxford University Press , London , 1971 .
5- Feit , Edward , African Opposition in South Africa : The Failure of Passive Resistance , Stanford University Press , Stanford , 1967 , p.92.

جدول رقم (٦)

نسبة زيادة عدد سكان المناطق الحضرية لكل عرق

(١٩٥١ – ١٩٦١)

العام	إجمالي عدد السكان	البيض	الأفارقة	الملونون	الآسيويون
١٩٥١	١٢,٦٧١,٤٥٢	٢,٦٤١,٦٨٩	٨,٥٦٠,٠٨٣	١,١٠٣,٠١٦	٣٦٦,٦٦٤
١٩٦٠	١٥,٨٤١,١٢٨	٣,٠٦٧,٦٣٨	١٠,٨٠٧,٨٠٩	١,٤٨٨,٢٦٧	٤٧٧,٤١٤
معدل الزيادة (١٩٥١–١٩٦٠)	%٢٥	%١٦	%٢٦	%٣٥	%٣٠
نسبة السكان في الحضر (لكل عرق) عام ١٩٥١	%٤٢	%٧٦	%٢٧	%٦٢	%٧٧
نسبة السكان في الحضر (لكل عرق) عام ١٩٦٠	%٤٤	%٨٠	%٣٠	%٦٣	%٨٠

وقد تزامن مع اشتداد عمليات ترحيل الأفارقة طوال عقد الخمسينيات من القرن العشرين صدور مجموعة قوانين تتسق مع فكر حكومة الحزب الوطني بصدد التعامل مع الأفارقة ، وكان من هذه القوانين قانون سلطات البانتو ١٩٥١ The Bantu Authorities Act، والذي كون هرماً من المجالس القبلية الصرفة في المعازل الأفريقية تقوم الحكومة بتعيين أعضائها مع وجود بعض ا لمناصب بالانتخاب .

ويري كوزماس ديزموند أن هذا القانون يمثل الفصل النهائي لكل الأفارقة من المؤسسات والعمليات السياسية " البيضاء " بالبلاد [1] ، وقانون تعديل القوانين الوطنية لعام ١٩٥٢ The Natives Laws Amendment Act ، والذي مد نظام السيطرة على تدفق الأفارقة ليشمل النساء ، وهو ما سيؤدي بدوره إلى تزايد المشكلات الاجتماعية داخل المناطق الحضرية الأفريقية خاصة مع منع النساء من اللحاق بأزواجهن في تلك المناطق إلا في حالة حصولهن على عمل هناك ، وشكل مكتب للعمل في المعازل للتحكم في تحرك الباحثين عن عمل [2] .

وتم فرض قانون The Reservation of Separate Amenities Act عام ١٩٥٣ ، وهو القانون الذي فرض بشكل حاسم تفرقة اجتماعية في الهيئات العامة مثل وسائل المواصلات ودور السينما والمطاعم والمنشآت الرياضية ...إلخ [3] ، وشهد نفس العام صدور قانون تعديل القانون الجنائي Criminal Law Amendment Act الذي فرض عقوبات ثقيلة على أي حالات للعصيان المدني [4] .

1- Desmond , Cosmas , The Discarded People : An Account of African Resettlement in South Africa , Penguin Books , Middlesex , 1971, p.24.
2- Ibid.
3- Worden , Nigel , The Making of Modern South Africa , op. cit., p.96.
4- Ibid, p.97.

وفـي عـام ١٩٥٤ صـدر قـانون تعـديل قـانون وطنـي" المنـاطق الحـضرية Natives (Urban Areas) Amendment Act الـذي قـدم ترخيـصاً مباشـراً للأفريقي لأن يدخل في المنطقة التي كان يقيم بها لدي نفـس صـاحب العمـل فـي خـلال اثني عشر شهراً مرة أخرى ، وخول القانون السلطات المحليـة حـق إصـدار تـراخيص تحدد نوع العمل الذي يمكن للأفريقي (أي شخص مـا) القيـام بـه ، وفـرض القـانون قيوداً علي الوطنيين " الأجانب " (١) ، ووفقاً للمادة العاشرة مـن القـانون فقـد تـم مـنح حق الإقامة بالمدن للأفارقة الذين ولدوا بتلك المـدن أو الـذين عملـوا بهـا مـدة خمـسة عشر عاما ، أو عشرة أعوام لدى صاحب عمل واحد ، وغيـر أولئـك أصـبح مـصرحاً لهم بالبقاء مدة ثلاثة أيام فقط (٢) .

وقد أظهر هذا القانون أن فكرة التفرقة التامـة ، والتطلـع لاسـتبعاد الأفارقـة مـن عملية التطور الذي تمر به جنوب أفريقيا في الوقـت الـذي يـشارك فيـه الأفارقـة بقـوة في هذه العملية ، هي فكرة غيـر واقعيـة (٣) ، كمـا أنـه شـكل تحـولاً فـي الـسياسة الحضرية الأفريقية لحكومة الحزب الوطني نحو نهـج أكثـر واقعيـة بـدلاً مـن التفرقـة الشاملة التي نادى بها أمثال إيـسلين Eiselen الـذي قـال بـضرورة تركيـز أي نـشاط اقتصادي أو عمالة أفريقيين في المعازل ، لكن الذي حـدد سياسـة الحكومـة فـي واقـع الأمر هو الاحتياجات المنتظمة لأصـحاب الأعمـال الـزراعيين وبالمنـاطق الحـضرية ، وهو ما يوضح بصورة إجمالية كيف أن تحكمـات المـرور فـي الخمـسينيات لـم تكـن تطبق بحسم قاطع (٤) .

1- What's Apartheid ? , op. cit.
2- Worden , Nigel , The Making of Modern South Africa , op. cit., p.98.
3- Rogerson , Christian .Myles and Pirie , Gordon Harvey , Apartheid , Urbanization , and Regional Planning in South Africa (in : Obudho , R.A and El-Shakhs , Salah (ed.) , Development of Urban Systems in Africa) , Praeger Publishers , New York , 1979 , p.331.
4- Worden , Nigel , The Making of Modern South Africa , op. cit., p.98.

وفي أواخر الخمسينيات بدت مؤشرات التحضر الأفريقي أكثر دلالة ورسوخا ، وسجل إحصاء عام ١٩٦٠ تضاعف عدد سكان الحضر الأفارقة نحو خمسة أمثال قياساً إلى إحصاء ١٩٢١ ، ففي الإحصاء الأخير كان عددهم قد وصل إلى ٦٥٨,٠٠٠نسمة في حين وصل في إحصاء ١٩٦٠ إلى ٣,٤٧١,٢٣٣ نسمة ، من بينهم ١,٠٤١,٣٩١ نسمة (٣٠%) تحت سن ١٥ عاماً ، و ١,٣٤٦,٩٤٣ نسمة (٣٩ %) تحت سن ٢٠ عاماً (١) .

وأصدرت الحكومة في عام ١٩٥٩ قانوناً جديداً لتنفيذ مرحلة متقدمة في سياسة الأبارتهيد وهو قانون تشجيع الحكم الذاتي للبانتو Promotion of Bantu Self-Government Act والذي سعى إلى زيادة سعة المعازل الأفريقية من السكان الأفارقة ، واعترفت الحكومة في هذا القانون بوجود ثماني " وحدات قومية " للبانتو، وتكون وفقا لهذا القانون مؤسسة تنمية البانتو Bantu Development Corporation لمساعدة البانتوفي تنمية الزراعة والتعدين والصناعة ، وقرر وفقا للقانون أن تكون في كل معزل كبير حكومة بانتوية يكون لها حق فرض الضرائب وتنفيذ الأشغال ، وربط الأفارقة في المناطق الحضرية بهذه السلطة من خلال ممثلين لها في هذه المناطق ، ويخول القانون رئيس الدول اتخاذ الترتيبات الضرورية لتحقيق أهداف هذا القانون ،وصدر ما عرف الإعلان رقم ٤٠٠ وتم تطبيقه بداية في بوندولاند Pondoland وهو يجرم كل التجمعات (اللقاءات) ويمنح المفوضين الوطنيين أو ضباط الشرطة سلطة إلقاء القبض دون ترخيص والاعتقال دون محاكمة (٢) ، وقد دعم هذا القانون من اندماج غالبية الزعامات القبلية الأفريقية في البناء السلطوي للنظام العنصري الحاكم ، لتشهد الفترة التالية في جنوب أفريقيا وبعد قيام الجمهورية مواجهة بين الأفارقة من جهة والحكومة العنصرية والسلطات القبلية الأفريقية من جهة ثانية ، لتتسم الثورات المندلعة في المعازل بأنها معادية للزعامة القبلية تماما كما هي معادية للنظام العنصري (٣) .

1- Hellmann , Ellen : Social Change Among Urban Africans (in : in : Adam , Heribert (ed.) : South Africa : Sociological Perspectives) , op. cit , p.158.
2- W.O. / 371/167549, What's Apartheid ?,
- Ward , w. E. F., Emergent Africa , George Allen and Unwin Ltd., London , 1971 , p. 193
3- Bustillo-Perez , Gamilo , ''The Right to Have Rights ' : Poverty , Ethnicity , Multicultural and State Power , (in : Wilson , Francis and Others (eds.) , Poverty Reduction : What Role for the State in Today's Globalized Economy ? , Zed Books , London , 2001 , pp. 86-87.

ومع عجز الحكومات المتعاقبة في اتحاد جنوب افريقيا في الحد من التوسع الحضري الأفريقي تزايد عدد العمال الأفارقة في المناطق الحضرية بصورة متسارعة للغاية ، ومن ثم عمدت تلك الحكومات – خاصة بعد تولي الحزب الوطني للسلطة عام ١٩٤٨ – إلى اتباع سياسة عمالية تمييزية ضد العمالة الأفريقية للحد من انتشار تلك العمالة وتقليص دورها في العملية الاقتصادية فقط دون تمكينها من انتهاج توجهات سياسية ، ونجحت هذه الحكومات في فرض مجموعة قوانين غير مسبوقة فيما يتعلق بتحركات العمالة الأفريقية أو حقوقها ، ولم تكن ثمة معارضة حقيقية للسياسات العنصرية للحزب الوطني المتطهر من قبل المعارضة البيضاء ، والتي وصلت ذروتها مع تطبيق مفهوم التنمية المنفصلة (١) ، فقد كانت نقطة الخلاف الوحيدة بين هذه المعارضة ونظام الحزب الوطني المتطهر هي مسألة تأييد المعارضة للصلة مع الكومنولث البريطاني على عكس توجه الحزب الوطني المتطهر (٢) .

كما يمكن إرجاع معظم السياسات الحكومية تجاه إعادة توطين الأفارقة وعمليات الترحيل الجماعي لهم إلى النمو السكاني للأفارقة ، ومع هذا التزايد في عدد العمال الأفارقة استمرت السلطات في سياسة تخصيص مناطق معينة لإقامة الأفارقة ، فقد تم – على سبيل المثال – تطبيق قانون دمج وطنيو المناطق الحضرية لعام ١٩٤٥ في مدينة مينتو Minto عاصمة مقاطعة نيوتن Newton في ناتال وتم تخصيص قرية وطنية بلدية The Municipal Native Village في المدينة للأفارقة وتتكون من ٦٠ كوخاً أسمنتياً بأحجام مختلفة و كل كوخ مكون من غرفتين إلى أربع غرف (٣) .

١- راجع بالتفصيل عن مفهوم التنمية المنفصلة ومدى واقعية تطبيقه

- Pakendorf , Harold , Can Separate Development Evolve ? , (in : Rothberg , Robert I. and Barratt , John (eds.) , Conflict and Compromise in South Africa) , Lexington Books , Lexington (U. S. A.) , 1980 , pp. 151-159.

2- Central Intelligence Agency ,National Intelligence Estimate : Probable Developments in the Union of South Africa , 20 Oct. 1952 , www.cia.foia.gov.com , p. 4 .

3- Loudon , J. B. , White Farmers and Black Labour Tenants : A Study of a Farming Community in the South African Province of Natal , Afrika Studiecentrum, Leiden , 1970 , pp. 24-25.

وعند مقارنة أرقام النمو السكاني للعناصر العرقية في اتحاد جنوب أفريقيا لعامي ١٩٥١ و ١٩٦٠ يتضح أن معدل زيادة السكان عموما كان ٢٥% بين العامين ، وكان هذا المعدل بالنسبة للبيض ١٦% مقارنة بـ ٢٦% للأفارقة و ٣٥ % للملونين و ٣٠% للآسيويين ، وكان عدد الأفارقة بالنسبة للبيض ٣,٢٤ ضعفا في عام ١٩٥١ ، وفي عام ١٩٦٠ كانت هذه النسبة ٣,٥٢ ضعفا في عام ١٩٦٠ ، وبعد أن كان الأفارقة يشكلون ٦٧,٦ % من إجمالي سكان الاتحاد عام ١٩٥١ أصبحوا يشكلون ٦٨,٢ % في عام ١٩٦٠ ، وذلك على الرغم من أن أرقام العرقيات غير الأفريقية كانت ترتبط بحركات هجرة واسعة علي عكس الأفارقة الذين كان النمو السكاني لديهم أمراً داخلياً بحتاً وفي ظل ظروف معيشية صعبة (١) .

1- Fair , T. J. D. and Shaffer , N. Manfred , Population and Policies in South Africa , 1951-1960 , Economic Geography , Vol. 40 , No. 3 (July , 1964) , p. 202.

الفصل الثاني
التنظيمات العمالية الأفريقية

أولاً – السياسة العمالية للنظام العنصري (١٩٣٩-١٩٥٠).
ثانياً – اتحاد عمال المناجم الأفارقة (١٩٤٢ – ١٩٤٦).
ثالثاً – المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات (١٩٥٥ – ١٩٦١) .

يتناول هذا الفصل السياسة العمالية للنظام العنصري منذ قيام الحرب العالمية الثانية ، وهو الحدث الذي أدى إلي إحداث تغيير في سياسة حكومة اتحاد جنوب أفريقيا تجاه الأفارقة عموماً وتجاه العمال الأفارقة والحركة العمالية الأفريقية بصفة خاصة ، وكان هذا التحول في البداية يميل إلى التهدئة وامتصاص غضب الأفارقة من عملية التهميش المستمرة والمتصاعدة لهم ، لذا عمدت الحكومة إلي إجراء إصلاحات محدودة ومرهونة بمدى قدرة الأفارقة علي الضغط نظراً لانشغال القوات العسكرية في مجريات الحرب العالمية الثانية خاصة في شمال وشرق أفريقيا ، إلا أنه مع تنامي الضغط العمالي – بصورة خاصة – وتوجه المؤشرات نحو انتهاء الحرب العالمية الثانية لصالح دول الحلفاء – التي انحازت لها دولة جنوب أفريقيا – حدثت مواجهة محتدمة .

ح السياسة العمالية لنظام حكومة سمتس منذ منتصف الأربعينيات حتى عام ١٩٤٨ على مجموعة القرارات أو الإجراءات الحربية التي تغلظ من عقوبة الخروج على النظام العام خاصة في مناطق المناجم ، وإثر انتخابات عام ١٩٤٨ فاز الحزب الوطني المتطهر بزعامة د.ف. مالان وتولى تشكيل الحكومة ، وكان البرنامج الذي وصل به الحزب الوطني إلي الحكم يقوم علي ممارسة قمع منتظم وواسع النطاق ضد الأفارقة في المناطق " الأوروبية " والتحكم في عملية تدفق العمالة الأفريقية خاصة إلى مزارع الأفريكانرز والإبقاء على نظام العمالة الرخيصة ، وبالفعل فإن اتحاد جنوب أفريقيا شهد منذ تولي الحزب الوطني الحكم عملية قمع منتظمة للعمالة الأفريقية ، وكان أبرز ملامح هذه العملية صور مجموعة من القوانين تستهدف ترحيل العديد من العمال الأفارقة في المناطق الحضرية وإعادة تشكيل الخريطة الديموغرافية للمناطق الحضرية بما يضمن دمج المناطق التي يقيم فيها الأفارقة – وكانت في وقت ما علي حواف المدن – في المدن البيضاء ودفع الأفارقة بعيداً عنها إلى مناطق أكثر بعداً ، وكان من هذه القوانين ما يستهدف القضاء علي أي تمثيل نقابي للعمال الأفارقة يكون لهم فيه دور أساسي وغير تابع للتنظيمات النقابية غير الأفريقية ، وكان القانونان الأساسيان في هذا الصدد هما قانون قمع الشيوعية (١٩٥٠) وقانون (تسوية نزاعات) العمالة الوطنية (١٩٥٣) ، وهما القانونان اللذان تركا أثراً عميقاً على تطور العمل النقابي الأفريقي ، وهو

الأمر الذي استدعي بالضرورة تحركاً أفريقياً مضاداً تمثل في ظهور جيل جديد من النقابات الأفريقية المعتمدة علي القيادات النقابية الأفريقية .

وكان أهم نموذجين للتنظيمات العمالية الأفريقية كل من اتحاد عمال المناجم الأفارقة والمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، فالأول يشكل مرحلة وسطى بين تجربة غير مكتملة تمثلت في اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي (تأسس عام ١٩١٩) ، وتجربة مكتملة ومواصلة لدورها حتى حصول الأفارقة في دولة جنوب أفريقيا على حقهم في تقرير مصيرهم وقيام نظام ديموقراطي في جنوب أفريقيا عام ١٩٩٤ ، والمقصود هو المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات (تأسس عام ١٩٥٥) الذي قاد العمل النقابي العمالي تحت نفس الاسم حتى أواخر السبعينيات وتغير اسمه بعد ذلك ليضم نقابات أخرى .

أولا – السياسة العمالية للنظام العنصري (١٩٣٩-١٩٥٠)

ارتبطت السياسة العمالية التي انتهجها النظام العنصري تجاه العمالة الأفريقية بالسياسة العامة لهذا النظام تجاه الأفارقة ، ويتضح هذا في أن معظم القوانين التي تم تطبيقها على الأفارقة أثرت بصورة مباشرة أو غير مباشرة على العمالة الأفارقة .

وكان أول قانون يصدر خصيصا لفرض التفرقة المكانية على العمال الأفارقة في المناطق الحضرية هو قانون جلين جراي Glen Grey Act الذي صدر عام ١٨٩٤ ، وجلين جراي هي منطقة سكنية للعمال الأفارقة قرر تخصيصها لإقامتهم بصورة منفصلة عن بقية المناطق المحيطة بها ، ويعتبر كليفتون كريس أن هذا القانون هو بداية تجربة طويلة في الهندسة الاجتماعية الاستعمارية مرت بها المناطق التي كونت اتحاد جنوب أفريقيا فيما بعد ، إذ أن القانون اهتم بالأرض والعمال والحكم(١) .

وعلى سبيل المثال أيضاً فإن قانون المناطق الحضرية الذي صدر عام ١٩٢٣ بهدف تحجيم هجرة الأفارقة من المعازل إلى المناطق " الأوروبية " كان له تأثيره على حركة العمالة من المعازل من جهة وعلى العمالة الأفريقية الموجودة في الحضر من جهة أخرى بما عناه هذا القانون من تغيير فترات بقاء هذه العمالة في التجمعات العمالية لفترات أطول وجعل البلديات التابعة للحكومة مسئولة عن الأفارقة في المناطق التابعة لكل بلدية وتوفير سكن ملائم للعمال الأفارقة والتحكم في تدفقهم وترحيلهم في حالة الضرورة (١) .

1- Crais , Clifton , The Politics of Evil , Magic , State Power , and the Political Imagination in South Africa , Cambridge University Press , Cambridge , 2002 , p. 103
2- F.O. / 371/167549, What Is Apartheid? South Africa, Apartheid.
- Horrell, Muriel, A Survey of Race Relations in South Africa, 1957-1958, South African institute of Race Relations, 1958, p. 145.

وقد صدرت عدة قوانين تستهدف العمالة الأفريقية مباشرة منذ بدايات القرن العشرين ، ففي عام ١٩١١ صدر قانونان هما : قانون المناجم والأشغال Mines and Works Act وقانون تنظيم العمال الوطنيين The Native Labour Regulation Act واللذان كانا يهدفان إلى قصر أعمال الإشراف والسيطرة على العمال وتجنيدهم على البيض ، وكذلك إرساء نظام متدرج من الأجور وتكوين مكتب العمال الوطنيين The Native Labour Bureaux في المناجم والأشغال الذي تولي مهمة السماح للعمال الأفارقة بالالتحاق بالعمل وإلغاء الحصول بصورة فردية على هذه التصاريح ، وتم وفقاً لقانون تنظيم العمال الوطنيين استحداث منصب مدير العمال الوطنيين بالاتحاد Director of Native Labour for the Union ، وفرض على كل وكلاء العمالة ومديري المعسكرات الحصول على رخصة سنوية من المدير الذي له سلطة السيطرة على تجنيد العمالة والتنظيم العام ، ويساعده في تلك المهمة طاقم من المفتشين الذين خولوا سلطة شاملة في حالة الاعتداءات التي يقوم بها العمال الأفارقة وكذلك سلطة إجراء التحقيق في الشكاوى ، كما كان لمدير هيئة العمال الوطنيين إعلان مناطق بعينها (والتي يقيم بها العمال الأفارقة في مجالي التعدين والصناعة) مقاطعات للعمالة Labour Districts ، ويتم فرض إجراءات حازمة في تلك المقاطعات المعلنة ، كما نظم القانون دفع تعويض للعمال الأفارقة في حالات العجز أو الموت أثناء العمل ، وصدر قانون حماية أجور العمال Workmen's Wages Protection Act في عام ١٩١٤ ، وقانون المناطق الحضرية الوطنية Native Urban Areas Act في عام ١٩٢٣ (١) .

1- International Commission of Jurists, South Africa and the Rule of Law, Geneva, 1960, pp. 39-40.
- Proctor, Andre, Class Struggle, Segregation and the City: A History of Sophiatown, 1905 - 1940 (in: Bozzoli, Belinda (ed.), Labour, Townships and Protest: Studies in the Social History of the Witwatersrand, Ravan Press, Johannesburg, 1979, pp.71- 72.
- Evans, Ifor L., Native Policy in Southern Africa, op.cit., p.31

وكانت كل هذه التشريعات وتطبيقاتها العملية تقوم على التفرقة بين الأعراق ، والنص على قيام الأوروبيين بصورة أساسية بالأعمال المهنية المتخصصة والعمل الإشرافي والماهر ، ويليهم على نطاق أقل اتساعا الملونون والآسيويون بينما لم يكن مسموحا للأفارقة العمل في هذه المجالات ، كما كان قانون المناطق الحضرية وتعديلاته المختلفة عاكسا لاهتمام ما يمكن تسميتها بالطبقة البيضاء بقمع الطبقة العاملة الأفريقية من خلال تحطيم تجمعات هذه الطبقة باستخدام وسائل الترحيل الإجباري إلى مواقع أكثر ضيقاً" . (١)

وفي عام ١٩٢٤ صدر قانون المساومة الصناعية The Industrial Conciliation Act ، وهو القانون الذي يعتبر الأساس القانوني لتدخل الدولة في شئون العلاقة بين رأس المال والعمالة وكان رداً على أزمة ثورة الراند في عام ١٩٢٢ التي قام بها العمال البيض ، وقدم القانون للعمال البيض ونقاباتهم إطاراً واسعا من المكاسب الاقتصادية القائمة على الأفضلية العرقية لهم على غير البيض في مقابل سلبهم – العمال والنقابات غير البيضاء – أية قوة سياسية محتملة ، وهو ما شكل صفقة رابحة بالنسبة للعمالة والنقابات البيضاء ، كما قصر القانون حق المساومة للمطالبة برفع الأجور أو تحسين ظروف العمل على النقابات المسجلة ، وهو ما كان يعني استبعاد كل العمال الأفارقة من العمل النقابي ، وتم تعديل هذا القانون في عام ١٩٣٧ ، والذي أكد في التعديل التالي له على استمرار حظر انتماء العمال الأفارقة في الصناعة الذين تجاوزت أعدادهم أعداد العمال من بقية الأعراق مجتمعون آنذاك ، كما أكد تعديل القانون أيضاً على عدم تمكين العمال الأفارقة من استخدام أية آلية رسمية للتعامل مع النزاعات الصناعية ، ويرجع هذا الحظر في جوهره إلى أن الوطني حامل تصريح المرور ليس " موظفا " employee ، وهو

1- Hellmann, Ellen, Handbook of Race Relations in South Africa, London, 1949, p. 109.

- تم تعديل قانون المناطق الحضرية لعام ١٩٢٣ في أعوام ١٩٣٠ و ١٩٣٤ و ١٩٣٧ و ١٩٤١ و ١٩٤٣ و ١٩٤٤ ، وتمت إعادة صياغته كاملا في عام ١٩٤٥ باسم قانون دمج الوطنيين (في المناطق الحضرية) رقم ٤٥ ، وتم تعديله هو أيضا في أعوام ١٩٤٦ و ١٩٤٧ و ١٩٥٢ و ١٩٥٥ و ١٩٥٦ ، وهو الأمر الذي عكس اضطراب السياسات الحكومية تجاه الأفارقة في الحضر

- Hepple, Alex, South Africa: A Political and Economic History, Pall Mall Press, London, 1966, p. 188.

اللفظ الوارد في القانون والذي يقصر علـى مـن يحملـه حـق المـساومة ، وهكـذا فقـد أصبح على العمال الأفارقة الاعتمـاد علـى المجـالس الـصناعية التـي قـرر القـانون تكوينها في كافـة المجـالات مـا عـدا الزراعـة ، والخـدمات المحليـة ، و التوظيـف الحكـومي أو الإقليمـي ، و مؤسـسات تعليميـة أو خيريـة محـددة ، وهـذه المجـالس الصناعية عبارة عن هيئات دائمة تتكون من ممثلـين عـن كـل مـن أصـحاب الأعمـال والنقابات المسجلة ولها سلطات كبيـرة فـي عقـد اتفاقـات متعلقـة بـالأجور وسـاعات وظروف العمل ، كما يمكن لهذه المجـالس أيـضاً أن تطالـب بتحـسين أجـور العمـال الأفارقة ، ولم يتم شمول النساء العاملات الأفريقيـات فـي نفـس القـانون ، فنجـد مـثلاً أن اتحـاد عمـال النـسيج The Garment Workers' Union – الـذي كـان غالبيـة أعضائه من الأوروبيين لكنه ضم نساء من بين الملـونين والأفارقـة – نجـد أنـه كـان قادراً على أن يتم تسجيله كنقابة مشروعة لأنه لم يكـن يلـزم النـساء الأفريقيـات حمـل تصاريح مرور (وهو الأمر الذي اسـتمر حتـى التعـديل التـالي للقـانون فـي عـام ١٩٥٤) (١).

وأصبح واضحاً في ظل التطـورات التـي مـر بهـا المجتمـع الجنـوب أفريقـي ، وخاصة الأفارقة داخله ، خلال الحـرب العالميـة الثانيـة ومـا تلاهـا مـن نتـائج – أن العملية التي تعـرف بـالتحول للبروليتاريـة proletarianzation التـي مـرت بهـا العمالة الأفريقية قد سارت بشكل متسارع ، خاصة فـي ظـل إسـهام التـصنيع – ككـل – في تلك الفترة بنسبة أعلى من التعدين في الناتج القـومي (٢) ، فقـد كـان إسـهام التعـدين في إجمالي الناتج القومي عام ١٩٣٨ ما نسبته ١٩,٥ مـن إجمـالي دخـل قـومي قـدره

1- Luckhardt, Ken and Wall, Brenda, Working for Freedom, Black Trade Union Development in South Africa Throughout the 1970s, Programme to Combat Racism, World council of Churches, Geneva, www.anc.org.za/books p. 17.

(صفحات هذا الكتاب افتراضية لتغيير تنسيقه من تنسيق html إلى تنسيق word)

- Carter, Gwendolyn M., The Politics of Inequality, South Africa since 1948, Frederick A. Praeger, New York, 1958, pp.112-113.

2- Bloch, Graeme, The Development of South Africa's Manufacturing Industry (in: Kanczeaki, Zbigniew A., Parpart, Jane L. and Shaw, Timothy M. (eds.), Studies in the Economic History of Southern Africa, Vol. II, South Africa, Lesotho and Swaziland), Frank Cass, London, 1991, p.89.

٣٨٢,٤ مليون جنيه إسترليني ، في حين كان إسهام الصناعة والتعدين في نفس العام ما نسبته ١٧,٦% ، أما في عام ١٩٤٦ فقد تحولت نسبة إسهام التعدين إلى ١٣,٦% من إجمالي ناتج قومي قدره ٥٢٣,٤ مليون جنيه إسترليني ، كما تحولت نسبة إسهام الصناعة والتصنيع لتصل إلى ٢٠,١% وصاحب هذا التحول تحول مواز على صعيد القوى العاملة ، فعلى حين نما معدل تشغيل البيض في الفترة (١٩٣٩ – ١٩٤٤) في الصناعة والصناعة التحويلية بمعدل ٢٤% ، أو من ١٤٣,٥٣٢ عاملا إلى ١٧٨,٥٤٣ عاملا ، فإن معدل نمو العمالة الأفريقية في نفس المجال نما بمعدل ٥٧% ، أو من ٢١٩,٩٢٤ عاملا إلى ٣٤١١٢٨ عاملا ، ومعنى ما سبق أنه بينما كان هناك في عام ١٩٣٩ معدل ٢,٥ عامل أفريقي لكل عامل أبيض ، أصبح المعدل ٣,١ عامل أفريقي لكل عامل أبيض [١] .

وإذا وضع في الاعتبار حقيقة أن غالبية العمالة في التعدين والصناعة والصناعة التحويلية هي عمالة أفريقية – سواء من أفارقة جنوب أفريقيا أو عمالة وافدة – فسيتضح الدور الحيوي الذي أصبح للعمالة الأفريقية في اقتصاد جنوب أفريقيا ، غير أن النظر لمعدلات الأجور بين البيض وغير البيض (خاصة الأفارقة) يوضح وجود مأزق خطير عانت منه العمالة الأفريقية ، ففي الصناعة الثانوية على سبيل المثال كان هذا المعدل ٤,٣٦ ضعفاً ، ووصل عام ١٩٤٦ إلى ٣,٥٤ ضعفاً ، ووصل في عام ١٩٦٠-١٩٦١ إلى ٤,٧١ ضعفاً ، وذلك في ظل وجود حاجز لوني مقنن في التشغيل ، ففي التعدين اقتصر عمل الأوروبيين على عملهم كمهندسين أو مشرفين أو عمال مهرة ، بينما تم حصر الأفارقة في فئة العمالة غير الماهرة [2].

1- Bloch, Graeme, The Development of South Africa's Manufacturing Industry, op. cit., and p.90.
2- Frazier, E. Franklin , Race and Culture Contacts in the Modern World, Alfred A. Knopf, New York, 1957, p.148.

جدول رقم (٧)

معدل أجور البيض بالنسبة لأجور غير البيض في الصناعة الثانوية (١٩١٥-١٩٦١)

العام	المعدل	العام	المعدل	العام	المعدل
١٩١٥-١٩١٦	٤,٨٤	١٩٢٦-١٩٢٧	٤,٢٩	١٩٣٧-١٩٣٨	غير متاح
١٩١٦-١٩١٧	٤,٩٠	١٩٢٧-١٩٢٨	٤,١٦	١٩٣٨-١٩٣٩	٤,٣٦
١٩١٧-١٩١٨	٤,٧٦	١٩٢٨-١٩٢٩	٤,٠٨	١٩٣٩-١٩٤٥	غير متاح
١٩١٨-١٩١٩	٤,٧٦	١٩٢٩-١٩٣٠	٤,١٠	١٩٤٦-١٩٤٧	٣,٥٤
١٩١٩-١٩٢٠	٤,٨٤	١٩٣٠-١٩٣١	غير	١٩٤٧-١٩٤٨	٣,٦٣
١٩٢٠-١٩٢١	٥,١٣	١٩٣١-١٩٣٢	متاح	١٩٤٨-١٩٤٩	٣,٧١
١٩٢١-١٩٢٢	٥,١١	١٩٣٢-١٩٣٣	٤,٠٢	١٩٤٩-١٩٥٠	٣,٨٧
١٩٢٢-١٩٢٣	٤,٧٥	١٩٣٣-١٩٣٤	٤,١٤	١٩٥٠-١٩٥١	٣,٩٤
١٩٢٣-١٩٢٤	٤,٧٢	١٩٣٤-١٩٣٥	٤,٢٩	١٩٥٢-١٩٥٣	٤,١٥
١٩٢٤-١٩٢٥	٤,٥٥	١٩٣٥-١٩٣٦	٤,٣٨	١٩٥٨-١٩٥٩	٤,٨٠
١٩٢٥-١٩٢٦	٤,٣٧	١٩٣٦-١٩٣٧	٤,٣٠	١٩٥٩-١٩٦٠	٤,٧٤
				١٩٦٠-١٩٦١	٤,٧١

Van den Berghe , Bierre L. , South Africa , A Study in Conflict , op. cit., P.305

ويوضح الجدول (٨) الدخل السنوي للعمال في مناجم الذهب الكبرى في جنوب أفريقيا بين البيض والأفارقة ، ويتضح منه أنه خلال الفترة ١٩٣١-١٩٥١ تراوحت نسبة تضاعف أجور البيض بالنسبة لأجور الأفارقة من ٩,٧ ضعفاً عام ١٩٣١ إلى نحو ١٧ ضعفا عام ١٩٥٣.

وقد أدي هذا إلى تزايد تطلع العمال الأفارقة للتحول من مرحلة المشاركة المشروطة والمستترة في النقابات العمالية إلى تزايد إسهام هؤلاء العمال في تقوية وتفعيل هذه النقابات ، وكان هذا بدوره نتاجاً مباشراً لتكون البروليتاريا الأفريقية في المدن ، وتولد أدلجة ideologizing جديدة لهذه البروليتاريا (١).

وكان هذا التناقض الحادث ما بين حيوية العمالة الأفريقية للاقتصاد الجنوب أفريقي من جهة ، وتدني وضع هذه العمالة على كافة المستويات من جهة أخرى قد لاقى استجابة " مبهمة " – على حد تعبير بيل فروند – من قبل حكومة سمتس ، فعلى الرغم من تواجد ما عرف بأنه جناح ليبرإلي داخل تلك الحكومة يفضل القيام " بإصلاحات " اجتماعية واقتصادية وسياسية أيضا بما يسمح بمشاركة العمال الأفارقة - خاصة في مجال الصناعة - بالتشارك في المجتمع الرأسمالي الجنوب أفريقي ، وتكرار جان هوفماير نائب سمتس بأن التفرقة لن يمكنها على المدى الطويل تنظيم النمو الاقتصادي ، خاصة في ضوء انهيار الاقتصاد المعيشي للأفارقة في المعازل(٢).

وعلى الرغم من هذا فقد اتبعت حكومة سمتس سياسة مترددة نحو العمال الأفارقة ، ويتضح هذا – مثلاً – في رفضها تمرير مشروع القانون الصناعي(للأفارقة) Industrial (Natives) Bill عام ١٩٤٧-١٩٤٨ الذي كان سيؤدي – في

1- Sparks, Allister, The Mind of South Africa, Alfred A. Knopf, New York, 1990, p.147.
2- Freund, Bill, The Making of Contemporary Africa: The Development of African Society since 1800, The Macmillan Press Ltd, London, 1984, p.262.

وتجدر الإشارة إلى محاولات شخصية نقابية بارزة في الحركة العمالية الأفريقية ، وهي شخصية ماكس جوردون Max Gordon الذي كان متخصصا في مجال الصناعات الكيمائية ونقابي نشط في تدريب منظمو النقابات الأفريقية في المدارس الليلية المختلفة[1] ، وكان تروتسكيا[2] ، وقد قاد جوردون منذ منتصف الثلاثينيات عملية المساعدة في تكوين نقابات أفريقية في ويتووترزراندا[3] ، وقد نظم تحديداً ست نقابات أفريقية منذ تعيينه عام ١٩٣٥ أميناً عاماً لاتحاد عمال الغسيل الأفارقة African Laundry Workers Union حتى اعتقاله عام ١٩٤٠ [4].

وفي عام ١٩٤٠ نفسه كان جوردون ورفاقه قد نجحوا إجمالاً في تكوين نحو عشرين نقابة أفريقية تراوحت أعداد أعضائها – ككل – ما بين ٢٣ ألف إلى ٢٦ ألف

1- Rich, Paul B., State Power and Black Politics in South Africa, op. cit., and p.106.

٢- تروتسكيا نسبة إلى المنظر الماركسي ليون تروتسكي Leon Trotsky الذي كان يميل للتحول الشيوعي بطريقة متدرجة وأكثر سلمية ، وكان تروتسكي يرى أن الثورة التي سقودها الطبقة العاملة ضد البورجوازية – الرأسمالية قد ينتج عنها تكون نظام بورجوازي رأسمالي ، وكان تروتسكي يستند في رؤيته تلك (وفيما يرتبط بالمجتمع الروسي تحديدا وقبل اندلاع الثورة البلشفية ١٩١٧) إلى أن التخلف الاجتماعي والاقتصادي لروسيا سوف يتصادف في ظله حدوث ثورتين واحدة بورجوازية وأخرى اشتراكية ، والتي ستبدأ ثورة بورجوازية سوف تنتهي ثورة اشتراكية والعكس

- Theen , Rolf H. W., The Idea of the Revolutionary State : Thacher , Trotsky and Lenin , Russian Review , Vol. 31 , No.4 , (October , 1972) , p. 392

3- Bonner, Philip, Black Trade Unions in South Africa Since World War II (in: Price, Robert M. and Rosberg, Carl G. (eds.): The Apartheid Regime; Political Power and Racial Domination), Institute of International Studies, Berkeley, 1990, p. 178.

4- Wilson, Francis, Southern Africa (in: Crowder, Michael (editor), The Cambridge History of Africa, Vol.8, from 1940 to 1975), Cambridge University Press, and Cambridge, 1984, pp.280-281.

عامل أفريقي ، وهي النقابات التي انضمت جميعها بتوجيه من المجموعات الشيوعية داخلها إلى مؤتمر النقابات غير الأوروبية Congress of Non-European Trade Unions (CNETU) عام ١٩٤٢ [1] ، وهو المؤتمر الذي كان يعلن مرارا اعترافه بالنقابات الأفريقية معتبرا العمال الأفارقة عمالا كاملي الأهلية [2]

غير أن تواجد النقابات الأفريقية إجمالا كان تواجدا ضعيفا ، ومعتمدا على الاحتماء بمؤتمر النقابات غير الأوروبية ، وأمكن تلمس وجود تنظيم عمالي قوي - نسبيا - في اتحاد جنوب أفريقيا عام ١٩٤١ الذي شهد تكوين اتحاد عمال المناجم الأفارقة African Mineworkers Union ، وذلك بدعم مباشر من كوادر مؤتمر النقابات غير الأوروبية وكذلك من كل من الحزب الشيوعي وبعض كوادر المؤتمر الوطني الأفريقي .

ولاحظ أنتوني ماركس أن تزايد حرية حركة مؤتمر النقابات غير الأوروبية وضمه للأفارقة ترجع أساسا إلى انضمام الكثير من العمال البيض للمجهود الحربي للدولة في الأربعينيات ، مما سمح له - المؤتمر - بالقدرة على المساومة والتفاوض نظرا لشدة الاعتماد على العمالة الأفريقية [3] ، وهو الاعتماد الذي يتضح بشدة خاصة بين عامي ١٩٤٠-١٩٤٥ ، فعدد العمال البيض في المناجم أخذ في الانخفاض التدريجي في تلك الفترة من ٤٢,٨٥٢ عاملا عام ١٩٤٠ إلى ٣٦,٣٢٨ عاملا عام ١٩٤٥ مسجلا بذلك انخفاضا من نسبة ١١% إلى ١٠,٧% من إجمالي قوة العمل ، وما نسبته ١٥,٢% من إجمالي ~~قوتها~~ نفسها ، بينما كان انخفاض العمالة الأفريقية في نفس الفترة من ٣٤٧,٧٦٦ عاملا عام ١٩٤٠ بنسبة ٨٩% من قوة العمل إلى ٣٠٢,٣٣٧ بنسبة ٩٠,٣% من قوة العمل ، وما نسبته ١٣% من إجمالي ~~قوتها~~ نفسها ، وليزداد

1- Bonner, Philip, Black Trade Unions, op. cit., and p.178.
2- Rich, Paul B., State Power and Black Politics, op. cit., p.106.
3- Marx, Anthony W., Lessons of Struggle, South African Internal Opposition, 1960 - 1990, Oxford University Press, Oxford, 1992, p.191.

معدل العمالة السوداء إلى العمالة البيضاء من ٨,١١ عاملا أفريقيا / عامل أبيض إلى ٨,٣٢ ضعفاً للمعدل السابق ، مع ملاحظة أن معدل أجور البيض بالنسبة للأفارقة وصل إلى ١٣,٧ ضعفا في عام ١٩٤٥ .

وفي المؤتمر السنوي للمجلس النقابي والعمالي Trades and Labour Council في بورت إليزابيث عام ١٩٤٧ فشلت محاولة بعض النقابات البيضاء في استبعاد النقابات الأفريقية من العضوية في المجلس ، وهو ما ترتب عليه انسحاب ست نقابات من المجلس ، وعلى الرغم من أنها كانت نقابات صغيرة إلا أن تأثير انسحابها كان قوياً في مغزاه ، وسارع نجاح الحزب الوطني في انتخابات عام ١٩٤٨ من عملية طرد النقابات الأفريقية من هذا المجلس (١) .

وكانت الإيديولوجيا التي خاض بها الحزب الوطني انتخابات عام ١٩٤٨ (فيما يتعلق بالعمال الأفارقة) تحمل رؤيتين متناقضتين لطبيعة الأبارتهيد كما هو متضمن في برامج الحزب ، فمن جهة كان هناك من يرون ضرورة الفصل التام بين البيض والأفارقة من أجل كبح العملية التصنيعية ومراجعتها والتي أصبحت جنوب أفريقيا بمقتضاها دولة مندمجة عرقياً واقتصادياً ، مع السماح - كما يرى دعاة الفصل التام - بوجود العمالة الوافدة التي يمكن التحكم فيها في داخل المجمعات ، ومن جهة أخرى فإن مزارعي الترانسفال - الإقليم الأكثر دعماً وأهمية بالنسبة للحزب الوطني - تحولوا نحو الحزب الوطني من أجل ضمان استمرار تدفق العمالة الأفريقية وعدم فقدانها (٢) .

وقد تركزت دعاية الحزب الوطني في الفترة ما بين انتهاء الحرب العالمية الثانية وانتخابات عام ١٩٤٨ على قضية التهديد الذي تتعرض له جنوب أفريقيا على يد الشيوعية الدولية ، وكان الحزب قد أعلن عن نواياه باقتلاع الشيوعية من جنوب أفريقيا ، وخلال الأسبوع الثالث من سبتمبر ١٩٤٥ تم عقد مؤتمر اتحادي للحزب في جوهانسبرج تحت شعار " إنقاذ جنوب أفريقيا من الخطر الشيوعي " ، وفي أوائل

1- Hepple, Alex, South Africa, op. cit, p.241.
2-Ross, Robert, A Concise History of South Africa, Cambridge University Press, Cambridge, 1999, p.116.

عام ١٩٤٨ وجد سمتس أنه من الضروري أن يحذر الأمة من أن السلوك السوفيتي – في نشر الشيوعية دولياً – يهدد السلام ، ولكن فيما يخص الأوضاع الداخلية فإن سمتس قال : *إن الشيوعية " شيء تافه " trivial thing* ، بينما ربط الحزب الوطني في دعايته بين التهديد الأحمر red menace والخطر الأسود black peril ، ومن أبرز الإشارات إلى ذلك قيام خدمة التنوير Enlightenment Service التابعة للحزب بنشر كتيب باللغتين الأفريكانرية والإنجليزية – وهو الأمر الذي كان نادر الحدوث – في أوائل عام ١٩٤٨ بعنوان " The Communist Menace " من تأليف إيريك هـ. لوي Eric H. Louw وفيه أكد على رفض الحزب للأيديولوجية الشيوعية والمساواة بين الأعراق ، قائلاً : *إن الشيوعيين يشكلون تهديداً لكل من الحضارة البيضاء والمسيحية في جنوب أفريقيا* ، وقال أيضاً : *إن الشيوعيين ينشرون دعايتهم بين الأفارقة في الاتحاد* متهما الحكومة بإغماض عينيها عن هذا " التهديد " ، وانتهى لوي إلى أن كلاً من سمتس وستالين رفيقان في ضوء تعبير سمتس الدائم عن تقديره لجهود الاتحاد السوفيتي في الحرب (١)

وبدأت حكومة الحزب الوطني في سياسة فرض الأبارتهيد على نطاق واسع ، وكان من ضمن ما تهدف إليه هذه الحكومة هو تكوين حركة نقابية منقسمة عرقياً ، خاصة في ضوء احتمال تحالف فقراء البيض الأفريكانر والعمال الأفارقة مما يهدد الإيديولوجيا العرقية ونظام العمالة الرخيصة ، لذا عمدت الحكومة أيضاً إلى إرضاء الفلاحين البيض الأكثر فقراً من خلال رفع الأسعار داخل نظام التسويق الذي تشترى الحكومة من خلاله المحاصيل الزراعية منهم (٢) .

1- Stultz, Newell M., Afrikaner Politics in South Africa, 1934- 1948, University of California Press, Berkeley, 1974, pp. 121 - 122.

2- Luckhardt, Ken and Wall, Brenda, Working for Freedom, op. cit., p. 27.

- Vink , Nick and Schirmer , Stefan , Agriculture , 1970 - 2000 (in : Jones , Stuart (ed.) , The Decline of the South African Economy , Edward Elgar , Cheltenham (U.K) , 2002 .

ويرى فيرنون بارتليت أن تفسير مالان وقادة الحزب الوطني للأبارتهيد أقرب للعبودية من جهة الحرص على استمرار تدفق العمالة الأفريقية إلى مزارع الأفريكانرز الذين يشكلون العمود الفقري للحزب الوطني ، ومن ثم فإن قوانين المرور التي أصدرتها الحكومة كانت تهدف إلى الاستفادة من العمالة الرخيصة بأقل خسائر ممكنة على صعيد النقاء العرقي للمجتمع الأبيض ====

جدول رقم (٩)

نتائج الانتخابات النيابية العامة (١٩١٠ – ١٩٦١)

الحزب / العام	١٩١٠	١٩١٣	١٩٢٠	١٩٢١	١٩٢٤	١٩٢٩	١٩٣٣	١٩٣٨	١٩٤٣	١٩٤٨	١٩٥٣	١٩٥٨	١٩٦١
الوطني	--	٢٧	٤٤	٤٥	٦٣	٧٨	٧٥	٢٧	٤٣	٧٠	٩٤	١٠٣	١٠٥
الأفريكانري	--	--	--	--	--	--	--	--	--	٩	--	--	--
المتحد	--	--	--	--	--	--	--	١١١	٨٩	٦٥	٥٧	٥٣	٤٩
الجنوب افريقي	٦٨	٥٤	٤١	٧٩	٥٢	٦١	٦١	--	--	--	--	--	--
الاتحادي	٣٧	٣٩	٢٥	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--
العمال	٣	٤	٢١	٩	١٨	٨	٤	٣	٩	٦	٥	--	--
الدومينيون	--	--	--	--	--	--	--	٨	٧	--	--	--	--
التقدمي	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	١
الاتحاد القومي	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	١
المستقلون	١٣	٦	٣	١	٢	١	١٠	١	٢	--	--	--	--
ممثلو الوطنيين	--	--	--	--	--	--	--	٣	٣	٣	٣	٣	--
ممثو الملونون	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	--	٤	٤
إجمالي المقاعد	١٢١	١٣٠	١٣٤	١٣٤	١٣٥	١٤٨	١٥٠	١٥٣	١٥٣	١٥٣	١٥٩	١٦٣	١٦٠

- Heard , Kenneth A. , General Elections in South Africa , 1943 - 1970 , Oxford University Press , London , 1974, pgs. xii , 21,41,59,83,141,171.
- De Villiers , Rene , Afrikaner Nationalism (in : Wilson , Monika and Thompson , Leonard (eds.) , The Oxford History of South Africa , Vol. II , South Africa 1870 - 1966) , Clarendon Press , Oxford , 1978 ,p. 423.

ومع ملاحظة أن الأبارتهيد كسياسة لم تكن أمـــراً جديـــداً فـــي جنـــوب أفريقيـــا لكن الجديد الذي رافق تولي حكومة الحزب الـــوطني هـــو أن تطبيـــق سياســـة الأبارتهيـــد أو التنمية المنفصلة قد أخذ شكلاً منتظماً إذ أصـــبح للحكومـــة أغلبيـــة كافيـــة لأول مـــرة لتمرير التشريعات المتعلقة بالتفرقة المكانيـــة والتعليميـــة وتكـــوين منـــاطق البانتوســـتانات التي يتاح فيها للأفارقة قدر من الحكـــم الـــذاتي (١) ، و يـــرى دان أوميـــرا أن التغيـــرات المتسارعة في بناء النظام الإنتاجي قـــد أدت إلـــى تزايـــد تناقـــضات الرأســـمالية الجنـــوب أفريقيا وطغيان هذه التناقضات على الـــسطح الـــسياسي ، كمـــا أن انتخابـــات عـــام ١٩٤٨ كانت قائمة أيضاً على قضية التقـــسيم العرقـــي للعمـــل ، وقـــد لمـــست هـــذه التطـــورات [illegible] البناء الاجتماعي وأثرت علـــى مـــصالح الجماعـــات الممثلـــة فـــي رابطـــة الأفريكانرز تجاه المشكلات الحادة في العمالة – الزراعيـــة والـــصناعية علـــى الـــسواء – والتحدي الذي واجهه العمال البيض من قبل البروليتاريـــا الأفريقيـــة ، وهـــو الأمـــر الـــذي كان حاسماً في انتصار الحزب الوطني وبرنامجه في انتخابات عام ١٩٤٨ (٢) .

===ولعل أوضح تجسيد لهذه الرؤية ما ذكره وزير شـــئون الـــوطنيين فيرفـــورد فـــي صـــحيفة ذي ســـتار The Star (١٩ يوليو ١٩٥٤) من أنه : *لا يمكن القول إن الـــوطنيين natives العـــاملين فـــي مزرعـــة هـــم جـــزء مكمل لهذه المزرعة أكثر مما يمكن القول بأن ثيران المزارع قد أصبحوا مندمجين .*

- Bartlett, Vernon, Struggle for Africa, Frederick A. Prager, New York, 1953, pp. 36-37.
- Nixon , Charles R. , The Conflict of Nationalisms in South Africa , World politics , Vol. II , No. 1 (Oct.,1958) , p. 55.

- وبالنـــسبة للفقـــراء البـــيض فقـــد ذكـــر تقريـــر بعثـــة كـــارنيجي Carnegie Commission الصادر عام ١٩٣٢ أن عددهم بلغ ٣٠٠ ألف شخص (بلـــغ إجمـــالي عـــدد البـــيض فـــي عـــام ١٩٢١حوالي ١,٥١٩,٠٠٠ ووصل عددهم وفـــق إحـــصاء عـــام ١٩٣٦ ٢,٠٠٤,٠٠٠ نـــسمة) صنفوا بأنهم فقراء جداً لكن مشكلة الفقراء البـــيض أصـــبحت ضـــئيلة الحجـــم إثـــر الازدهـــار الاقتصادي الذي شهدته جنوب أفريقيا في الأربعينيات

- Welsh , David , Urbanisation in South Africa , 1929-1979 (in : Hellmann , Ellen and Lever , Henry (eds.) , Race Relations in South Africa 1929 - 1979) , South African Institute of Race relations , Macmillan Press ltd , London , p.135
- Van den Berghe , Pierre L. , South Africa ; A Study in Conflict , Wesleyan University Press , Middletown , 1965 , p.288.

1- Tiryakian , Edward A. , Apartheid and Politics in South Africa, op. cit., p. 696.
2- O'Meara , Dan , The Afrikaner Broederbond 1927 - 1948 , Class vanguard of Afrikaner Nationalism , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No. 2 (April , 1977) , pp. 185-186.

وفي عام ١٩٤٨ وصلت أجور العمالة الأفريقية في الصناعة إلى مستويات غير مسبوقة مقارنة بتلك الأجور في أوائل الأربعينيات ، فقد كانت في عام ١٩٣٩ – ١٩٤٠ تبلغ ٢١٢ راند سنويا ، ووصلت في عام ١٩٤٧– ١٩٤٨ إلى ٣٢٩ راند سنويا ، إلا انه ثمة ملاحظة هامة وهي أن معدل أجور العمالة الأفريقية في الصناعة ظل متراوحا حول هذا الرقم حتى عام ١٩٥٩ .

وفي عام ١٩٤٩ تشكلت بعثة التحقيق في التشريع الصناعي The Industrial Legislation Commission of Enquiry أو التي عرفت باسم بعثة بوتا Botha Commission بشأن التعديلات التي يمكن إدخالها على مشروع قانون المساومة الصناعية للوطنيين The Industrial Conciliation (Natives) Bill ، وهو التعديل الذي كان متضمناً اعترافاً محدوداً بالنقابات الأفريقية بحيث تكون لها قدرة على تمثيل العمال الأفارقة في ظل هيمنة بيضاء على إدارتها ، وهو المشروع الذي لم تقبله كل من النقابات البيضاء وغالبية جهات التصنيع ، وكانت وجهة نظر تقرير بعثة بوتا – والذي صدر في عام ١٩٥١ – أنه يحتمل وجود " خطر " من الاعتراف بحق العمال الأفارقة في التنظيم النقابي إذ أنه قد يؤدي إلى مطالبتهم بمطالب سياسية ، إلا أن التقرير طالب باعتراف شكلي بالنقابات الأفريقية في ظل القانون ، وأكد على أنه في حالة إرساء اعتراف محدود بالنقابات الأفريقية فإن الدولة ستتمكن من التحكم في هذه النقابات ، كما أوضح التقرير أنه حتى في حالة تطبيق تلك التوصيات فإنه ليست ثمة أي مجال للدعوة لمعاملة مساوية بين العمال الأفارقة والعمال البيض سواء من الناحية القانونية أو الناحية العملية ورأت البعثة في تقريرها أنه :

إذا أمكن تمرير المطالب السياسية من خلال نقابات معتدلة معترف بها وتسيطر عليها الحكومة فإن ذلك سيكون أفضل من وجود نقابات يسيطر عليها نشطاء من اتحاد العمال الصناعي والتجاري السابق (١) .

1- Bonner, Philip, Black Trade Unions, op. cit. p. 180.

جدول رقم (١٠)

متوسط معدلات الأجر الأفريقي السنوي في الصناعة الثانوية

(١٩٣٩ - ١٩٥٩)

العام	الأجر السنوي بالراند
١٩٣٩ - ١٩٤٠	٢١٢
١٩٤٧ - ١٩٤٨	٣٢٩
١٩٤٨ - ١٩٤٩	٣٢٤
١٩٤٩ - ١٩٥٠	٣١٩
١٩٥٠ - ١٩٥١	٣١٧
١٩٥١ - ١٩٥٢	٣١٦
١٩٥٢ - ١٩٥٣	٣١٣
١٩٥٣ - ١٩٥٤	٣٢٠
١٩٥٤ - ١٩٥٥	٣٢٧
١٩٥٥ - ١٩٥٦	٣٢٨
١٩٥٦ - ١٩٥٧	٣٣١
١٩٥٧ - ١٩٥٨	٣٢٦
١٩٥٨ - ١٩٥٩	٣٣٣

المصدر:

Davies , Robert and Others (eds.) The Struggle for South Africa , op. cit., 22.

وأوصت البعثة في تقريرها أيضاً بحظر الاتحادات العامة والهيئات المناظرة لها مثل مؤتمر النقابات غير الأوروبية ، واقترحت منح تراخيص لاتحادات تمثل العمال الزراعيين والخدم وعمال المناجم مع عدم الاعتراف بها (١) .

1- Bonner, Philip, Black Trade Unions, op. cit. p. 180.

ورد بوتا P. W. Botha على معارضي الأبارتهيد عموماً من بين البيض بقوله بصدد قانون مناطق الجماعات ١٩٥١ : *للتوصل إلى رؤية واضحة بخصوص المعاملة العادلة وحقوق غير الأوروبيين فإننا يجب بداية أن نجيب عن سؤال مختلف ، ألا وهو : هل نحن في جانب استمرار هيمنة الأوروبيين وتفوقهم أم لا ؟ فإذا كنتم في جانب هيمنة الأوروبي وتفوقه فإن كل شيء تقومون به يجب أن يأخذ في حسبانه هذه الهيمنة*

- Funso , Afoluyan , South Africa : The Rise and Fall of Apartheid (in : Falola , Toyin (editor) , Africa , Vol.4 , The End of Colonial Rule : Nationalism and Decolonization) , Carolina Academic Press , Durham , 2000, pp439-440.

ومما تجدر الإشارة إليه هنا تقرير لجنة فاجان المتعلق بقوانين الوطنيين (Fagan Native Laws) Commission Report الذي صدر عام ١٩٤٨ (قبيل الانتخابات مما أفقده جدواه) وقد تضمن التقرير ضرورة استقرار stabilization العمالة الأفريقية القادمة من المعازل في المدن مع عائلاتهم ، كما توصل التقرير إلى أن العمالة الوافدة (من خارج الاتحاد) غير مرغوب فيها اجتماعياً واقتصادياً ، وكذا التقرير التاسع لمجلس التخطيط الاجتماعي والاقتصادي الذي صدر بعنوان المعازل الوطنية ووضعها في اقتصاد اتحاد جنوب أفريقيا The Native Reserves and their Place in the Economy of the Union of South Africa أو ما عرف بتقرير فان إيك Van Eck الذي توصل إلى أنه لا توجد : *سياسة معازل – ولا حتى تلك التي يقترحها التقرير – سوف تمكن جنوب أفريقيا من تجنب القضايا الناتجة عن وجود الوطنيين في مناطق المزارع الأوروبية والمناطق الحضرية* ،وتوصل كل من تقرير فاجان وفان إيك إلى أن المعازل يجب أن تكون وطناً للأفارقة وليست مجرد مخازن للعمالة المهاجرة والعائدة ، وأن المفتاح الأساسي للتغير الإيجابي هو ترافق عمليتي التحول الصناعي وتحديث استخدام الأرض ، وهو الأمر الذي يتطلب – وفق توصيات التقريرين – تغيير نظام الملكية والتوسع في تعليم البانتو وتحقيق عمليات تراكم داخل البناء الاجتماعي للسود ، ورأى الحزب الوطني قبل فوزه أن التقريرين يعبران عن مدى توسع الاتجاه " الإصلاحي " داخل الحزب المتحد ، على حين أن سمتس ذكر في البرلمان بعد خسارته بثلاثة أشهر أن الأفارقة : *سوف يجيئون أكثر وأكثر داخل مناطق البيض ، إن الأفريقي ليس مجرد سجين بالمعزل لكنه جزء من جنوب أفريقيا الصناعية وجزء مكمل لها، لقد اندمج الوطني في نظامنا الصناعي وفي نظامنا الاقتصادي ، إنه عاملنا our worker ويعمل على المستوى الأدنى ، وهو ليس منافسا في هذا الصدد للعامل الأبيض لكنه جزء مكمل للكل الذي يشكل المجتمع الاقتصادي===*

وكان من بين ما ذكره تقرير البعثة السابقة أن عدد العمال الأفارقة المنضمين في نقابات بلغ ٣٨,٢٥١ في عام ١٩٤٩ ، وهو الرقم الذي كان يقل كثيرا عن الرقم الحقيقي ، ورفضت الحكومة التوصية الأساسية لهذه البعثة وبدلاً من ذلك فرضت قانون (تسوية نزاعات) العمالة الوطنية في عام ١٩٥٣ ، وهو القانون الذي سيؤدي بصورة مباشرة إلى تكوين مؤتمر النقابات الجنوب أفريقية South African Congress of Trade Unions عام ١٩٥٥(١).

=== *الجنوب أفريقي* . وهو الأمر الذي تعارض مع سياسة سمتس نفسه تجاه العمال الأفارقة خلال فترة توليه السلطة .

- Giliomee, Hermann and Schlemmer, Lawrence, From Apartheid to Nation-Building, Oxford University Press, Cape Town, 1989, p. 34.
- Brotz, Howard, The Politics of South Africa, Democracy and Racial Diversity, Oxford University Press, Oxford, 1977, p. 73.

1- Hepple, Alex, South Africa, op. cit., pp. 240 - 241.

ثانيا – اتحاد عمال المناجم الأفارقة
African Mineworker's Union
(١٩٤١- ١٩٤٦)

يصف بعض المؤرخين الفترة التي شهدت قيام اتحاد عمال المناجم الأفارقة African Mineworkers Union، وما تلتها بقليل.(فترة الأربعينيات من القرن العشرين) بأنها الموجة النقابية السوداء الثانية ، وهي الفترة التي لعبت خلالها العمالة الأفريقية المنظمة دوراً هاماً فيما يتعلق بتيار الحركة الوطنية الأفريقية ككل ، وذلك على الرغم من التحديات التي واجهت التنظيمات العمالية الأفريقية سواء في نواحي التنظيم الداخلي ومعوقاته أو وسائل القهر المقننة والمنتظمة التي اتبعتها الدولة ضدها (١).

وقد تبلور هذا الدور الهام للدرجة التي أصبح من المعترف به على نطاق واسع في ظل تشكل حكومة ائتلافية في جمهورية جنوب أفريقيا ما بعد العنصرية احد أركانها الثلاثة التنظيم العمالي الرئيسي في الجمهورية) أن تلك العمالة المنظمة قد لعبت دورا رئيسيا في مكافحة الأبارتهيد والقمع ، وأسهمت بالقيادات الوطنية والعمالية في نفس الوقت (٢).

وكان لتركز العمال الأفارقة في مناجم الترانسفال الأثر الأكبر في دعم عملية تكوين اتحاد عمال المناجم الأفارقة في أغسطس ١٩٤١ وبعد نحو عشرة أعوام من

1- Macun, Ian, Growth, Structure and Power in the South African Union Movement (in: Adler, Glenn and Webster, Eddie (eds.), Trade Unions and Democratization in South Africa, 1985- 1997), Macmillan Press Ltd, London, 2000, p.58.
2- Baskin, Jeremy, labour in South Africa's Transition to Democracy: Concentration in a Third World Sitting (in: Adler, Glenn and Webster, Eddie (eds.), Trade Unions, op. cit.) pp. 43-44.

الإضرابات المتفرقة والمطالبات بتحسين الأجور والظروف وهي الأمور التي قابلتها الحكومة بتجاهل تام - إثر دعوة اللجنة الإقليمية بالترانسفال للمؤتمر الوطني الأفريقي Transvaal Provincial Committee of the African National Congress لعقد المؤتمر التأسيسي لهذا الاتحاد في نفس العام (١)، وحضرت المؤتمر وفود من العديد من المنظمات الأفريقية والهندية والملونة والبيضاء بجانب وفود عمال المناجم ، وكذلك عدداً من ممثلي بعض النقابات البيضاء التي قدم [illegible] منها دعماً معنوياً للاتحاد ، وتم انتخاب لجنة مكتب الاتحاد المكونة من ١٥ عضواً من أجل *السعي بكل الوسائل التي تراها(اللجنة) ملائمة لبناء اتحاد عمال المناجم الأفارقة لرفع مستويات وحماية مصالح كل عمال المناجم) الأفارقة*(٢) .

وقد تولى قيادة هذا الاتحاد في البداية كل من س.ب.ماتسيكي S. P. Matseke رئيس فرع المؤتمر الوطني بالترانسفال ، وجور راديبي Gaur Radebe ، وجوبافو ماركس J. Marks ، والأخيران كانا في الوقت ذاته عضوين بالمكتب التنفيذي للمؤتمر الوطني الأفريقي إلى جانب عضويتهما في الحزب الشيوعي ، وقد انتخب جوبافو ماركس بعد نشوء الاتحاد مباشرة رئيساً لفرع المؤتمر الوطني بالترانسفال ورئيساً لاتحاد عمال المناجم الأفارقة (٣).

ويمكن توضيح دعوة المؤتمر الوطني الأفريقي للدعوة لعقد المؤتمر التأسيسي ودعم قيام هذا الاتحاد بالرغم من أن المؤتمر نفسه كان حتى ذلك الحين منظمة ضئيلة العضوية تميل للحلول السياسية المهادنة مع النظام الحاكم ، كما أنه لم يكن له تأثير قوي على المشهد السياسي القومي ، وكانت له صلات مباشرة محدودة فيما يتعلق بشئون الطبقة العاملة أو النقابية ، يمكن توضيح ذلك في ضوء عاملين مترافقين الأول هو الجو السياسي العام في ذلك الوقت – الحرب العالمية الثانية – حيث سادت آمال "

1- Wilson, Francis, Southern Africa, op. cit., p. 280.
   - Davenport, T.R.H and Saunders, Christopher, South Africa, op. cit., and p.357.
   - Wilson, Francis, Labour in the South African Gold Mines, op. cit., p.78.
2- Naiker, M. P., The African Miners' Strike of 1946, www.anc.org.za/ancdocs/history.
3- Davenport, T. R. H. and Saunders, Christopher , South Africa, op. cit., and p.357.

الحرية " و " الحقــوق الديموقراطيــة " مــن أجــل حــشد الــدعم لمجهــودات الحــرب ، وأصبحت خطب رجال الدولة آنذاك في جنوب أفريقيا – كما فــي معظــم أنحــاء العــالم – تتحدث عن " حرية الإرادة " و " حرية الرأي " ، وفي هــذا الوســط كــان العامــل الثــاني ينمو داخل المؤتمر الوطني الأفريقي نفــسه حيــث زادت قــوة الأعــضاء الــشباب الــذين كونوا رابطة الــشباب للمــؤتمر الــوطني الأفريقــي(١) National Congress African Youth League، كما أن حكومة جنوب أفريقيا لم تكــن لتــسمح بتزايــد نــشاط الحــزب الشيوعي وقيام اتحاد عمال المناجم الأفارقة إلا بعد دخول الاتحــاد الــسوفيتي فــي الحــرب العالمية الثانية في جانب الحلفــاء عــام ١٩٤١ ، وتــلا ذلــك – علــى صــعيد المنــاورة السياسية – تغيير الحزب الشيوعي فــي جنــوب أفريقيــا معارضــته للحــرب إلــى تأييــد مطلق لها ، وأصبح عندئذ كل من حكومة جنــوب أفريقيــا والاتحــاد الــسوفيتي والحــزب الشيوعي لجنوب أفريقيا حلفاء ، وعنى ذلك تحقيق هدنة متينــة ومؤقتــة زمنيــاً بــين كــل من حكومة جنوب أفريقيا والحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا (٢) .

وقد واجه اتحاد عمال المناجم الأفارقة منذ نشأته الموقــف الــصارم للنظــام الحــاكم تجاه الحركة النقابية الأفريقية ، وتركزت اهتمامات الاتحاد بدايــة علــى المطالبــة بتــوفير الاحتياجات الغذائية للعمال بشكل أساسي ، ففي لقاء عقد برعايــة فــرع المــؤتمر الــوطني الأفريقي بالترانسفال طالب الاتحاد في بيانه – وبطريقــة مهذبــة – الحكومــة بــأن توســع نطاق معونة تكلفة المعيشة وقت الحرب لتــشمل كــل العمــال ، وأجــري الاتحــاد كــذلك محاولات أولية للحصول على تعــاطف بعــض قطاعــات الــرأي لــدى العمــال البــيض وبعض أصحاب الأعمال ،مؤكداً – الاتحاد – على أن مــساعيه لتحــسين مــستوي معيــشة

1- South African Communist Party, A Distant Clap of Thunder; Fortieth Anniversary of the 1946 Mine Strike, www.anc.org.za/ancdocs/history
2- Ellis, Stepher and Sechaba, Tsepo, Comrades Against Apartheid: The ANC and the South African Communist Party in Exile, James Carry, London, 1992, p.22.

العمال الأفارقة ستعزز القوة الشرائية لهم ، وهو الأمر الذي سيسهم بدوره في دعم الاقتصاد الجنوب أفريقي (١).

وبحلول عام ١٩٤٢ كان هناك شعور بتحقيق القليل من التقدم على المستوي النقابي للأفارقة، إلا أن الشعور بالتفاؤل في الدوائر النقابية الأفريقية قد ساد عندما عقد المؤتمر السنوي الأول لاتحاد النقابات الأفريقية Federation of African Trade Unions في الراند وبريتوريا ، وإلقاء وزير العمل و. ب. ماديلي W. B. Madeley خطابا فيه ، وفيما يتسق مع المؤشرات التي بدت جلية خلال الفترة ١٩٤٠-١٩٤٢ بأنه ثمة تفكيراً إيجابيا نوعا ما في الدوائر الرسمية حول الشئون العمالية الأفريقية ، كما هو الحال بالنسبة للسياسة " الوطنية " على نطاق أعرض ، وفيما يتسق مع ذلك تحدث ماديلي عن قرار الحكومة بإعطاء الأفارقة " نفس الحق في المساومة الجماعية كالمستخدمين الآخرين وفقاً لقانون المساومة الصناعية" لعام ١٩٣٦، كما ألزم سمتس أيضا نفسه بالاعتراف بالنقابات الأفريقية مقدما ضمانات " شخصية " للممثلين " الوطنيين " في البرلمان (٢).

وبنهاية عام ١٩٤٢ أدى عدم حدوث تقدم على مستوي مطالب العمالة الأفريقية إلى حدوث إضرابات في مناجم إيست راند ، وأعقب ذلك قيام حكومة سمتس بإصدار الإجراء الحربي رقم ١٤٥ لعام ١٩٤٢ (٣)، وهو الإجراء الذي لم يكن بمنأى عن الاستعداد للانتخابات العامة في العام التالي ، وقد جرم هذا الإجراء الإضرابات تحت أي ظروف كانت ، مشدداً على فرض عقوبات ثقيلة ، وحظر المقابلات النقابية في أملاك المناجم (٤).

1- Rich, Paul B., State Power and Black Politics in South Africa, op. cit., and p.107.
2- Walshe, Peter, The Rise of African Nationalism in South Africa; The African National Congress 1912- 1952, University of California Press, Berkeley, 1971, pp.309-310.
- Luckhardt, ken and Wall, Brenda, Working for Freedom, op. cit., p. 19.
3-Walshe, Peter, The Rise of African Nationalism in South Africa, op. cit., and p.310
- Luckhardt, ken and Wall, Brenda, Working for Freedom, op. cit., p.19.
4- Lipton, Merle, Capitalism and Apartheid, South Africa, 1910 - 1986, Wildwood House, Hants, 1986, p.130.
- Wilson, Francis: Labour in the South African Gold Mines, op. cit. p. 177.

وغير ماديلي موقفه وبدأ يتحدث عن " المهيجين غير المسئولين " (من الأفارقة) واستحالة الاعتراف الفوري بالنقابات الأفريقية ، أما سمتس فقد ذكر أمام وفد المجلس المسيحي The Christian Council أن : *النفوذ الشيوعي* *communistic* *يسري في بلادنا وعلى نطاق واسع تماما ٠٠٠ وسوف يكون من الحماقة وضع سلاح النقابات الفعال في الأيدي الأفريقية إن لم تكن ثمة ضمانات بكونها منظمة وفق مبادئ قويمة* *sound lines* (١) ، كما واصلت حجرة المناجم معارضتها الاعتراف باتحاد عمال المناجم الأفارقة ، وواصلت كذلك رفض تقديم أي حقوق نقابية لمن أسمتهم " الوطنيين القبليين " الذين سوف "*يسقطون بسهولة أسرى للمصالح الأجنبية ٠٠٠ التي تتصرف عادة وفق دوافع سياسية*" (٢) .

والملاحظ أن المحرك الأساسي لعمل اتحاد عمال المناجم الأفارقة منذ نشأته هو مسألة تدني أجور العمالة الأفريقية في المناجم ، ليس فقط مقارنة بأجور العمالة البيضاء ولكن أيضا مقارنة بأجور العمالة الأفريقية نفسها في مجال التصنيع، ففي عام ١٩١٦ كان معدل أجور العمالة الأفريقية في المجالين (المناجم والصناعة) متقارباً ، فقد بلغ الأجر السنوي للعامل الأفريقي في مناجم الذهب ٥٨,٧١ رانداً مقابل ٦٤,٩٧ رانداً للعامل الأفريقي في التصنيع ، وأخذت الفجوة تتزايد لصالح العمالة في مجال التصنيع ووصلت عام ١٩٣٦ إلى ٦٨,٢٩ رانداً للعامل الأفريقي في المناجم مقابل ٨٤,٢٠ للعامل الأفريقي في التصنيع ، وفي عام ١٩٤١ وصلت النسبة إلى ٧٠,٩١ رانداً مقابل ١٠٢,٨٦ رانداً ، ولتصل النسبة بعدئذ في عام ١٩٤٦ إلى ٩٣,٢١ رانداً مقابل ١٩٩,٩٧ رانداً ، وهو الأمر الذي سيسهم بشكل أساسي ومباشر في إضراب عام ١٩٤٦ (٣).

1- Walshe, Peter, The Rise of African Nationalism, op. cit, and p.310.
2- Ibid, see also, O'Meara, Dan, Forty Lost Years, The Apartheid State and the Politics of National Party, 1948-1994, Ohio University Press, Athens, 1996, p.28.
3- Mayer, Philip, The Origin and Decline of Two Rural Resistance Ideologies, op. cit., p.77.

جدول رقم (١١)

مقارنة أجور العمال الأفارقة في التصنيع والتعدين

(١٩١٦ – ١٩٦٥)

السنة	تعدين الذهب			التصنيع			أجر التعدين بالنسبة لأجر التصنيع
	عدد العمالة السوداء	إجمالي الأجور بالألف راند	معدل الأجر الفردي (لأقرب رقم صحيح)	عدد العمالة السوداء	إجمالي الأجور بالألف راند	معدل الأجر الفردي (لأقرب رقم صحيح)	
١٩١٦	٢١٣,٥١٢	١٢,٥٣٥	٥٩	٣٥,٠٦٥	٢,٢٧٨	٦٥	٠,٩١
١٩١٨	١٨٦,٧٩٨	١١,١٤٥	٦٠	٥١,٨٧٠	٣,٥٠٦	٦٨	٠,٨٨
١٩٢٥	١٨٥,٧٠٨	١٢,٥٢٧	٦٧	٥٥,٦٣٨	٤,٥٦٨	٨٢	٠,٨٢
١٩٣٠	٢١١,٧٥١	١٤,١٤٦	٦٧	٦٩,٨٩٥	٦,٢٣٠	٨٩	٠,٧٥
١٩٣٦	٣١٠,٠٧٣	٢١,١٧٤	٦٨	١٠٧,٦٧٤	٩,٠٦٦	٨٤	٠,٨١
١٩٤١	٣٦٨,٤١٧	٢٦,١٢٥	٧١	١٤٩,٠٣١	١,٥٣٣	١٠٣	٠,٦٩
١٩٤٦	٢٨٧,٩١٩	٢٦,٨٣٦	٩٣	١٨١,٧٣٧	٣٦,٣٤٢,	٢٠٠	٠,٤٧
١٩٥١	٢٩٨,٧٤٥	٣٢,٨٣٠	١١٠	٢٦٩,٥٦٠	٦٦,٠٤٩	٢٤٥	٠,٤٥
١٩٥٥	٣٢٧,٤٧٥	٤٣,١٥٨	١٣٢	٣٤١,٩٧٤	٩٩,٤٧٥	٢٩١	٠,٤٥
١٩٦٠	٣٨٧,٥٧٧	٥٥,٤٩٤	١٤٣	٣٤٤,٦٨٦	١١٩,٢٦٦	٣٤٦	٠,٤١
١٩٦٥	٣٧٥,٣٢٩	٦٦,٠٩٩	١٧٦	٤٩٤,٦٠٠	٢٢٠,٣٥٦	٤٤٦	٠,٤٠

- Mayer , Philip , The Origin and Decline of Two Rural Resistance Ideologies , (in : Mayer , Philip (editor) , Black Villagers in An Industrial Society : Anthropological Perspectives on Labour Migration in South Africa , Oxford University Press , cape Town ,, 1980 , p. 77 .

ومع الأخذ في الاعتبار أن النمو السريع للاقتصاد في جنوب أفريقيا نحو التصنيع منذ بداية الأربعينيات تحديداً قد حسن ظروف كل من الطبقة الوسطى البيضاء وكذا من الظروف الاقتصادية لبعض سكان المدن الأفارقة ، لكنه لم يعد بالنفع على سكان المناطق الريفية السوداء (أو ما عرفت بالمعازل أو homelands) ، وهي المناطق التي كانت تعتمد بصورة شبه كاملة على أجور العمال الأفارقة بالمناجم بصفة خاصة والأجور الحضرية بصفة عامة ، وقد ازدادت الأوضاع سوءاً بهذه المناطق نتيجة لاستمرار تدهور إنتاجية الأرض (١).

كما يلاحظ وليام بينارت أن معدلات بقاء العمالة الأفريقية بالمناجم لتحصيل قدر أكبر من الأجور في ظل هذه الظروف قد زادت في الفترة ١٩٣١-١٩٤٢ ، فعلى حين كان معدل طول بقاء العامل في المناجم عام ١٩٣١ كان ١٠,٨٨ شهرا متواصلا ، ووصل إلى ١٣,٦ شهرا متواصلا عام ١٩٤٢ ، في حين تدهور معدل طول البقاء في المعازل عن نفس الفترة من ٨,١ شهرا متواصلا عام ١٩٣١ إلى ٧,٦ شهرا متواصلا عام ١٩٤٢ ، وهو الأمر الذي يوضح أحد جوانب تعقد وضع العمال الأفارقة في المناجم (٢).

وقد ذكرت لجنة حكومية وهي اللجنة الوزارية حول الظروف الاجتماعية والصحية والاقتصادية لوطنيٌ الحضر (١٩٤٢) Inter-Departmental Committee on the Social , Health and Economic Conditions of Urban Natives، ذكرت اللجنة في تقريرها أن نمو النقابية بين الأفارقة هو أمر محتم ، كما هو الحال في دول أخرى ، وعبرت اللجنة عن اعتقادها بأنه من " الظلم " رفض الاعتراف بنقاباتهم بينما يتم الاعتراف بنقابات الجماعات العرقية الأخرى في البلاد ، خاصة أن نقاباتهم (الأفارقة) منظمة بشكل جيد ، وقد دعم هذا التقرير وجهة النظر

1- Mayer, Philip, The Origin and Decline of Two Rural Resistance Ideologies, op. cit., and p. 61.
2- Beinart, William, Labour Migrancy and Rural Production, Pondoland, 1900-1950 (in: Mayer, Philip (editor): Black Villagers in an Industrial Society, op. cit.), p.101.
- Seegers, Annette, The Military in the Making of Modern South Africa, Tauris Academic Studies, London, 1996, p.76.

التي أشـــارت إليهـــا بعثـــة أجـــور الأفارقـــة بمنـــاجم ويتووترزرانـــد عـــام ١٩٤٣ The Witwatersrand Mine Native Wages Commissionوالتـــي أشـــارت إلـــى أنـــه : *نظراً للاتجاه الحكيم الذي تتجه إليه أنشطة مثل تلـك النقابـات (الأفريقيـة) بمـا يـؤدي إلى تقدم الشعب الأفريقي وتوجيه تطلعاته من خلال قنـوات ملائمـة ، والتـي فـي حـال تركها – التطلعات – غير مسيطر عليها فإنها ستنمو بطرق خاطئة تماماً* (١).

وإزاء هذه النقاشات – والتي لم تتجـاوز لمرحلـة التغييـر الفعلـي – وفيمـا يتعلـق بنجاح رابطة الأخوة في توحيد الجهود الأفريكانرية القومية فـإن الحـزب الـوطني تبنـي معارضة قويـة وناجحـة ضـد هـذه الإرهاصـات ، فـذكر نائبـه بالبرلمـان شـومان Schoeman (الذي سيصبح وزيراً للعمـل فـي أول حكومـة للحـزب الـوطني عـام ١٩٤٨) في عام ١٩٤٢ : *إننا سنناضـل للسيطرة علـى الأجـور ، وإصـلاح الأجـور يجب أن يكون تحت سيطرة الدولة ، كما أن استقلالية الصناعة يجـب أن تنتهـي لأنهـا - والمساومة الجماعية - أشياء من الماضي* (٢).

أما تقرير بعثة لانسدون فقـد أوصـى – بعـد التنـاول بعنايـة لمـستويات أجـور الأفارقة وتدنيها بالنسبة لتكلفـة المعيـشة وذكـر تقريـر البعثـة أن مـستويات المعيـشة والصحة تتدهور بشدة في مناطق تجنيـد العمالـة فـي الريـف - بمـساندة الحكومـة فـي معارضتها لاقتراحات شمول عمال المناجم الأفارقـة فـي أي اعتـراف قـانوني بالنقابـات الأفريقية ، كما نصحت البعثة أيضاً بعـدم الاعتـراف باتحـاد عمـال المنـاجم الأفارقـة تحديداً على الرغم من توصـيتها بـالاعتراف بالنقابـات الأفريقيـة مـن حيـث المبـدأ ، وكانت حجتها قائمة على أن اتحاد عمال المناجم الأفارقـة " : حركـة غيـر قائمـة بـذاتها من بين عمال المنـاجم الـوطنيين أنفـسهم " ، وأن الـشيوعيين " تلاعبـوا بالعمـال " ، ورأت البعثة - من ثم - حلولاً أفضل (من وجهة نظرهـا) تتمثـل فـي تعيـين مـوظفين خاضعين لإدارة الشئون الوطنية ، والذين يجب عليهم إبقاء صـلات وثيقـة مـع العمـال وتقريـر احتياجاتهمورفعهـا لكـل مـن الإدارة و إدارة المنـاجم ، وقـد جـسدت تلـك

1- Carter, Gwendolen M. , The Politics of Inequality, op. cit., p.113.
2- Hepple, Alex, South Africa , op. cit., p.237.

التوصيات مدى نفوذ حجرة المناجم في الحكومة [١].

وواضح – من كل ما سبق – أن ظروف مشاركة جنوب أفريقيا في الحرب العالمية الثانية كانت عاملا مؤقتا في السماح بحرية الحركة للحركة العمالية الأفريقية ، ومع استقرار الوضع العسكري للقوات الجنوب أفريقية في تلك الحرب أخذت السياسة المتشددة تجاه الحركة العمالية في العودة ، إضافة إلى ذلك فقد كان واضحا أن التباين في الاتجاهات السياسية داخل النخبة البيضاء الحاكمة كان تباينا محكوما في النهاية بمعارضة أي تهاون (من وجهة نظرها) في معاملة الأفارقة ، بحيث يمكن القول في النهاية أن اتحاد عمال المناجم الأفارقة تحديداً قد سمح بنشأته – في ظل عدم الاعتراف به – كنوع من امتصاص طاقة زائدة لدى العمالة الأفريقية ، كان يمكنها أن تتحول لأعمال عنف قوية ضد الحكومة ، وهو الأمر الذي نجحت في تحقيقه بصورة تامة حكومة سمتس ، مع سماحها في ذات الوقت ببعض المعارك والمناوشات الجانبية حول تقديم بعض الحقوق للعمالة الأفريقية لعدم قطع خط الرجعة عليهم.

واستمر الأمر بالفعل على وتيرة الجذب والشد ، ورأت الحكومة – في ظل إرهاصات انتهاء الحرب العالمية الثانية وعدم الحاجة لمهادنة الأفارقة – أن تحتوي المقاومة النقابية الأفريقية ، فأصدرت الإجراء الحربي رقم ١٤٢٥ لعام ١٩٤٥ ، والذي يقضي بمنع التجمعات لأكثر من عشرين عاملاً داخل أي منجم دون تصريح خاص[٢] .

1- Jeeves, Alan H., ' Migrant Labour in the Industrial Transformation of South Africa, 1920 - 1960 (in: Kanczeaki, Zbigniew A., Parpart, Jane L. and Shaw, Timothy M. (eds.), Studies in the Economic History of Southern Africa, op. cit., p.128
- Rich, Paul B., State Power and Black Politics in South Africa, op. cit., and p.107.

2- Davenport, T. R. H. and Saunders, Christopher, South Africa, op. cit., p.358.

وهو التصريح الذي لم يمنح أبداً لاتحاد عمـــال المنـــاجم الأفارقـــة [١] ، ورفـــض القائم بأعمال رئيس الوزراء ج.هـــ .هوفماير مجرد مقابلة منـــدوب اتحـــاد عمـــال المنـــاجم الأفارقة ، كما كان قد رفض من قبل في مـــايو مـــن نفـــس العـــام طلـــب مقابلـــة منـــدوب الاتحاد لمناقشة تطبيق كل توصيات بعثة لانـــسدون وتقـــديم زيـــادة عامـــة فـــي الأجـــور، وسحب الإجراء الحربي الطارئ رقم رقـــم ١٤٢٥ لعـــام ١٩٤٥ ، وحـــدثت اضـــطرابات محـــدودة فـــي تجمـــع مودرفـــونتين إيـــست Modderfontein East مـــن قبـــل العمـــال الأفارقة ، لكن سرعان أن تمت السيطرة عليها[٢].

وفي سبتمبر ١٩٤٥ اقترح وزير العمـــل تـــشريعاً لـــضمان تقـــديم تـــشريع جزئـــي للنقابات الأفريقية بحيث يبقي – التشريع – سيطرة الدولة على تلـــك النقابـــات مـــن خـــلال هيئة الوساطة الوطنيـــة المركزيـــة Central Native Mediation Board ، وتكـــون تلـــك الهيئة مكونة من مـــوظفين مـــن كـــل مـــن إدارات العمـــل وشـــئون الـــوطنيين والتجـــارة والصناعات ، وتتصرف تلك الهيئة بما يتسق مـــع أصـــحاب الأعمـــال والقيـــادات النقابيـــة الأفريقية لضمان الوساطة فـــي المـــشكلات ، لكـــن إدارة العمـــل ظلـــت قلقـــة بخـــصوص مسألة " الاختلاط *intermingling* العرقـــي فـــي النقابـــات " ، وأرادت بأقـــصى قـــدرة لها تنقيـــة (تـــصفية) النقابـــات الأفريقيـــة مـــن " الاســـتغلال علـــى يـــد المهيجـــين السياسيين " [٣].

وفي إبريل ١٩٤٦انضم ما يزيد علـــى ٢٠٠ منـــدوب للمـــؤتمر الـــسنوي لاتحـــاد عمال المناجم الأفارقة حيث أصدر بشكل إجماعي توصية أو مطالبة بأنـــه علـــى كـــل مـــن حجرة المناجم والحكومة أن تتخذا " خطوات فورية لتوفير غـــذاء كـــافٍ وملائـــم للعمـــال " وأنه " وفقا لمبادئ العالم الجديد (الداعية) لتحسين مـــستوى المعيـــشة فـــإن الحـــد الأدنـــى للأجور لكل العمال الأفارقة بالمناجم يجـــب أن يرتفـــع إلـــى رانـــد واحـــد (١٠ شـــلنات) يوميا [٤].

1- Davenport, T.R.H. and Saunders, Christopher, South Africa, op. cit., and p.358.
2- Ibid.
3- Rich, Paul B., State Power and Black Politics in South Africa, op. cit., and pp.107-108.
4- Wilson, Francis, Labour in the South African Gold Mines, op. cit. p.78.

وطلب كذلك إبطال الإجراء الحربي رقم ١٤٢٥ لعام ١٩٤٥، وتجاهلت حجرة المناجم مرارا طلب زيادة الأجر على أساس أن الاتحاد ليس له سند قانوني [١]، كما كان الاتحاد قد طالب أيضاً بتوفير مساكن عائلية للعمال، وهو الأمر الذي كان يعني في جوهره إلغاء نظام النزل للذكور فقط داخل معسكرات التعدين وإحضار عائلات العمال للعيش معهم، خاصة أن هذا النظام سبب الكثير من المشاكل للعمال وأدى لانتشار العنف بينهم بصورة ملحوظة [٢]، ورأت الحجرة أنه طالما أن هذا الاتحاد غير شرعي فإن للحجرة أن تتعامل معه على أنه غير موجود، لكن الحجرة اتصلت باتحاد عمال المناجم الأفارقة (وكان ردها على خطابه على ظهر نفس الخطاب الذي أرسله الاتحاد)، وكان النص الكامل للخطاب الذي أرسلته إليه: *رداً على القرار السابق المطبوع والمرسل بخصوص هذا الأمر فإنه لاقى اهتماما*. [٣]

1- Wilson, Francis, Labour in the South African Gold Mines, op. cit. p.78.
2- Ergas, Zeki, The Catharsis and the Healing, South Africa in the 1990s, Janus Publishing Company, London, 1994, p.309.

راجع في هذا الصدد:

- Moodie, T. Dunbar, Ethnic Violence on South African Gold Mines, Journal of Southern African Studies, Vol.18, No.3, Sep.1999, pp.584-613, www.links.jstor.org

وهو موقع خاص (قاعدة بيانات) من داخل مكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة.

وهي دراسة تطبيقية لسجلات حوادث العنف لدى السوازي في مناجم الذهب في جنوب أفريقيا قبل عام ١٩٧٣ بصورة أساسية، ومنذ أواخر القرن التاسع عشر، وخاصة في تجمع East Rand Proprietary Mines، كما تتناول الدراسة أيضاً الصراع العرقي بين الجماعات الأفريقية المتباينة عرقياً في المناجم، وهو الصراع الذي يرجع أهم أحد أسبابه للطبيعة الذكورية للحياة داخل التجمع.

وراجع كذلك:

- Breckenridge, Keith: The Allure of Violence; Men, Race and Masculinity on the South African Goldmines, 1900- 1950, Journal of Southern Studies, Vol.24, No.4, Dec.1998, pp.669-693, www.links.jstor.org

3- Wilson, Francis: Labour in the South African Gold Mines, op. cit. p.78.

ولم يتعد الأمر كونه مجرد رد على ورق ، وبعد عدة إضرابات صغيرة ومتناثرة قررت قيادات اتحاد عمال المناجم الأفارقة الدعوة لإضراب كبير بين صفوف عمال المناجم الأفارقة ، وهو الإضراب الذي شكل – في حد ذاته – مرحلة حاسمة في النضال الوطني الأفريقي ككل ضد الحكم العنصري ، كما شكل أيضاً نهاية لاتحاد عمال المناجم الأفارقة بعد الإجراءات المتشددة التي اتخذتها الحكومة إزاء الإضراب والاتحاد .

ثالثا – المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات
South African Congress of Trade Unions

اتسمت فترة الخمسينيات من القرن العشرين في جنوب أفريقيا بتزايد حدة الإجراءات العنصرية من جانب حكومة الحزب الوطني تجاه الأفارقة ، وكانت السياسة العامة للدولة تقوم على فكرة القمع الجماعي للأفارقة [(١)] .

وبالنسبة للحركة العمالية الأفريقية فقد أصدرت الحكومة قانون قمع الشيوعية The Suppression of Communism Act عام ١٩٥٠ وأعقبته بتعديل في بعض مواده عام ١٩٥١ ، وكانت الحكومة قد قدمت القانون بداية تحت اسم مشروع قانون المنظمات غير القانونية The Unlawful Organisations Bill، وتم عرض مشروع القانون هذا على " اللجنة المختارة " The Selected Committee المكونة من أعضاء من برلمان الاتحاد شملت – إلى جانب الحزب الوطني – أعضاء من كل من الحزب المتحد وحزب العمال على حين مثلت السيدة باللينجر (زوجة النقابي الراحل باللينجر) المصوتين الأفارقة بشرقي الكيب ، وصوتت هي و جون كريستي J. Christie (من حزب العمال) ضد مشروع القانون ، في حين عارض ممثلو الحزب المتحد بعض مواد مشروع القانون التي كانت تتضمن عقوبات تصل للإعدام ، وقدمت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي احتجاجاً على عدم تمثيل الحزب الشيوعي في هذه اللجنة المختارة ، وفي النهاية تم تمرير القانون باسم قانون قمع الشيوعية [(٢)]

1- Hackland, Brian, Incorprationist Ideology as a Response to Political Struggle: The Progressive Party of South Africa, 1960- 1980 (in: Marks, Shula and Trapido, Stanley (eds.), op. cit.), and p. 369.

2- .Lerumo, A., Fifty Fighting Years, op. cit., p.90.

- O'Meara, Dan, Forty Lost Years, Op. cit., p.293.

في تقريره إلى المؤتمر السنوي للمؤتمر الوطني الأفريقي لعام ١٩٥٠ قال الأمين العام للمؤتمر الوطني وولتر سيسولو Walter Sisulu : *على الرغم مما يبدو من أن القانون (قمع الشيوعية) موجه بصورة عامة ضد الشيوعية والحزب الشيوعي*===

وبمقتضى هذا القانون أصبح اعتناق المبادئ الشيوعية أو الترويج لمفهوم "الاشتراكية الماركسية" محرماً ، كما أصبح الحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا منظمة غير قانونية ، وأصبح الترويج لأي مفهوم مرتبط بالشيوعية يستوجب العقاب ، وتم تصنيف الشيوعية لتشمل " أي مفهوم أو آلية تهدف إلى إحداث تغيير اجتماعي " باستخدام " أفعال غير قانونية " ، لكن الملامح الأهم للقانون بدت بعد تعديله في عام ١٩٥١ الذي حصلت الحكومة بمقتضاه – التعديل – على سلطات واسعة ليس لها مثيل في أي بلد دستوري في العالم [١] ،وذلك حتى يمكنها أن تتعقب أصحاب الميول الشيوعية وأن تشل نشاطهم دون تدخل من قبل السلطات القضائية ، فقد أصبح

=== لجنوب أفريقيا بصفة خاصة فإننا توصلنا من خلال دراسة بنود هذا القانون إلى أنه موجه ضد الأفارقة : [illegible] ، وأنه قد وضع بهدف إحباط كل محاولاتهم للعمل على تحقيق مطالبهم وآمالهم المشروعة .

١– لمقارنة نظام الأبارتهيد بكل من النظم الشمولية والفاشية والاشتراكية راجع فصل بعنوان Apartheid in Comparison with Other Forms of Domination في مؤلف لهريبرت آدم يبين فيه أوجه الشبه والاختلاف بين كل من نظام الأبارتهيد والنظم سابقة الذكر على حدا

- Adam, Heribert, Modernizing Racial Domination: South Africa's Political Dynamics, University of California Press, Berkeley, 1971, pp. 37-52.

وراجع أيضا الدراسة المقارنة بين كل من اتحاد جنوب أفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية في مجال التفرقة العنصرية :

- Cell, John, The Highest Stage of White Supremacy: The Origins of Segregation in South Africa and the American South, Cambridge University Press, Cambridge, 1987

وفيه يقارن المؤلف بين تطور العلاقات العرقية والطبقية في مجتمعين نظر إليهما – حسبما يذكر المؤلف – باعتبارهما أكثر المجتمعات عرقية في العالم ، كما يشير للعديد من الدراسات المتعلقة بالمقارنة بين الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا ، وإن كانت دراسة المؤلف تقتصر على مجرد سرد متوازي لعملية التفرقة في الدولتين مع عدم استنباط دلالات من هذه المقارنة أو تتبع عوامل صلة أو تأثير بل مجرد سرد تاريخين بصورة منفصلة ، مثل تناوله للمفوضية الجنوب أفريقية لشئون الوطنيين South African Natives Affairs Commission متتبعاً دورها وسياستها منذ بداية القرن العشرين.

ويميز روجر بيك بين نوعين من الأبارتهيد ، الأول هو الأبارتهيد الصغير petty apartheid والثاني هو الأبارتهيد الكبير grand apartheid ، فالأول يشير إلى مجموعة القوانين العرقية المؤثرة على النظام اليومي للفرد بدءاً من لحظة ميلاده في مستشفى منفصلة عرقيا وانتهاء بدفنه في مقابر منفصلة عرقيا ، ويشير الابارتهيد الكبير إلى ما يتعلق بالتفرقة في الحقوق السياسية وملكية الأرض .

- Beek, Roger, The History of South Africa, Greenwood Press, Westport, 2000, www.questia.com, p. 125.

للحكومة سلطة توجيه تهمة الشيوعية إلى أي فرد أو هيئة حتى ولـو كـان الفـرد منتميـا للبرلمان ، وكذلك الحال بالنسبة لأي جريدة أو مجلـة مـع تخويـل وزيـر العـدل سـلطة مصادرة ملكيتها ، وعلى من توجه إليـه التهمـة – وفقـاً لتعـديل القـانون – أن يثبـت العكس في خلال فترة تحدد سلفاً فإذا لم يقتنع وزير العـدل بـدفاع المـتهم أمكنـه تنفيـذ الإجراءات المنصوص عليها في القانون وتشمل :

١- الفصل أو الإقالة من الوظيفة حكومية كانت أو غير حكومية .

٢- حظر الحضور أو الاشتراك في الاجتماعات العامة .

٣- تحريم الانتقال من الولاية التي يقيم بها المـتهم إلـى ولايـة أخـرى فـي غـضون سنتين .

على أن يكون لمجلس النواب الرأي الأخير فيما يتعلـق بمـن يكـون متهمـاً مـن أعضاء البرلمان وكذلك أعضاء الهيئات النيابية الإقليمية (١).

وقام وزير العدل في عـام ١٩٥١ بتوجيـه تهمـة اعتنـاق الـشيوعية للعديـد مـن القيادات النقابية للحركة العماليـة الأفريقيـة ، ومـن أبـرزهم إ. سـولومون سـاكس E. Solomon Sachs سكرتير عام نقابة النسيج الذي كان قـد طـرد مـن الحـزب الـشيوعي عـام ١٩٣٢ ومعـه حكـم مـن محكمـة عليـا بأنـه غيـر شـيوعي – وأصـبح

1- Lerumo, A., Fifty Fighting Years, op. cit., pp.89 - 90.

- رقم الإفادة ١١ سري ، رقم الملف ١/١/٦ : مقاومـة الـشيوعية فـي اتحـاد جنـوب أفريقيا ، تقرير من قبل المفوضية الملكيـة المـصرية بمدينـة بريتوريـا ، (تحريـرا في ٣٠ يونيـو ١٩٥٢) ، إعـداد : حـسين منـصور (القـائم بأعمـال المفوضـية الملكية المصرية بمدينة بريتوريا) ص ص ٢-٣ .

- Hanton, W. Alphaeus, Decision in Africa, Sources of Current Conflict, International Publishers, New York, 1957, p. 181.

- مع ملاحظة أن عدد أعـضاء الحـزب الـشيوعي لـم يتجـاوز رقـم ١٥٠٠ عـضو طوال الفترة التي سبقت صدور القانون ، ونسبة الأعـضاء الأفارقـة كانـت أقـل مـن الربع في معظم السنوات

- Munger, Edwin S., Afrikaner and African nationalism, South African Parallels and Parameters, Oxford University Press, London, 1967, p. 91.

واضحاً أن القانون كان مجرد وسيلة أمنية للحكومة استخدمتها لتوجيه تهمة الشيوعية حتى لأفراد احتجوا مرة أو مرتين ضد السياسات الحكومية – وقد ترتب على ذلك قيام أعضاء هذه النقابة بالمظاهرات وعقد الأجتماعات الاحتجاجية على ما سموه تدخل الحكومة في شئون النقابات ، وقد حضر ساكس جانباً من هذه الاجتماعات الاحتجاجية وخاطب المتظاهرين وألقت قوات الشرطة القبض عليه ، ووقعت بعض الإصابات بين المتظاهرين وقوات الشرطة ، كما وجه وزير العدل نفس التهمة – حتى منتصف عام ١٩٥٢ – إلى نحو ١٨ قيادياً لنقابات العمال الأفارقة أو الهنود ، ومن هؤلاء ج. بونين G. Ponen سكرتير اتحاد عمال الدخان ، و يوسف محمد دادوو Y. Mohammed Dadoo رئيس مؤتمر الهنود في جنوب أفريقيا ، وديفيد ويلكوكس بوبيب David Wilcox Bobape أمين عام المؤتمر الوطني الأفريقي فرع الترانسفال ، و سنجان بونين Sengan Poonen أمين المؤتمر الوطني الأفريقي فرع ناتال ، و ج. ب. موستل J. P. Mostele ، و إسماعيل بولا Ismail Bhoola .(١)

وفي نفس الوقت الذي كان فيه النظام العنصري يقيد من نمو التيارات الوطنية المناهضة للأبارتهيد بين العناصر غير الأوروبية فإن قادة الحزب الوطني قد أدركوا أن القمع وحده لن يكفي لحماية سلطة البيض ، لذا عمدوا إلى تنشيط روح القومية العرقية السوداء في المعازل والترويج لمفهوم التنمية المنفصلة كمرادف لمفهوم حق تقرير المصير لكل جماعة عرقية في الاتحاد (٢) ، وقد رحب الزعماء القبليون بالمعازل بهذه الفكرة بالنظر للمكانة التي سيحققونها في ظل استقلال

١- مقاومة الشيوعية في اتحاد جنوب أفريقيا ، مصدر سابق ، ص ٣

- Trapido , Stanley , Political Institutions and Afrikaner Social Structures in the Republic of South Africa , The American Political Science Review , Vol. 57 , No. 1 (March , 1963) , p. 82.
- Italiaander, Rolf, the New Leaders of Africa (Translated by, James McGovern), Prentice -Hall Inc. (U.S.A.), 1961, P. 112.

2- Ottaway , Marina , Ethnic Conflict and Security in South Africa (in : Keller , Edmond J. and Rothschild , Donald (eds.) , Africa in the New International Order , Rethinking State Sovereignty and Regional Security) , Lynne Rienner Publishers , Boulder , 1996 , pp. 123 - 124 .

المعازل (التي لا تمثل أكثر من ١٣% مـــن مـــساحة اتحـــاد جنـــوب أفريقيـــا فـــي أكثـــر التقديرات تفاؤلاً) (١) ، وشكل كل هذا أداة ضـــغط علـــى الحركـــة العماليـــة الأفريقيـــة التي عانت منذ وصول الحزب الوطني للحكم من التحجـيم المنـــتظم لهـــا ومـــن تـــضييق مجال المناورة والعمل مـــن خـــلال الحركـــة الوطنيـــة متمثلـــة فـــي المـــؤتمر الـــوطني الأفريقي والحزب الشيوعي .

وكان أبرز القوانين المتعلق بتنشيط الـــسياسة العنـــصرية تجـــاه المعـــازل كـــل مـــن قـــانون منـــاطق الجماعـــات Group Areas Act الـــذي صـــدر عـــام ١٩٥٠ و قـــانون سلطات البـــانتو Bantu Authorities Act الـــذي صـــدر عـــام ١٩٥١ ، ووفقـــاً للقـــانون الأول فإن مناطق المعازل تكـــون خاضـــعة لـــسيطرة الحكومـــة بـــصورة كليـــة وتكـــون عمليات نقل الملكية داخل المعـــازل خاضـــعة لتـــرخيص مـــسبق مـــن الحكومـــة ، ويـــتم تحديد مهن أو أملاك معينة تكون محظورة على جماعـــة عرقيـــة معينـــة ، وعلـــى أفـــراد كل الجماعات غير المؤهلة أن ترحل إلـــى المنـــاطق المعلنـــة بأنهـــا مخصـــصة لجماعـــة محددة ، وكان القانون في مجمله هادفاً إلى توســـيع مـــدى التفرقـــة المكانيـــة (٢) ، وهـــو ما يتضمنه جوهر مفهوم التنمية المنفـــصلة كمـــا فـــسره إيـــزلين W. M. Eiselen وزيـــر شئون الوطنيين بأنه على الأوروبي أن يقوم بعمله المتفـــوق الـــذي اعتـــاد أن يعملـــه فـــي قارته الأصلية وعلى الأفريقي أن يقـــوم بعملـــه الوضـــيع الـــذي اعتـــاد القيـــام بـــه، مـــع حدوث تغيير في الممارسة العملية لسياسة الأبارتهيد نتيجـــة لعـــدم قـــدرة الرجـــل البـــيض على فقدان العمالة الأفريقية وكذلك لعدم قدرة رأس المـــال البـــيض علـــى خـــسارة الـــسوق الأفريقية في المعازل أو خارجها في المناطق الحضرية التي يقيم بها الأفارقة (٣).

1- Bartlett, Vernon, Struggle for Africa, op. cit., p. 37.
2- WO/37/167549,What Is Apartheid?, Appendix C.
- Funso , Afoluyan , South Africa : The Rise and Fall of Apartheid ,op.cit. , pp439-440.
3- Bartlett, Vernon, Struggle for Africa, op. cit., pp. 36-37.

يري الكسندر جونـــستون أن الأبارتهيـــد عبـــارة عـــن نظريـــة صـــراع ، إذ أصـــرت حكومـــة الحزب الوطني على اتباع أسلوب عنيف وشامل في إنكار الحقـــوق الـــسياسية للأفارقـــة ممـــا أجبـــر الأفارقة على التحول لأشكال عنيفة من الصراع – في مراحـــل لاحقـــة – ضـــد النظـــام العنـــصري ، كما كان إصرار هذا النظام على القول بأن الاســـتقرار لا يمكـــن أن يتحقـــق فـــي جنـــوب أفريقيـــا إلا بإبقاء الجماعات العرقية المختلفة منفصلة ومنظمة وفق حالتهـــا الخاصـــة ، كـــان لهـــذا الإصـــرار أثره في قطع الطريق أمام ظهور مؤسسات مشروعة لتنظيم الصراع وتسويته===

أما قانون سلطات البانتو فقد مرر بسرعة كبيرة من قبل الحكومة قبيل انتهاء الدورة النيابية ولم ينل قدراً كافياً من النقاش ، وكان هدفه الأساسي هو إلغاء مجلس ممثلي الوطنيين The Natives Representatives Council الذي لم يكن يلقى قبولا لدى الحزب الوطني لما يمثله المجلس – من وجهة نظر الحزب – من تجسيد للمصالح الأفريقية المشتركة في الاتحاد ، وشكل القانون إعلاناً واضحاً من قبل د. مالان وقادة الحزب الوطني برفض التعامل مع الرعايا الأفارقة في الاتحاد باعتبارهم كتلة واحدة أو استمرار وجود هيئة يحتمل أن تصبح بؤرة للقومية الأفريقية بدلاً من القبلية الأفريقية السائدة ، وهدفت الحكومة إلى توجيه اهتمام الأفارقة المتعلمون إلى الشئون المحلية بالمعازل وتكوين مجالس محلية تقوم على التقسيم القبلي بصورة أساسية (١).

- ==== Johnston , Alexander , Conflict in South Africa (in : Furley , Oliver (editor) , Conflict in Africa) , Tauris Academic Studies , London , p.47.

وهو الأمر الذي يراه كريم إسحاق تحولاً في طبيعة الكفاح الطبقي في جنوب أفريقيا بعد إضراب عام ١٩٤٦ إلى كفاح تحرري قومي ، حيث أن الكفاح الطبقي الذي قام به العمال والبورجوازيون من خلال الإضرابات تحول إلى كفاح سياسي في ضوء تدخل قوات الشرطة لصالح أصحاب العمال وقيامها – هذه القوات – باعتقال أو سجن أو نفي المضربين من المدن إلى المناطق الريفية

- Essack , Karrim , The Road to Revolution in South Africa , Continental Publishers , Dar es Salam , 1984 , p. 32 .

ويذكر فيليب بونر مثالاً على رد فعل أحد الأفارقة تجاه الإجراءات العنصرية وهو النقابي جون نكامديمنج John Nkadimeng الذي كان خارجاً للعمل في عام ١٩٥٠ وألقي القبض عليه لمدة ٢١ يوماً في نيولاندز Newlands ويروي نكامديمنج عن تجربته بقوله : *لقد رأيت هناك – مكان الاحتجاز – أشياء لم أتوقع رؤيتها ، إنه أمر مريع ، لقد غبت عن الوعي تماماً ، وكنت مريضا ولا أعلم بالضبط طريقة التعامل مع هذا الأمر ، ولأنني كنت متأكداً أنني غير مدان في أي جريمة فإنني أدركت أنني لم أفعل أي شيء خطأ ! كما أنهم أخذوني لمكان ما لفترة طويلة ووضعوني مع مجرمين خطرين !* وبمجرد خروج نكامديمنج انضم على الفور لحملة التحدي وشارك بعدئذ في عضوية كل من المؤتمر الوطني الأفريقي والمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات والحزب الشيوعي الجنوب أفريقي

- Bonner , Philip , African Urbanisation on the Rand between the 1930s and 1960s : Its Social Character and Political Consequences , Journal of Southern African Studies , Vol. 21 , No. 1 (Mar.1995) , pp. 128-129.

1- DO. 35 /3261, South Africa, Bantu Authorities Act, 1951, Commonwealth Relations Office print (15 January 1952), pp.1-2.
- WO/37/167549, What Is Apartheid?, Appendix C.

وواصلت الحكومة سياسة فرض القوانين التي تحد من قدرة العمالة الأفريقية ، ففي عام ١٩٥١ صدر قانون عمال البناء الوطنيين The Native Building Workers Act الذي هدف إلى تحجيم أعداد العمال الأفارقة في مجال البناء والتشييد (١) .

وفي عام ١٩٥٣ أصدرت الحكومة قانون (تسوية منازعات) العمالة الوطنية ، وهو القانون الذي كون نظاماً مختلفاً للغاية عما أوصت به بعثات التحقيق السابقة عليه ، وأهمها بعثة التحقيق في التشريع الصناعي The Industrial Legislation Commission of Enquiry أو بعثة بوثا السابق الإشارة إليها ، فقد أبقى القانون على حظر الإضرابات المفروض على الأفارقة ، وتجاوز القانون بنود الإجراء الحربي رقم ١٤٥ إلى حظر قيام الأفراد بالتحريض على الإضرابات أو التورط في إضرابات تعاطفاً مع شكاوى العمال الأفارقة ، وهو الحظر الذي يشمل كافة أوجه الاحتجاج حتى السلمي منها (كعمليات المقاطعة) ، ولم يحظر القانون النقابات الأفريقية لكنه لم يعترف بها قانونيا – وهو الأمر الذي وضع النقابات الأفريقية أو التي تضم أفارقة في وضع تفاوضي سيئ مع أصحاب العمال وحرمها من تحصيل الموارد الهامة لها من خلال الاشتراكات ورسوم العضوية وتمكين المنظمين النقابيين من الوصول إلى أماكن العمل – بل على العكس فإن القانون كون آلية بديلة يمكن من خلالها تمرير الشكاوى الأفريقية لتكون محل نظر السلطات المختصة ، وهذه الآلية المكونة وفقا لهذا القانون لها أصلها في مجموعة اللجان العمالية الإقليمية المكونة من أفارقة يعينهم وزير العمل والذين يعملون تحت رئاسة أوروبي يحمل لقب مسئول العلاقات العمالية الوطنية The Native Labour Relations Officer ، ووفقاً للقانون فإنه في حالة نشوب نزاع ما في منطقة معينة فإن اللجنة تقوم بالتحرك من خلال الرئيس الأوروبي لها ومحقق من قبل وزارة العمل في محاولة لحل هذا النزاع من خلال التعامل مباشرة مع صاحب العمل،

1- Crowley, D. W., The Background to Current Affairs, Macmillan and Co. Ltd., London, 1970, p. 77.

وإذا فشل هذا التدخل فإن النزاع يتم تصعيده إلى مكتب العمالة الوطنية المركزي The Central Native Labour Board والذي يتكون من أوروبيين يتم تعيينهم من قبل الوزير بالتشاور مع اللجان الإقليمية ، وإذا فشل المكتب أيضاً في التسوية يتم عرض النزاع على المكتب القومي The National Board ، والذي قد يطلب مساعدة المجلس الصناعي في حالة وجوده ، وإذا لم يحل النزاع يمكن للمكتب القومي أن يطلب من الوزير أن يصدر تعليماته لمكتب الأجور Wage Board بإصدار قرار بخصوص هذا النزاع ، ومن ثم فإن التسوية النهائية تكون في يد مكتب الأجور ، وهو ما يستبعد العمالة الأفريقية تماماً من كل مراحل التسوية (١) .

ويمكن للمكتب القومي أن يرسل ممثلين له لحضور كل اجتماعات المجالس الصناعية المعنية بمناقشة أجور العمالة الأفريقية وظروف عملها ، ويكون لهؤلاء الممثلين حق في التدخل في النقاشات لكن لا يكون لهم حق التصويت ، وكان إجمالي عدد العمال الأفارقة الذين خضعوا لقانون (تسوية منازعات) العمالة الوطنية قرابة نصف مليون عامل لاستبعاد القانون العمال الأفارقة في كل من المزارع والخدمة المنزلية والسكك الحديد والخدمات الإقليمية ، وكان عدد العمال الأفارقة في هذه القطاعات يبلغ ٨٧٢ ألف عامل – وفق تقدير عام ١٩٤٦ – وهو رقم يتجاوز إجمالي العمال البيض والملونين والهنود في هذه المجالات (٢) .

1- Carter, Gwendolen M., The Politics of Inequality, op. cit., p. 114.
- Price, Robert M., Apartheid and White Supremacy: The Meaning of Government-Led Reform in the South African Context (in: Price, Robert M. and Rosberg, Carl G. (eds.), The Apartheid Regime, Political Power and Racial Domination), University of California, Berkeley, 1980, p.307.

2- Ibid.
- ويري جويندولن كارتر أن قانون (تسوية منازعات) العمالة الوطنية (١٩٥٣) لم يكن مغيراً بصورة كبيرة للظروف التمييزية شديدة الوطأة – أصلاً – على العمالة الأفريقية ، فالأفارقة وفقاً لقانون المساومة الصناعية (١٩٢٤) بتعديلاته محرومون من تعريفهم باعتبارهم " مـُوظفين " ، ومن ثم فإن أي مشاركة مباشرة في المجالس الصناعية التي يحل فيها كل من أصحاب الأعمال والنقابات خلافاتهم فيما بينهم ، كما أنه لم يكن ممكناً للعمال الأفارقة المشاركة مباشرة ====

وفي الفترة من أكتوبر ١٩٥٤ إلى مارس ١٩٥٥ - ونتيجة لتراكم تأثيرات السياسة العنصرية خاصة في النصف الأول من عقد الخمسينيات - قامت مجموعة صغيرة من النقابيين التقدميين ببذل قصارى جهدهم في تكوين نقابات غير عرقية ، وقامت الأربع عشر نقابة التي كانت تعارض حل المجلس النقابي والعمالي (وهي النقابات الممثلة للعمال في قطاعات هامة منها المحال shops والكيماويات والطعام والتعليب والمنسوجات والمجوهرات والمشغولات الذهبية والخبز والصفيح tin والغزل) بتكوين لجنة داخلية فور صدور قرار الحل ، وفي أول لقاء لها مررت اللجنة القرار التالي :

مواصلة لرغبتنا في الحفاظ على المبادئ المتمثلة في دستور T.L.C. (الصادر عام ١٩٤٩) فإن المندوبين الذين حضروا المؤتمر الأخير وصوتوا ضد قرار الحل للمجلس النقابي والعمالي الجنوب أفريقي South African Trade and Labour Council يتفقون على تكوين لجنة يكون هدفها تنسيق الخطط المستقبلية للنقابات المفصولة والعمل على تنظيم مؤتمر بهدف تكوين نقابة مركزية في أسرع وقت ممكن بما لا يتجاوز أبريل ١٩٥٥ اعتماداً على مبدأ عدم التمييز على أسس العرق أو اللون أو المعتقد [1].

=====في مفاوضات من أجل زيادة الأجور ، وعلاوة على ذلك فإنه على الرغم من أن النقابات الأفريقية لم تكن مجرمة من الناحية القانونية فإنها - في الوقت ذاته - لم تكن لديها حقوق مؤكدة أو مضمونة وهو الأمر الذي لم يتغير كثيراً نتيجة للقانون السابق .

- Carter, Gwendolen M., South Africa, Growing Black-White Confrontation (in: Carter, Gwendolen M. and O'Meara, Patrick (eds.), Southern Africa: The Continuing Crisis), Indiana University Press, London, 1979, p.103.

وقد تكونت المجالس الصناعية وفقاً لقانون المساومة الصناعية الذي صدر عام ١٩٢٤ ، وهو القانون الذي تم الاعتراف فيه بحقوق كل من البيض والملونين والآسيويين في المساومة الجماعية والإضراب ، كما استبعد الأفارقة من آلية المساومة ، أما قانون (تسوية منازعات) العمالة الوطنية فقد خول لوزير العمل تعيين مسئولين للتفاوض لمصلحة العمال الأفارقة في هذه المجالس الصناعية .

- Human Sciences Research Council, The South African Society: Realities and Future Prospects, Greenwood Press, New York, 1981, pp.44-45.

1- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! The History of The South African Congress of Trade Unions , Lawrence and Wishart , London , 1980 , p.90.

وأعيد تسمية اللجنة ليصبح اسمها لجنة التنسيق النقابي Trade Union Coordinating Committee ، وكان من أعضائها دون ميتمان Don Mateman وآرون مفهليل Aaron Mphalele وكليوبص سيباند Cleopus Sibande وليون ليفي Leon Levi [١] وليزلي ماسينا Leslie Massina ، ومنذ بداي عملها قررت اللجنة بوضوح :

- *إن (وجود) حركة نقابية قوية هي فقط تلك التي يمكنها الدفاع عن مصالح العمال وحمايتها ، كما أن (وجود) حركة نقابية موحدة هي فقط التي يمكنها أن تكون قوية ، إن مصالح العمال الأفارقة لا تختلف على المدى الطويل عن مصالح العمال الملونين والأوروبيين والهنود .*
- *إنه من مصلحة أصحاب العمال وحكومتهم أن يتم تقسيم العمال في هذه البلاد إن خلاص العمال يكمن في الوحدة وإن هدفنا هو أن نعرف ذلك لعمالنا .*
- *نحن مصممون على المضي قدماً في النضال ضد سياسة التمييز العرقي وعلى العمل من أجل تكوين تنظيم نقابي واحد يضم كل فصائل الطبقة العاملة[٢] .*

وتم اتخاذ الخطة الأكثر عملية عندما وجهت لجنة التنسيق النقابي الدعوة لممثلي مجلس النقابات غير الأوروبية لحضور أحد اللقاءات المبكرة لها ، وفي هذا اللقاء صدر قرار باقتراح أن تتم الدعوة لعقد المؤتمر التأسيسي للنقابة المزمع تكوينها بصورة مشتركة من خلال كل من اللجنة والمجلس ، ومن جهة أخرى كان المجلس النقابي الجنوب أفريقي قد قبل التوجهات الحكومية بتطبيق سياسات الأبارتهيد على من هذا فإن لجنة التنسيق أظهرت موقفاً أصبح بعداً أساسياً لسياسة المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات تجاه المجلس النقابي الجنوب أفريقي ، وتمثل هذا في تقرير

١- ليون ليفي ، زعيم المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، وقد ولد في جوهانسبرج عام ١٩٢٩ ، وبدأ العمل النقابي في سن ١٦ عاما ، وعمل أمينا للاتحاد القومي لعمال الغسيل والتنظيف والصباغة The National Union of Laundering, Cleaning and Dyeing Workers وكذا لاتحاد عمال تعليب الطعام بالترانسفال ، وهو عضو مؤسس في المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات وتم حظر نشاطه النقابي في عام ١٩٥٧ ، واعتقل لمدة خمسة أشهر في عام ١٩٦٠ ، وغادر جنوب أفريقيا في عام ١٩٦٣ ، انظر :

- Leon Levy , www.sahistory.org.za

2- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! , op. cit., , p.91.

اللجنة إن : *رغبة اللجنة هي وحدة كاملة في الحركة النقابية .... إن هناك مصلحة مشتركة بين النقابات المرتبطة بهذه الحركة وأولئك المشاركين في عمل المجلس النقابي (الجنوب أفريقي) ، وثمة رغبة مخلصة في إيجاد تعاون وثيق معه حول الأمور التي تؤثر على كل الفصائل* (١).

وهو الموقف الذي كان ضروريا اتباعه في ظل عدم القبول بالنقابات الأفريقية من قبل كل من النظام العنصري والحركة النقابية البيضاء في اتحاد جنوب أفريقيا ، وذلك للبرهنة على أن النقابات الأفريقية لن تتخذ خطاً متطرفاً رداً على تحجيمها من خلال القوانين والإجراءات المتتابعة ، وكنوع من المناورة في حدود إمكانيات الحركة العمالية الأفريقية .

وركزت لجنة التنسيق عملها في مجال التجهيز لتأسيس المنظمة النقابية المزمع تكوينها ، وتسارعت الأحداث في الفترة من أكتوبر ١٩٥٤ إلى مارس ١٩٥٥ إذ تم عقد لقاءات منتظمة للجنة التنسيق النقابي ، ويمكن القول أن أنشطة اللجنة خلال الأشهر الخمسة قد تركزت على ثلاث جوانب هي : التخطيط للمؤتمر ، ومراجعة دستور المجلس النقابي والعمالي ، وتعديله لاعتماد نسخة منقحة منه تتلاءم مع الأهداف المقترحة من قبل الكيان الجديد ، ومناقشة أفضل أسلوب لتنظيم المعارضة ضد مشروع قانون تعديل قانون المساومة الصناعية الذي أثير في أواخر عام ١٩٥٤ ، وإضافة إلى هذه الأنشطة الثلاثة الرئيسية ركزت اللجنة جهودها الدعائية في مجال نشر فكرة الكيان النقابي الجديد وأصدرت كتيبات تثقيفية عنه (٢) .

1- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., , pp.91-92.
2- Ibid

وفي ٥ و ٦ مارس من عام ١٩٥٥ انعقد المؤتمر التأسيسي للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات في جوهانسبرج ، وأعلن العمال أهدافهم من تأسيس المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، وهي الأهداف التي تمثلت في البيان التأسيسي الذي كان نصه :

- *لقد أظهر التاريخ أن العمال غير المنظمين كانوا غير قادرين على تحسين أجورهم و ظروف عملهم على أساس دائم ، وقد تمكن العمال من تحسين قدرهم ورفع مستوى معيشتهم وحماية أنفسهم وعائلاتهم بصورة عامة بمواجهة تقلبات الحياة فقط عندما كانوا منتظمين في نقابات فعالة .*
- *إن التجربة الشاملة للحركة النقابية في أنحاء العالم تزيد من التأكيد على حقيقة أن الحركة يمكنها إحراز تقدم في حالة وحيدة هي اعتمادها على الوحدة وفي روح الأخوة والتضامن بين كل العمال ، ويجب أن ترفض النقابات بدون تحفظ أي محاولات لبذر الشقاق بين العمال على أساس اللون أو الجنسية أو أي أساس آخر .*
- *وتماماً كما أنه لا يوجد عامل فرد أو أي مجموعة عمال لديهم القدرة على تحسين مصيرهم بدون الانتظام في نقابات ، فإنه لا توجد نقابة وحيدة ذات قوة إلا عندما تكون موجودة في هيئة منسقة من النقابات والتي توحد – بدورها – جهود كل العمال ، ومن أجل أن يكون مثل هذا الاتحاد النقابي ناجحاً فإنه يجب أن يكون متحدثاً باسم كل العمال بغض النظر عن العرق أو اللون أو الجنسية أو الجنس .*
- *إن مستقبل شعب جنوب أفريقيا في أيدي عماله ، والطبقة العاملة وحدها ، بالتحالف مع فصائل المجتمع التقدمية ، هي التي يمكنها بناء حياة سعيدة لكل الجنوب أفارقة ، وهي حياة خالية من البطالة وعدم الأمان والفقر ، وخالية من الكراهية والقمع العرقيين ، وهي حياة بها فرص كثيرة جداً للجميع.*
- *لكن الطبقة العاملة لن تتمكن من النجاح في تحقيق هذه الغاية العظيمة والنبيلة إلا عندما تكون موحدة وقوية ، وعندما تكون واعية بمسئوليتها الخلاقة ، ويحتاج عمال جنوب أفريقيا حركة نقابية موحدة يمكن فيها لكل أقسام الطبقة العاملة أن يلعبوا دورهم دون تحيز أو تمييز عرقي ، ومثل هذه الحركة الموحدة الحقيقية فقط هي التي يمكنها أن تخدم بفاعلية مصالح العمال ، سواء المصالح الآنية المتمثلة في أجور أعلى وظروف عمل أفضل أو الهدف النهائي المتمثل في الانعتاق التام ، الذي حارب من أجله آباؤنا الأوائل .*

- *ونحن نعلن بكل حزم إن مصالح جميع العمال متشابهة ، سواء أكانوا أوروبيين أو أفارقة أو ملونين أو هنود أو انجليز أو أفريكانز Afrikaans أو يهود ، ونحن نقرر أن تلك الهيئة المنسقة المكونة من هذه النقابات سوف تعمل على توحيد كل العمال في صفوفها بدون تمييز وبدون تحيز ، ونحن نقرر أنها سوف تعمل على رفع وحماية مصالح جميع العمال وسوف يكون شعارها الذي تهتدي به هو الشعار العالمي لتضامن الطبقة العاملة " ضرر لواحد هو ضرر للجميع " (١).*

ويجسد هذا البيان التأسيسي حالة النقابات الأفريقية أو العمال الأفارقة المنضمين في نقابات غير أفريقية قبل تكون المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، فقد كانت مصالحهم لا يتم التعبير عنها إلا بشكل جزئي ، ولم يكن هناك تبنٍ تام لهذه المصالح ، إما لحالة عجز النقابات الأفريقية غير المسجلة أصلا أو لعدم استجابة الجهات المعنية للحقوق التي يطالب بها العمال الأفارقة ،، وهذا في ضوء عدم تمكنهم من القيام بتحرك قوي يجبر هذه الجهات على الاستجابة لمطالبهم .

كما يشير البيان إلى الضرورة التي حتمتها الظروف من تكوين هيئة تنسيقية بين النقابات الأفريقية لتوحيد جهود هذه النقابات ، ويقدم البيان تصوراً مستقبلياً لسياسة المؤتمر تجاه النقابات البيضاء ، وهي السياسة المعتمدة على مفهوم وحدة الطبقة العاملة ، وإن كان تبني هذه السياسة دعائياً أكثر منه أمراً واقعياً ، إذ أن المؤتمر نفسه قد تكون كنتيجة مباشرة – من ضمن نتائج أخرى أقل أهمية – للتفرقة العرقية التى تم فرضها على التنظيم النقابي وطرد العناصر الأفريقية من النقابات المسجلة القائمة ، والهدف من هذا التأكيد على السياسة التصالحية مع بقية النقابات هدف تبريري – في جوهره – لقيام تنظيم نقابي أفريقي .

1- Declaration of Principles Adopted at the Foundation Conference of the South African Congress of Trade Unions, On 5 March 1955, and Included As a Preamble To Its Constitution, www.anc.org.za/ancdocs/history.

وامتلك المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات رؤية واضحة وجديدة تجاه العمل النقابي ودور الحركة العمالية ، فقد أوضح المؤتمر التأسيسي أن هناك صلة قوية بين الأنشطة النقابية والسياسية ، وذلك بتحديده أن الأنشطة النقابية المطالب بأجور أعلى وظروف عمل أفضل هي مطالب قصيرة المدى ، اما الهدف النهائي للمؤتمر الجنوب افريقي للنقابات فهو " الانعتاق التام " (١) ، وأن التحرر القومي للشعب الأفريقي هو القضية الأساسية ، إذ أنه بدون هذا التحرر فإن الاشتراكية لن تتحقق في جنوب أفريقيا (٢) ، وعلى هذا الأساس انضم المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات إلى تحالف المؤتمر Congress Alliance وتبني بالتالي الموقف المنفتح إزاء النقابات الخاصة بالملونين والآسيويين والتعاون معها لالتزامه بمبادئ ميثاق الحرية.

وقد عقد ساكتو S.A.C.T.U. مؤتمره القومي الأول في كيب تاون مارس ١٩٥٦ وقد ورد في البيان السياسي Statement of Policy المقدم للمؤتمر السنوي الأول للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ما يلى :

إن المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات يعي حقيقة أن تنظيم جموع العمال من أجل تحقيق أجور أعلى وظروف حياة وعمل أفضل هو أمر مرتبط بقوة بالنضال للحصول على الحقوق السياسية والتحرر من كل القوانين والممارسات القمعية ، ويرى (المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات) أن النضال من أجل الحصول على الحقوق الاقتصادية فقط لكل العمال دون المشاركة في النضال العام من أجل الانعتاق السياسي سوف يصم الحركة النقابية بأنها بلا فائدة وأنها خائنة لمصالح العمال (٣).

---

1. Du Toit , D. , Capital and Labour in South Africa : Class Struggle in the 1970s , Kegan Paul International Ltd., London , 1981 , p. 227.
2. Meli , Francis , South Africa and the Rise of African Nationalism , (in : van Diepen , Maria (editor) , The National Question in South Africa) , Zed Books Ltd. , London , 1988 , p.7.
3. Lukhardt , Ken and Wall , Brenda , Working for Freedom , op.cit.,p.28

وتركز العمل النقابي للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات في قضية هامة للغاية ، وهي مشروع تعديل قانون المساومة الصناعية الذى تم تمريره في عام ١٩٥٦ ، وهو التعديل الذي تضمن بدوره أمرين مؤثرين بشدة على العمل النقابي ووضع العمال الأفارقة ، الأول هو تكوين المجالس الصناعية Industrial Councils ، والثاني هو هيئات الأجور Wage Boards (١) .

و تعود فكرة تأسيس المجالس الصناعية إلى قانون المساومة الصناعية الذي صدر عام ١٩٢٤ ، وقد رسخ مشروع تعديل قانون المساومة الصناعية لعام ١٩٥٦ وجود هذه المجالس ، وتقوم فكرتها على أنه عندما تقوم رابطة او أكثر لصاحب عمل ما بالقبول الطوعي للمساومة مع نقابة أو أكثر من النقابات المسجلة ، وبعد الاتفاق على المبادئ الحاكمة للمجلس الصناعي تقوم الأطراف المعنية بملء طلب لوزير القوى البشرية ، ويقوم الوزير بعدئذ بنشر إعلان في *Government Gazette* ويدعو لتقديم الاعتراضات على تكوين المجلس الصناعي ، وعندئذ يقرر الوزير إن كان المجلس سيعقد أم لا (٢) .

وشجع المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات العمال الأفارقة على المطالبة بمفاوضات مباشرة مع أصحاب الأعمال بدلاً من نظام المجالس الصناعية سواء من خلال نقابات موجودة أو لجان تابعة للمصانع ، وساعد المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بقدر الإمكان العمال غير المنظمين الذين كانوا أطرافاً في هذه المجالس من خلال توزيع منشورات تثقيفية عن حقوق هؤلاء العمال (٣) .

1- Mbeki , Jovan , The Struggle for Liberation in South Africa , www.anc.org.za/books ,p.32 .
2- Butcher , Kristin F. and Rouse , Cecilia Elena , Wage Effects of Unions and Industrial Councils in South Africa , Industrial and labour Relations Review , Vol. 54 , No. 2 (January , 2001) , p.351.
3- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., p.111.

والأمر الثاني الذى تضمنه مشروع تعديل قانون المساومة الصناعية كان عمل هيئات الأجور ، وهي الهيئات التي تم تكوينها وفق قانون الأجور الصادر عام ١٩١٨ والذي تم تعديله في أعوام ١٩٢٥ (بعدما أصبح منذ عام ١٩٢٤ ملحقاً بقانون المساومة الصناعية) و ١٩٣٧ و١٩٥٧ والذى ضاعف من سلطات رأس المال على العمالة ، ونظريا فإن هذه المجالس كانت بهدف حماية العمال الأفارقة من استغلال أصحاب الأعمال والعمل على زيادة أجور العمال ، وتعمل في المصانع والمناطق التى تكون فيها العمالة غير منظمة مع استبعاد عمال المزارع والخدم في المنازل وموظفي الحكومة ، ويتم تعيين مسئولي مجالس الأجور من قبل وزير العمل بهدف تحديد الحد الأدنى وظروف العمل في الحالات التي لا يغطيها بند المجالس الصناعية وفقاً لقانون المساومة الصناعية ، وإذا صدق الوزير على توصيات مجالس الأجور يتم نشر الأجور المحددة بعدئذ ، ونظرياً أيضاً فإن القانون يحمى العمال الأفارقة من خفض أجورهم أو معاقبتهم لانتماءهم لنقابة ما أو لتورطهم في عمل نقابي خارج مكان العمل ، وواقعيا فإن سياسة مجالس الأجور عملت على إبقاء الأجور عند حد الكفاف وضمان أرباح عالية للرأسماليين ، وكان أمراً شائعاً أن يتم استخدام مجالس الأجور وتوصياتها بصورة عكسية ، بمعنى أن أصحاب الأعمال يتمسكون بتلك التوصيات في مواجهة مطالب العمال الأفارقة بزيادة أجورهم ، وكانت هذه التوصيات تتخذ بما لا يعرض نظام إمدادات العمالة الرخيصة للخطر (١).

وكان قانون المساومة الصناعية يفترض فيه – نظرياً – أنه تشريع غير عرقي ، فنصه يوحى بأن فصل النقابات ومبدأ حفظ الوظائف ستستفيد منه المجموعات العرقية المختلفة بصورة متساوية ، وبالطبع لم تكن تلك هي نية الحكومة ، وقد أعلن وزير العمل السناتور جان ديكليرك Jan de Klerk متباهياً بمشروع القانون الذي قدمه في عام ١٩٥٥ قائلا : في الواقع فإنه (مشروع القانون) يعنى أن الوضع الاقتصادي للأوروبي في العالم الصناعي لا يمكن أن يكون أقل من وضع غير الأوروبي ، كما أنه يضمن أنه لن يتم طرده أبدا من العمل (٢).

1- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., p.127.
2- Bunting , Brian , The Rise of the South African Reich , Penguins Books , Middlesex , 1969 , p.359

وكانت محاولات المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات لحشد جبهة نقابية موحدة ضد مشروع تعديل قانون المساومة الصناعية قد لقيت فشلاً واضحاً ، فعلى الرغم من العبارات المنددة بالقانون من قبل مجلس النقابات الجنوب أفريقية وغيره من الاتحادات النقابية البيضاء فإن هذه الاتحادات والنقابات فضلت أن تقف في صف الحكومة ، واضطر المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات للتعامل مع هذا القانون الذى كان مؤثرا بصورة أكبر على العمال المنتظمين في النقابات والأفضل تنظيماً داخل المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات وهي النقابات المسجلة وهي نقابات الطعام والتعليب والمنسوجات (١) والغسيل ، ونظمت لجنة الإدارة Management Committee التابعة للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات حملة تثقيفية ضد هذا القانون ، وطالبت هذه اللجنة اللجان المحلية بعقد مؤتمرات محلية وجمع توقيعات لتقديم التماس للحكومة في كيب تاون خلال المؤتمر القومي السنوي الأول للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات الذي قرر عقده في مارس ١٩٥٦ ، وبالفعل فقد طالب القرار الصادر عن هذا المؤتمر بعدة مطالب ، وهي :

- *مناشدة الحركة النقابية في جنوب أفريقيا وفي العالم : الاحتجاج ضد هذا الإجراء الفاشي الذي يهدف إلى تدمير الحركة النقابية الحرة وحرمان العمال من حق تنظيم النقابات بغض النظر عن العرق .*
- *انتخابات ديموقراطية للقيادات النقابية دون تدخل من الدولة .*
- *حرية العمل دون قيود عرقية أو جنسية .*
- *حرية العمال في التوقف عن العمل .*
- *حرية النقابات في تحقيق أهدافها من خلال العمل السياسي (٢) .*

١- انفصل الاتحاد القومي لعمال المنسوجات The National Union of Clothing Workers عن ساكتو في عام ١٩٥٧ إثر الاختلاف على قانون المساومة الصناعية ، وكان هو النقابة الأكثر أهمية داخل ساكتو

- Hirson , Baurch , Year of Five , Year of Ash , The Soweto Revolt : Roots of a Revolution ? , Zed Press , London , 1979 , p. 125 .

2- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., p.119.

وطالبت المؤتمرات القومية والإقليمية لكل من اتحاد عمال الطعام والتعليب African Food and Canning Workers Union والاتحاد القومي لعمال الغسيل والتنظيف والصباغة والتي تم عقدها بقية العام ، وطالبت هذه المؤتمرات الأعضاء بالانضمام للحملة المنظمة ضد مشروع القانون ، وبحلول منتصف عام ١٩٥٦ أصبح واضحاً أن مشروع القانون سوف يتحول إلى قانون في أوائل عام ١٩٥٧ ، لذا أصبح لزاما على النقابات المسجلة أن تبحث في حلٍ ، وبدأت مناقشة هذه القضية في اللجنة التنفيذية القومية National Executive Committee للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، ووضح رئيس اللجنة المركزية بيتر بيلفيلد Pieter Beyleveld الخيارات القائمة أمام النقابات المسجلة ، وانحصرت هذه الخيارات في :

- تكوين نقابات موحدة عرقيا .
- الانقسام إلى فروع عرقية (للنقابات البيضاء) .
- تحدى القانون وفقدان النقابات المسجلة لوضعها .(١)

واتفق غالبية الحاضرين على أن أسوأ الخيارات هو قبول فرض لجان تنفيذية بيضاء كلية على فروع ملونة منفصلة لنقابات المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات التى تتكون غالبية أعضائها من عناصر غير أوروبية ، وخلال اللقاء أوضح ليون ليفي رئيس المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات الامتيازات التي حصل عليها الكثير من العمال الأفارقة من خلال عملهم في ظل نقابات تقدمية مسجلة ذاكراً أمثلة بنقابات كل من التعليب والطعام ، والغسيل ، والمنسوجات ، وواصل ليزلي ماسينا (الأمين العام للمؤتمر) حديثه قائلاً : *إن النقابات الأفريقية القوية هي تلك التي عملت عن كثب مع نقابات مسجلة* ، أما دون ميتمان Don Mateman (من الاتحاد الصناعي لعمال النسيج The Textile Workers Industrial Union) فقد أكد على ضرورة عدم القبول بنزع صفة النقابات المسجلة قائلاً : *يجب أن نحتفظ بما تملكه ، وأن نحارب للحصول على ما لا نملكه*(٢) ، وظل الخيار متروكاً لكل نقابة على حدا لتقرر رأيها ، في ظل عدم وجود سلطة مركزية نظراً لكون في جوهره المؤتمر الجنوب أفريقي هيئة تنسيقية.

1- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., p.119.
2- Ibid.,p.120

وبالنسبة لقضية النقابات المسجلة ومدى استعدادها للتخلى عن ميزة التسجيل فقد أصبحت هذه القضية محور جدل طويل داخل ساكتو ، فبينما كان رأى إيلي وينبرج Eli Weinberg (من اتحاد عمال الغسيل) التخلي عن ميزة التسجيل لصالح الحركة النقابية ككل ، وقد فصل وينبرج رأيه هذا في صحيفة ذي تروث The Truth في عدد مارس ١٩٥٧ قائلاً : *إن هذا القانون يشبه سابقه في عام ١٩٢٤ في كونه يطلب من الحركة النقابية التقدمية أن تدفع ثمناً باهظاً* ، وطالما أن وضع النقابات المسجلة في حال قبولها الانقسام العرقي لن يكون مجدياً فقد أوصى وينبرج بالتنازل عن ميزة التسجيل من أجل :

- أن يصبح العمال الأفارقة أعضاء متساوين في النقابات المختلطة .
- تحكم الأعضاء بصورة ديموقراطية في أعمال النقابة والدستور والانتخابات .
- ألا يتم التفريط في الحق في العمل الإضرابي والأنشطة السياسية .

وتوصل في نهاية المقال إلى ما يلي : *على العمال الأفارقة أن يتحركوا مرة أخرى ، وهو الأمر الذي سيثبت بما لا يدع مجالاً للشك للأعضاء أن أكثر الطرق فعالية لتحقيق مكاسب مضمونة هو طريق وحدة العمال وليس مجرد نوع من "الاعتراف" المبهم المرتبط بالتضحية (بشعار) وحدة الطبقة العاملة*(١)

وفي عدد إبريل من ووركرز يونيتي Workers Unity ردت راي ألكسندر – تحت اسم مستعار وهو بريفيرمان E. R. Braverman – على رأى وينبرج والآراء المركزة على قضية النقابات المسجلة ، معتبرة أن القضية الأهم هي البند الذي تضمنه القانون والخاص بحفظ الوظيفة Job Reservation ورأت أنه على النقابيين أن يناقشوا كيفية الدفاع عن حق العمال في العمل ، ووافقت ألكسندر على أن وحدة الطبقة العاملة تتطلب – نظرياً – التنازل عن ميزة التسجيل ، لكن المنطق الواقعي يشير إلى أن تحقق هذه الوحدة يتطلب دعماً من كل المجموعات العرقية حتي تكون وحدة فعالة (٢) .

1- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., p.120.
2- Ibid , p. 121.

وتم تمرير قانون المساومة الصناعية في أوائل عام ١٩٥٧ ، وفي ١١ أبريل عام ١٩٥٧ عقد لقاء اللجنة التنفيذية القومية قبل يوم واحد من انعقاد المؤتمر السنوي الثاني للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، وتم استعراض مقترحين من اللجنة الإدارية ، وهما :

١- نهيب بكل النقابات المسجلة أن تقاوم كل جهود شق تنظيمهم على أسس عرقية ، حتى إذا دعت الضرورة إلى تضييع فرصة التسجيل وفقاً لقانون المساومة الصناعية .

٢- نطالب النقابات المؤسسة حديثاً بعدم التسجيل وفق قانون المساومة الصناعية ولكن تكوين نقابات متعددة عرقياً .

وافتتح المؤتمر القومي السنوي الثاني بكلمة من بن جانيوري Ben January من الاتحاد القومي لعمال التوزيع The National Union of Distributive Workers ووجه خلالها تحذيراً بأنه على المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات أن يقدم تضحيات كبيرة وحده لأن كل الهيئات النقابية الأخرى قد دعمت تشريع الحكومة الوطنية (١) .

وفي المؤتمر الرابع والخمسين للمؤتمر الوطني الأفريقي الذي عقد في ضاحية أورلاندو (ديسمبر ١٩٥٧) تزايدت الانتقادات الموجهة للقيادات القديمة في المؤتمر لتراخيها في تناول القضايا العمالية بصورة خاصة ، ومع تنامي التوجه القومي الأفريقي الداعي إلى أفرقة توجهات المؤتمر وحظر انضمام من لا ينتمون للعرق الأفريقي للمؤتمر ، وعلى الرغم من هذه الانتقادات تمكنت القيادات القديمة – على رأسها ألبرت لوتولي – من الحصول على اتفاق على استمرار العمل بميثاق الحرية والحصول على الثقة من قبل أعضاء المؤتمر في قيادته ، وفي نفس الوقت كان المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات قد بدأ حملة قومية للوصول بالحد الأدنى لأجور العمالة الأفريقية (مع ملاحظة أن شمول المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات لعمال قطاعي التعدين والزراعة لم يتم إلا في عام ١٩٦١ عندما كون المؤتمر اتحاد عمال

1- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., p.121.

المزارع The Farm Workers' Union واللجنة القوميــة التنظيميــة لعمــال المنــاجم)
إلى جنيه استرليني واحد يومياً (يعادل ٢ راند) (١) .

ومع اشــتراط القــانون علــى النقابــات المــسجلة الالتــزام بقــانون المــساومة الصناعية بحلول ١ يناير ١٩٥٨ لم ينتظــر المــؤتمر الجنــوب أفريقــي للنقابــات حتــى موعد انعقــاد المــؤتمر الــسنوي للتحــرك (منتــصف عــام ١٩٥٨) ، ففــي عــدد ذي ووركرز يونيتي عن شهري أكتوبر ونوفمبر تــضمن بيانــاً مطــولاً وطموحــاً لــرئيس المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابــات ليــون ليفــي متــضمناً أنــه مــع الاعتــراف بوجــود ظروف خاصة لكل عمال صناعة معينة إلا أن ليفــي نــصح النقابــات بــرفض الالتــزام بالقانون في الحالات التي تتعرض فيها وحدة العمال للتحطــيم وأضــاف أن الخــوف مــن فقدان المخصصات المالية المحدودة التي تقــدمها الدولــة للنقابــات المــسجلة والمكاســب الأخرى يجب ألا يكون عقبة لأن هذه المطالب سيتم تحقيقها مــن خــلال النــضال ولــيس من خلال الحصول علــى التبرعــات الحكوميــة ، وتــم عقــد مــؤتمر خــاص للمــؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات في ديسمبر ١٩٥٧ ، وكان مسبوقا بحــدثا أفرغــه مــن جــدواه ، ألا وهو التزام النقابات الثلاث المسجلة فيه بالقــانون العنــصري ، وتحــول النقــاش إلــى ناحية إصدار قرار أكثر تعميماً يتمثل في مطالبة النقابــات التــي ســتكون لاحقــا بــرفض التسجيل ودمج العناصر الأفريقية في صــفوفها ، وكانــت الاتحــادات المنفــصلة عرقيــاً قد فضلت خيار تكوين فروع منفصلة تكون لجانها التنفيذيــة مكونــة مــن أعــضاء بــيض فقط ، وحث النقابات المسجلة على القيــام بجهــد لتكــوين نقابــات متعــددة عرقيــاً مــن النقابات المنفصلة عرقياً ، وإجمالا فإن هذا النقاش أظهــر مــدى الانقــسام الــذي أحدثــه قانون المساومة الصناعية(٢) .

1- Feit , Edward , Generational Conflict and African Nationalism in South Africa : The African National Congress , 1949-1959 , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 5, No. 2 , (1972) , pp.194-195 .
- Maylam , Paul , A History of the African People of South Africa, op. cit., , p.189.
2- 2- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! op. cit., p.123.

ووجه ساكتو والمؤتمر الوطني الأفريقي الدعوة للقيام بإضراب مكوث في المنزل لمدة ثلاثة أيام في الفترة ١٤-١٦ أبريل ١٩٥٨ بهدف تحقيق المطلب الأساسي للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بأجر جنيه واحد يومياً ، وهي الدعوة التي لقيت نجاحاً محدوداً ، وقدر عدد العمال الذين نفذوا الإضراب بما بين ٣٠-٤٠% من قوة العمل المعنية ، وهو الأمر الذي اعتبرته غالبية القيادات الشابة في المؤتمر الوطني فشلاً تنظيمياً كبيراً لسوء الاتصال بقيادات الفروع الإقليمية للمؤتمر ، وهو الأمر الذي أدى إلى حدوث انشقاق واسع النطاق داخل مؤتمر التحالف [١] .

وبدا أن قيادات المؤتمر الوطني الأفريقي بصدد مشكلة فاصلة في تاريخ المؤتمر ، ولم يكن غريباً أن ترتبط تلك المشكلة بالدعوة التي وجهها المؤتمر الوطني بالتضامن مع المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات للعمال المنضمين في تحالف المؤتمر (تراوح عدد العمال في المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات من ٢٠ ألف عضو في عام ١٩٥٦ إلى حوالي ٥٥ ألف عضو في عام ١٩٦٢) [٢] إذ كانت قضية العمال الأفارقة تمثل مأزقا حقيقيا بالنسبة لقيادات المؤتمر التي تمثل النخبة في غالبيتها ، وتضافر هذا مع بدء الحكومة حملة جديدة - في منتصف عام ١٩٥٨ - من اعتقال القيادات النقابية إثر الحملة الاحتجاجية المذكورة وتم فرض حظر مشدد على كل أشكال التجمع النقابي مما حدد من قدرة المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات على التحرك [٣] .

1- Hemson , David , Dock Workers , Labour Circulation , and Class Struggles in Durban , 1940-59 , Journal of Southern African Studies , Vol.4 , No.1 , (October , 1977) , p.118 .
- Feit , Edward , Generational Conflict and African Nationalism in South Africa ,op. cit., p. 195.
2- Maylam , Paul , A History of the African People of South Africa, op. cit., , p.189.
3- Gurney , Christabel , ' A Great Cause ' : The Origins of the Anti-Apartheid Movement , June 1959-March 1960 , Journal of Southern African Studies , Vol.26 , No. 1 (March 2000) ,p.125.

ورداً على تنامي مشاركة العمال الأفارقة في العمل السياسي من خلال تحالف المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات والمؤتمر الوطني الأفريقي قامت الحكومة بتقوية سلطات فرع الأمن في قوة الشرطة (١)، كما أعلنت الحكومة في عام ١٩٥٩عن نيتها المضي قدما في تكوين دول بانتوية ذات حكم ذاتي ، وتم تمرير مشروع قانون تعزيز الحكم الذاتي للبانتو The Promotion of Bantu Self-Government Bill في نفس العام ، وأصبح نافذ المفعول في ٣٠ يونيو ١٩٦٠ ، وقد ألغى القانون التمثيل البرلماني القائم للأفارقة ، وكون ثمانية " وحدات قومية " بانتوية وفرض سلطات تشريعية للبرلمان على السلطات الإقليمية للبانتو ، وقدمت الحكومة ورقة بيضاء توضح خلفية وأهداف القانون ، وفيها أعلنت الحكومة عن هدفها إحداث " تطور متدرج في الحكم الذاتي للوحدات القومية البانتوية " ، وأوردت قول رئيس الوزراء : *إذا أظهرت الوحدات القومية البانتوية المتعددة قدرة على تحقيق مرحلة مطلوبة من الكفاءة الذاتية (في الحكم) ؛ فإن هذه الوحدات ستكون فيما بعد سوياً الكومونولث الجنوب أفريقي مع جنوب أفريقيا البيضاء التي ستكون نقطة ارتكاز وحامية للدول البانتوية الناشئة* (٢)، وهو الأمر الذى شكل مأزقاً أمام قيادات المؤتمر الوطني التقليدية خاصة ألبرت لوتولي الذى تحدث أمام جمع من أعضاء الحزب المتحد (المعارضة الرئيسية للحزب الوطني المتطهر) في دريل هول Drill Hall في كيب تاون ، مكرراً على أسماعهم نفس عباراته عن التعاون السلمي والمجتمع الديموقراطي والأخوة في المسيحية ، وكان غالبية الحضور يعتبرونه رجلاً مسئولاً وأنه الرجل الذي يجب على البيض في جنوب أفريقيا أن ينصتوا له (٣)

1- Wolpe , Harold , Race , Class , and the Apartheid State , James Currey , London , 1988 , p.67.
2- Rubin , Leslie I., White Politics , (in : Davis , John A. and Baker , James K. (eds.) , Southern Africa in Transition) , Frederick A. Praeger Publishers , New York , 1966 , pp. 25-26.
3- Munger , Edwin S. , Afrikaner and African Nationalism : South African Parallels and Parameters , Oxford University Press , London , 1967 , p.41.

كما حدثت محاولة هشة للانشقاق عن المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات وتمثلت في تكوين اتحاد النقابات الأفريقية الحرة الجنوب أفريقي Free African trade Unions of South Africa (FOFATUSA) في عام ١٩٥٩ ، ومن الصعوبة بمكان اعتبار تكوين اتحاد النقابات الأفريقية الحرة هيئة تنسيقية شرعية ، إذ أنه طوال الستة أعوام التي مثلت فترة وجوده لم يعقد مؤتمراً قومياً واحداً ، ولم يقم بتحدى دولة الأبارتهيد ، وارتكزت القاعدة العمالية له على اتحاد عاملات النسيج الأفريقيات Garment Workers Union of African Women بزعامة لوسي مفيابيلو Lucy Mviabelo التي كانت أحد اعضاء اللجنة التنفيذية في المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات والتي كانت ترى ضرورة عدم انتهاج نهج سياسي في العمل النقابي ، ويرى كل من كين لوكهارت وبرندا وول أن الاتحاد الدولي للنقابات The International Congress of Trade Unions هو الذى أخذ على عاتقه دعم اتحاد النقابات الأفريقية الحرة ، وأنه حاول مساومة تحالف المؤتمر بتقديم مبلغ مالي كبير له مقابل إقصاء المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات وعندما رفض تحالف المؤتمر تلك التسوية تم توجيه الأموال لاتحاد النقابات الأفريقية الحرة بالتعاون التام مع المجلس النقابي الجنوب أفريقي Trade Union Council of South Africa ، وتضامناً مع مؤتمر الوحدة الأفريقية Pan Africanist Congress [١].

ويرى هيبل Hepple أن تكوين اتحاد النقابات الأفريقية الحرة قد تم مباشرة بعد زيارة مسئولين في الاتحاد الدولي للنقابات الحرة The International Confederation of Free Trade Unions (ICFTU) في عام ١٩٥٨ وأصبح اتحاد النقابات الأفريقية الحرة فرعاً للاتحاد الدولي للنقابات الحرة ، وكانت سياسة اتحاد النقابات الأفريقية الحرة مشوشة ، فمن ناحية أكد أعضاؤه على ضرورة " تجنب السياسة " ، ومن ناحية أخرى تم إلقاء القبض على رئيسته لوسي مفوبيلو في عام ١٩٦٠ بتهمة " التورط في أنشطة تروج لأهداف مؤتمر الوحدة الأفريقية [٢]

1- Luckhardt , ken and Wall , Brenda , Working for Freedom , op.cit., P29.
2- Du Toit , D., Capital and Labour in South Africa ,op. cit., p. 229

وفي عام ١٩٥٩ أيضاً وجهت الحكومة الدعوة لأربعة اتحادات جنوب أفريقية للتشاور معها بصدد المندوبين الذين سيمثلون البلاد في منظمة العمل الدولية ، وكانت هذه الاتحادات الأربعة هي المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات (بضغط من منظمة العمل الدولية) ومجلس النقابات الجنوب أفريقية واتحاد النقابات الجنوب أفريقي The South African Federation of Unions الذي يضم نقابات بيضاء فقط ، والمجلس النقابي والعمالي الجنوب أفريقي The South African Trades and Labour Council (الذي كان عبارة عن مجموعة صغيرة منشقة عن مجلس النقابات الجنوب أفريقية منذ عام ١٩٤٩) (١) .

ومن بين ستين نقابة أفريقية كانت موجودة بحلول عام ١٩٦١ كان منها ٣١ نقابة منضمة للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات و ١٦ نقابة لاتحاد النقابات الأفريقية الحرة ، وثماني نقابات مستقلة ، ومثل المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ٣٨,٧٩١ عاملاً أفريقياً بينما كان عدد أعضاء اتحاد النقابات الأفريقية الحرة حوالي ١٨ ألفاً ، وفي أواخر عام ١٩٦١ كان عدد نقابات المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ٤٦ نقابة بعضوية تبلغ ٥٣,٣٢٣ ، من بينهم ١٢,٣٨٤ عاملاً ملوناً و ١,٦٥٠ آسيوي و ٤٩٨ عاملاً أبيض (٢) ، وصارت هناك قناعة منذ عام ١٩٦١ بأن قادة النظام العنصري لن يغيروا سياسة التمييز العرقي إلا إذا أجبروا على ذلك ، وهو الأمر الذي دفع الأفارقة إلى اللجوء إلى الكفاح المسلح ، وقد قام المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بتكوين لجان مصانع قوية ونادى بعمليات المقاطعة الاستهلاكية ، وكانت حالة الكساد الاقتصادي ونشاط المؤتمر الوطني الأفريقي قد دفع المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بعيداً عن الأجندة الاقتصادية الضيقة إلى مشاركة سياسية أكبر ، وقد أدى انضمام المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات لتحالف المؤتمر إلى مضاعفة قمع الدولة للحركة النقابية الأفريقية ، ووصل هذا القمع لقمته في ديسمبر ١٩٦١ عندما تم نقل نشاط المؤتمر الوطني الأفريقي والمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات (٣) .

- 1- Milburn , Josephine F. , Trade Unions in Politics in the British Commonwealth , The Western Political Quarterly , Vol.17 , No. 2 (June , 1964) , pp. 279-280.
- 2- Stultz , Newell M. , The Politics of Security : South Africa under Verwoerd, 1961 -6 , The Journal of Modern African Studies , Vol.7 , No. 1 (1969) ,p. 4 .
- 3- Marx , Anthony W. , Lessons of Struggle , op. cit., pp. 191-192

وعند تقييم المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ودوره كتنظيم نقابي يقود العمال الأفارقة يجب أن ينظر لأداء هذا التنظيم في ضوء أن الحركة النقابية ككل في منتصف الخمسينيات قد تأثرت بالحركة الوطنية الأفريكانرية ، إذ قوت الحكومة الوطنية من تنظيماتها ضد كل النقابات والاتحادات federations ، وقررت التعامل فقط مع النقابات التي تدعم السياسات العنصرية ، وأصبحت مفاوضات النقابات مع الحكومة أكثر صعوبة بالنسبة للاتحادات التي تنتهج سياسة معتدلة تجاه القضايا العرقية مثل مجلس النقابات الجنوب أفريقية The South African Trades Union Council (S.A.T.U.C.) الذي يسمح بقدر من عضوية الملونين (١) .

وتتضح تلك السياسة – على سبيل المثال – في توجيه الحكومةالنقد الشديد للمؤتمر النقابي والعمالي لانتهاجه سياسة التعدد العرقي في الانتماء والعضوية ، وكانت عضوية هذا المجلس قد وصلت إلى ما يزيد على مائتي ألف شخص ، وكانت النقابات الأفريكانرية أكثر استعداداً للانفصال عن المجلس نظراً لتنامي النفوذ الشيوعي داخله ، وسرعان أن قامت هذه النقابات بالفعل بالانفصال وتبعتها النقابات الأكثر اعتدالاً ، وهو الأمر الذي هدد وضع المؤتمر نفسه ، وواجهت الجماعة الصغيرة المتبقية موقفا أصبحت فيه العناصر اليسارية هي الأغلبية ، ولم يكد وزير العمل يشير إلى نيته في عام ١٩٥٤ بتعديل قانون المساومة الصناعية كي يتضمن إجراءات هادفة إلى تشجيع النقابات المختلطة عرقياً على الانفصال فيما بينها على أساس عرقي ، وأن يتضمن أيضاً حجز وظائف بعينها لصالح جماعات عرقية معينة ، ولم يكد يعلن وزير العمل عن ذلك إلا وانهار المجلس النقابي والعمالي ، وأصبح في العام نفسه منقسماً إلى خمسة كيانات هي :

١- المجلس الفيدرالي الاستشاري لرابطة طاقم السكك الحديدية والموانئ الجنوب أفريقية The Federal Consultative Council of South African Railways and Harbours Staff Association والذي كان يهيمن عليه الجناح اليميني الأفريكانري .

1- Milburn , Josephine F. , Trade Unions in Politics in the British Commonwealth , The Western Political Quarterly , Vol.17 , No. 2 (June , 1964) , pp. 279-280.

٢- المجلس التنسيقي للنقابات الجنوب أفريقية The Co-ordinating Council of South African Trade Unions وكان مكونا من النقابات البيضاء فقط وهو أفريكانري العضوية بالكامل .

٣- الاتحاد الجنوب أفريقي The South African Federation ، والمكون من نقابات من العمال المهرة والحرفيين ولم يكن لها موقف عرقي محدد .

٤- المجلس النقابي والعمالي The Trades and Labour Council وكان يساريا وضم نقابات العمال الأقل مهارة ، وكان به ثلاث نقابات أفريقية .

٥- اتحاد نقابات الإقليم الغربي The Western Province Federation of labour Unions، والمكون من نقابات الحرفيين وبه عضوية مشتركة ويتبع سياسات معتدلة بصورة عامة (١)

وفي ظل هذه الظروف كان تكون المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ليمثل مصالح العمال الأفارقة ، وثمة رأيان متعلقان بعلاقة ساكتو مع المؤتمر الوطني الأفريقي وتأثير هذه العلاقة على دور ساكتو كتنظيم نقابي ، والرأى الأول يتبناه إدوارد فيت المتخصص في دراسة المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، ، ويرى إدوارد فيت – في تحليله لساكتو عموماً – أن نقطة الضعف الأساسية في المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات تمثلت فى ضعف تفكير واستراتيجية قيادته ، ويوضح فيت ذلك بقوله إن تفكير قيادة المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات أخطأ في قضيتين ، الأولى هي قضية الثورة القومية ؛ فقد رأت تلك القيادة – مثلها في ذلك مثل الحزب الشيوعي – أنه يجب أن تكون ثورة البروليتاريا مسبوقة بثورة قومية ، ونتيجة لذلك فإن النقابات عليها أن تندمج في هذا النضال وأن تعمل على تحقيق الأهداف الثورية القومية ، والقضية الثانية هي حدود الوعى النقابي فقد التزمت القيادة النقابية للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بالتفسير اللينيني لحدود الوعى النقابي والذي أورده في كتابه What Is to Be Done? بأن الوعى النقابي له سمة جزئية واقتصادية ، وقادر فقط على الضغط من أجل الحصول على تحسينات طفيفة في ظروف العمل ، وهو الأمر الذى يعني إدخال تحسينات طفيفة في داخل الإطار الرأسمالي أكثر من إسقاط نظام

1- Grobbelaar , J. A., Race and Labour Relations , (in : Rhoodie , N. J. (editor) , South African Dialogue : Contrasts in South African Thinking on Basic Race Issues) , The Westminster Press , Philadelphia , 1973 , pp. 303-304.

الاستغلال ككل ، وقد انتقلت هذه الفكرة لتحليل المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات للكفاح القومي ، مما دفع قياداته إلى إخضاع الحركة النقابية لخدمة النضال القومي ، الذى يقوده المؤتمر الوطني الأفريقي (١).

أما الرأى الثاني – على عكس رأى إدوارد فيت – فيرى أن ارتباط المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بالمؤتمر الوطني الأفريقي كان أمراً ضرورياً بالنسبة للاتحاد حديث النشأة ، مع ملاحظة أن نمو المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات كان في الأقاليم الأقرب صلة بالحركة الوطنية ، مما يعنى استفادة ساكتو من المؤتمر الوطني الأفريقي (٢) ، وأن الحركة العمالية الأفريقية – بعد ترسيخ علاقتها مع تحالف المؤتمر – قد أصبحت تتفاوض من موقع أقوى ، خاصة أن المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات قد تبنى سياسة أن كل عضو نقابي فيه يصبح عضواً في تحالف المؤتمر والعكس صحيح ، وكان قيام المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بدعم الحملات التي قام بها كل من المؤتمر الوطني الأفريقي والمؤتمر الهندي الجنوب أفريقي أثره في تحقيق داعم قوى لسياساته ، فعلى سبيل المثال : عندما أرسلت لجنة المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات في ديربان ممثلها للتفاوض مع عدد من أصحاب الأعمال الذين يعمل لديهم عمالاً أفارقة من أجل تحسين أجور هؤلاء العمال إلا أن شركة التبغ قامت بطرد ثمانية عمال للاشتباه في عضويتهم في المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، وقام المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات على الفور بإرسال خطاب إلى الشركة لإعادة الأفارقة للعمل ، وعندما لم تستجب الشركة أرسل خطاباً آخر موضحاً أنه طالما أن مساعيه لتحسين العلاقة بين العمال والشركة قد فشلت ؛ فإنه قد طالب كل من المؤتمر الوطني الأفريقي والمؤتمر الهندي بناتال والمنظمات الحليفة بمقاطعة أعضائهم منتجات هذه الشركة في أنحاء اتحاد جنوب أفريقيا حتى عودة العمال لعملهم ، ونتيجة لهذا قامت الشركة بإعادة العمال مع تقديم وعد للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات بزيادة أجور العمال الأفارقة (٣) .

1- Bonner , Philip , Black Trade Unions in South Africa since World War II , op. cit., p. 183.
2- Marx , Anthony W. , Lessons of Struggle , op. cit., p.192
3- Magubane , Bernard Makhosezwe , the Political Economy of Race and Class in south Africa , Monthly Review Press , New York , 1990 , p. 302.

ويرى كل من كين لوكهاردت وورل برندا أن أهمية دور المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات خلال الخمسينيات ترجع إلى أنه جعل العمال الأفارقة العاملين في الصناعة التحويلية ينضمون للنضال السياسي كأحد الشركاء في تحالف المؤتمر ، وباعتباره التنظيم الوحيد المشارك في تحالف المؤتمر القائم على أساس طبقي ؛ فإن المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات نجح في حشد الآلاف للمشاركة في الحملات الجماهيرية التي كان يقوم بها تحالف المؤتمر ، وفي مجال الأجور كان هناك إنجاز آخر وهو شن المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات حملته الشهيرة جنيه واحد يوميا " One - Pound -a - day " والتي نالت دعماً وتأييداً جماهيرياً كبيراً من قبل العمال الأفارقة وبقية السكان الأفارقة وأجبرت الحملة العديد من أصحاب الأعمال على تقديم زيادات في الأجور (١) .

غير أن رأى إدوارد فيت يستند إلى مبررات قوية ، أهمها أن دور ساكتو صار رهنا بتحرك المؤتمر الوطني الأفريقي ، والذى كان هو أيضاً مرهوناً بالتفاعلات داخل اللجنة المركزية وما يمكن أن يطلق عليه صراع بين التوجهات القديمة والتوجهات الحديثة في العمل الوطني ، وكان هذا يعنى أن دور ساكتو كان دعم تحالف المؤتمر وإكساب المؤتمر الوطني الأفريقي خصوصاً قاعدة جماهيرية لا يستهان بها .

وفي المقابل فإن العلاقة بين ساكتو والمؤتمر الوطني الأفريقي كانت مثمرة في أحيان كثيرة ، وكان انتهاج المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات سياسة النقابية اللاعرقية والعمل السياسي النقابي قد اعتبر من قبل النظام الحاكم تهديداً لنظام استغلال العمالة الرخيصة ، وكان إعلان المبادئ الذي تبناه المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات تهديداً للدولة وتهديداً للنقابات البيضاء التي دعمت التفرقة العرقية النقابية ، وهو الأمر الذى وضع الحركة العمالية في نفس خندق الحركة الوطنية والاستفادة من حركات الاحتجاج والمقاطعة المدعومة من مؤتمر التحالف ، وبحلول عام ١٩٦١ ، كما سيشار إلى ذلك لاحقاً ، والتحول إلى الجمهورية أصبح من العسير الفصل بين توجهات ساكتو وتوجهات المؤتمر الوطني الأفريقي (٢)

1- Luckhardt , ken and Wall , Brenda , Working for Freedom , op.cit., P.30.
2- Ibid., pp. 28-29

الفصل الثالث

الدور السياسي للحركة العمالية الأفريقية

أولاً – موقف المؤتمر الوطني الأفريقي من القضايا والحركة العمالية الأفريقية .

ثانياً – علاقة الحركة العمالية الأفريقية بالحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا .

ثالثاً – الإضرابات العمالية الأفريقية ودورها في الحركة الوطنية الأفريقية

لعبت الحركة العمالية الأفريقية دوراً سياسياً ملموساً في جنوب أفريقيا وفي تطور الحركة الوطنية الأفريقية بها ، فعلى الرغم من أنه في الفترة التي سبقت قيام الحرب العالمية الثانية كانت هذه الحركة العمالية مهمشة وغير مدعومة من قبل التنظيمات السياسية الأفريقية وعلى رأسها المؤتمر الوطني الأفريقي إلا أن حالة الحراك السياسي التي نتجت عن نمو الوعي العمالي لدى الأفارقة كان لها تأثيرها الكبير في تحول المواقف السطحية للمؤتمر الوطني الأفريقي تجاه العمالة الأفريقية إلى مواقف متبنية نوعاً ما للكفاح العمالي للأفارقة خاصة منذ منتصف أربعينيات القرن العشرين ، وكان هذا التحول مرهوناً بعدة اعتبارات أهمها نمو الوعي العمالي الأفريقي – كما ذكر آنفاً – وافتقاد المؤتمر الوطني الأفريقي – باعتباره النموذج الأساسي للحركة الوطنية الأفريقية – لقاعدة شعبية تدعم وجوده وتخرجه من حالة التقوقع التي ظل فيها منذ نشأته عام ١٩١٢ ، وكانت هذه القاعدة الشعبية متمثلة بصورة أهم في العمالة الأفريقية في المناطق الحضرية بما لها من تأثير كبير في العملية الاقتصادية وبما اكتسبته من ثقة في تعاملها مع الرجل الأبيض وإدراكها لمشروعية المطالبة بما هو أكثر من إدخال تحسينات في أوضاعهم إلى فكرة حق تقرير المصير واستعادة وطنهم الذي احتله المستوطنون البيض ، وهكذا استفاد المؤتمر الوطني الأفريقي من الحركة العمالية منذ منتصف الخمسينيات بصفة خاصة ، بينما استفادت الحركة العمالية من إدراج قضاياها ومشكلاتها في مقدمة برنامج عمل الحركة الوطنية ، وهو الذي كان أمراً منطقياً في ظل حقيقة هامة مفادها أن غالبية الشعب الأفريقي هو من العمالة سواء في المناطق " الأوروبية " أو في المعازل .

بينما كانت علاقة الحركة العمالية الأفريقية بالحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا علاقة توصف بأنها عضوية منذ منتصف عشرينيات القرن العشرين وتبني الحزب الشيوعي لمفهوم " الجمهورية السوداء " أو الأفريقية ، وإن كان هذا المفهوم قد اعتبر في سياق مفهوم مناظر له اعتمده الحزب الشيوعي بصدد إضراب عام ١٩٢٢ من قبل العمال البيض في الراند ، وهو مفهوم " جنوب أفريقيا البيضاء " التي دعا الحزب إلى قيامها ، وهو الأمر الذي كان مستحيلاً – من وجهة نظر الحزب – في ظل وجود النظام الرأسمالي ، لكن الحزب نفسه شهد تطوراً ملموساً في أواخر العشرينيات

وأصبح غالبية أعضائه من الأفارقة ، وهو الأمر الذي انعكس بدوره على الحركة العمالية الأفريقية ، بحيث يمكن القول أن غالبية – إن لم يكن كل – القيادات النقابية التي تولت مهمة تنظيم وإدارة تنظيمات عمالية أفريقية كانت منتمية للحزب الشيوعي ، وهو الأمر الذي أصبح ملازماً للحركة العمالية الأفريقية طوال تاريخها .

أما أهم صور الدور السياسي للحركة العمالية الأفريقية فقد تمثلت في الإضرابات العمالية التي قامت بها العمالة الأفريقية بصورة مستمرة ومتباينة في درجاتها ، وكان أهم هذه الإضرابات قوة وتأثيراً في الحركة العمالية الأفريقية إضراب عمال المناجم الأفارقة في أغسطس عام ١٩٤٦ بما أحدثه هذا الإضراب من إظهار لقدرة العمالة الأفريقية على اتخاذ خطوات مؤثرة للحصول على حقوقها ، وبما وضعه من اختبار للحركة الوطنية الأفريقية وتحولها للانتباه لمشكلات العمال الأفارقة بصورة جوهرية .

أولاً – موقف المؤتمر الوطني الأفريقي من القضايا والحركة العمالية الأفريقية .

تركزت اهتمامات المؤتمر الوطني الأفريقي تجاه العمالة والحركة العمالية الأفريقيتين حتى نهاية عقد الأربعينيات من القرن العشرين على تناول القضايا المتعلقة بهما في إطار السياسة العامة للمؤتمر ، والتي كانت في مجملها سلمية ومتسقة مع الأسس التي أرساها النظام السياسي القائم لوجود هيئات تمثل الأفارقة لكنها لا تتجاوز أبداً إلى إحداث تغيير فعلى من تلقاء نفسها ، لذا يلاحظ في مواقف المؤتمر الوطني تجاه القضايا العمالية في الفترة المحددة إنها عبارة عن مواقف تسجل اعتراض أحياناً أو تكون في شكل التماسات أو تنبيه للحكومة نحو قضية معينة .

ولعل أول اختبار حقيقي لموقف المؤتمر تجاه سياسة التفرقة التي تتبعها الحكومة في اتحاد جنوب أفريقيا تجاه الأفارقة كان صدور قانون الأرض (تم التصديق عليه من قبل اللورد جلادستون الحاكم العام في ١٦ يونيو ١٩١٣) الذي أثر سلبيا وبصورة كبيرة على كل الأفارقة في اتحاد جنوب أفريقيا ، والذي حرم بمقتضاه أي أفريقي (إلا بتصديق من قبل الحاكم العام) من شراء أو استئجار أو تأجير أي أراض لغرض الفلاحة ، ويصبح الوضع الوحيد المتاح أمام الأفريقي الموجود في المزرعة هو وضع الخادم لصاحب هذه المزرعة ، وعلى سبيل المثال فإن قضاءات Magistrates كل من إيست لندن وكينج وليامز King Williams وأليس Alice في مستعمرة الكيب (التي قيل إن القانون لن يكون ساريا فيها) قامت في أكتوبر ١٩١٣ بمنع المستأجرين الأفارقة من حرث الأراضي التي يستأجرونها ، كما أمرتهم – القضاءات / الأقضية – بنقل مواشيهم من مزارع الرعي ، وقد تبلور موقف المؤتمر من هذا القانون في الالتماس الذي تم تقديمه إلى أعضاء البرلمان ومجلس العموم البريطانيين في عام ١٩١٤ ، وقد تضمن الالتماس توضيح الخطوات التي اتخذها المؤتمر لتوضيح رأيه في القانون إذ تم إرسال وفد مفوض إلى ف. س. مالان F. S. Malan نائب وزير شئون الوطنيين في يوليو ١٩١٣ للمطالبة بتعليق تطبيق القانون ، وهو الأمر الذي فشل الوفد فيه تماماً ،وفي

اجتماع المؤتمر الوطني في كمبرلي في فبراير ١٩١٤ تم التأكيد مجددا على قرار اتخذه المؤتمر بإرسال وفد مفوض إلى إنجلترا وفي هذه الأثناء قام مرة أخرى بإرسال التماس لبرلمان الاتحاد وممثل الملك في الاتحاد إلا أن هذا الالتماس لم يتم عرضه لمعارضة الجنرال بوثا رئيس الوزراء لذلك (وهو في نفس الوقت وزير شئون الوطنيين) ، كما كانت اللجنة التنفيذية للمؤتمر الوطني تقوم بمراسلات متواصلة مع رئيس الوزراء من أجل سحب مشروع القانون (قبل توقيعه) أولاً ثم إلغاء الفقرات الأكثر تطرفاً فيه ، وسبق أن وعد بوثا هذا الوفد بإمكانية التغيير في القانون لكنه صرح فيما بعد بأنه إذا ذهب للبرلمان باقتراح لتعديل القانون فإنه سيعد مجنوناً ، وأورد التماس المؤتمر اعتراضاته على القانون والتي تمثلت فيما يلي :

١- *أن بنوده تستبعد الوطنيين من حرية الشراء والتعامل في الأراضي وهو الحق الذي لم يكن ممسوساً به من قبل .*

٢- *فيما يتعلق بالعمالة الأفريقية في مزارع البيض فإن بنود القانون تتضارب مع حقوق الأفارقة التي تمتعوا بها لأجيال مضت ، وبصورة خاصة فإن هذه البنود تتضارب مع حقوق الأفارقة باعتبارهم رعايا بريطانيين في المقايضة / الاتفاق مع ملاك هذه المزارع ، وهو ما يؤدى إلى نوع من العبودية ، ويعود هذا إلى بند يشجع صاحب المزرعة على ابتزاز خدمة غير مدفوعة من المستأجرين الوطنيين ، وفي حالة الطرد فإن المستأجر الأفريقي يكون غير قادر على الاستقرار في أي مزرعة أخرى إلا في حالة أن يعمل في أي مزرعة كخادم ، ومن ثم فإنه يكون مجبراً على قبول أي أوضاع يفرضها عليه صاحب المزرعة ، وهذا ما نسميه بالعبودية .*

٣- *وواقعياً فإن الاعتراض الجلي لنا على القانون هو أنه يجبر الوطني على العمل بجعل أن كونه عاملاً هو الوضع الوحيد لحياته داخل مزرعة الرجل الأبيض .*

٤- *كما أنه أيضاً ووفقا لهذا القانون الجديد فإنه لن يسمح لأي وطني أن يقيم في أي أرض في أورانج فري ستيت أو يملكها (١) .*

1- An Appeal to the Members of the Imperial Parliament and Public of Great Britain, A Petition from the South African Native National Congress, 1914, www.anc.org.za/docs. pp.1-7

ولم يكن المؤتمر الوطني معارضاً لسياسة التفرقة العرقية – التي رسخها قانون الأرض – طالما أنها تقوم على أسس عادلة وكونها قابلة للتطبيق ، وذلك على حد قول جون ديوب رئيس المؤتمر الوطني في الالتماس الذي قدمه بدوره إلى رئيس الوزراء في ١٤ فبراير ١٩١٤ (وتم تقديمه على شكل بيان منشور في ذي كيب آرجوس *The Cape Argus*) وأعلن فيه أن : *الملتمس يحتج بتذلل على حظر بيع الأراضي للوطنيين ويصلي من أجل أن تقوم سيادتكم بممارسة سلطتكم باعتباركم وزيرا لشئون الوطنيين من أجل إدخال تعديل لإلغاء هذا الحظر المفروض على مبيعات الأراضي للوطنيين* (١) .

كما كانت رؤية المؤتمر الوطني الأفريقي آنذاك تجاه بريطانيا تقوم على أن بريطانيا ما زالت هي القوة الفاعلة في اتحاد جنوب أفريقيا من جهة وأن بريطانيا متعاطفة مع قضايا الأفارقة في الاتحاد والدفاع عن حقوقهم ، وهو الأمر الذي لم يكن واقعياً بالمرة ؛ إذ أن مصالح بريطانيا كانت تصب في صالح التهدئة مع النظام الحاكم في الاتحاد ، وكان المؤتمر يستند في رؤيته تلك إلى إعلان ممثل التاج في الاتحاد السير جارنت ولزلي Garnet Wolseley (يونيو ١٨٨٠) بخصوص مستقبل زولولاند وهو الإعلان الذي تضمن تأكيد ولزلي على أنه لن يتم طرد أحد من الزولو من مناطقهم ، وكان واضحاً في الرد البريطاني على الالتماس المقدم من المؤتمر الوطني الأفريقي للملك جورج الخامس بخصوص طلب تدخله لدي الحكومة الجنوب أفريقية لتعديل القانون (نشر الالتماس في ذي كيب آرجوس في ٢٠ يوليو ١٩١٤) –خطأ هذا التقدير من قبل المؤتمر الوطني ؛ إذ لم يكن الرد سوى إعلام للمؤتمر بوصول الالتماس لجلالة الملك ، وتضمن الالتماس سابق الذكر إشارة واضحة من قبل المؤتمر إلى عدم اعتباره أن قانون الأرض ينطوي على أية تفرقة طبقية ، كما تضمن أيضا اعتبار الأفارقة لأنفسهم رعايا بريطانيين ، كما تضمن الالتماس إشارة ذات دلالة قوية على هيمنة النزعة القبلية على المؤتمر في بداياته – تحديدا هيمنة قبيلة الزولو عليه – إذ ذكر في

1- Petition to the Prime Minister, from the Rev. John L. Dube, President, South African Native National Congress, 14 February 1914, (Published in *The Cape Argus*), www.anc.org.za/docs.pp.1-2.

الالتماس أن : *الوطنيين هم السكان الأصليين لهذه الأرض وأن الأعراق البيضاء جاءت واستقرت جنباً إلى جنب الوطنيين في أراضيهم ، ولم يكن الوطنيون هم الذين قاموا بالذهاب إلى بلاد الإنسان الأبيض واستقروا بجوار الإنسان الأبيض* [١]، ومعنى هذا أن مسالة وجود تفرقة تمارس ضد الأفارقة وتؤثر على وجودهم في أراضيهم لم تكن في اعتبار المؤتمر الوطني الأفريقي ؛ لأن معظم المناطق التي تم طرد الأفارقة منها لصالح المستوطنين الأوروبيين كانت مناطق تتبع قبائل أخرى غير قبيلة الزولو التي تمركزت في نفس مناطق وجودها حتى بعد صدور القانون وتطبيق بنوده .

كما أن هذه الإشارة كانت تنطبق على الزولو فقط ، بينما كانت ثمة مواجهات وحروب بين الأوروبيين والإكسوزا منذ المراحل المبكرة من الاستيطان الأوروبي في جنوب أفريقيا ، في الوقت الذي اتسمت العلاقات بين الزولو والأوروبيين بكونها علاقات سلمية الطابع في معظم الأحيان ، وهذه الرؤية القبلية تؤكد على أن المؤتمر الوطني الأفريقي كان في هذه المرحلة – وربما حتى منتصف الأربعينيات ونمو نفوذ رابطة الشباب التابعة للمؤتمر – مجرد تنظيم للنخبة الأفريقية التي نظرت للقضايا المختلفة التي واجهت الأفارقة في الاتحاد نظرة مستعلية مع حرص هذه النخبة على العمل في إطار محددات النظام السياسي القائم والتأكيد المستمر على الانتماء المسيحي لهذه النخبة باعتباره – هذا الانتماء – داعماً لفكرة كون الأفارقة " رعايا بريطانيين " ، والحرص على عدم الصدام مع النظام والتركيز على القضايا التي تمس هذه النخبة بصورة مباشرة.

وعلى الرغم من تشكيل الحكومة لبعثة أراضي الوطنيين حول قانون الأرض The Natives land Commission on the Natives land Act في نفس عام صدور القانون (١٩١٣) إلا أن تقرير هذه البعثة صدر في عام ١٩١٦ مؤكداً على عدم

1- Petition to King George V, from the South African native national Congress, 20 July 1914 (published in *The Cape Argus*), www.anc.org.za/docs, pp.1-3.

الحاجة لإدخال تعديلات علي هذا القانون وهو الأمر الذي أثار حفيظة المؤتمر الوطني الأفريقي وأصدر في المؤتمر الذي عقد في بيترمارتزبرج Petermaritzburg في ٢ أكتوبر ١٩١٦ قرارا ضد القانون والتقرير المتعلق به ، خاصة في ضوء أن تحركات العمالة الأفريقية من المناطق الزراعية قد أصبحت في زيادة مطردة بسبب تطبيقات هذا القانون – إضافة إلي عوامل الجذب الأخرى للعمالة والمتعلقة بالتطور الاقتصادي لاتحاد جنوب أفريقيا في فترة الحرب العالمية الأولى – التي دفعت الأفارقة دفعاً خارج أراضيهم ، فقد لاحظ القرار أن غالبية السكان الأفارقة في جنوب أفريقيا لم توفر لهم حماية أو امتياز من أي نوع في ظل دستور الاتحاد ، كما أنه ليس هناك ضماناً قانونياً لمصالحهم باعتبارهم رعايا للإمبراطورية البريطانية ، وليست هناك ثمة أية قناة يمكن لهم من خلالها توصيل شكاواهم ، وليست هناك وسائل معترف بها للتواصل مع السلطة التشريعية ، وتوصل المندوبون الذين أصدروا القرار إلي النص علي أنه : *نظراً لكل هذه الأسباب ؛ فإن المؤتمر المكون من مندوبين من القبائل الوطنية المتعددة في جنوب أفريقيا يعلنون معارضتهم الراسخة لقانون أراضي الوطنيين لعام ١٩١٣ ومعيدين التأكيد علي كل قراراتهم السابقة المتعلقة بالقانون المذكور ، وبناء علي ذلك فإنهم يقررون العمل بكل الوسائل المتاحة أمام المؤتمر الوطني لضمان سحب القانون المؤذي وعدم سريان (توصيات) تقرير البعثة* [1]

وواصل المؤتمر الوطني سياسة تقديم الالتماسات في الوقت الذي كانت تتزايد فيه حدة قضايا العمالة الأفريقية في المناطق الريفية والحضرية علي حد سواء ، وفي ١٦ ديسمبر عام ١٩١٨ قدم المؤتمر التماساً آخر للملك جورج الخامس إثر انتهاء الحرب العالمية الأولي وانتصار : *قوات بريطانيا العظمي وحلفائها النبلاء والولايات المتحدة الأمريكية* ، ولكن كان دافع المؤتمر آنذاك لتوقع رد إيجابي من بريطانيا هو ما نبه عليه الالتماس بتذكير الملك بأن الأفارقة:

1- The South African Native National Congress, Resolution against the Natives Land Act 1913 and the Report of the Natives Land Commission, 2 October 1916, www.anc.org.za/docs, pp.1-2.

- لقد قدمنا خمسة آلاف رجل قوي للذهاب للحرب ومقاتلة الألمان في جنوب غرب أفريقيا ، وأصابنا الحزن عندما قيل لنا أن العرض مرفوض من قبل صاحب السعادة الحاكم العام لاتحاد جنوب أفريقيا على أساس أن الحرب هي بين البيض فقط على الرغم من أننا تأثرنا واقعياً بنتائج الحرب كأي رعايا بيض لجلالتك .
- ذهب الآلاف من رجالنا إلى جنوب غرب أفريقيا الألمانية للعمل كسائقين وللمساعدة في مد سكك حديدية داخل الإقليم للأغراض العسكرية .
- ومما يعتبر أمراً مميزاً لكل فرد (منا) أنه خلال أوقات محاولة إثارة التمرد في هذه البلاد فإننا ظللنا هادئين تماماً وسلبيين دون أدنى أذى لحكومة الاتحاد عندما هيئت الظروف الصعبة فرصة لتقديم إغراءات خطيرة أمام الشعب المقموع (للتمرد) .
- وشارك ١٧ ألف من رجالنا في الحملة في شرق أفريقيا الألمانية تحت قيادة الليفتانت جنرال جان كريستيان سمتس وزير الدفاع للاتحاد ، وهناك شاركوا في القتال وعمليات النقل ومات العديد منهم بوباء الملاريا وعانوا من مصاعب وحالات حرمان جمة.
- ولمدة الأربع سنوات الماضية ومنذ بدء العداءات (الحرب) فإن رجالنا الريفيين ظلوا هم المصدر الأساسي والمنتظم للعمالة في مناجم الذهب في الراند وهو ما دعم استمرار ناتج الذهب وإتاحة السيانيد لأغراض الحرب ، كما تم توفير العمالة للمناجم والموانئ وكل الصناعات الأخرى الضرورية لمواصلة الحرب .
- وبينما كان رجالنا مشاركين في ساحات عديدة للحرب ، دون ادخار لأي جهد كما وضح سابقاً ، فإن أولئك الذين ظلوا في الوطن قدموا إسهامات نقدية ووفقاً لوسائلنا (الأخرى) نحو دعم مخصصات الحرب ، فقد قدم الزعماء الماشية وكل ما يقدرون عليه mealies and curios وهو الأمر الذي أقر الامتنان به ممثلو جلالتك في هذه البلاد[١] .

1- Makgatho, S. A., and Bud-M'Belle, I., Petition to King George V, from the South African Native National Congress, 16 December 1918, www.anc.org.za/docs, p.2.

إلا أن كل المبررات التي ساقها س. أ. ماكاثو (رئيس المؤتمر الوطني) و إ. بدماميل I. Bud-M'Belle (الأمين العام للمؤتمر) في الالتماس الذي قدماه باسم المؤتمر لم تكن مجدية ، ووضح في الالتماس توظيف المؤتمر الوطني لقضايا العمالة في التقارب مع حكومة الاتحاد والحكومة البريطانية بدلا من التعبير عن هذه القضايا.

ومع قيام اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي عام ١٩١٩ اتضح - بما لا يدع مجالاً للشك - أن علاقة المؤتمر الوطني الأفريقي بالقضايا والحركة العمالية الأفريقيتين قد أصبحت علاقة بين أصحاب مصالح متباينة ، فالمؤتمر الوطني – كما سبق الذكر – كان تمثيلاً للنخبة الأفريقية المتقاربة مع الحضارة الغربية المسيحية وذات النزعة القبلية أكثر من كونه تمثيلا للجموع الأفريقية ، وارتبطت العلاقة فيما بعد بين المؤتمر الوطني الأفريقي والاتحاد حديث النشأة الذي أسسه كليمنت كادالي بعامل مشترك يكاد يكون وحيد وهو نمو التيار الشيوعي وتهديده للطرفين ، ولم يكن ثمة رؤية سياسية – على الأقل – مشتركة أو متقاربة بينهما ، ويوضح كلمنت كادالي ذلك التضارب في الرؤية في مذكراته بقوله :

وقبل التوسع في الحركة (اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي) تم عقد مؤتمر آخر في إيست لندن في ١٧ يناير ١٩٢٤ ، وافتتحه البروفيسور د. د. ت. جابافو D. D. T. Jabavu ، وفي هذا الوقت كانت البلاد غير مستقرة سياسيا ، وفي مايو عقد المؤتمر الوطني الأفريقي مؤتمره (السنوي) في بلموفونتين ، وكنت ممثلاً لاتحاد العمال الصناعي والتجاري في المؤتمر ، وكانت القضية المطروحة على المؤتمر هي اختيار اتخاذ قرار إما بدعم الحكومة القائمة بقيادة الجنرال سمتس كرئيس للوزراء ، أو دعم المعارضة بقيادة الجنرال هيرتزوج ، وتلا قس المؤتمر الوطني الأفريقي ز. ر. ماهابين Z. R. Mahabane قرار تأييد سمتس ، بينما تلا ممثل اتحاد العمال الصناعي والتجاري قرار ورد فيه: إن تغيير هذه الحكومة ضرورة ، وسيكون في صالح جنوب أفريقيا ، وذكرت مؤكدا على عمليات إطلاق الرصاص في بورت إليزابيث عام ١٩٢٠ ومذبحة بلهوك Bulhoek واستدعاء قوات الجيش لقمع إضراب عمال ميناء كيب تاون عام ١٩١٩ والعديد من

الأحداث التي يصعب ذكرها هنا ، وعندما أجرى التصويت نال اقتراح اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأغلبية ، وكان هذا هو أول انتصار سياسي كبير لي (١) .

وهي المقارنة التي يؤكد فيها كادالي على أن المؤتمر الوطني الأفريقي لا يجد مانعاً في دعم حكومة اتخذت مواقف عدوانية تجاه أي تحرك أفريقي معارض لسياستها ، إلا أن الجدير بالذكر أن كادالي نفسه وقع في نفس المأزق الذي اتهم المؤتمر الوطني به ، إذ أنه – كما سبقت الإشارة – تلقي دعماً مادياً مباشراً من هيرتزوج حتى قبل توليه رئاسة الوزراء لطبع جريدته ذي ووركرز هيرالد The Workers' Herald ، وأن يتم طبع العدد الخاص بالانتخابات العامة لهذه الجريدة من قبل الصحف الوطنية (التابعة للحزب الوطني الذي يترأسه هيرتزوج) (٢)، وهو ما عني توظيف قيادة كادالي واتحاد العمال الصناعي والتجاري في الكيب من أجل ترجيح كفة هيرتزوج الذي بدأت حكومته فيما بعد في فرض مجموعة قوانين أثرت سلباً على العمالة الأفريقية ، كما أنها وجهت ضربات قاصمة إلى اتحاد العمال الصناعي والتجاري وجعلته – إضافة إلى عوامل أخرى – مجرد تنظيم عمالي شكلي .

وتباعدت اهتمامات المؤتمر الوطني الأفريقي واقعياً بالعمالة والحركة العمالية الأفريقيتين بالتدريج، وتجدر الإشارة هنا إلى أن رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي جوشيا ت. جوميدي Josiah T. Gumede الذي ركز في خطابه أمام المؤتمر الدولي ضد الإمبريالية المنعقد في بروكسل عام ١٩٢٧ (وهو الخطاب الذي أعده

1- Kadalie, Clements, My life and the I. C. U.: The Autobiography of a Black Trade Unionist in South Africa (introduced by Helen Bradford), London, 1970, p. 58.

- حدثت منبحة بولهوك بالقرب من كوينزتاون Queenstown ، وقامت قوات الشرطة (قدر عددها بـ ٧١٩ شرطيا) بقيادة مفوض الشرطة police commissioner تروتر Truter خلالها بقتل ١٦٣ أفريقيا من أنصار العقيدة الإسرائيلية Israelite sect ، وجرح خلال الهجوم نحو ١٢٩ أفريقيا والقي القبض على ١١٣ آخرين ، بينما جرح شرطي واحد وأجبر أنصار هذه العقيدة على ترك الأراضي التي اعتبروها تخص رسولهم إنوخ مجيجيما Enoch Mgijima .

- A Chronological History of the African National Congress, www.ufh.ac.za/collections.

2- Kadalie, Clements, My life and the I. C. U., op. cit. p.59.

بالتشارك مع جيمس لاجوما J. A. LaGuma ممثلاً للحزب الشيوعي و د. كلورين D. Colraine عن مؤتمر النقابات الجنوب أفريقية) على تناول حرب الزولو في نهاية القرن التاسع عشر وتأثيراتها على الزولو ، ولم يفته أن يشير إلى انتمائه للزولو ، إلا أن الخطاب تضمن أيضا – ربما بتوجيه من جيمس لاجوما بصورة خاصة –إشارات هامة لقضايا عمالية:

وأولئك الذين يعملون في المناجم ، على ماذا يحصلون ؟ إنهم ينالون شلنين يوميا ، إنهم ينزلون إلى قيعان الأرض لجلب الذهب لإثراء الراسمالي capitalist لكن الراسمالي يعطيهم شلنين يومياً ويضعهم في تجمعات عمالية قذرة ، هذا هو الوضع هناك ، اذهبوا داخل المدن ، ماذا ستجدون ؟ بعضاً منهم يعملون من أجل عشرة شلنات أو خمسة عشر شلنا شهريا ، وما هو سكنهم ؟ إنه عبارة عن مكان صغير ، وفي بعض الحالات الاستثنائية يحصلون على جنيهين أو ثلاثة جنيهات شهرياً (الجنيه = عشرين شلنا) ... ويقوم المجندون (للعمال) بـرواية قصص لطيفة عما سيناله العمال وعندما يعملون في المناجم والمزارع يكونون غير راضين (عن الوضع) ، وقد تم طرد الكثير من مواطنينا الذين يعملون في الأعمال الحكومية والعامة لإفساح المجال للفقراء الأوروبيين ، ومن أين جاء هؤلاء الفقراء الأوروبيون ؟إن أعداد كبيرة من السود عاطلون عن العمل ، إن الزنجي الفقير في جنوب أفريقيا يعيش في ظل ظروف شديدة الصعوبة وقد حرم من كل حقوقه الإنسانية ، والآن يوجد قانون الحاجز اللوني لعام ١٩٢٦ (١).

1- Speech of J. T. Gumede, President of the African National Congress at the International Congress Against Imperialism, Brussels, 10-15 February 1927, www.anc.org.za/docs, p.1.

وقد تضمن نص القرار المقترح من قبل المندوبين الثلاثة والذي أقره المؤتمر ما يلي :

نحن المندوبين الموقعين أدناه من اتحاد جنوب أفريقيا نقدم بكل احترام للمؤتمر الدولي الأول للعمال والشعوب المقموعة في كل الدول الإمبريالية والمستعمرات The First International Conference of Workers and Oppressed Peoples in all Imperialist Countries and Colonies القرار التالي فيما يتعلق بالعمال والمقموعين في جنوب أفريقيا بغض النظر عن العرق أو اللون أو الدين ؛ فإننا نطالب بما يلي :

١ - حق تقرير المصير من خلال الإسقاط التام للهيمنة الرأسمالية والإمبريالية .

٢ - حق إنشاء مقار تعليمية كاملة من أجل تنمية كل الشعوب .

٣ - إلغاء كل الضرائب القمعية .

٤ - إلغاء كل أشكال العمالة بعقد indentured labour .

٥ - حق كل فئات classes العمال في تنظيم نفسها في تنظيمات نقابية من أجل تحررها الاقتصادي والاجتماعي .

٦ - أن يكون من حق جميع العمال التحدث والتجمع بغض النظر عن اللون أو الدين ، وكذلك (ضمان) عدم فرض حظر على أي قيادي يمثل العمال والشعب أثناء قيامه بالسفر لصالح الحصول على هذه الحقوق المذكورة في الفقرات السابقة (١) .

1- Speech of J. T. Gumede, President of the African National Congress at the International Congress Against Imperialism, op. cit. p.2.

- ويمكن إرجاع تناول الخطاب لجوانب هامة تمس العمالة الأفريقية والتنظيم العمالي إلى طبيعة المؤتمر الذي انعقد ببروكسل في عقد كانت خلاله صيحة الزنوجة والوحدة الأفريقية رائجة – خاصة بعد انعقاد مؤتمرات مثل مؤتمر الأعراق العالمية الذي عقد في جامعة لندن في الفترة ٢٦-٢٩ يوليو ١٩١١ ، ومؤتمر أفريقيا الذي عقده أحد الآباء المؤسسين لحركة الوحدة الأفريقية وهو بوكر واشنطن Booker Washington في معهد توسكيجي Tuskegee Institute بالولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩١٢ ، و مؤتمر الوحدة الأفريقية الذي عقد في باريس عام ١٩١٩ - وكان مواكبا لانعقاد مؤتمر السلام الدولي في فرساي آنذاك - والذي كان من بين قراراته قرار متعلق بالعمالة كان نصه : *يجب أن يتم إلغاء الرق والعقاب الجسدي وكذا العمل الإجباري إلا في حالة العقاب نتيجة جريمة ، ويجب أن تخضع ظروف العمل لسلطة===*

وبالفعل فإن مواقف المؤتمر الوطني الأفريقي فيما بعد لم تعكس ارتباطاً وثيقاً بالعمال الأفارقة ، ومع تنامي التيار الشيوعي الذي قاد عملية التنظيم النقابي في اتحاد جنوب أفريقيا في ثلاثينيات القرن العشرين استمرت حالة التناول السطحي لقضايا العمالة الأفريقية في المؤتمر الوطني الأفريقي ، ولم يتغير هذا الوضع إلا مع تغير توجهات المؤتمر نفسه في منتصف الأربعينيات ، وتحديداً مع قيام رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي في إبريل ١٩٤٤ ، والتي كان بيانها التأسيسي قد تضمن أنها تهدف إلى :

١ - حشد وتعبئة الشباب الأفريقي في جبهة قومية واحدة على أساس القومية الأفريقية .

٢ - إعطاء قوة وتوجيه ونشاط للنضال من أجل حرية القومية الأفريقية من خلال مساعدة ودعم وتعزيز الحركة القومية : المؤتمر الوطني الأفريقي .

٣ - دراسة المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية لأفريقيا والعالم .

٤ - الكفاح والعمل من أجل التقدم التعليمي والأخلاقي والثقافي للشباب الأفريقي [١] .

= وتنظيم الدولة ، وكذلك مؤتمر الوحدة الأفريقية الثالث الذي عقد في لندن في عام ١٩٢٣ برئاسة ديبوا du Bois وهو المؤتمر الذي كان مجسدا لتنامي النفوذ الشيوعي على الساحة الدولية وهو الأمر الذي اتضح في احتضان الاشتراكيين البريطانيين لهذا المؤتمر .

- George, Shepperson, Pan -Africanism and " Pan-Africanism ": Some Historical Notes, Phylon, Vol. 23, No. 4 (4th Qtr., 1962, p.354.
- Legum, Colin, Pan - Africanism, A Short Political Guide, Pall Mall Press, London, 1962, p.135.
- Padmore, George, Pan - Africanism or Communism? The Coming Struggle for Africa, Dennis Dobson, London, 1956, p. 139.

1- The National Executive Committee of the ANC Youth League, ANC Youth League Basic Policy Document, 1948, www.anc.org.docs, p.1.

وخلال إضراب عمال المناجم الأفارقة في أغسطس ١٩٤٦ لم يتخذ المؤتمر الوطني الأفريقي موقفا مؤيدا للإضراب بل اقتصر الأمر على الاستياء من العنف الذي تمت به مواجهة المضربين ، وهو الموقف الذي بدا هزيلاً عند مقارنته بموقف المؤتمر الهندي الجنوب أفريقي من إضرابات العمال ذوي الأصول الهندية في ديربان وتبنيه لهذه الإضرابات ، كما بدا أيضاً ضعف موقف زعامة المؤتمر الوطني الأفريقي متمثلة في د. ألفريد زوما A. B. Xuma إزاء هذا الإضراب مقارنة بموقف زعامة المؤتمر الهندي متمثلة في د. يوسف محمد دادو Yusuf M. Dadoo الذي اعتمد في مواقفه على التبني الكامل للتوجهات العامة للجماعة الهندية وليس اعتماد توجه انتقائي متحسبا لموقف النظام الحاكم في المقام الأول ، وربما تعود حيوية زعامة يوسف محمد دادوو وتفاعلها مع الجماعة التي تمثلها إلى أنه – على عكس ألفريد زوما - كان ينظر للتيارات الأخرى المناهضة للتفرقة والقمع – ولا سيما الحزب الشيوعي – على أنها متشاركة معا ، وأن الشيوعية في حالة جنوب أفريقيا هي توجه للتحرر أكثر من كونها إقصاء للدين ، فقد تعاون دادوو مع كافة التيارات المناهضة للتفرقة – بما فيها الرابطة الإسلامية The Muslim League الممثلة للمسلمين في جنوب أفريقيا – لصالح الجماعة الهندية ككل(١)

1- The Letters of Dr. Yusuf M. Dadoo (a Collection), www.anc.org.za/docs:
   - Letter to Prof. D. D. T. Jabavu, July 4, 1940.
   - Letter to Prof. D. D. T. Jabavu, July 5, 1940.
   - " Segregation or Progress? ": An Appeal to Natal Indians, March 1945.

- يري البعض أن ألفريد زوما كان يوجه المؤتمر الوطني الأفريقي لاتجاه أكثر ثورية ، إلا أن ذلك لم يكن ملموسا إلا في أواخر الأربعينيات ، كما أن هذا التوجه الثوري كان مدفوعا أصلا بالتغيرات في اللجنة التنفيذية للمؤتمر وليس بالقيادة الشخصية لزوما ، ويشير أصحاب الرأي السابق إلى إعلان الحقوق The Declaration of Rights الذي أصدره المؤتمر في عام ١٩٤٥ والذي تضمن مطالبات بالمساواة بين السود والبيض ونيل السود – وفق الإعلان – حقوق المواطنة الكاملة والمشاركة المتساوية في المصادر المادية ، إلا أن هذا الإعلان كان أقرب للتعميم منه إلى برنامج للحزب ، كما هو الحال في الوثيقة الأساسية لرابطة شباب المؤتمر التي صدرت فيما بعد كبرنامج محدد للرابطة

   - Barber, James and Barrett, John, South Africa's Foreign Policy: The Search for Status and Security 1945-1988, Cambridge University Press, Cambridge, 1990, p.21.

ويوضح كل ذلك أن الحركة العمالية الأفريقية - التي كانت آنذاك متجسدة في اتحاد عمال المناجم الأفارقة – لم تحظ بدعم المؤتمر الوطني الأفريقي ، ويمكن إرجاع ذلك أيضاً إلى أن المؤتمر الوطني الأفريقي نفسه كان يعاني من اضطراب في توجهاته خاصة مع نمو النزعة الثورية على مبادئ المؤتمر نفسه وسياسته ، وتزايد قوة رابطة الشباب ، وكذلك إلى حذر المؤتمر من التورط في دعم الإضرابات العمالية الأفريقية وهو الأمر الذي كان يعني مواجهة النظام الحاكم ، وعلى الرغم من ذلك فإن تزايد الضغوط داخل المؤتمر لتغيير هذه السياسة الحذرة والانتقادات الموجهة للمؤتمر لموقفه المتخاذل من العمالة الأفريقية فإن ألفريد زوما قام – في خطوة غير مسبوقة بالنسبة لزعامة المؤتمر الوطني الأفريقي – بتوقيع " ميثاق الأطباء الثلاثة " Three Doctors' Pact في ٩ مارس ١٩٤٧ ، وهو الإعلان الذي كان مشتركاً بين كل د. ألفريد زوما و د. ج.م. نيكر G. M. Naiker رئيس المؤتمر الهندي لناتال ود. يوسف محمد دادوو رئيس المؤتمر الهندي ، وفيه تم الاتفاق على أن تقوم الأطراف المشاركة في الإعلان بتفعيل التعاون التام بين الشعبين الأفريقي والهندي (في اتحاد جنوب أفريقيا) والنضال سوياً من أجل :

١- حقوق دستورية كاملة .
٢- حقوق وفرص اقتصادية وصناعية متساوية والاعتراف بالنقابات الأفريقية وفقاً لقانون المساومة الصناعية .
٣- إزالة كل قيود (تملك واستئجار) الأراضي المفروضة على غير الأوروبيين وتوفير تسهيلات سكنية كافية لجميع غير الأوروبيين .
٤- توسيع نطاق التعليم المجاني والإلزامي ليشمل غير الأوروبيين .
٥- ضمان حرية التحرك وإلغاء قوانين المرور المفروضة على الشعب الأفريقي والعوائق الإقليمية Provincial barriers المفروضة على الهنود .
٦- إلغاء كل التشريعات التمييزية والقمعية من النظام الأساسي للاتحاد [١] .

1- The Letters of Dr. Yusuf M. Dadoo, op. cit., " Three Doctors' Pact" , March 9, 1947.

*ومن أبرز وأول الوثائق التي ظهر فيها مفهوم الديموقراطية الحقيقية كمطلب أفريقي بيان مؤتمر الوحدة الأفريقية الخامس المنعقد في تشارلتون تاون هول في مانشستر في عام ١٩٤٥ والذي ورد فيه ===:

وتبنت رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي توجها أقرب صلة بالجموع الأفريقية ، وهو الأمر الذي اتضح في وثيقة السياسة الأساسية للرابطة الصادرة في عام ١٩٤٨ ، والتي تضمنت إشارات واضحة في دلالتها على تمثيل الرابطة للقومية الأفريقية ككل واستبعاد عامل الولاءات القبلية ، إذ كان البند الأول من هذه الوثيقة يؤكد على أن القومية الأفريقية هي العامل التحرري الأول لشعب جنوب أفريقيا ، وأن هدف هذه القومية تكوين أمة متحدة بغض النظر عن الانتماءات القبلية ، كما اعتمدت الوثيقة مفهوم الديموقراطية الحقيقية true democracy (١) وهو المفهوم ذو الأصول الماركسية والذي تبناه بعض الزعماء الأفارقة في أوائل الأربعينيات - وفي سياق حركة الوحدة الأفريقية التي ازدهرت بعد مؤتمر الوحدة الأفريقية في مانشستر ١٩٤٥ - مثل كوامي نكروما ، وكان يقصد به أن الديموقراطية الحقيقية هي توزيع الموارد الاقتصادية للدولة بصورة عادلة على مواطني هذه الدولة (٢) .

نحن خجلون لأن يكون لدينا شعب يعاني المرض منذ أمد طويل ، ونواصل الرغبة في التضحية والمعاناة ، إلا أننا لا نرغب في المعاناة أكثر بينما تقوم أرستقراطية سيئة وإمبريالية فقدت مصداقيتها بدعم فقرنا وجهلنا ، إننا ندين احتكار رأس المال وحكم (قاعدة rule) الثروة الخاصة والصناعة من أجل ربح شخصي فقط ، إننا نرحب بالديموقراطية الاقتصادية باعتبارها الديموقراطية الحقيقية الوحيدة ، ومن ثم فإننا سوف نتقدم بشكاوى والتماسات ودعاوى (قضائية) ، إننا سوف نجعل العالم ينصت إلى حقائق وضعنا ، وسوف نحارب بكل طريقة نتقنها من أجل الحرية والديموقراطية والتحسن (التقدم improvement) الاجتماعي .

- Thompson, Vincent Bakpetu, Africa and Unity: The Evolution of Pan-Africanism, Longmans, London, 1969, pp. 58-59.

١- صاغ كارل ماركس مفهوم الديموقراطية الحقيقية في كتابه Jewish Question وكان يقصد بها أنها المرحلة التي ستقود إلى " الانعتاق البشري " ، وهما (المفهومان) ينتميان لمرحلة ماركس ما قبل الشيوعية عندما أعلن في باريس عن اكتشافه أن مصير البروليتاريا هو قيادة البشرية لتحقيق مجتمع فاضل good society ، ويرى البعض أن الديموقراطية الحقيقية كانت في جوهرها هي فكرة الشيوعية لدى ماركس بما تعنيه من تكون مجتمع ليس به ملكية خاصة أو طبقات اجتماعية ، راجع :

Hunt , Richard N. , The Political Ideas of Marx and Engles , Vol. I, Marxism and Totalitarian Democracy 1818-1850, University of Pittsburgh Press , London , 1975 , pp.74-75 .

2- The National Executive Committee of the ANC Youth League , op. cit ,pp. 1-2.

a. Mazrui , Ali A. , Towards A Pax Africana : A Study of Ideology and Ambition , Weidenfeld and Nicolson , London , 1967 , 182-184.

وهو ما يدفعنا إلى القول بأن الاهتمام بقضايا العمالة الأفريقية في جنوب أفريقيا من قبل المؤتمر والرابطة لم يكن نتيجة لتطور داخلي فقط بل إنه كان مرتبطا – وربما بصورة أكبر – بتوجه عالمي والاقتناع بأن المناخ السائد دوليا يسمح بالضغط من أجل تحقيق المطالب العادلة للعمالة والحركة العمالية الأفريقيتين .

أما البند الثالث من الوثيقة الأساسية فقد تضمن السياسة الاقتصادية للرابطة ، وهي تتركز في قضايا :

أ- الأرض والعمل على الوصول لأقصى درجة ممكنة من الإصلاحات الزراعية.

ب- الصناعة والتي تهدف الرابطة في صددها إلى التحول الصناعي التام لجنوب أفريقيا من أجل رفع مستوى تحضر ومعيشة العمال الأفارقة ، وإلغاء الحواجز اللونية الصناعية والبنود التمييزية الأخرى مما يجعل العمال من جميع الأعراق قادرين على ممارسة العمل الماهر ولتحقيق ذلك فإنه يجب أن يحصل العمال على تدريب وتعليم كاملين في فنيات الإنتاج المتطلبة للمهارة ، و تضمين الدستور الحق التام للعمال في تنظيم أنفسهم من زيادة كفاءتهم وحماية وتأمين مصالحهم.

ج- التجارة والتعاونيات لتشجيع الأعمال التجارية بين الأفارقة وكذلك تشجيع الادخار التعاوني بين الفلاحين الأفارقة (١٤) .

وكما سبق الذكر فإن تولي حكومة الحزب الوطني المتطهر للحكم في جنوب أفريقيا كان بداية لتطبيق سياسة تفرقة وتمييز عرقيين بصورة موسعة وشاملة لكل أوجه الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ودفعت هذه الظروف – إضافة إلى بزوغ جيل مغاير من الشباب الأفارقة داخله- المؤتمر الوطني الأفريقي إلى انتهاج سياسة تصادمية مع النظام الحاكم والاقتراب أكثر من الجموع الأفريقية ، ويمكن القول أن بداية الخمسينيات شهدت تحول المؤتمر الوطني الأفريقي من مجرد منظمة نخبوية تضم في عضويتها أقل من عشرة آلاف أفريقي إلى منظمة تملك برنامج ورؤية للتحرر القومي للأفارقة ، كما أنها

1- The National Executive Committee of the ANC Youth League , op. cit. ,pp. 2-3.

أصبحت قادرة على التفاعل مع التيارات المناهضة للتفرقة بصورة إيجابية ولصالح الأفارقة .

فقد انقسم المؤتمر الوطني الأفريقي إلى أربع مجموعات رئيسة هي الحرس القديم بزعامة زوما ورابطة الشباب والمعتدلون والشيوعيون ، وقد آمنت مجموعة الحرس القديم بأن الطرق التقليدية للمؤتمر من قبيل التلغرافات والالتماسات والمقابلات هي الوسائل الأكثر فاعلية في التعامل مع الحكومة خاصة بعد إضراب ١٩٤٦ ، أما المعتدلون فإنهم كانوا تحت قيادة ز. ك. ماثيوس Z. K. Mathews وكانوا يعارضون التوصل لتسوية مع الحكومة الوطنية لكنهم كانوا يأملون في أن يؤدي تطرف هذه الحكومة إلى تفتيت المجمع الانتخابي مما يعيد انتخاب سمتس وحكومته مرة أخرى ، كما أمل الشيوعيون أن تنهار حكومة الحزب الوطني ، أما رابطة الشباب فإنها كانت حذرة من التوجهات الشيوعية ، إذ اعتقدت أن الشيوعيين يعارضون فكرة القومية الأفريقية وأنهم يعملون لمصلحتهم الخاصة فقط ، كما عارضت أيضاً قيادة المؤتمر الوطني الأفريقي الشيوعيين وخشيت من أن يؤدي تواجدهم الكثيف إلى قمع المؤتمر كما تم قمع الشيوعية ، واعتبر زوما ورابطة الشباب أن الشيوعيين منافسون لهم (١) .

وبعد سلسلة القوانين التي فرضتها الحكومة والتي أقرت سلب حقوق الأفارقة بصورة غير مسبوقة توصل المؤتمر الوطني الأفريقي في عام ١٩٥١ خلال مؤتمر السنوي إلى قرار بالقيام بتحرك شعبي قوى لمواجهة هذه السياسة العنصرية ، وفي أوائل عام ١٩٥٢ وجه المؤتمر خطاباً (الخطاب غير مؤرخ غير أن رد مكتب رئيس الوزراء عليه يحمل تاريخ ٢٩ يناير ١٩٥٢) إلى رئيس الوزراء د.مالان ووقع على الخطاب كل من جيمس موروكا J. Moroka ووولتر سيسولو Walter Sisulu ، وتميزت لغة الخطاب بأنها تحمل نبرة تحدي وأنه كان محدداً في مطالبه وموجزاً وخالياً من العبارات البروتوكولية

1- Feit , Edward , Generational Conflict and African Nationalism in South Africa : The African National Congress, 1949-1959 ,The International Journal of African Historical Studies, Vol. 5 , No. 2 (1972) pp. 184-185.

أو التي تحتمل أكثر من تفسير ، فقد أوضح الخطاب أن مجموعة القوانين التي فرضتها الحكومة وسياستها القمعية يؤديان إلى تدمير الوضع الاقتصادي للشعب الأفريقي وتفكيك المنظمات القومية الأفريقية ، وأشار الخطاب بجلاء إلى خطورة قانون قمع الشيوعية ، وإلى حرص النظام على الحفاظ على نظام العمالة الرخيصة ، وكانت الرسالة التي اختتم بها الخطاب واضحة تماما :

لقد راجع المؤتمر السنوي (للمؤتمر الوطني الأفريقي) الذي عقد في ١٥-١٧ ديسمبر ١٩٥١ سياسة الحكومة ، وبعد تأن واهتمام جادين أصدر المؤتمر قرارا بالإجماع لمطالبة حكومتكم بمراجعة (تلك) القوانين سابقة الذكر في غضون ما لا يتجاوز التاسع والعشرين من فبراير ١٩٥٢ ، وفي حالة التجاهل فإن المؤتمر الوطني الأفريقي سوف يسير مظاهرات ولقاءات احتجاجية في يوم السادس من أبريل ١٩٥٢ كتمهيد لتطبيق خطة تحدي للقوانين الجائرة (١) .

وكان رد السكرتير الخاص لرئيس الوزراء م. و. و. أوكامب M. W. W. Aucamp واضحاً من جانبه إذ ورد بعبارات مقتضبة :

إن الحكومة ترفض فكرة تقديم أية سلطات إدارية أو تنفيذية أو تشريعية على الأوروبيين أو داخل مجتمع أوروبي لرجال ونساء من البانتو .... ومن ثم فإن الحكومة لن تعيد النظر في القوانين القائمة منذ فترة طويلة وتميز بين الأوروبي والبانتوي .... إن مطالبكم ليست عرضاً بالتعاون لكنها محاولة لاتخاذ الخطوات الأولي بهدف طرد الحكم الأوروبي مع مرور الوقت ، ويجب أن يكون مفهوماً بوضوح أنه بينما أن الحكومة غير مستعدة لمنح البانتو مساواة سياسية داخل المجتمع الأوروبي فإنها سوف تعمل على تشجيع خدمات البانتو وإدارتهم داخل المجتمع البانتوي .

1- African National Congress , A Letter from African National Congress to the Prime Minister of the Union of South Africa , Johannesburg (undated) , (in : Kuper , leo , Passive Resistance in South Africa , Yale University Press , New Haven , 1957) , p. 234.
2- The Office of the Prime Minister , Cape Town , 29th January , 1952 , Ibid. , pp.237-238.

وبالفعل فإن الأمور تطورت نحو مواجهة أفريقية للنظام العنصري وتمثلت هذه المواجهة في بدء حملة التحدي في النصف الثاني من عام ١٩٥٢ ، وهي الحملة التي كانت تعبيرا عن تضامن مختلف التيارات الأفريقية ونمو القومية الأفريقية بين الأفارقة وتراجع المحددات القبلية بينهم (وهو ما عبر عنه رئيس المؤتمر الوطني الأفريقي ألبرت لوتولي A. Luthuli في خطابه الرئاسي في مؤتمر ناتال في أواخر عام ١٩٥٣ بعد انتهاء الحملة بقوله : إن قوميتنا يجب أن تكون تقدمية وليبرالية وأن تقبل التعاون مع الجماعات الأخرى على أساس من المساواة والرغبة القوية في التمتع بالحقوق الديموقراطية العالمية للجميع في هذه البلاد (١) .

وبدأت الحملة في ٢٦ يونيو ١٩٥٢ بقيام عدد صغير من المتطوعين بانتهاك قوانين المرور وانتشرت ببطء هذه المظاهر من بورت إليزابيث و إيست لندن إلى مدن أصغر في شرقي الكيب ومن جوهانسبرج إلى نحو ١٢ مدينة صغيرة أخرى في الراند ، وبانتشار مظاهر الاحتجاج أصبح من المعتاد أن تضم هذه المسيرات الاحتجاجية المئات من الأفارقة ، كما جذبت الحملة اهتماماً خارجياً كبيراً ، على أي حال فإن الحكومة اتخذت قراراً بالتحرك الحاسم لتحطيم هذه الحملة ، وفي ٣٠ يونيو تمت مداهمة منازل أعضاء من المؤتمر الوطني الأفريقي و المؤتمر الهندي الجنوب أفريقي ومصادرة أوراقهم ، وفي شهري أغسطس وسبتمبر تم إلقاء القبض على قيادات الحركة في كل من الترانسفال وناتال وشرقي الكيب ووجهت لهم تهم تحت قانون قمع الشيوعية ، وفي ١٨ أكتوبر اندلع عنف شديد من جانب الأفارقة في ضاحية نيو برايتون New Brighton بالقرب من بورت إليزابيث تجاه قوات الشرطة ، وأعقبتها أعمال شغب مماثلة في كل من جوهانسبرج وكيمبرلي وإيست لندن في نوفمبر ، وكانت تلك الأعمال غير مخطط لها وألقت جموع الأفارقة الحجارة على قوات الشرطة وقامت بحرق بعض المقار الحكومية في الضواحي وقتل بعض البيض في هذه الأحداث (٢) .

1- Omer-Cooper , J. D. , History of Southern Africa , James Currey ,London , 1994 , pp. 206-7.
2- Ibid.

وكانت أعمال الشغب هذه لا تمت بصلة لحملة التحدي ووفرت للحكومة فرصة مثالية لتدمير الحركة ، على أية حال فإن المؤتمر الوطني طالب بتكوين لجنة تحقيق وهو الأمر الذي رفضته الحكومة ، واتهم الكثيرون من البيض – على الأقل بصورة غير مباشرة – المؤتمر الوطني الأفريقي ، وفي هذا المناخ أصدرت الحكومة إعلاناً يقضي بأن أي شخص (بما في ذلك البيض) تأثر بالأفارقة وقرر انتهاك أية قوانين فإنه يفرض عليه غرامة كبيرة أو يسجن لمدة ثلاث سنوات ، واستمرت حملة التحدي حتى نهاية العام لكنها كانت آخذة في التدهور (١) ، وقد تضمنت هذه الحملة عمليات احتجاج واسعة النطاق ، خاصة بين سكان المناطق الحضرية فيما يعرف بجنوب أفريقيا البيضاء ، وعمليات حرق لتصاريح المرور وخرق متعمد للقوانين العنصرية الخاصة بالتفرقة في مختلف المجالات ، كما بدأت عمليات مقاطعة لوسائل النقل احتجاجاً على رفع أسعار التذاكر وانتشرت ظاهرة الذهاب للعمل سيراً على الأقدام .

وبانهيار حملة التحدي تم تعيين ألبرت لوتولي محل موروكا في رئاسة المؤتمر الوطني ، وكانت محاولات إعادة تنظيم المقاومة لترحيل الأفارقة من مناطق استيطانهم في جوهانسبرج ومكافحة قانون تعليم البانتو قد انهارت (٢) ، وقد أدت حملة التحدي التي قادها المؤتمر الوطني الأفريقي إلى تنامي انتشاره بين الأفارقة فعند بدء الحملة في يونيو ١٩٥٢ كان عدد الأعضاء المسددين للاشتراكات في المؤتمر يبلغ سبعة آلاف عضو وفي ديسمبر من نفس العام بلغ هذا العدد مائة ألف عضو ، وعلى حد قول ج. ل. ز. نجونجوي J. L. Z. Njongwe قائد حملة التحدي في منطقة بورت إليزابيث في فبراير ١٩٥٣ أن المؤتمر الوطني الأفريقي " قد سيس politicised الناس وجمعهم في شكل أمة واحدة مستعدة للنضال من أجل الحرية " (٣) ، وتركزت الشعبية المكتسبة للمؤتمر الوطني الأفريقي نتيجة لحملة التحدي في شرقي الكيب ، وتلت تلك الحملة وصول بعض أفراد الطبقة العاملة إلى مناصب قيادية في المؤتمر ، وعلى المستوى الإقليمي أيضا فقد كان هناك تمثيلاً كبيراً من خلال العمال إلا أن اللجنة التنفيذية القومية – صاحبة القرار – ظلت ممثلة من قبل النخبة الأفريقية فقط (٤)

1- Omer-Cooper , J. D. , History of Southern Africa, op. cit., p. 207.
2- Ibid.
3- Janet , Robertson , Liberalism in South Africa , 1948- 1963 , Clarendon Press , Oxford , 1971 , p. 147.
4- Gerhart , Gail M. , Black Power in South Africa : The Evolution of an Ideology , University of California Press , Berkeley ,1978 , p. 109.

وكان معظم هؤلاء الأعضاء الجدد في المؤتمر من العمال الأفارقة الذين كان العديد منهم مشاركاً بالفعل في تنظيمات نقابية ، وانتشرت ظاهرة تعدد الانتماء للتنظيمات الأفريقية سواء السياسية أو النقابية ، ومن ثم نال المؤتمر الوطني زخماً جديداً ودفعة جعلته التنظيم السياسي الممثل للأفارقة ككل ، إلا أن المؤتمر بتكوينه التنظيمي – الذي كان قائماً على أساس أن عضويته محدودة وأن دوره السياسي مرهون بمساحة ضيقة من مناورة النظام العنصري – فشل في استيعاب هذه الجموع وطموحاتها ، وإن أرجع أوليفر تامبو Oliver Tambo الأمين العام للمؤتمر هذا الفشل إلى " تدني التطور السياسي " للأفارقة إلا أن هذا الأمر كان راجعاً أساساً للتحول المفاجئ للمؤتمر من منظمة نخبوية إلى منظمة جماهيرية ، وهو الأمر الذي اختلف بعد انتهاء حملة التحدي واعتماد ما عرفت باسم " خطة مانديلا " Mandela Plan التي كان نيلسون مانديلا – أحد قيادي رابطة شباب المؤتمر - قد قدمها في يناير ١٩٥٣ متضمنة اقتراحا " بدمج آلية عمل المؤتمر " ودعت إلى إصلاحات جذرية ، ومع وجود ضغط آخر تمثل مع سحب ٤٠ ألف عضو لعضويتهم من المؤتمر إثر إنهائه لحملة التحدي ، وتزايد ثقل وطأة قانون قمع الشيوعية الذي حظر تنقلات غالبية زعماء المؤتمر الوطني الأفريقي [1] .

1- Janet , Robertson , Liberalism in South Africa , op. cit., pp. 148-150
- ويقدر البعض أن عضوية المؤتمر في عام ١٩٥٢ وصلت إلى ٢٠٠ ألف عضو وهبطت في عام ١٩٥٥ إلى ١٢٥ ألف و أن التراجع كان في العضوية كان متمثلا في سحب ٦٥ ألف عضو لعضويتهم من المؤتمر إثر عدم اقتناعهم بطريقة تعامل المؤتمر مع حملة التحدي وعدم مواصلته الحملة لتحويلها إلى قضية دائمة ، وتراجع الحركة السابق ذكره كان متمثلا في إلغائها لبرنامج العمل Program of Action - والذي كان قائماً بصورة تكاد تكون كاملة على الوثيقة الأساسية لرابطة شباب المؤتمر – الذي اعتبره الأفارقة صياغة لقومية أفريقية داعية إلى التحرر الذاتي للأفارقة ، وإحلال ميثاق الحرية محل برنامج العمل ، بما تضمنه هذا الميثاق من مبادئ قائمة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وهو الأمر الذي اعتبره هؤلاء الأفارقة تفريغاً للنضال الأفريقي وخصوصيته من محتواها لصالح تعددية عرقية غير مجدية بالنسبة للقضية الأفريقية .

- Feit , Edward , Generational Conflict and African Nationalism in South Africa, op. cit. p. 193

وفي ٢٧ يونيو ١٩٥٤ تم عقد مؤتمر لمناهضة العنصرية في جوهانسبرج وشارك فيه أفارقة وبيض وملونون وهنود ، وعقد مؤتمر في كليبتاون Kliptown بالقرب من جوهانسبرج في ٢٦-٢٧ يونيو وحضره قرابة ثلاثة آلاف مندوب من كل الأعراق بدعوة من المؤتمر الوطني الأفريقي والمؤتمر الهندي الجنوب أفريقي ومؤتمر الشعوب الملونة الجنوب أفريقي ومؤتمر الديموقراطيات والمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، وكان هدف المؤتمر اعتماد ميثاق الحرية الذي يقوم بصورة كبيرة على الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي أصدرته الأمم المتحدة ، وقد تضمن الميثاق مبادئ أكثر عمومية لينتقل المؤتمر الوطني الأفريقي من مرحلة التنظيم النخبوي إلى مرحلة يمكن وصفها بأنها تجاوز القومية الأفريقية بهدف التعاون مع كافة التنظيمات الممثلة للأعراق الأخرى والمشتركة مع المؤتمر الوطني في الموقف من النظام العنصري [١]، وكما سبق القول فإن علاقة المؤتمر الوطني الأفريقي بالحركة العمالية الأفريقية بعد عام ١٩٥٥ قد تركزت في علاقته مع التنظيم العمالي الأفريقي الأبرز وهو المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، في ضوء انقسام الحركة العمالية البيضاء إلى داعمة للحكومة العنصرية أو تابعة للنقابات البريطانية [٢].

وفي مايو من عام ١٩٦١ تبلورت قيادة المؤتمر الوطني الأفريقي للحركة القومية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا في دعوته كافة الفصائل الوطنية الأفريقية في القيام بإضراب بقاء بالمنزل لمدة ثلاثة أيام في الفترة ٢٩-٣١ مايو ، وقد لاقت هذه الدعوة قبولاً كبيراً من المواطنين الأفارقة ، وخاصة العمال وطلبة الجامعات ، وكانت الدعوة احتجاجاً على التحول للجمهورية والانفصال عن مجموعة الكومنولث

=== يلاحظ بريان هاكلاند أن النظام العنصري تمكن من القضاء على حملة التحدي ؛ لأنه كان يواجه نضالا له قاعدة سياسية وليست جماهيرية.

- Hackland , Brian , Incorprationist Ideology as a Response to Political Struggle : The Progressive Party of South Africa , 1960 - 1980 (in : Marks , Shula and Trapido , Stanley (eds.) , op. cit.) , p. 369.

1- Hepple Alex , South Africa, op. cit. p. 160.
2- Orr , Charles A. , Trade Unions in Colonial Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol.4 , No.1 (may , 1966) ,p.75.

بمـا يعنـيه ذلـك مـن ترسـيخ مفهـوم الدولـة البوليسـية للـنظام العنصـري وتحـرر هـذا الـنظام مـن أيـة معوقـات أمـام قيامه بقمـع غـير الأوروبييـن ، وتمهـيد حكومـة الاتحـاد لذلـك بإصـدار قـانون تعديـل القـانون العـام رقـم ٣٩ لعـام ١٩٦١ General Law Amendment Act فـي ٥ مـايو مـن نفس العـام ، وهـو القـانون الـذي يتـيح إلقـاء القبض علـى أي مواطـن دون محاكمـة ، وكـان هـذا الإضـراب الاحتجاجـي ناجحـاً بصـورة كبـيرة ، ففـي مديـنة بـورت إليزابيـث - مـثلاً - قـدر عـدد غـير الأوروبييـن (غالبيـتهم مـن الأفارقـة) الذيـن بقـوا فـي مـنازلهم بـنحو ٧٥ بالمائـة مـن إجمالـي عددهـم يـوم ٣٠ مـايو ١٩٦١ ، ولـم يذهـب كـل الطلـبة الأفارقـة فـي كلـية فـورت هـير الجامعية The University College of Fort Hare إلـى أماكـن دراسـتهم فـي كـل مـن هـيلدتاون Healdtown و لوفديـل lovedale ، وفـي جامعـة ناتـال امتـنع خمسـمائة طالـب غـير أوروبـي عـن الذهـاب للدراسـة ، كمـا امتـنع آلاف الطلـبة فـي المـدارس الابتدائـية والـثانوية عـن الدراسـة وقـاطعوا الاحـتفالات بتأسـيس الجمهوريـة ، وقـدم المؤتمـر الجـنوب أفريقـي للـنقابات تقريـراً للمؤتمـر الوطنـي الأفريقـي ذكـر فـيه أن العمـل قـد توقـف تقريـبا فـي صـناعات الملابس ، والنسيج ، والغسيل والتنظيف بالبخار ، والغذاء والتعليب ، والأثاث (١).

وفـي خطـاب لنيلسـون مـانديلا عـن الإضـراب قـام بتوجـيه ملاحظـة هامـة وهـي أن الخلافـات التكتيكـية بيـن المـنظمات السياسـية المتنافسـة فـي المعسـكر الـتحرري - لاسـيما بيـن المؤتمـر الوطنـي الأفريقـي و مؤتمـر الوحـدة الأفريقـية Pan-African Congress - علـى الـرغم مـن أنهـا قـد أصـبحت أمـراً مقـبولاً ومسـموحاً بـه ، لكـن لـن يسـمح لأي هيـئة تنضـم للحـركة الـتحررية أن تنـتهج سياسـة تدعـم الحكومـة التـي تقمـع

1- ' General Strike ' , Statement by Nelson Mandela on Behalf of the National Action Council Following the Stay - At - Home in May 1961 (published by the underground ANC and its offices abroad , 3 June 1961) , www.anc.org.za/docs. pp .1-3.

الأفارقة ، ويقول بعبارة واضحة في دلالتها : *لقد شعرنا أن أسس الجمهورية – كما هو الحال في الدولة التي كانت موجودة قبل إعلان الجمهورية – سوف تكون قائمة على الأبارتهيد واستغلال الشعب الأفريقي ، لقد رفضت الحكومة مطالبتنا للأفارقة ألا يستجيبوا لدعوتنا وألا يشاركوا أبدا في احتفالات الجمهورية والتعاون مع الحكومة الجديدة ، وقام الأفريقانيون Africanists بتقليد الحكومة بمطالبتهم للأفارقة بتجاهل الدعوة مفضلين الصمت إزاء قضية حيوية مثل هذه ، وهي طريقة بارعة للقول بأنه علينا أن نشارك ونتعاون* (في الاحتفالات الجمهورية ومع حكومة فيرفورد الجديدة) .[١]

وفي نهاية خطابه يؤكد مانديلا على الدور الذي لعبته العمالة الأفريقية في نجاح هذا الإضراب مع قيام مئات الآلاف من العمال بالبقاء في منازلهم رغم التهديدات بإجراءات فصلهم من أعمالهم من قبل أصحاب هذه الأعمال ، وهو ما يشير – في رأي نيلسون مانديلا – إلى أن هذه القضية أوجدت حماساً كبيراً بين العمال الأفارقة على وجه الخصوص [٢].

ومع تحول اتحاد جنوب أفريقيا إلى النظام الجمهوري دخلت الحركة الوطنية الأفريقية مرحلة جديدة اتسمت بالكفاح المسلح ضد النظام العنصري ، وأصبحت الفوارق بين التنظيمات الأفريقية سواء سياسية أو ثقافية أو نقابية محدودة للغاية ، وهو الأمر الذي اتضح بصورة أوضح في فترة السبعينيات من القرن العشرين .

1- ' General Strike ' , Statement by Nelson Mandela on Behalf of the National Action Council Following the Stay - At - Home in May 1961 , op. cit. , p. 5.
2- Ibid , p. 7.

ثانيا – علاقة الحركة العمالية الأفريقية بالحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا.

شهدت جنوب أفريقيا خلال الحرب العالمية الأولى نشاطا مكثفا لمجموعات اشتراكية معظمها من المهاجرين الذين وفدوا إلى جنوب أفريقيا من دول أوروبا الشرقية ، ونظراً للتباينات الفكرية بين هذه المجموعات نفسها قامت جماعة منشقة بقيادة كل من سيدني بينتنج Sidney Bunting [١] و ديفيد إيفون جونز David Ivon Jones ، وبيل أندروز Bill Andrews [٢] بتشكيل الرابطة الاشتراكية الدولية The International Socialist League، وكانت هذه الرابطة هي أول تنظيم اشتراكي يعترف بحقوق العمال الأفارقة والاستعداد لمساعدتهم على التنظيم ، وبالفعل كان لهذه الرابطة دور كبير في مساعدة كليمنت كادإلى على تكوين اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي [٣].

وباعتبارهم اشتراكيين فإنهم عارضوا الحرب العالمية الأولي لكن ذلك أفقدهم الدعم الجماهيري من قبل الطبقة العاملة البيضاء ، ومن ثم تحركوا بين العمالة الأفريقية بصورة محدودة من خلال توزيع النشرات عليهم ، وهي النشرات التي كان لها تأثيرها – وإن كان محدودا – على الوعي العمالي للأفارقة ، وفي عام ١٩٢١ تم

١- سيدني بنتنج إنجليزي وصل إلى جنوب أفريقيا بوصفه ضابطاً في الجيش الإنجليزي خلال الحرب الإنجليزية – البويرية واستقر فيما بعد في البلاد وعمل محامياً ، وخلال عمله ذلك قام بالدفاع عن الكثير من الاشتراكيين في قضايا مختلفة .

-Ellis, Stephen and Sechaba, Tsepo, Comrades Against Apartheid: The African National Congress and the South African Communist Party in Exile, James Currey, London, 1991, p. 12.

٢- بيل أندروز وصل جنوب أفريقيا عام ١٨٩٣ وشارك في النشاط النقابي منذ وصوله إلى جنوب أفريقيا

Ibid.-

3-Wilson, Edward, Russia's Historic Stake in Black Africa, (in: Albright, David E. (editor), Africa and International Communism, The Macmillan Press Ltd., U. S. A., 1980, p. 88.

تكوين الحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا The Communist Party of South Africa (تغير الاسم إلى الحزب الشيوعي الجنوب أفريقي The South African Communist Party في عام ١٩٥٣ مع إعادة تنظيمه للتأكيد على الهوية الخاصة للحزب بجنوب أفريقيا وليس كونه فرعاً للحزب الشيوعي في موسكو) وأصبح فرعاً للكومنترن أو الاشتراكية الدولية في موسكو ، وكأي حزب شيوعي آخر في العالم فإنه نظر إلى الاتحاد السوفيتي بعد الثورة البلشفية عام ١٩١٧ باعتباره ممثلاً لدولة الطبقة العاملة والتي اختفت فيها الفوارق العرقية والقومية ووصل فيها العمال إلى التوحد ثقافيا وعرقيا في ظل دولة هم الذين يحكمونها (١).

وقد ناقش هذا المؤتمر التأسيسي سياسة الحزب تجاه " الوطنيين " والأفريكانرز ، وعلى الرغم من معارضة أقلية بيضاء ممثلة لجوهانسبرج لإدراج قضية العمال الأفارقة في سياسة الحزب فإن هذا المؤتمر اعتمد اقتراحاً مطولاً من بنتنج حمل عنوان The International Socialist League and the Coloured and Native Worker ، وتضمن هذا الاقتراح التزام الحزب الشيوعي بتولية العمال الأفارقة اهتماماً خاصاً لضمان تحقق جنوب أفريقيا الاشتراكية في المستقبل ، كما رفض غالبية الأعضاء توصية مماثلة بالنسبة للعمال الأفريكانريين بالنظر لكونهم يلاقون معاملة جيدة بالفعل (٢) .

وكان البيان الذي اعتمده الحزب في مؤتمره التأسيسي الذي عقد في ٣٠ يوليو ١٩٢١ قد ركز في النصف الأول منه على مباركة الدولة السوفيتية ولفت

1- Ellis, Stephen and Sechaba, Tsepo, Comrades Against Apartheid, op. cit., pp. 13-14.
2- Johns, Sheridan, The Birth of the Communist Party of South Africa, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 9, No. 3 (1976), p. 385.

الأنظار إلى زيف الدعاية المضادة التي تحاول أن تشوه صورتها عالميا ، موضحا خلال ذلك أن الهدف الأساسي للحركة العمالية هو الثورة الاشتراكية ، أما النصف الثاني من البيان فقد تحدث مباشرة عن الحركة العمالية في جنوب أفريقيا دون أي تمييز عرقي ، وأنه قد حان الوقت لأن تقوم هذه الحركة بالابتعاد عن القيادة الفاسدة وعن الطبقة البورجوازية الانتهازية لهذه الحركة – وهو ما ينطبق على كلمنت كادإلي مؤسس اتحاد العمال الصناعي والتجاري حسبما ذكر تلميحا – والاعتراف بالطبيعة التاريخية والجبارة للنضال fight ولتوحيد كل القوى المتاحة لمواجهة نشاط العدو المعادي للزحف الأحمر ، وهو ما يتطلب – وفق البيان – توحيد كل التنظيمات السياسية والصناعية لجميع العمال والتعاون مع الحركة العمالية التقدمية في العالم ، وأن الحزب الشيوعي المتحد لجنوب أفريقيا The United Communist Party of South Africa سيأخذ على عاتقه نشر الوعي الطبقي للعمال ، وسيتم الاعتماد – لتحقيق هذا الهدف – على الدعاية ، ويؤكد بيان الحزب عدم كفاية هذه الدعاية وحدها في ظل الظروف سريعة التغير التي تشهدها جنوب أفريقيا في هذه الأوقات (١).

على أي حال فإن الحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا كان – في واقع الأمر – يمتلك رؤية لا تراعي واقع التفرقة العرقية القائمة في اتحاد جنوب أفريقيا ، واتبع الحزب – في بداياته – سياسة حماسية أوقعته في اضطراب عند مواجهة تحديات حقيقية لمصداقيته إزاء القضايا العمالية الأفريقية (٢) ؛ فإثر اندلاع إضراب عمال الراند من البيض في عام ١٩٢٢ احتجاجاً على التدني النسبي في أجورهم وزيادة الاستعانة بالعمالة الأفريقية ، إثر ذلك أصدر الحزب الشيوعي بياناً موجهاً للعمال المضربين اتضح فيه تناقض بالنسبة لسياسة الحزب المعلنة ، فقد تضمن البيان (مطبوع في

Manifesto of the Communist Party of South Africa (Adopted at the Inaugural Conference of the Party, cape Town, 30 July, 1921), www.anc.org.za/docs, p.2.

٢- ويلاحظ دومينيك فورتسكيو نفس الملاحظة تقريباً عند تناوله أسباب فشل الحزب الشيوعي في تحقيق شعبية له بين الطبقة العاملة الأفريقية ؛ إذ أنه يرى أن من أسباب ذلك الرؤية الحالمة التي نظر بها الحزب للصراع العرقي داخل جنوب أفريقيا ، إضافة إلى حالة الأمية المنتشرة بين العمال الأفارقة ، وكذلك – كما يقتبس دومينيك عن موسيس كوتين الأمين العام للحزب خلال الأربعينيات – أن ===

صفحة واحدة) :

إن التصرف غير الموثوق فيه من قبل حجرة المناجم والذي يهدف بكل وضوح إلى خفض أجور وعدد العمال البيض كان له تأثير على جعل جنوب أفريقيا عرضة للاستغلال الرأسمالي ؛ ولهذا السبب فإن التحول العنيف للشعور إزاء الطبقة الحاكمة لم ينمو فقط فيما بيننا ولكن أيضاً بين شعب هذه البلاد ، والذين تتكون غالبيتهم من عمال مرهقين ، والذين هم على الرغم من بعدهم عن (كونهم) البروليتاريا في الوضع أو في المظهر فإنهم تمردوا ضد استرقاق بلادهم لصالح المؤسسات houses التعدينية ، والمرتبطة بالإمبراطورية البريطانية .... وفي مثل هذه الظروف فإن الشيوعيين منذ أيام ماركس كانوا يحثون دائما العمالة المنظمة على اتخاذ المبادرة لزعزعة وضع الطبقة الحاكمة وإحداث تغيير في الوضع الاجتماعي القائم ، ومن هنا فإن الحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا يعرض بكل سرور مساعدته للجنة الإضراب اقتناعاً منه بضرورة ذلك لمحاربة حكم الطبقة الرأسمالية ، وهو القتال الذي – في حالة تفعيله –

=== الحزب بدا على أنه موجه سياسته المعادية للفاشستية نحو العمال الأوروبيين الذين كان موقفهم هو العامل الأكثر أهمية في زمن مقاومة انتشار الدعاية النازية

راجع بالتفصيل :

Fortscue, Dominic, The Communist Party of South Africa and the African Working Class in the 1940s, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 24, No. 3 (1991), pp. 481-512.

وفي هذا الصدد فقد نشر النقابي الأبيض المنشق إميل ساكس Emil Sachs كتيباً بعنوان The Choice Before South Africa (لندن ١٩٥٢) مشيراً إلى الدعاية النازية داخل المجتمع الأفريكانري التي نتج عنها تكوين مجموعات " القميص الرمادي " وكذا قيام وزير الدفاع الجنوب أفريقي أزوالد بيرو Aswald Pirow بتحويل العديد من الجامعات الأفريكانرية اللغة إلى بيئات خصبة لنمو الدعاية النازية إذ روج الأساتذة الذين درسوا في ألمانيا بحماس مفاهيم هتلر وجوبلز Goebbels

- Zorgbibe , Charles , Doctor Malan and the Advent of Apartheid , African Geopolitics , No.12 (fall 2003) , p. 254.

قد يؤدي على الأقل إلى دق مسمار في نعش هذه الطبقة ويسهم في إسقاطها ، وتلك هي " التسوية " الواقعية الوحيدة ، ومن أجل إبقاء " المعيار الأبيض " white standard لبناء " جنوب أفريقيا البيضاء فإن ذلك مستحيل في ظل الرأسمالية التي من طبيعتها الحط من كل طبقة تقوم هي باستغلالها (١).

وارتبطت العناصر الشيوعية بالحركة العمالية الأفريقية المتمثلة في اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي منذ منتصف عشرينيات القرن العشرين ، وهو الذي أدى إلى تطورات خطيرة في هذا الاتحاد وفقدانه وحدته ، وفي نفس الوقت اتخذ الحزب الشيوعي نهجاً أكثر تحرراً عندما أخذ في حسبانه وجود تفرقة بين العمال البيض والأفارقة ، واتضح هذا بشدة في قرار اللجنة التنفيذية للشيوعية الدولية – المؤثرة على سياسة الحزب الشيوعي بصورة تامة – الخاص بالقضية الجنوب أفريقية عام ١٩٢٨ الذي تناول وضع العمال الأفارقة ورأى أن الفارق في الأجور بين البيض والأفارقة هو تجسيد للنمط الاستعماري في البلاد ، وتناول القرار وضع الحزب الشيوعي والمهام الموكل بها ، وذكر أن :

اللجنة المركزية للشيوعية الدولية تعترف بالنجاحات التي حققها الحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا ، ويتضح هذا في نمو الحزب الشيوعي الذي أصبح ذا أغلبية وطنية native ، فللحزب الشيوعي عضوية بلغت ١,٧٥٠ عضواً منهم ١,٦٠٠ عضواً من الوطنيين و الملونين ، كما انتشر الحزب الشيوعي أيضاً في المقاطعات الريفية في الترانسفال ، وشن الحزب حرباً ضد قانون إدارة الوطنيين الرجعي ، كما تلاحظ اللجنة التنفيذية للشيوعية الدولية أيضا نمو النقابات الأفريقية تحت قيادة الحزب الشيوعي والتي قامت بنجاح بعدة إضرابات وبذل جهود لدمج النقابات السوداء والبيضاء (٢).

1- The Communist Party of South Africa, The Fight to a Finish, (published for the striking workers of the Witwatersrand on 30 January 1922), The International, No. 321, Vol. VI, 3 February 1922), www.anc.org.za/docs.
2- The South African Question (1928 Resolution adopted by the Executive Committee of the Communist International) , from The communist International , Vol. VI, No. 2 , 15 December 1928 , (in : Lerumo , A. , Fifty Fighting Years , op. cit., p. 128.

وتضمنت المهام المكلف بها الحزب الشيوعي إعادة تنظيم نفسه ووضع برنامج عمل كأمر ضروري لكسب قاعدة جماهيرية ، والاعتماد بصورة أكبر على العمال الأفارقة مع استمرار العمل بين العمال البيض ، ومواجهة كافة أشكال التمييز العرقي ، وتكثيف العمل بين العمالة الزراعية والاعتقاد بأن القضية الوطنية الجنوب أفريقية هي قضية زراعية في ضوء أن سبعة أثمان الأرض مملوكة للبيض ، وأن القضية الزراعية هي القاعدة التي تقوم عليها الثورة في جنوب أفريقيا ، ومواجهة الجبهة الموحدة بين البورجوازية الهولندية والإمبريالية البريطانية ، ويلاحظ القرار عدم فهم الحزب الشيوعي لجنوب أفريقيا فهماً كافياً لأهمية الحركات الجماهيرية للعمال والفلاحين الأفارقة ، كما أنه لم يستوعب الشعار الذي طالبت به الكومنترن وهو جمهورية جنوب أفريقية وطنية (أفريقية) مستقلة باعتبارها مرحلة نحو جمهورية العمال والفلاحين بها مساواة تامة في الحقوق بين كل الأعراق ، وهو الأمر الذي أدى إلى عدم نمو النفوذ السياسي للحزب بين الجماهير الزنجية على الرغم من الظروف الملائمة لهذا النفوذ تماماً (١) .

أما في مجال العمل النقابي فإن القرار أصدر تعليمات للحزب الشيوعي بضرورة أن يأخذ في اعتباره : *أن المهمة الأساسية للحزب تتمثل في تنظيم العمال الأفارقة في نقابات ، وكذلك – تتمثل في – الدعاية والعمل على تكوين مركز نقابي جنوب أفريقي يقبل العمال السود والبيض ، كما أن المبدأ الذي يجب أن يكون توجهاً أساسياً للحزب هو أن السكان الوطنيين يمكنهم الانضمام للعمل النقابي بصورة متساوية تماماً ، ويجب أن يقاوم الحزب سياسة الانقسام بين زعماء الاتحاد الصناعي والتجاري تحت شعار وحدة الحركة النقابية ككل في جنوب أفريقيا ، وعلاوة على ذلك يجب أن يقدم الحزب برنامجا تفصيلياً بالمطالب العاجلة للعمال الوطنيين ، ويجب أن يشارك الشيوعيون بفاعلية في التنظيم النقابي للعمال الوطنيين وانتهاج سياسة بناء جناح يساري قوي داخل هذه المنظمات بقيادة شيوعية (٢)* .

1-The South African Question (1928 Resolution adopted by the Executive Committee of the Communist International), op. cit., pp. 128-131.
2-Ibid., 132.

ويجب أن يواصل الحزب فضح حـزب العمـل الجنـوب أفريقـي باعتبـاره عمـيلا للإمبريالية في الحركة العمالية ، وفي الوقت الذي يجـب فيـه علـى الحـزب الـشيوعي أن يكون تركيزه الأساسي على تنظيم العمال الوطنيين في نقابات فإنـه يجـب ألا ينـسى العمـل في النقابات البيضاء ، ومهامه هي تنظـيم العمـال غيـر المنظمـين فـي النقابـات القائمـة وتكثيف الدعاية من أجل إعادة تنظيم الحركة النقابية علـى أسـاس صـناعي والعمـل علـى تكوين مؤتمر نقابي Trade Union Congress (١) .

وينبه القرار في النهاية الحزب إلـى حـث اللجنـة التنفيذيـة للـشيوعية الدوليـة لـه لطبع صحيفة خاصة باللغات الوطنية الرئيسية بمجرد تجـاوز الـصعوبات الفنيـة أمـام تلـك الخطوة ، التي اعتبرتها اللجنة التنفيذية ذات أهمية سياسية كبيرة (٢) .

وكان هناك عدد كبير من قيـادات الحـزب الـشيوعي والعمـل النقـابي عمومـاً مـن اليهود ، ومن هذه الشخصيات إيلي فينبرج – عـضو اللجنـة المركزيـة لمـؤتمر النقابـات الجنوب أفريقية فيما بعد – والذي كان على رأس القيـادات اليهوديـة التـي كونـت نـادي العمال اليهود The Jewish Workers' Club في جوهانـسبرج عـام ١٩٢٩، وكانـت مهمـة هذا النادي هي استقبال اليهود الوافدين الجدد وقـدم النـادي دروسـاً فـي اللغـة الإنجليزيـة لمتحدثي اللغة اليديشية ، وبلـغ عـدد أعـضائه ٣٠٠ يهـودي ، وكانـت توجهـات النـادي اشتراكية ومعادية للصهيونية ، ولم يقتصر نفوذ النادي بين الجماعـة اليهوديـة لكنـه – هـذا النفوذ – انتشر بين العمال الأفارقة ، وأقـام علاقـات مـع الحـزب الـشيوعي الـسوفيتي ، وكان الكثير من أعضاء النادي قد عملوا في العمل النقابي خـلال فتـرة الثلاثينيـات ، ومـن هؤلاء سولي ساكس Solly Sachs الـذي كـون نقابـة عمـال النـسيج والبقـالين Garment Workers and Shop Assistants ، وكـل مـن جـاك فليـور Jack Flior و ب. ليفينبـرج B. Levenberg اللذين كونا نقابـة عمـال الأثـاث Furniture Workers وفـاني كلنرمـان Fanny Klennermann التي كونـت اتحـاد العـاملات Women Workers ، وكـان تأسـيس هذا النادي تجربة رائدة بالنسبة للعمالة الأفريقية ، إذ تـم طـوال فتـرة الثلاثينيـات تأسـيس

1- The South African Question (1928 Resolution adopted by the Executive Committee of the Communist International), op. cit., p. 132.
2- Ibid.

نوادي عمال للأفارقة على هذا النمط ، سواء على يد قيادات نقابية أوروبية (يهودية أو غير يهودية) أو أفريقية (١) .

ومع قيام الحرب العالمية الثانية أخذ المد الشيوعي يزداد بين العمال الأفارقة ، خاصة مع رعاية مؤتمر النقابات غير الأوروبية لهؤلاء العمال وتمثيلهم النقابي ، ونظرت قيادة الحزب الشيوعي للحرب آخذة في اعتبارها مصالح العمال الطبقية ،

1- Israel, Mark and Adams, Simon, 'That Spells Trouble ': Jews and the Communist Party of South Africa, Journal of Southern African Studies, Vol. 26, No.1 (March 2001), p. 150

نادي العمال اليهود راجع بالتفصيل : عن

Adler , Taffy , Lithuania's Diaspora : The Johannesburg Jewish Workers' Club , 1928-1948 , Journal of Southern African Studies , Vol. 6 , No. 1 (Oct., 1979) , pp. 70-92

ويتناول آدلر الهجرة اليهودية إلى جوهانسبرج والأعمال المختلفة التي مارسها العمال اليهود فيها ، ثم يتحدث عن تكوين النادي وعمله في ظل خلافات داخلية مستمرة بين الأعضاء .

ولعل من أدق التفسيرات لوضع الجماعة اليهودية داخل جنوب أفريقيا في هذه الفترة هو ما تذكره كلوريا برود Cloria Braude من أنه بينما تم تصنيف اليهود على أنهم " بيض " في بيئة تهيمن عليها سياسة الأبارتهيد فإن اليهود لم ينظروا لأنفسهم بهذه الطريقة باعتبارهم جزء مندمج في المحيطين الاجتماعي والاقتصادي " الأوروبي " ، كما أنهم – من ناحية أخرى – لم يتم تهميشهم بصورة تامة باعتبارهم " غير أوروبيين " أو " ملونين " أو " سود " ، ونتج عن هذا التأرجح في الانتماء العرقي شكوك بصدد الوضع العرقي اليهودي وكونهم منتمين للسلطة البيضاء أو تتم مجابهتم من قبل الحزب الوطني المتطهر – مع ملاحظة أن إسرائيل كانت من الدول القليلة التي زارها د. مالان في أوائل الخمسينيات – ، وأثر هذا التأرجح على تطور التنظيم الاجتماعي والسيكولوجي والثقافي لليهود ، وخوفاً من قيام نظام الحزب الوطني بدعم معاداة السامية فإن مؤسسة الجماعة اليهودية رأت أن تحتمي بالبياض اليهودي Jewish Whiteness والولاء للمصالح البيضاء لضمان مكان لليهود في ظل حكومة الأبارتهيد ، مع ملاحظة أن الهيئات الممثلة للجماعة اليهودية لم تعارض الأبارتهيد إلا في عام ١٩٨٥ ، وهو العام الذي اعتاد فيه حتى قيادات الحزب الوطني على انتقاد هذه السياسية كما يذكر أورين شتاير .

Steir , Oren Baruch , South Africa's Jewish Complex , Jewish Social Studies , Vol. 10 , No.3 (Spring-Summer) , 2004 ,pp.126-127

والطبقة العاملة الدولية ، وكانت قيادة الحزب ترى – كما أشارت في التقرير المقدم للمؤتمر القومي للحزب في مارس ١٩٤٠ – أنه من واجب الحزب معارضة الحرب من جانب ، ومقاومة الحزب الوطني المتطهر من جانب آخر ، وأن محاربة الإمبريالية يتطلب ضرورة وجود نضال حر للأفارقة والملونون والهنود ،بحيث " يمكنهم القيام بهذا النضال فقط في حالة تطويرهم لمنظماتهم وقيادتهم ووجود حالة وضوح سياسي ، وأن مساعدتهم في ذلك هي من مهام الحزب ، ولاقت سياسة الحزب دعماً جماهيرياً كبيرا مقارنة بالعقدين الماضيين(١) .

وقد أصدرت الجبهة غير الأوروبية المتحدة The Non-European United Front بالترانسفال التماساً في عام ١٩٤٠ طالبت فيه " بحق العيش ككائنات بشرية ، وحق العمل في الحرف الماهرة ، والاعتراف بالنقابات الأفريقية ، وإلغاء السياسة العمالية البيضاء ، وإلغاء كل التشريعات المعادية وفقا للون ، وحقوق المواطنة الكاملة " ، واختتم الالتماس بتأكيده على " عدم دعم تلك الحرب حيث يصبح الأغنياء أكثر غني ويقتل الفقراء " ، وتم اتهام د. محمد يوسف دادوو زعيم الجبهة غير الأوروبية المتحدة بإصدار هذا المنشور وتوجيه خطب بنفس المضمون ، وتم الحكم عليه بالسجن أربعة أشهر ، وتم الحكم بنفس العقوبة على الزعيم الهندي في ناتال د. أ. سيدات D. A. Seedat ، وأدخل سمتس عدداً من الاشتراكيين السجن بنفس هذه التهمة ومنهم ماكس جوفي Max Joffe وأرنولد لاتي A. Latti (٢) .

وكان عام ١٩٤٠ هو عام التحسن الملموس في أداء الحزب الشيوعي بين العمال الأفارقة ؛ إذ وصل لمناصب قيادية الكثير من الشباب الأفريقي الذين لم تكن لهم أية صلة بالخلافات التي كانت ناشبة في الحزب قبل عام ١٩٤٠ ، وعهد إلى هؤلاء الشباب بعض المهام التنظيمية والتثقيفية الهامة ، فقد تولى مثلا مايكل ديفوكو Michael Diphuko رئاسة تحرير جريدة الحزب التي حملت عنوان Inkululeko (حرية) ، وكانت أهمية هذه الجريدة بالنسبة للعمال الأفارقة أنها كانت تتضمن

1- Lerumo , A. , Fifty Fighting Years , The Communist Party of South Africa , 1921 - 1971 , Inkululeko Publications , London , 1971 , p. 78 .
2- Ibid.

مقالات بلغات السوتو والزولو والتسوانا والإكسوزا وفندا وشانجان Shangaan ، وكانت توزع بانتظام في أنحاء البلاد ، وبدأ نشر إصدار شهري بعنوان Die Ware Republikein (الجمهورية الحقيقية) ، وتواصلت اللقاءات الجماهيرية المفتوحة ، وفي القاعات من جانب قيادات الحزب مع الأفارقة ، و فيما بين عامي ١٩٤١-١٩٤٣ تضاعفت عضوية الحزب الشيوعي نحو أربعة أضعاف ، وتم تكوين لجان مقاطعات Districts Committees نشطة في كل من كيب تاون وديربان وجوهانسبرج وبورت إليزابيث وبريتوريا وكيمبرلي وإيست راند [١].

وكان تكوين اتحاد عمال المناجم الأفارقة في عام ١٩٤١ قد تم أساساً على يد قيادات شيوعية من داخل الحزب الشيوعي ، واستمرت علاقة الحزب الشيوعي بالحركة العمالية الأفريقية في أوضح صورها من خلال الارتباط بهذا الاتحاد حتى أواخر عام ١٩٤٦ عندما انهار الاتحاد بفضل التدخل الحكومي ، وكانت رؤية الحكومة تجاه النفوذ الشيوعي في الاتحاد متأثرة تماماً برؤية حجرة المناجم بالترانسفال ، وهو الأمر الذي كان يعنى أن الحكومة أصبحت في وضع الخصومة المباشرة مع عمال المناجم الأفارقة [٢].

وخلال الحرب العالمية الثانية اتسمت سياسة الحزب الشيوعي تجاه الحركة العمالية الأفريقية بالتضامن مع هذه الحركة ، وهو الأمر الذي كان يرجع – كما سبقت الإشارة – إلى المرونة التي أبدتها الحكومة تجاه العمال الأفارقة في ظل انشغالها بمجريات الحرب وحاجتها للتهدئة الداخلية ، وكذلك نظراً للعلاقة الوثيقة التي ربطت الاتحاد السوفيتي بدول الحلفاء خلال هذه الحرب ، وما كان يعنيه ذلك من التراخي في مسألة النفوذ الشيوعي في جنوب أفريقيا ، كما كان العداء المشترك للنازية من قبل نظام الحكم والحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا سبباً في التغاضي عن النشاط الحزبي الشيوعي ، وفي المقابل قام الحزب الشيوعي بالعمل كأداة في يد النظام

1- Lerumo , A. , Fifty Fighting Years , op. cit. , pp. 78 -79.
2- Moodie , T. Dunbar , The South African State and Industrial Conflict in the 1940s , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 21 , No.1 (1988) , p. 56.

الحاكم في هذه الحرب ، فهو قد تبنى مقولات تتسق تماماً مع التوجهات الخارجية للنظام الحاكم ، إلى جانب تكريره للمطالب التقليدية له بصدد قوانين التفرقة العرقية ، وهكذا يمكن القول أن فترة قوة الحزب الشيوعي في الأربعينيات كانت تعود لظروف خارجية ، وهو ما أفقد هذه القوة أي تأثير ملموس ومباشر إثر تغير هذه الظروف بعد انتهاء الحرب وتبدل نظام الحكم عام ١٩٤٨ .

وتدعم النشرة التي أصدرها الحزب في عام ١٩٤٣ بعنوان Arm the People الكثير من الملاحظات السابقة ، ففي صدر هذه النشرة تأكيد على أن التحالف الشعبي The People's Alliance الذي يقوده كل من الاتحاد السوفيتي وبريطانيا والصين والولايات المتحدة فإنه يضم كل القوات التي تقف في جانب الحرية ، وإشادة بالصمود السوفيتي والصيني في وجه النظم الفاشستية ، ثم التنبيه من أن العدو الياباني أصبح قريباً جداً من جنوب أفريقيا (التي عملت موانيها على خدمة قوات الحلفاء بعد إغلاق البحر المتوسط أمام السفن البريطانية وسفن الحلفاء) ، والتعرض لفظائع الاحتلال النازي ، الذي خرج هو وحلفاؤه لاسترقاق العالم ، وعند تناول النشرة للدروس المستفادة من الحرب اقتبست عبارة لسمتس يقول فيها : *لم يحلم أحد أبداً أن يعود الجيش والشعب الروسيين بهذه الطريقة الرائعة بعد خسائرهما الكبيرة والمعاناة التي يصعب سردها ، بعد خسارة ملايين الرجال ومعدات حربية هائلة وأغنى أجزاء بلادهم ؛ فإنهم قاموا بالعودة الكبرى ، فيما يبدو على أنه معجزة* ، وتعلق النشرة أن ذلك لم يكن معجزة بل كان شجاعة ووحدة وتصميم الشعب الاشتراكي الحر المستنير ، وأنه على دول الحلفاء أن تستبعد المصالح الطبقية والإمبريالية لتحقيق النصر(١) .

وفيما يتعلق بالدفاع عن جنوب أفريقيا كررت النشرة بناء موقف الحزب الشيوعي بما يتسق مع سياسة الحكومة ، فقد احتج الحزب بمقولة سمتس – كانت غالباً مجرد دعاية حماسية من قبله – التي قال فيها : *قبل أخذ اليابانيين لهذه البلاد فإنني سوف أريهم أن كل ملون وكل وطني native يمكنه حمل السلاح سوف يسلح* ، وطالب

1- The Communist Party of South Africa, Arm the People ,(Wartime pamphlet , Issued by the CPSA) , Johannesburg , 1943 ,(in : Lerumo , A. , Fifty Fighting Years, op. cit., pp.134-136.

الحزب باتخاذ خطوة في هذا الاتجاه مؤكداً على أن التحامل اللوني والخوف والتجاهل واللامبالاة حتى بين من يدعمون الحرب سوف يعوق المجهود الحربي ، وندد الحزب بسياسة الحكومة الإنتاجية التي تسخر قوة عمل قوامها ٤٠٠ ألف عامل لاستخراج الذهب وهو السلعة عديمة القيمة في ظل الحرب الجارية ، كما انتقد الحزب سماح الحكومة للمنظمات النازية بالعمل داخل الاتحاد باعتبارها معملا للطابور الخامس ، وعندما تناولت النشرة قضية تصاريح المرور استندت في مطالبتها بإلغاء هذه التصاريح إلى قول لوزير شئون الوطنيين الكولونيل رايتز Reitz عن معاناة الأفارقة من قوانين المرور ، فيما يبدو على أنه تصرف تكتيكي من قبل الحزب بتأصيل مطالباته لشخصيات حكومية بارزة ، وأخذ الاعتبار بما حدث في الدول الأخرى (١) .

ووضع الحزب في نشرته تلك ما أسماها بسياسة النصر ، وتضمنت ثمانية عوامل للنصر ، أولها تسليح الشعب بغض النظر عن العرق ، وثانيها وجوب وجود جيش شعبي ، وثالثها تسخير الإنتاج للحرب ، ورابعها وجود أجور وظروف عمل لائقة للعمال ، وتذكر النشرة أن تدني مستوى المعيشة يسهم فقط في تضاعف أرباح الرأسماليين بينما يضعف – من الجهة المقابلة – صحة ومعنويات وكفاءة العمال ، كما أن الحواجز اللونية والمهنية تعوق الاستفادة المثلى من القوى البشرية في الأعمال الماهرة ، وأن الضمان الوحيد لحقوق العمال بما يؤهلهم للعمل بصورة تامة هو النقابية والاعتراف بالنقابات الأفريقية ، وخامس هذه العوامل تحرير الشعب حتى يحارب من أجل الحرية ، وسادسها توفير خدمات اجتماعية ملائمة ، وسابعها الحماية من الغارات الجوية ، وثامنها تأمين الحاجة الغذائية للشعب (٢) .

وتواصل دور الحزب الشيوعي مع الحركة العمالية الأفريقية بعد الحرب العالمية الثانية من خلال العمل في مجلس النقابات غير الأوروبية الذي وصل عدد النقابات التي تضم عمالاً أفارقة بها نحو ١١٩ نقابة تضم ١٥٠ ألف عضو أفريقي ، كما ذكرت

1- The Communist Party of South Africa, Arm the People, op. cit., pp. 136-138.
2-Ibid., pp. 138-139.

جدول رقم (١٢).

إحصائية مجلس الدراسات العرقية عن النقابات الأفريقية والعمال الأفارقة المنضمين لنقابات عمالية (سبتمبر ١٩٤٥)

المدينة	عدد النقابات	عدد الأعضاء
جوهانسبرج	٥٠	٨٠,٠٠٠
بريتوريا	١٥	١٥,٠٠٠
بلومفونتين	١٠	٥,٠٠٠
كيمبرلي	٥	٣,٠٠٠
إيست لندن	١٠	١٥,٠٠٠
بورت إليزابيث	١٩	٣٠,٠٠٠
كيب تاون	١٠	١٠,٠٠٠
إجمالي	١١٩	١٥٨,٠٠٠

- Roux , Edward , Time longer Than Rope : A History of the Black Man's Struggle for Freedom in South Africa , The University of Wisconsin Press , London , 1964 , p. 333.

التي عملت في صفوف العمال الأفارقة بصورة غير مسبوقة [١] ، وهو الأمر الذي تبلور أيضا في وجود قيادات الحزب الشيوعي في اتحاد عمال المناجم الأفارقة ، وقيادتهم لإضراب عام ١٩٤٦ ، وتلقيهم الضربات التي وجهتها الحكومة للاتحاد والحزب الشيوعي على حد السواء ، كما واجه الحزب الشيوعي السياسة المتعسفة لحكومة الحزب الوطني المتطهر التي وصلت للسلطة في عام ١٩٤٨ ، وهو العام الذي تم تمثيل الحزب الشيوعي فيه في المجلس التشريعي ، وظل وضع الحزب الشيوعي ضعيفا ، ويحلل تقرير لوكالة الاستخبارات الأمريكية انتشار الشيوعية في جنوب أفريقيا بقوله : إن عدد الشيوعيين البيض يقدر بالمئات فقط والقليل منهم له نفوذ في الحركة العمالية أو في أي تنظيم سياسي هام آخر ، كما أن "الجهود الشيوعية لتنظيم العمال الوطنيين natives والمخلطين قد حققت نجاحا" ضئيلا" ، وهناك حوالي ربع الهنود الذين لديهم وعي سياسي يمكن القول بأنهم خاضعون للنفوذ الشيوعي ، لكن أحداث ديربان (أحداث الشغب بين الأفارقة والهنود) في يناير ١٩٤٩ أظهرت حالة العداء بين التجمعات الهندية والوطنية [٢] .

وواصلت الحكومة إصدار القوانين المقيدة للعمل السياسي وتحجيم انتشار الشيوعية والتي بلغت ذروتها – فيما يخص الحزب الشيوعي – بإصدار قانون قمع الشيوعية عام ١٩٥٠ وحل الحزب الشيوعي ، وكان الحزب بعد هذه الأزمة متفاعلا مع حالة التقارب بين كافة التيارات المناهضة لنظام الحكم العنصري بصورة عامة ، ومع النقابات الأفريقية خاصة بعد قرار المجلس النقابي لجنوب أفريقيا باستبعاد النقابات غير المسجلة وهو ما كان يعنى واقعيا" استبعاد النقابات الأفريقية ، وكان هذا الاستبعاد هو الدافع إلى تكوين المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات الذي انتهج السياسة التقليدية للنقابات بعدم التفرقة في ضوء التكوين العرقي لأعضائها [٣] ، وهو الأمر الذي كان يتسق مع التوجهات الشيوعية وابتعاد الحزب الشيوعي تدريجيا" – عقب

1- Roux , Edward , Time longer Than Rope : op. cit. , p. 333.
2- Central Intelligence Agency, U. S. A. , The political Situation in the Union of South Africa , CIA Historical Review Program , 31 January 1949 , www.foia.gov.com
3- Matajo ,R. E. , Obstacles on the Road to Trade Union Unity , The African Communist , No. 98 , Third Quarter ,(1984), pp. 46-47 .

إعادة تكوينه في عام ١٩٥٣ للعمل بصورة سرية – عن الحركة العمالية البيضاء التي انتهجت بدورها نهجاً عنصرياً للاستفادة من دعم النظام لها ، وبلغت درجة التأثير الشيوعي في المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات أن استمر هذا التأثير حتى منتصف الثمانينيات من القرن العشرين .[١] وارتبط عمل الحزب الشيوعي بالحركة العمالية الأفريقية من خلال مؤتمر التحالف والمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات كما سبق الذكر ، وقد تبني الحزب الشيوعي بالتشارك مع المؤتمر الوطني الأفريقي مفهوم الديموقراطية القومية national democracy في أواخر الخمسينيات ، والذي يتضمن أن الاختلافات الطبقية داخل المجتمعات المتخلفة يجب أن تكون أمراً ثانوياً بالنسبة للجهد الحثيث لتحويل أنماط المشاركة السياسية وإخضاع الاقتصاد للسيطرة القومية [٢]، وهو ما يشير إلى تغليب النضال السياسي على النضال الطبقي منذ أواخر الخمسينيات وحتى أواخر الثمانينيات .

1- Smith , Robin ,The Black Trade Unions : From Economics to Politics , (in : Blumenfeld , Jesmond (editor) , South Africa in Crisis) , The Royal Institute of International Affairs , London , 1987 , pp. 90-105.
2- Barrell , Howard , The Turn to the Masses : The African National Congress ' Strategic Review of 1978-79 , Journal of Southern African Studies , Vol.18 , No. 1 (March , 1992) , p. 68.

ثالثا - الإضرابات العمالية الأفريقية ودورها في الحركة الوطنية الأفريقية .

شكلت الإضرابات العمالية التي قام بها العمال الأفارقة الدور السياسي الأبرز للحركة العمالية الأفريقية ، وقد تعددت هذه الإضرابات من حيث توزيعها الجغرافي وعدد المشاركين فيها ، كما أنها تواصلت بصورة تامة ، ومن أبرز هذه الإضرابات مجموعة الإضرابات التي قام بها عمال الموانئ الأفارقة في ديربان في فترة منتصف الأربعينيات ، وكذا إضراب عاملات النسيج في مصنع أماتو Amato للمنسوجات في عام ١٩٥٨ ، أما الإضراب الأبرز في تاريخ الحركة العمالية الأفريقية فقد كان إضراب عمال المناجم الأفارقة الذي نظمه الاتحاد الممثل لهم ، وتعود أهمية إبراز هذا الإضراب إلى أنه لم يكن إضرابا وليد لحظة عابرة أو قرار متسرع من قيادة اتحاد عمال المناجم الأفارقة ، لكنه جاء بعد فترة مداولات طويلة بين الحكومة وحجرة المناجم بالترانسفال من جهة والاتحاد من جهة أخرى ، وقامت الحكومة خلال هذه الفترة بتعيين العديد من البعثات للتحقيق في مطالب العمال ، وأبرزها بعثة لانسدون ، وبعد وصول هذه المداولات إلى طريق مسدود وتغير السياسة العمالية للنظام العنصري والتي كانت سياسة مهادنة للعمال خلال الحرب العالمية الثانية إلى سياسة مواجهة ورفض المطالب العمالية بصورة قطعية والتمادي في فرض المزيد من قوانين التفرقة في مجالات العمل المختلفة .

لذا فإن هذا الإضراب جاء كرد فعل على ممارسات حكومية عنصرية ومتواصلة تجاه العمالة الأفريقية ، وكان رد فعل على قدر هذه الممارسات ، إذ انتشر في كافة مناجم الراند - عصب الحياة الاقتصادية لاتحاد جنوب أفريقيا - وأدى إلى تغيير تكتيكات الحركة الوطنية الأفريقية ونظرها لطبيعة الصراع مع النظام العنصري .

وقد تصاعدت كثافة الإضرابات العمالية الأفريقية في عقد الخمسينيات ، وكان عام الذروة هو عام ١٩٥٧ الذي بلغ عدد الإضرابات فيه ١١٣ إضرابا للعمال الأفارقة في مختلف قطاعات العمل ، وإن تركزت أكثر في خدمات الموانئ وبعض الصناعات ، وكان

العام الذي شهد أكبر عدد للمشاركين في الإضرابات في الخمسينيات هو عام ١٩٥٥ الذي اضرب خلاله ٩٤٧٩ عاملاً أفريقياً (١)

وكانت دوافع العمال الأفارقة للقيام بهذه الإضرابات عديدة ، ومن هذه الدوافع انخفاض الأجور للحد الذي أصبحت فيه تكفى معيشة العمال بالكاد ، ويتبقى منها مبلغ ضئيل للغاية يعود به العامل إلى وطنه ، سواء في المعازل أو خارج الاتحاد ، كما كانت الأجور بالنسبة للعمال الأفارقة المقيمين في المناطق الحضرية تستنزف في الإيجارات التي قد تصل لثلث قيمة الأجر المتحصل عليه ، كما كان من دوافع الإضراب تدهور ظروف العمل ، وأحيانا خفض قوة العمل والاستغناء عن بعض العمال دون مبررات سوى رفع هامش الربح لصاحب العمل على حساب جهد بقية العمال .

ومن الإضرابات الهامة التي قام بها العمال الأفارقة هو إضراب عمال ميناء ديربان في الفترة ١٤-١٦ أبريل عام ١٩٥٨ ، والذي كان من أهم دوافعه سياسة الترحيل الإجباري التي كانت تتبعها الحكومة للعمال الأفارقة في حالة الاستغناء عنهم ، وهو الأمر الذي كان شائعاً ومتكرراً منذ عام ١٩٤٩ (في مدينة ديربان) عندما قامت الحكومة بترحيل عشرة آلاف أفريقي خارج المدينة بوصفهم عمالة زائدة ، كما قرر مجلس مدينة ديربان منذ شهر يوليو من نفس العام منع دخول الأفارقة الباحثين عن عمل – دون الحصول على عقود مسبقة – إلى المنطقة الحضرية في حالة كفاية عدد العمال الأفارقة فيها ، وكان لهذا القرار أثره بالغ السوء على العمال الأفارقة الذين يعملون بالفعل ، فقد عرض الأفارقة المرحلون أو الممنوعون من دخول المنطقة الحضرية تقديم عملهم مقابل أجور متدنية للغاية ، وهو الأمر الذي أدى إلى إعادة توجيه العمالة وخفض الأجور (٢) .

١- انظر الجدول رقم (١٣) ، ص ٢٠٨ .

2- Hemson, David, Dock Workers, Labour Circulation, and Class Struggles in Durban, 1940-59, Journal of Southern African Studies, Vol. 4, No. 1 (October, 1977), pp. 114-115.

جدول رقم (١٣)

الإضرابات العمالية في جنوب أفريقيا (١٩٥٠-١٩٦١) مقارنة بين العمال البيض والعمال والأفارقة

العام	البيض		الأفارقة		إجمالي	
	إجمالي الإضرابات	عدد العمال المشاركين	إجمالي الإضرابات	عدد العمال المشاركين	الإضرابات	المشاركين
١٩٥٠	٨	٨٧٨	٢٥	٢٣٣٩	٣٣	٣٢١٧
١٩٥١	٥	٧٩٠	٣١	٧٠٢٤	٣٦	٧٨١٤
١٩٥٢	٦	٤٩٦	٤٨	٥٩٦٣	٥٤	٦٤٥٩
١٩٥٣	٧	٨١٩	٢٣	١٤٧٩	٣٠	٢٢٦٩
١٩٥٤	٢١	١٠٩٦	٣٩	٤٦١٨	٦٠	٥٧١٤
١٩٥٥	٢٠	٣٨٤	٨٢	٩٤٧٩	١٠٢	٩٨٦٣
١٩٥٦	١٣	٤٠٩	٩٢	٦٤٢٨	١٠٥	٦٨٣٧
١٩٥٧	٦	٦٦٤	١١٣	٦١٥٨	١١٩	٦٨٢٢
١٩٥٨	١٠	٦٥٠	٦٤	٧١٢٨	٧٤	٧٧٧٨
١٩٥٩	٣	٩٩	٤٣	٣٤٦٢	٤٦	٣٥٦١
١٩٦٠	٩	٢٣٤	٣٣	٥٢٦٦	٤٢	٥٤٦٠
١٩٦١	٥	غير متاح	٧٥	٤٦٦٢	٨١	غير متاح

- Luckhardt, ken and Wall, Brenda, Organize or Starve! , op. cit., p.276

وقد بدأ إضراب أبريل ١٩٥٨ يتبلور عندما قرر وزير شئون الوطنيين د. فيرفورد ترحيل غالبية سكان التجمعات العمالية الأفريقية في منطقة ميناء بوينت Point في ديربان ، والإبقاء على ألفي عامل شحن في المنطقة ، وهو القرار الذي كان له تأثير سلبي على كل من أصحاب العمل والعمال الأفارقة ، لأن ذلك سيؤدى إلى تدهور في كفاءة العمل في الميناء ، لأن قرار الترحيل تضمن أن هؤلاء العمال سوف يتم ترحيلهم إلى منطقة كواماشو Kwamashu شمالي ديربان مما يعنى رفض العمال القيام بفترات عمل إضافية نظرا لطول الرحلة اليومية من المنزل إلى العمل والعكس ، وفي حالة هبوط أداء الميناء فإن السفن العابرة لديربان سوف تتجاوزه إلى ميناء لورنزو ماركيز في موزمبيق مما سوف يعود بالضرر على أصحاب العمل ، وقدمت رابطة عمال الشحن The Stevedores Association - والتي قامت سابقا بتسكين نحو ١٥٢٠ عامل - مذكرة إلى الحكومة مشيرة فيها إلى " العواقب الخطيرة " التي قد تحدث إذا تم هدم التجمعات السكنية للعمال ، إلا أن استجابة الحكومة كانت التجاهل (١)

وقد تضافرت مع هذه الأجواء المتوترة توجيه كل من المؤتمر الوطني الأفريقي والمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات الدعوة لكل العمال الأفارقة بالإضراب لمدة ثلاثة أيام مطالبة برفع الحد الأدنى للأجر اليومي للعمال الأفارقة بجنيه إسترليني واحد ، ولوح عمال ميناء ديربان بالقيام بهذا الإضراب وعلى الفور وجه المفوض الوطني المحلي لمدينة ديربان الدعوة لعقد لقاء ضم كل من رئيس شرطة المدينة ورئيس مجلس مدينة ديربان وأليسون تشامبيون (الرئيس السابق لفرع المؤتمر الوطني الأفريقي في ناتال والقيادي البارز في اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي) ، ووجه المجتمعون طلبا لكل العمال بالذهاب إلى العمل ، إلا أن العمال أنفسهم كانوا يريدون القيام بالإضراب لمعالجة حالة التدني التي وصلت لها أجورهم وتردي ظروف العمل ، وكرر العمال تهديدهم بعدم العمل في أيام ١٤ و ١٥ و ١٦ أبريل ، ونشرت ذي ناتال ميركوري The Natal

---

1- Hemson, David, Dock Workers, Labour Circulation , op. cit., pp117-118.

Mercury رسالة من الزعيم المقيم للزولو في ناتال مطالبا فيها العمال الأفارقة بعدم المشاركة في الإضراب ، وبالفعل أضرب غالبية عمال الميناء من الأفارقة ، وظل عدد قليل من العمال في ممارسة عملهم بعد محاصرة قوات الشرطة لهم وتهديدهم ، وحدثت في هذه الأيام الثلاثة عمليات اعتقال في صفوف العمال ، ورفض العمال الذين أجبروا على البقاء في منطقة الميناء العمل في أوقات إضافية إلا بعد رفع الأجر إلى جنيه إسترليني واحد يوميا ، وفي الأسبوع التالي أضرب العمال أيضا مرة أخرى مطالبة برفع الأجر ، وتم البدء في مفاوضات بين العمال وأصحاب العمل ، وحصل العمال على زيادة قدرها شلن وستة بنسات يوميا مع تحسين ظروف العمل ، ورفع أجر العمل الإضافي خاصة أيام الأحد [١] .

وعلى الرغم من كثرة الإضرابات التي قام بها العمال الأفارقة فإنها كانت في مجملها ضعيفة التأثير في السياسات الحكومية تجاه العمال الأفارقة ، وكان أبرز إضراب قام به العمال الأفارقة هو إضراب عمال المناجم في أغسطس ١٩٤٦ ، وإن كان لهذا الإضراب تأثير سياسي أهم من التأثير الاقتصادي الذي كان الهدف الحقيقي من القيام به ؛ إذ كشف هذا الإضراب عن الفجوة الهائلة بين العمال الأفارقة ومشاكلهم من جهة والمنظمات التي يفترض أنها تمثلهم على المستوى القومي ، مما دفع بعض أعضاء هذه المنظمات إلى تبني آراء أكثر راديكالية فيما يتعلق بالصراع مع النظام الحاكم .

1- Hemson, David, Dock Workers, Labour Circulation , op. cit., pp. 118-119 .

إضراب عمال المناجم الأفارقة (١٢- ١٦ أغسطس ١٩٤٦)

ثمة ملاحظتان أوليتان بخصوص إضراب أغسطس ١٩٤٦ – أو الإضراب الكبير كما يعرف في تاريخ جنوب أفريقيا – والملاحظة الأولى هي أن هذا الإضراب يعتبر بالنسبة لكثير من مؤرخي جنوب أفريقيا هو لحظة التحول من الوعي الفلاحي (الذي تجسد أساساً في اتحاد العمال الصناعي والتجاري الأفريقي) إلى الوعي العمالي (الذي تبلور لاحقاً في قيام المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات عام ١٩٥٥) ، وأن نمو اتحاد عمال المناجم الأفارقة قد شكل حلقة مميزة في تاريخ الحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا ، وعلى الرغم من ذلك فإن الصورة الإجمالية للاتحاد - من ناحية كونه تنظيماً نقابياً- كانت غير مكتملة في ظل تناقض واضح بين نخبة - قيادة ذات ثقافة وخبرة نقابية كبيرة ، وقاعدة - أعضاء لم يتطور لديهم الوعي العمالي بالصورة الكافية – في ضوء الظروف الاجتماعية والاقتصادية الصعبة التي كان يعيش فيها عمال المناجم – وكان هذا التناقض يعود أيضاً إلى القسر والتضييق الذي واجهه تنظيم الاتحاد وقياداته من جهة والتباين الشديد بين العمالة الأفريقية نفسها سواء عرقياً أو ثقافياً أو غير ذلك [١].

أما الملاحظة الأولية الثانية فإنها تتعلق بنجاح بعض التنظيمات العمالية غير البيضاء في تحقيق بعض مطالبها ، ومن هذه التنظيمات اتحاد عمال الطعام والتعليب الذي أسسته راي ألكسندر في فبراير ١٩٤١ ، وهو الاتحاد الذي ظل موجوداً طيلة ثلاثة عقود وكان له دور هام في تقديم الخبرة والتجربة القيادية – من خلال راي الكسندر نفسها – للمؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، كما نجح أيضاً اتحاد المستخدمين في صناعة السكر في ناتال Natal Sugar Employees Union (وهو اتحاد للعمالة الهندية في ناتال) في تحقيق زيادة في الأجر الشهري تقدر قيمتها بعشرة شلنات [٢].

1- Beinart , William , Worker Consciousness , Ethnic Particularism and Nationalism : The Experiences of a South African Migrant , 1930-1960 (in : Marks , Shula and Trapido , Stanley (eds.) , The Politics of Race , op. cit.), p. 296 .

2- Luckhardt , ken and Wall , Brenda , Organize ....or Starve ! , op. cit. p. 63.

وكانت هذه النجاحات حافزاً لاتحاد عمال المناجم الأفارقة على القيام بالضغط على كل الحكومة وحجرة المناجم بالترانسفال لتحقيق مطالبه التي نادى بها – دون جدوى – منذ قيامه ، مع الأخذ في الاعتبار الفارق الهائل بين العمالة في المناجم والعمالة في الاتحادين المذكورين من حيث عدد العمال ومستوى خطورة وأعباء اتخاذ قرار بمثل هذه الزيادات المطلوبة على أصحاب الأعمال ، وهو الأمر الذي كان سيعني خفض صافي الأرباح بصورة ملحوظة ، وهو ما لم يكن أصحاب الأعمال مستعدين لتنفيذه ، خاصة في ضوء تشابك المصلحة في إبقاء الوضع القائم بالنسبة لكل من الحكومة وأصحاب الأعمال .

وفي الرابع من أغسطس عام ١٩٤٦ اجتمع ما يزيد على ألف مندوب في مؤتمر مفتوح في ميدان نيوتاون ماركت Newtown Market في جوهانسبرج ، حيث لم تكن تتوفر للأفارقة قاعة لعقد لقاءات كبيرة مماثلة لهذا المؤتمر ، وأصدر المؤتمر القرار التالي بالإجماع :

نظراً للموقف المتزمت لغرفة مناجم الترانسفال تجاه مطالب المشروعة للعمال بجعل الحد الأدنى للأجر اليومي قدره عشرة شلنات وتحقيق ظروف عمل أفضل فإن هذا اللقاء لعمال المناجم الأفارقة يقرر توجيه الدعوة للقيام بإضراب عام من قبل كل الأفارقة الذين يعملون في مناجم الذهب بدءاً من ١٢ أغسطس.(١)

وبعد اعتماد قرار الإضراب أكد رئيس اتحاد عمال المناجم الأفارقة جوبافو ماركس على خطورة وجدية هذا القرار ، وقال : *إنه لزاماً على العمال الأفارقة أن يستعدوا لاحتمال حدوث قمع عنيف* ، وقال للعمال : *إنكم (بهذا الإضراب) تتحدون نظام العمالة الرخيصة ، ويجب أن تكونوا مستعدين للتضحية في سبيل الحق في الحياة ككائنات بشرية* ، وتلت خطبة رئيس الاتحاد خطبة حماسية أيضاً من قبل أمين الاتحاد ج. ج. ناجورو J. J. Najoro والذي أعلن فيها أن الجهود المتواصلة للاتحاد للحصول على تحسينات في

1- Naiker , M. P. , The African Miners' Strike of 1946 , op. cit. p. 4.

ظروف العمال من خلال التفاوض كانت تنتهي دائماً بالفشل وذلك نظراً لرفض غرفة مناجم الترانسفال الاعتراف بوجود الاتحاد ، وحذر ناجورو من احتمال – ذكر أنه ضئيل – أن يقوم النظام الحاكم بمحاولة قمع الإضراب بالقوة الوحشية ، غير أن جموع العمال كان لسان حالهم كما عبر أحد العمال المسنين يقول : *إننا موتى بالفعل في المناجم* (١) ، وتم إرسال خطاب للغرفة يعلمها بهذا القرار ويطالب بمفاوضات اللحظة الأخيرة ، لكن هذه الخطوة قوبلت أيضاً بالتجاهل (٢) .

وفي ١٢ أغسطس قام ما بين ٧٠ إلى مائة ألف عامل أفريقي في المناجم بالتوقف عن العمل في ٢١ منجما ، وهو الأمر الذي تسبب في حدوث انخفاض في مستوى الإنتاج الشهري إلى أدنى مستوياته منذ عام ١٩٣٧ ، وقام سمتس بالتحرك السريع وأمر بوضع نحو ١٦٠٠ جندي من قوات الشرطة في مهمة خاصة للتعامل مع المضربين ، وذلك بناء على طلبات من قبل أصحاب المناجم ، وتم إغلاق المجمعات السكنية للعمال والمناجم ووضعها تحت الحراسة المشددة من قبل قوات الشرطة (٣) .

كما قامت الحكومة بفرض حظر على معظم الصحف اليومية – خاصة تلك التي يمولها أصحاب رؤوس الأموال في التعدين – من أجل منع نشر أية أنباء عن الإضراب المزمع والعمل على التعتيم عليه ، لدرجة أن جريدة ذي راند ديلي ميل *The Rand Daily Mail* قد ذكرت يوم الاثنين ١٢ أغسطس (يوم بدء الإضراب نفسه) أن الدعوة التي وجهها اتحاد عمال المناجم الأفارقة للقيام بإضراب قد لقيت " تجاهلا تاما " من العمال الأفارقة ، إلا أن جريدة ذي ستار *The Star* ذكرت في ظهر نفس اليوم أن عشرات الآلاف من العمال الأفارقة قد قاموا بإضراب من شرق الراند إلى غربه (٤) .

1- *Naiker , M. P. , The African Miners' Strike of 1946 , op. cit. p. 4.*
2- Lerumo , A. , Fifty Fighting Years , op. cit. , p.85.
3- Crush , Jonathan , Jeeves , Alan and Yudelman , David , south Africa's labour Empire : A History of Black Migrancy to the Gold Mines , Westveiw Press , Boulder , 1991 , p.58.
4- Lerumo , A. , Fifty Fighting years, op. cit. , p. 85.

والجدير بالملاحظة أن الإضراب – على الرغم من كونه قد أصبح فيما بعد حدثاً تاريخياً – لاقي تجاهلاً متعمداً من جانب الحكومة ، وتم التعامل معه – فيما يخص التوثيق الرسمي – على أنه حدث عشوائي ومجرد خروج على النظام ، لذا فإن المصادر الوحيدة التي تتناول الإضراب تتركز في الصحف اليومية ، والتي لم تكن كتاباتها كاملة ، كما أنها لم تكن موضوعية أو صحيحة إلى حد كبير ، خاصة أن تلك الصحف لم تكن تدون إلا ما تذكره قوات الشرطة أو ما تسمح به تلك القوات لمراسلي الصحف [١].

أما على صعيد الحركة الوطنية فكما سبق القول فإن المؤتمر الوطني الأفريقي كان في مرحلة التحول من تبني حتمية الحل السلمي للمشكلات مع النظام الحاكم والعمل في ظل ما تسمح به القوانين القائمة من تحرك إلى مرحلة أكثر راديكالية ، لكنه لم يكن قد وصل لمرحلة دعم موقف العمال إثر تحول هذا الإضراب إلى مواجهة مفتوحة ، ولعل أبرز ردود فعل للمؤتمر تجاه الإضراب هو النشرة التي أصدرتها رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي في أغسطس ١٩٤٦ ، ومما جاء فيها :

لقد ثار عمال المناجم الأفارقة في ثورة ضد أكثر أنواع استغلال الإنسان للإنسان وحشية وقسوة و غير إنسانية في تاريخ الجنس البشري ، ومثل نضالهم تحدياً للبناء الاقتصادي والسياسي لجنوب أفريقيا ككل ، وتتحرك الأمور الآن نحو التهدئة – بعد انتهاء الإضراب – إلا أن الضغط من أعلى يستتبعه ضغطا من أسفل ، ولا يمكن للأفارقة أن يظلوا خاضعين للأبد ، ومن المسلم به انه لا يمكن بقاء جنس بشري في حالة عبودية وخدمة للأبد ... كما يعلمنا التاريخ ذلك ، وتطالب رابطة شباب المؤتمر الوطني الأفريقي كل الأفارقة بأن يقدموا دعماً فعالاً لكفاح عمال المناجم ، إن كفاح اتحاد عمال المناجم هو كفاحنا ، إنهم (العمال) يحاربون الحاجز اللوني السياسي والتمييز الاقتصادي ضد الأفارقة ، وبعدئذ يا أخوتنا في الكفاح ، فإنه على الرغم من أننا غير مسلحين إلا أننا

1- South African Communist Party , A Distant Clap of Thunder , op. cit. , p.9.

محصنون روحياً ونناضل من أجل قضية عادلة ، ويجب أن نتذكر أنه في كل مناحي النشاط البشري توجد القوى الروحية التي تقود العالم (بحروف كبيرة) ، نحن نطالب بأجر يكفي للمعيشة لكل العمال الأفارقة (١) .

وفي يوم ١٢ أغسطس توقف العمال الأفارقة (٢) عن العمل في ٣٢ منجما من إجمالي مناجم الراند البالغة ٤٥ منجماً ، ولك وفق ما ذكره تقرير تلقته جريدة جوهانسبرج ستار Johannesburg Star من اتحاد عمال المناجم الأفارقة ، ووفقاً لتقرير آخر أصدره الزعيم الوطني المفوض لجوهانسبرج Chief Native Commissioner for Johannesburg فقد كان عدد المناجم التي تأثرت بالإضراب قد بلغ ٢١ منجما ، توقف ١١ منجماً منها عن العمل بصورة كلية و١٠ بصورة جزئية (٣) ، إلا أن مسئولي المناجم وقوات الشرطة تصدوا لهذا التوقف عن العمل بكل حزم ، وهو الأمر الذي أسفر عن عودة العمال إلى ممارسة أعمالهم العادية - وذلك وفق ما ذكرته جريدة ذي راند ديلي ميل يوم ١٣ أغسطس ١٩٤٦ – وأصيب عدد من العمال الأفارقة في المناوشات ، وقامت الشرطة بإلقاء القبض على عدد محدود من العمال ، [illegible] ، وفي منطقة منجم سيتي ديب City Deep حاول بعض المضربين اقتحام البوابات الرئيسية للمناجم لإيقاف العمال الآخرين عن العمل ، وتصرف مسئولو المناجم على الفور بالتدخل المسلح ، كما [illegible] سبق وتم إرسال قوات شرطة من جوهانسبرج إلى المنطقة لمساعدتهم ، وبوصول قوات الشرطة أصبح كل شئ هادئا مع إلقاء القبض على

1- The African National Congress Youth league , The African Mineworkers' Strike - A National Struggle (a flyer) , August , 1946 (in : Karris , Thomas and Carter , Gwendolen M. (eds.) , op. cit.) , pp. 318-319.

٢- تشير بعض المصادر الشيوعية إلى أن عدد العمال المضربين بلغ مائة ألف عامل ، وهو الرقم الذي يعادل ثلث قوة العمل الأفريقية في المناجم ، بينما تشير مصادر أخرى إلى أرقام مغايرة قد تصل لأقل من ٥٠ ألف عامل ، وترجح معظم المراجع أن الرقم الفعلي يتراوح حول رقم ٧٠ ألف عامل .

3-Naiker , M. P. , The African Miners' Strike of 1946 , op. cit. p.6.

بعض الأفارقة ، وفي منطقة روبنسون ديب Robinson Deep حدثت بعض المناوشات بقيام عدد ممن وصفوا بأنهم "المهيجين " بمحاولة منع العمال من العودة إلى مجمعاتهم السكنية ، ومرة أخرى عالج المسئولون في المناجم هذا الأمر وسرعان ما تم دعمهم بقوة شرطة أكثر عدداً وقوة تسليحية ، وتمت إعادة العمل إلى مجراه الطبيعي ، كما كانت ثمة توقفات أخرى عن العمل – وفق ما تذكره جريدة ذي ستار يوم ١٣ أغسطس ١٩٤٦ – بصورة تامة في كل من مناجم وست سبرنجز West Springs ، وفان ديك Van Dyck ، وفان رين Van Ryn ، وفلاكفونتين Vlakfontein ، ومودر بي .Modder B ، وتوقفات أخرى جزئية عن العمل في كل من براكبان Brakpn ، وصابنايجل Sub-Nigel ، وروبنسون ديب ، ونتج عن إلقاء القبض على ثلاثة مضربين في ضاحية بينوني تظاهر عدة آلاف من الأفارقة خارج نقطة شرطة بينوني ، وتم إرسال تعزيزات من الشرطة قوامها نحو مائتي جندي من مراكز أخرى ، وتم تفريق المتجمعين (١) .

وفي اليوم التالي للإضراب (١٣ أغسطس) تزايد عدد التجمعات العمالية التي شاركت في الإضراب منذ الصباح الباكر ، وقدر – وفقاً لما ذكرته ذي راند ديلي ميل – عدد المضربين بما يتراوح ما بين ٤٥ إلى ٥٠ ألف عامل أفريقي ، وقد أغلقت بعض المناجم بالفعل بينما تأثرت بعض المناجم الأخرى بصورة جزئية ، وبدا أن الإضراب آخذ في الانتشار ، وتم إرسال قوات الشرطة إلى المناطق الأكثر خطورة لمنع تطور الأمر بصورة أسوأ مما هو عليه فعلاً ، ويصف مراسل ذي راند ديلي ميل مشهد العمال المضربين بأنه وجدهم يتصرفون وسط الحدث كأنه أحد عطلات أيام الآحاد ، ووجدهم جالسين أو ممددين في مجموعات يستمتعون بالشمس وهم مستندون على الجدران احتماء من الريح ، وكانت العلامة الوحيدة ذات الدلالة على وجود الظروف غير الطبيعية هي توافد عربات النقل المحملة بالشرطة المسلحة التي وصلت من مراكز التدريب في كل من

1- South African Communist Party , A Distant Clap of Thunder , op. cit. , pp. 9-10.

بريتوريا وجوهانسبرج وغيرهما ، وتم إلقاء القبض على عشرين مضرباً في فلاكفونتين ممن رفضوا الذهاب إلى العمل ، وأثناء الاستعدادات للورديات الليلية كانت الشرطة بانتظار العمال وألقت القبض على بعض العمال في مناجم إيست راند East Rand ، وفي مناجم ستيت State تمكنت الشرطة من إعادة العاملين الساخطين إلى غرفهم واستعادة النظام ، وكان أكبر عدد للمقبوض عليهم من العمال الأفارقة في تجمع عمالي واحد الأربعمائة عامل الذين قبض عليهم في التجمع رقم واحد في سبرنجز ماين Springs Mine ، أما في سيتي ديب فقد تجمع نحو مائة عامل أفريقي بالقرب من البوابات ، وتم إلقاء القبض على عشرين منهم (١).

وفي يوم الأربعاء (١٤ أغسطس) حاول نحو أربعة آلاف مضرب من العمال الأفارقة المسلحين بالقطع الحديدية والسكاكين والأسلحة الخفيفة الأخرى (وفقاً لرواية ذي راند ديلي ميل في ١٥ أغسطس) القيام بمسيرة في جوهانسبرج ، وأوقفتهم الشرطة بالقرب من براكبان ، وعندما رفض العمال الأفارقة العودة هاجمتهم قوات الشرطة ، وذكرت ذي راند ديلي ميل إن " هدف المسيرة لم يكن واضحاً " ، وتم توجيه الأوامر لكل قوات الشرطة المتاحة في الراند الشرقي وجوهانسبرج بإيقاف تقدم العمال الأفارقة وإعادتهم إلى تجمعاتهم السكنية في المناجم (٢).

ويلاحظ أنه منذ بداية الإضراب أن حجرة المناجم بالترانسفال قد تعاملت معه بممارسة القوة والإرهاب ، كما قامت الحكومة بتكوين لجنة وزارية فرعية لتطبيق هذه السياسة ، ووضعت قوات الشرطة تحت تصرف حجرة المناجم ومديري التجمعات العمالية في مناطق التعدين بهدف محدد وواضح وهو تحطيم الإضراب وإجبار العمال على العودة إلى العمل ، وتم توجيه الأوامر المباشرة لقوات الشرطة بإطلاق الرصاص الحي لإجبار العمال الأفارقة على العودة للعمل ، واستمرت هذه السياسة قائمة دون أي تهاون أو تراجع حتى نهاية الإضراب (٣).

1- South African Communist Party , A Distant Clap of Thunder , op. cit. , p 10.
2- Ibid , p. 11.
3- Lerumo , A. , Fifty Fighting Years, op. cit. , p. 85.

وشهد يوم الخميس ١٥ أغسطس مسيرة للعمال الأفارقة (قدرتها جريدة ذي راند ديلي ميل بأربعة آلاف عامل) نحو مقر تجمع رابطة العمال الوطنيين في ويتووترزراند The Witwatersrand Native Labour Association في جوهانسبرج بهدف التظاهر من أجل رفع الأجور ، واخترقت المسيرة من قبل مجموعتين من قوات الشرطة ، وقامت الشرطة بإلقاء القبض على المجموعة الرئيسية من المضربين المتظاهرين ، وفر معظم الأفارقة لكن بعضهم قام بالاختباء في أماكن قريبة من موقع الصدام ، وقامت المجموعة الثانية من قوات الشرطة بمحاصرة ٨٠٠ عامل أفريقي ، وأعلن العمال الأفارقة المحاصرون رغبتهم في تسليم أنفسهم رافعين أياديهم ، كما شهد نفس اليوم خروج نحو ٥٠٠ عامل أفريقي من منجم فان رين من منطقة بينوني للتوجه نحو جوهانسبرج للوصول إلى مقر حجرة المناجم بالترانسفال ، وقابلتهم قوات الشرطة بالقرب من منطقة الإنسدفونتين Elandsfontein ، وأصيب عدد من الأفارقة في الصدام مع الشرطة ، وفي منطقة كريس شافت Chris Shaft بمناجم روبنسون ديب حدث صدام مع العمال الأفارقة عندما قامت قوات الشرطة بتمشيط غرف العمال في المجمع السكني لهم ، واتخذ بعض العمال موقفا متحديا لإجراءات الشرطة ، وقام مئات العمال بالفرار عبر بوابات المجمع مع استخدام الشرطة للعنف ، وفي نورس ماينز بدأت الشرطة في تمشيط غرف العمال الذين عرف عنهم استياؤهم من ظروف العمل وأخذت تسوقهم إلى مركز التجمع السكني ، وأصيب عدد كبير من العمال إصابات بالغة ، ووجه مدير التجمع السكني مستر لورانس كلمة للمضربين منحهم خلالها مهلة نصف الساعة لارتداء الملابس وممارسة العمل ، وأكد أنه في حالة عدم تنفيذ ذلك فإن الشرطة لن تتعامل معهم بجدية فقط ، ولكنها سوف " ترد على أي تحركات هجومية بالرصاص الحي [1] ، وذكرت جريدة ذي ستار أن جميع مناجم الراند (البالغ عددها ٤٥ منجماً) تعمل الآن (الخميس ١٥ أغسطس) بصورة طبيعية فيما عدا منجمين اثنين فقط وهما نايجل الذي توقف العمل فيه بصورة كلية ، وروبنسون ديب الذي توقف العمل فيه بصورة جزئية [2] .

1- South African Communist Party , A Distant Clap of Thunder , op. cit. , p.12.
2- Ibid.

واستمر حدوث مشكلات في العمل في سيتي ديب في صباح اليوم ذاته عندما رفض العمال في أحد التجمعات مواصلة العمل ، وقامت الشرطة بتمشيط التجمع ، كما قام قسم من العمال في باطن الأرض على عمق نحو ميل من السطح بعمل إضراب " جلوس " ، ورفضوا مواصلة العمل ، كما شهد منجم نايجل إضراباً مشابهاً ولم يكن هناك عنف فيه ، وقال الأفارقة إنهم سوف يواصلون جلوسهم الاضطرابي على عمق نحو ٢٧٠٠ قدم من سطح الأرض حتى الساعة الرابعة بعد الظهر عندما يحين وقت انتهاء العمل [١] .

وفي يوم الجمعة (١٦ أغسطس) وصل الصدام بين العمال وقوات الشرطة ذروته عندما قامت قوة قوامها ٤٠٠ شرطي بالذهاب إلى عمق نحو ١٠٠٠ قدم تحت سطح الأرض للتعامل مع ألف عامل أفريقي مضرب ، وتطورت المواجهة إلى قتال عند نقاط التوقف والتفتيش ، وتم اقتياد العمال من كافة المستويات ونقاط التفتيش للسطح ، وأعلن المضربون بعدئذ – وفقاً لما ذكرته ذي راند ديلي ميل – عن نيتهم العودة للعمل ، وتم إرسالهم مرة أخرى لأسفل ، ولم تتحقق مشاكل أخرى مشابهة في نفس المنجم ، كما حدث قتال شارك فيه نحو خمسة آلاف عامل أفريقي مع الشرطة في التجمع الرئيسي في سيتي ديب وبعدئذ عاد العمال للعمل ، وكانت حصيلة الإصابات خمسين عاملاً أفريقياً وجنديين من الشرطة [٢]، كما قدر عدد ساعات العمل الضائعة بمليون ساعة [٣] .

1- South African Communist Party , A Distant Clap of Thunder , op. cit. , p.12.
2- Ibid , pp. 12-13.

٣- كان عدد الأيام الضائعة في الفترة ١٩٤٠ – ١٩٤٥ وفق إحصاء سجله روبرت برايس نحو ٢٢٠,٢٠٥ يوما نتيجة لإضراب العمال الأفارقة بمعدل ٤,٢ يوما لكل مضرب (من العمالة المشاركة في الإضراب) مقارنة بعدد أيام ضائعة في الفترة ١٩٣٠ – ١٩٣٩ قدرها ٧١,٠٧٨ يوما بمعدل ٢,٧ يوما للمضرب ، أما إضراب ١٩٤٦ فقد كانت أيام العمل الضائعة خلاله تبلغ ١٢٥ ألف يوم (باعتبار أن يوم العمل هو ثماني ساعات) ، وهو الأمر الذي يوضح أن إضراب ١٩٤٦ كان ذروة الاحتجاج العمالي الأفريقي ، راجع :

- Price , Robert M. , The Apartheid State in Crisis , Political Transformation in South Africa , 1975 - 1990 , Oxford University Press , New York , 1991 , p. 17.

وأعلن في يوم السبت (١٧ أغسطس) أن الإضراب قد انتهى ، وكان المنجم الوحيد الذي استمر فيه الإضراب طيلة هذه الفترة (١٢ – ١٦ أغسطس) هو روبنسون ديب ، وفي مقابلة لجريدة ذي ستار مع مدير العمالة الوطنية والزعيم الوطني المفوض لويتووترزراند ج. م. برينك J. M. Brink قال : *كان رجالي في موقع الحدث منذ بدايته .... لتوضيح أن هذا التوقف (عن العمل) غير قانوني وانتهاك للتعاقد ، وأن المهيجين هم الذين حرضوا على هذا الأمر ، لأنه لم يكن ممكناً لهم توقع الحصول على (أجر) عشرة شلنات يومياً ، وعندما اتخذت قوات الشرطة تحركها الأخير (استخدام العنف) فإن ذلك تم فقط بعد محاولات متكررة لجعل العمال يعودون إلى الالتزام بعقودهم من خلال وسائل أخرى (غير عنيفة)* [١] .

وواضح مما سبق أنه كانت ثمة مواجهات عنيفة أسفرت عن عدد كبير من القتلى بين صفوف العمال الأفارقة ، وإن كان يصعب التكهن بهذا الرقم في ظل حالة التعتيم على الإضراب والتي سبقت الإشارة إليها ، ولكن إذا أخذنا في اعتبارنا حدوث مواجهات بين قوات الشرطة شبه العسكرية التي تعمل في ظل نظام عنصري أعطاها الضوء الأخضر لاستخدام أقصى درجات العنف (القتل) دون أي مساءلة ، حدوث هذه المواجهات بينها وبين عمالة تعمل في ظروف عمل قاسية للغاية وبكثافة عالية في أماكن شتى وحتى في أعماق المناجم ، إذا أخذنا في اعتبارنا هذه العوامل فإن الرقم الفعلي سيتجاوز بكل تأكيد الرقم المعلن رسمياً للضحايا (الذي يتراوح بين ١٠-١٢ عاملاً) بكثير ، كما أنه يصعب التكهن بعدد الإصابات (التي قدرت بأنها نحو ١٢٠٠ عامل أفريقي) لنفس الأسباب السابقة [٢] .

1- South African Communist Party , A Distant Clap of Thunder , op. cit. , p.13.
2- Luckhardt , ken and Wall , Brenda , Organize ....or Starve ! , op. cit. p. 70.

وخارج المناجم – مسرح الأحداث – التي كانت بحكم نظام العمل بها معزولة عن بقية جنوب أفريقيا كانت ثمة حركة موازية من قبل الشرطة لملاحقة العناصر الداعمة للإضراب ، وخاصة مسئولي اتحاد عمال المناجم الأفارقة ، وسرت موجة قمع ضدهم ، كما قامت قوات الشرطة بمهاجمة مقار الاتحاد والحزب الشيوعي وجريدة الجارديان التابعة للحزب الشيوعي ، وكذلك منازل مسئولي الحزب الشيوعي ومحرري الجارديان في كل المدن الرئيسية في البلاد ، وتمت مصادرة مئات الوثائق ولملفات ، وكذلك قوائم بأعضاء الحزب ومؤيده ، وتم توجيه تهمة " التآمر " للقيام بالإضراب إلى ٥٢ متهماً شيوعياً (يذكر كين لوكهاردت أن عدد المقبوض عليهم بهذه التهمة ٨٧ نقابياً من الشيوعيين وغيرهم) من بينهم جوبافو ماركس وموسيس كوتين الأمين العام للحزب الشيوعي وأعضاء اللجنة الحزبية (للحزب الشيوعي) في جوهانسبرج ، وإن تم فيما بعد سحب تهمة التآمر عن هؤلاء المتهمين الشيوعيين ، لكنهم أدينوا كلهم تقريبا بتهمة "*مساعدة عمال المناجم الأفارقة في القيام بإضرابهم غير القانوني* " [١] ، وتمت محاكمة المتهمين – ومن أبرزهم جيمس فيليبس رئيس لجنة الإضراب The Strike Committee التابعة لمجلس النقابات غير الأوروبية – وفق قانوني : قوانين تنظيمات العمالة الوطنية Native Regulations Labour Acts ، وقانون (مكافحة) تجمعات الشغب Riotous Assemblies Act ، وحكم على معظمهم بالسجن تسعة أشهر [٢] .

وكان القضاء على الإضراب بهذه الصورة العنيفة مؤثراً بدوره على وجود اتحاد عمال المناجم نفسه – بعد الاستيلاء على مقاره – وليس مجرد التأثير في أدائه ، خاصة في

1- Lerumo , A. , Fifty Fighting Years, op. cit. , p. 86.
- Luckhardt , ken and Wall , Brenda , Organize ....or Starve ! , op. cit. p. 70.
2- Ibid , p.70.

ظل تكاتف قوة الدولة وأصحاب المناجم ، وكذلك الدعاية المضادة للإضراب (١) ، وشهدت السنوات التالية انهيار الاتحاد في ظل استحالة عملية تنظيم العمالة بالمناجم ، وتوازى ذلك مع تدهور الحركة العمالية الأفريقية عامة في النصف الثاني من الأربعينيات (٢) .

١ـ من أمثلة هذه الدعاية تغيير جريدة ذي راند ديلي ميل لاسم جوبانو ماركس Marks إلى Marx للتأكيد على أن الإضراب نفسه مجرد " دعاية شيوعية " هدفها تدمير حالة الاستقرار ، وكذا بعض المقالات التي كتبها رئيس التحرير في الجريدة والتي ورد في بعضها ما يلي :

(يوم ١٣ أغسطس ١٩٤٦) لا توجد جريدة نظرت لتطلعات الوطنيين بصورة إيجابية أكثر من ذي راند ديلي ميل ، أو كانت (هناك جريدة) أكثر إصرار على ضرورة وجود معاملة عادلة للسكان الوطنيين ، ونظراً لهذا التعاطف ورغبتنا في أن يحقق الوطنيون مكانة أفضل في هذا المجتمع community (مجتمع الأفارقة الخاص بهم) فإننا يجب ألا نتردد في إدانة هذا الإضراب .... إن الوطنيين المنتقلين من الهمجية إلى الحضارة لا يدركون إلى أي طريق هم متجهون .... أولئك البسطاء كان لديهم السيد ماركس Marx الزعيم المتطرف بخطبه الهوجاء ومطالبه المنافية للعقل ، وشركائه ، والعديد منهم على صلة وثيقة بالشيوعيين ،وأولئك الناس هم الذين يقودون الوطنيين الآن في أحد أكثر الإضرابات غباء.

(يوم ١٤ أغسطس ١٩٤٦) بعد يومين من إضراب عمال المناجم الوطنيين نتج موت بعضهم وإصابة البعض منهم ، وإصابة بعض أفراد الشرطة ، ولم يصب أو يقتل أياً من منظمي الإضراب أو الشيوعيين الأوروبيين الذين دعموا الإضراب ، ونود أن ننهي إلى مواطني جوهانسبرج تخيل ما كان سيحدث لو أن أولئك الأربعة آلاف وطني من سبرنجز – وجميعهم مسلحون بنوع ما من الأسلحة – لو أنه لم يتم توقيفهم من قبل قوات الشرطة ... بالتأكيد فإن المدينة لم تكن لتمثل صورة جميلة .... كما أننا نأمل ألا تكون اللجنة الوزارية الفرعية التي تولت الموضوع ضعيفة ... فإنه إن كان ثمة ضعف الآن ، فإنه ستكون هناك مشكلة أسوأ فيما بعد .

South African Communist Party , A Distant Clap of Thunder , op. cit. , p.14.

2-Lerumo , A. , Fifty Fighting Years, op. cit. , p. 86.

وبصورة عامة فإن الإضراب الذي استمر أسبوعاً كان ذا نتائج مدمرة على المدى القصير بالنسبة لعملية التعدين ، وهو ما أوضح قدرة العمالة الأفريقية على التأثير على العملية الاقتصادية في جنوب أفريقيا ، غير أن قمع الإضراب بالصورة الموضحة أكد – من جهة أخرى – على استعداد النظام الحاكم على ممارسة أقصى درجات العنف للحفاظ على وضع نظام العمالة الرخيصة وعدم التهاون في منح حقوق نقابية للعمال الأفارقة أو تحقيق زيادات في الأجور ، وكما يلاحظ بول مايلام فإنه لا يجب تجاوز حقيقة أن هذا الإضراب – على الرغم من فشله لحظتها – هو الإضراب الأكبر في تاريخ جنوب أفريقيا ، وأنه قام على أكتاف عمالة مفتقرة إلى القدرة التنظيم (١) ، كما كان لهذا الإضراب تأثير كبير في الأفارقة الذين يعيشون في المعازل ، حيث قام الأفارقة في هذه المعازل بالتجاوب مع أحداث الإضراب خاصة في معزل سيسكي الذي شهد أحداث عنف غير مسبوقة خلال فترة الإضراب ، وقام نحو ألفي أفريقي في مدينة لفديل Lovedale بمهاجمة مقر السلطة الإدارية البيضاء في المعزل وقذفوه بالحجارة وكتل النيران ، وألقى القبض على ٥٧ أفريقياً معظمهم من الطلبة بتهمة العنف العام (٢) ، وهو الأمر الذي يعبر عن مدى انتشار الإضراب والتجاوب معه على الرغم من التعتيم الحكومي على أحداثه .

1- Maylam , Paul , A History of the African People of south Africa , op. cit. , p..
2- Mager , Anne Kelk , Gender and the Making of a South African Bantustan : A Social History of the Ciskei , 1945-1959 , Heinmann , Portsmouth , 1999, p.200.

الفصل الرابع

العمالة الوافدة وتأثيرها على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية

أولاً – نظام العمالة الوافدة إلى اتحاد جنوب أفريقيا .

ثانياً – اتجاهات العمالة الوافدة إلى اتحاد جنوب أفريقيا .

ثالثا – أثر العمالة الوافدة على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا .

يتناول هذا الفصل حركة العمالة الوافدة إلى اتحاد جنوب أفريقيا من الدول المجاورة أو القريبة للاتحاد ، وهي الحركة التي أضعفت من الحركة العمالية الأفريقية وقدرتها على تحقيق مكاسب اقتصادية لتأثيرها المباشر على الموقف التفاوضي للعمال المحليين ، فقد كانت العمالة الوافدة غزيرة ومستمرة منذ بدء الثورة التعدينية في جمهورية جنوب أفريقيا (الترانسفال) وأورانج فري ستيت في ستينيات القرن التاسع عشر ، وكانت أهم اتجاهات العمالة الوافدة من دولتي موزمبيق وباسوتولاند اللتين وفرتا حوالي نصف عدد العمال الوافدين سنوياً إلى الاتحاد ، كما كانت هناك دول أخرى ذات أهمية لكنها اتسمت بالتذبذب فيما تقدمه من عمال وتدني الأهمية النسبية للعمال الوافدين منها .

واتسمت حركة العمالة الوافدة بثبات سماتها وقيامها على نفس الأسس التي وضعت منذ أواخر القرن التاسع عشر ، مع إدخال بعض التعديلات الطفيفة التي لم تغير من حقيقة أن هذه الهجرة هي مجرد شكل من أشكال العبودية ، كما أنها أدت إلى حدوث خلخلة اقتصادية في إقليم أفريقيا الجنوبية ككل ، ونجم عنها مشاكل اجتماعية خطيرة خاصة بالنسبة للدول التي شكلت العمالة الوافدة منها أكثر من ربع قوة العمل من الذكور فيها ، مثل موزمبيق وبتشوانالاند وباسوتولاند .

وفي الوقت الذي أضعفت فيه العمالة الوافدة من موقف العمال المحليين فإنها أسهمت بالنصيب الأكبر في شل الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية ، بحيث أصبح هذا الدور مطموساً تقريباً ، فقد توفرت للجهات الرأسمالية في اتحاد جنوب أفريقيا فوائض من القوى العاملة خاصة في مجال التعدين ، حتى عندما أصبح الاعتماد في الصناعة يقوم على العمال الأفارقة المحليين بصورة كبيرة منذ بداية الأربعينيات فإن وفرة القوى العاملة المحلية وتنامي عدد الفقراء البيض قد جعل كل ذلك الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية ينحصر في تحقيق بعض الزيادات في الأجور خاصة في النصف الثاني من عقد الخمسينيات بعد قيام المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، وإن كانت هذه الزيادات تتم بشكل ودي أحيانا أو نتيجة لضغط مباشر أحيانا أخرى ، وهو الأمر الذي كان يعني أن الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية كان هزيلاً للغاية .

وكما سبق القول فإن العامل الأكبر في ضعف هذا الدور هو نظام العمالة الوافدة ، والذي كان العمال الوافدون من خلاله لا يعنيهم التنظيم النقابي أو الدخول في مناوشات ممتدة مع السلطات الحكومية سواء أو داخل المنجم أو المزرعة ، وذلك لأن فترات العقود المبرمة لا تتجاوز عامين ، وفي أحيان أخرى تصل إلى ستة أشهر فقط .

أولا – نظام العمالة الوافدة إلى اتحاد جنوب أفريقيا .

اتسم إقليم أفريقيا الجنوبية بظاهرة ملفتة للغاية وهي حركة العمال من دوله (والاستثناء الوحيد في ذلك هو دولة روديسيا الجنوبية التي شابهت أوضاعها لكن على نطاق أقل جنوب أفريقيا) تجاه المناطق التي كونت اتحاد جنوب أفريقيا ، وكان طلب دول إقليم أفريقيا الجنوبية على عقود العمل بالاتحاد متزايداً ، ويمكن إرجاع انخفاض موجات العمال المهاجرين إلى جنوب أفريقيا أو تزايدها إلى تغير سياسات جنوب أفريقيا من حيث توجهها للاستعانة بالعمالة الأفريقية المحلية (١)، وكان وضع العمال الوافدين في جنوب أفريقيا هو وضع الإقامة المؤقتة قانونا ، مع ملاحظة أن التحكمات في حركة العمال الأفارقة – سواء المحليين أو الوافدين(٢) – تعود إلى عام ١٨٣٤ عندما تم إلغاء الرق ، وما تلا هذا القرار من فرض مجموعة إجراءات للسيطرة على تعبئة العمال ، وفي محاولة لمواجهة تزايد الطلب على العمال تم تكوين حجرة المناجم بالترانسفال في عام ١٨٩٣ لتنمية موارد الترانسفال من العمال المحليين ولتجنيد العمال من موزمبيق ، وفي عام ١٨٩٦ تم تكوين مؤسسة تجنيد العمال الوطنيين بالراند لتوفير العمال للمناجم ومنع وجود حالة تنافس ض ٣٨٤ بين المناجم على هؤلاء العمال ، وأعقب ذلك تكوين رابطة تجنيد العمال الوطنيين في عام ١٩٠٠ ، والتي واصلت عملية توفير العمال وتنظيمهم حتى الوقت الراهن ، وكان من المخطط له أن تقوم رابطة تجنيد العمال الوطنيين بتجنيد العمال في كافة قطاعات العمل لكن عملها اقتصر فيما بعد على تجنيد العمال لمناجم الذهب ، وفي عام ١٩١٢ تم تكوين الهيئة القومية للتجنيد The National Recruiting Corporation ، والتي قامت بالتعاون مع بعض المنظمات الأخرى بتجنيد العمال من داخل جنوب أفريقيا ومن باسوتولاند وسوازيلاند والأجزاء الجنوبية من بتشوانالاند (٣) .

---

1. Gould, W. T. S., Population Mobility (in: Gleave, M. B. (editor), Tropical African Development: Geographical Perspectives), Longman Scientific and Technical, Harlow (England), 1992, p. 287.

٢. تذكر بعض المراجع لفظ عمالة وافدة على العمال الأفارقة المحليين القادمين من المعازل الواقعة داخل اتحاد جنوب أفريقيا ، لكن الباحث اعتمد هنا لفظ عمالة وافدة على تلك العمالة التي وفدت من خارج الحدود الدولية لاتحاد جنوب أفريقيا .

3. Prothero , R. Mansaal , Foreign Migrant Labour for South Africa , International Migration Review , Vol. 8 , No. 3 (Autumn , 1974), pp. 384-385.

وكانت كجبرة المناجم هي التي تتولى شئون نقل العمال من نحو ١١ دولة ، وكانت هذه الشئون تتضمن السفر والتدريب والطعام والرعاية الصحية للعمال الوافدين خاصة أن ظروف السفر والعمل تتوفر فيها فرص انتشار الأوبئة ، إذ كان يتم نقل العمال في قطارات مخصصة لهم ، وهي قطارات بدائية للغاية عبارة عن عربات تحتوي على مجموعة صناديق خشبية بلا سقف ويتم حشر العمال فيها بحيث يكون الوضع الأمثل للعمال فيها هو الوقوف (١).

وفي النطاق الإقليمي الجنوب أفريقي فإنه يجب أن ينظر لهجرة العمال الذكور في إطار التغيرات التي اعترت هذا الإقليم في تنظيمه السياسي-الاقتصادي والاجتماعي ففي حالة بتشوانالاند وباسوتولاند -مثلا - فإن هجرة العمال ارتبطت بظروفهما البيئية ووضعهما الجيو-سياسي بالنسبة لجنوب أفريقيا ، فبتشوانالاند تحتل صحراء كلهاري منها نحو ٨٠% من إجمالي مساحتها ، ويعيش سكانها على جانبي خط سكك حديدية قادم من جنوب أفريقيا متجه إلى روديسيا الجنوبية ، أما باسوتولاند فيتركز نحو ٧٠ % من سكانها حول قطاع منخفض ضيق ، مما يسبب وجود ضغط على الموارد المحدودة ، ونظرا لحالة باسوتولاند المحاطة كلية بجنوب أفريقيا فإنها دفعت للتحول إلى أن تصبح مجرد معزل عمالي لاتحاد جنوب أفريقيا ، ولتزداد أهميتها بعد صدور قانون الهجرة Immigration Act في الاتحاد (١٩١٣) والذي منع مناجم الراند من استقدام عمال من المناطق التي تقع شمال دائرة عرض ٢٢ جنوب خط الاستواء لانتشار الأمراض بين سكان هذا الجزء (٢)، وكانت دول باسوتولاند وبتشوانالاند وسوازيلاند (٣) تقع - مثل جنوب أفريقيا - في منطقة الإسترليني ، ولذلك فلم تكن ثمة قيود على نقل الأموال فيما بين هذه الدول ، وهو الأمر الذي كان يعني نوعاً من الاندماج الاقتصادي وإن كان غير متكافئ (٤).

1- Herington , J. S. and McGlasban , N. D. , Migrant Workers and Cancer Patterns in Southern African , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No. 1 , (October , 1976),p.93.

2- Bell, Moray, Contemporary Africa: Development, Culture and the State, Longman, London, 1986, pp. 172-173.

يلاحظ جارسون أنه في تاريخ أكسفورد لجنوب أفريقيا يقصد بجنوب أفريقيا كل من بتشوانالاند وباسوتولاند وسوازيلاند إضافة للاتحاد نفسه

3- Garson , N. G. , South African History : A New Look , African Studies , Vol. 29 , No.4 , (1970) , p. 288

4- Robson, Peter, Economic Integration in Africa, George Allen and Unwin Ltd., London, 1968, p. 256

ويرى ولبرت مور أنه من الضروري لتفهم التدفق الكبير للعمال الأفارقة من خارج الاتحاد إليه إرجاع ذلك على الطبيعة الخاصة لملامح الاقتصاد الجنوب أفريقي نفسه ، والذي يتضمن البناء الاجتماعي له ثلاثة عناصر متصاحبة ومؤدية لعدم الاستقرار ، وهذه العناصر هي :

١- السيادة البيضاء المفروضة قانوناً وعرفاً ومطبقة في مجال العمالة .

٢- التفرقة الإقليمية للأفارقة .

٣- النشاط الاقتصادي القائم على العمالة الرخيصة بصورة أساسية .

ومن المفهوم – كما يواصل مور – أن تلك العناصر الثلاثة قد تسبب حدوث عمليات نقص في إمدادات العمال ، وكان هذا في الواقع هو الموقف في اتحاد جنوب أفريقيا ، وهو الموقف الذي دفع حكومة الاتحاد إلى استقدام عمال من المستعمرات البريطانية في أفريقيا الشرقية وأفريقيا الجنوبية (١) .

وثمة مثال على ما يذكره ولبرت مور ، فقد عملت حجرة المناجم من خلال وكالة استيراد العمال Labour Importation Agency في أوائل القرن العشرين على استيراد عمال صينيين من شمال الصين لتهديد العمال الأفارقة سواء المحليين أو الوافدين ، إلا أن الظروف السياسية في كل من بريطانيا وجنوب أفريقيا قد حالت دون استمرار عمليات استيراد العمال الصينيين ، ففي عام ١٩٠٥ وصل الليبراليون للحكم في بريطانيا ، وقام سير هنري كامبل بانرمان H. Campbell Bannerman رئيس الوزراء بمعارضة هذا الاستيراد ، وسرعان أن أصدر قرارا بذلك في الأسابيع الأولى من توليه رئاسة الحكومة ، لكن استمرت بعض عمليات الاستيراد خلال عام ١٩٠٦ والتي تمت وفقا لاتفاقات سابقة ، كما كان لانتصار حزب بوتا (هيت فولك Het Volk) وحلفائه من الوطنيين nationalists في الترانسفال في نفس العام عائقاً أمام استمرار الاستيراد حيث أن الوطنيين كانوا يعارضون هذه السياسة منذ البدء في انتهاجها (٢) .

1- Moore, Wilbert E., The Migration of Native Laborers in South Africa (in: Shannon, Lyle W. (editor), Underdeveloped Africa: A Book of readings and research), Harper and Brothers Publishers, New York, 1957, p. 86.

2- Jeeves , Alan H., Over-Reach : The South African Gold Mines and the Struggle for the Labour of Zambesia , 1890 - 1920 , Canadian Journal of African Studies , Vol. 17 , No.3 , (1983) , p. 394 .

وفـــي الـــوقت الـــذي قـــدرت فـــيه حجرة المناجم حجم النقص في العمال الأفارقة (لتبريـــر اســـتيراد العمـــال الصـــينيين) بـــــ ١٢٩,٣٧٤فـــإن تقريـــر البعـــثة العمالـــية بالترانســـفال The Transvaal Labour Commission (والتـــي كانـــت معارضـــة لاســـتيراد العمـــال الصـــينيين) قـــدر حجم النقص بــــ ٣٤,٧٢٠ عامل أفريقي [١]، وفي عـــام ١٩٠٧ لاحـــظ رئـــيس مجمـــوعة رانـــد ماينـــز Rand Mines ل. رايرسباخ L. Reyersbach – علـــى ســـبيل المـــثال – أن المـــناجم التـــي تملكهـــا مجموعته لديها عدة ملايـــين مـــن الأطـــنان مـــن الخـــام غير المعالج ، وهو جاهز للمعالجة لاستخراج الذهب مـــنه لكـــن علـــى مجموعـــته أن تنتظـــر حتى تنخفض تكاليف الإنتاج [٢]، أي أن اعتماد الـــتعدين فـــي الاتحـــاد علـــى العمـــال الأفارقـــة كـــان يتميز بطابع الهيمنة البيضاء على العمـــال الســـود ، كمـــا أن أصـــحاب رؤوس الأمـــوال كـــان شـــاغلهم الأول هو استمرار جلـــب العمالـــة الرخيصـــة لتحقـــيق الأربـــاح المـــرجوة من خلال ضغط نفقات الإنتاج في مســـتواها الأدنـــى ، حتـــى لـــو تطلـــب الأمـــر وقـــف الإنـــتاج انتظارا لوصول النفقات للمســـتوى الأدنـــى ، فـــي نفـــس الـــوقت الـــذي يكـــون فـــيه القرار السياسي لنظام الحكم مـــرهوناً بتحقـــيق تـــوازن بـــين أصـــحاب المصالح المختلفة (تحديداً أصحاب رأس المال والعمال البيض) على حساب العمال الأفارقة .

---

1. Davies , Robert , Mining Capital , The State and Unskilled White Workers in South Africa , 1901 - 1913 , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No.1 , (October , 1976) , p.47.

   راجع عن تجنيد العمال الصينيين في جنوب أفريقيا

   - Richardson , Peter , The Recruiting of Chinese Indentured Labour for the South African Gold-Mines , 1903-1908 , The Journal of African History , Vol. 18 , No.1 , (1977) , pp. 85-108

   وراجع أيضا عن دوافع الأزمة العمالية

   - Denoon , D. J. , The Transvaal Labour Crisis , 1901-6 , The Journal of African History , Vol. 8 , No. 3 , (1967) , pp. 481 - 494

2. Jeeves , Alan , The Control of Migratory Labour on the South African Gold Mines in the Era of Kruger and Milner , Journal of Southern African Studies , Vol.2 , No.1 , (October , 1975) , p.8

كمـا اتضـح التشـابك فـي مصـالح القـوى الاسـتعمارية الموجودة في الإقليم من خـلال حـركة العمالـة الـوافدة ، فقـد كانـت حـركة الشـعوب الأفـريقية الخاضـعة للبـريطانيين والبـرتغاليين (فـي مـنطقة أفريقيا الجنوبية) متأثرة بصورة كبيرة بطبيعة السـيطرة السياسـية والإداريـة فـي الأقالـيم المعنية كل على حدا ، والعلاقة بين بريطانيا والبـرتغال ، فـوفقاً للمعاهـدة الإنجليـزية البـرتغالية الموقعة في ١١ يونيو ١٨٩١ الفقرة الحاديـة عشـرة كـان هـناك تأكـيد علـى أنـه : *سوف تكون هناك حرية مرور لرعايا وبضـائع القوتـين (بـريطانيا والبـرتغال) عبـر (نهر) الزمبيزي ، وخلال المقاطعات المحانيـة للضـفة اليسـرى مـن النهـر والـواقعة عند ملتقى الشير (المقاطعة الإدارية) The Shire ، وتلـك المقاطعـات المحانيـة للضـفة اليمنـى مـن الزمبيزي فوق ملتقى نهر Lucnha (ريونيا Ruenya) دون فرض أي أعباء للانتقال* (١)

وركـز سـمتس إثـر توليـه رئاسـة الوزراء في عام ١٩١٩ على ضم كل من روديسـيا الجنوبـية وجـنوب موزمبـيق لتأمـين حاجة المناجم من العمال والسيطرة على الطـرق الهامـة الموجـودة فـي موزمبـيق ، لكـن المسـتوطنين البـيض في روديسيا الجنوبـية رفضـوا الانـدماج فـي الاتحـاد ، كمـا رفضـت السلطات البرتغالية الفكرة نفسـها (٢)، وفـي عـام ١٩٢٠ أوقفـت الهـند تصدير العمال الهنود المعروفون باسم *coolie* إلـى جـنوب أفـريقيا – وهـم العمال الذين كانوا يعملون في مضانع السكر في ناتـال– نتـيجة لسـوء معاملـتهم مـن قـبل المستوطنين البيض (٣) وفي عام ١٩٢٥ قـررت حكـومة هيرتـزوج – التـي كانت تتبع سياسة متحفظة تجاه حرية دخول العمال الأفارقـة مـن خـارج الاتحـاد وتحـاول استرضـاء العمـال البـيض – رسمياً اعتماد

1- Makambe , E. P. , The Nyasaland African Labour ' Ulendos ' to Southern Rhodesia and the Problem of the Africa ' Highwaymen ' , 1903 - 1923 : A Study in the Limitation of early Independent Labour Migration , African Affairs , Vol. 79 , No. 317 , (October , 1980) , p. 549.
2- Jeeves , Alan and Crush , Jonathan , The Failure of Stabilisation Experiments on South African Gold Mines (in : Crush , Jonathan and James , Wilmot (eds.) , Crossing Boundaries : Mine Migrancy in a Democratic South Africa) , Institute for Democracy in South Africa , Cape Town , 1995, p.6
3- Gupta , Anirudha Das , Indians in Africa : Past , Present and Future , Africa Quarterly , Vol. 37 , Nos. 1-2 (1997) , p. 61

نظام الحصة لتقييد استيراد العمال من موزمبيق ، وعلى الرغم من هذا استمرت أرقام العمال الوافدين تفوق بكثير التقديرات الرسمية المسموح بها نظراً لزيادة التوسع التعديني على حساب النشاط الزراعي الذي تعرض لموجات جفاف أثرت عليه بحدة (١).

وشهدت فترة الثلاثينيات توسيع العمل في مناطق تجنيد العمل ، إذ تم فتح مناطق جديدة في شمال بتشواناالاند ونياسالاند وروديسيا الشمالية وجنوب غرب أفريقيا (الألمانية) وأنجولا ، وتم عقد اتفاقات تجنيد العمال مع كل من روديسيا الشمالية ونياسالاند في عام ١٩٣٨ ، وتم إحلال اتفاق العمالة المهاجرة الإقليمية The Inter-Territorial Migrant Labour Agreement محلهما في عام ١٩٤٧ ، وبصورة عامة فإن اتفاقات التجنيد هذه التي كانت تقصر فترة عمل العمال الوافدين على ما لا يزيد عن عامين كانت تصب في صالح القوى الاستعمارية لأنها تعني استنزاف الموارد البشرية في المستعمرات التي تفتقر للموارد المالية في نفس الوقت الذي تضيف فيه فائضاً بشرياً رخيصاً للدولتين اللتين احتاجتا عمالة رخيصة (اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية) لرفع هامش الأرباح من التعدين والزراعة(١)، وخلال نفس العقد ارتفع عدد العمال الأفارقة المحليين في المناجم من ١٣٥ ألف في عام ١٩٣٣ إلى ١٦٠ ألف في عام ١٩٣٩ نظراً لبدء العمل في مناطق تعدينية جديدة (٢) .

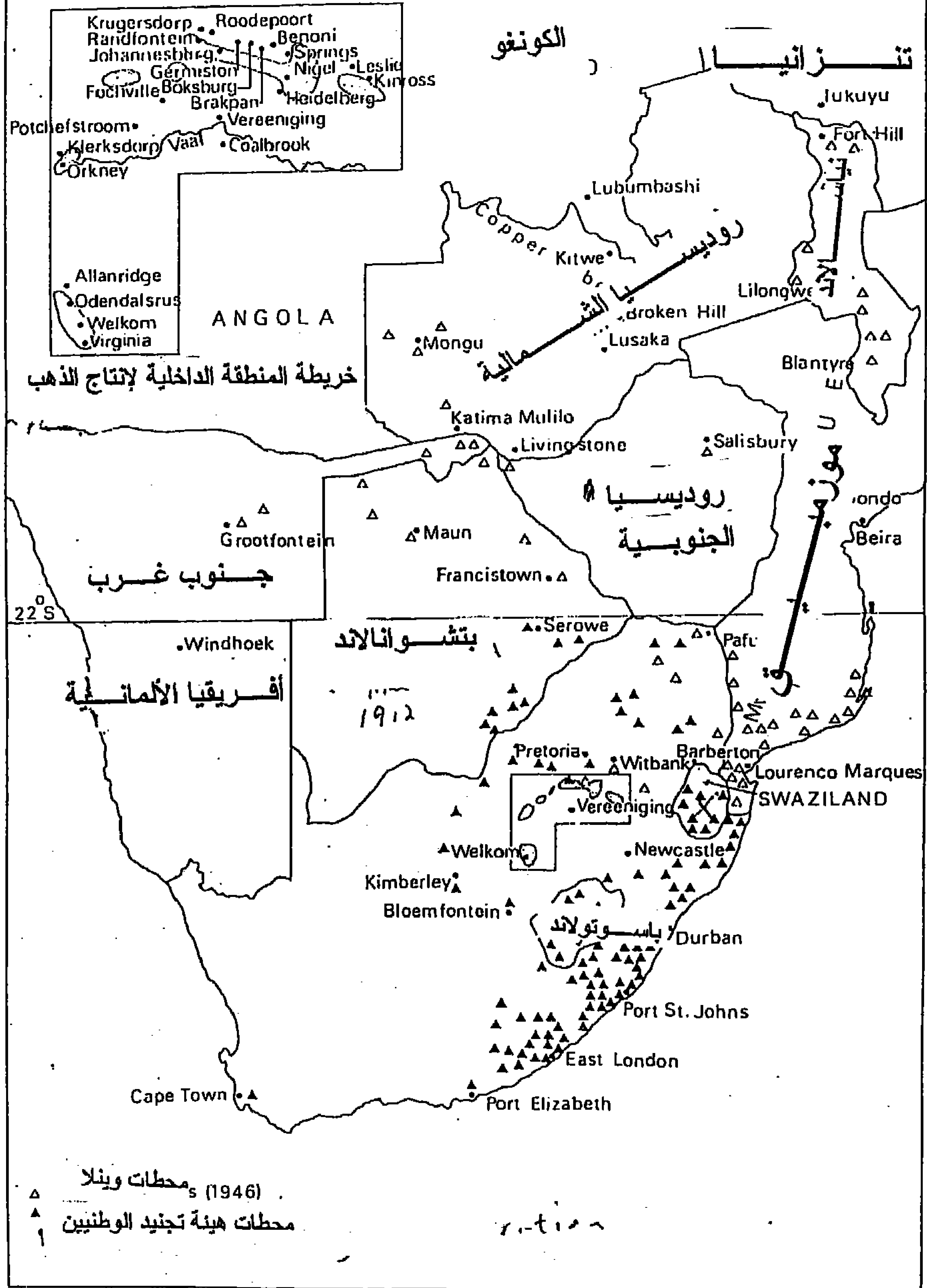
وشكلت الحرب العالمية الثانية وما تلاها من تغير في النظام الحاكم في جنوب أفريقيا التحدي الخطير والمكثف لهذا النظام إذ ضعف وضع بريطانيا وتحقق انتصار سياسي للأفريكانر بعد فوز الحزب الوطني(٤) .

1- Jeeves , Alan and Crush , Jonathan , The Failure of Stabilisation Experiments on South African Gold Mines, op. cit., p.7.

2- Prothero , R. Mansaal , Foreign Migrant Labour for South Africa , International Migration Review , Vol. 8 , No. 3 (Autumn , 1974),p. 386.

3- Jeeves , Alan and Crush , Jonathan , The Failure of Stabilisation Experiments on South African Gold Mines ,op. cit., p.8.

4- Parson , Jack , Political Culture in Botswana : A Survey Result , The Journal of Modern African Studies , Vol. 15 , No.4 (Dec., 1977), p.641.



Kowet , Donald Kalinde , Land , Labour Migration and Politics in Southern Africa : Botswana , Lesotho and Swaziland , New York , Africana Publishing Company , 1978, p. 95

وبعد تولي الحزب الوطني الحكم في جنوب أفريقيا أصبحت العمالة الوافدة مثار قلق بالنسبة للحكومة ، إذ انتشر مفهوم التهديد الأسود *swaart gevaar* القادم من الشمال ، وقامت الحكومة بتكوين العديد من المحطات الحدودية بين جنوب أفريقيا وكل من بتسوانا وباسوتولاند وسوازيلاند لأول مرة في أوائل الستينيات ، وفي عام ١٩٦٠ عينت الحكومة العنصرية بعثة فورنمان للتقصي The Forneman Commission of Inquiry لتناول أوضاع البانتو الأجانب ، وأوصت البعثة بضرورة عدم استمرار السماح لدخول الأفارقة الأجانب إلى البلاد (١) ، كما تضمنت نظرية فيرفورد عن التنمية المنفصلة ضرورة الاستيعاب النهائي لكل من بتشوانالاند وباسوتولاند وسوازيلاند داخل الاتحاد ، كما تضمن تقرير توملنسون تلك الأراضي عند تقديره للأراضي المحتمل إتاحتها للأفارقة داخل الاتحاد (٢) ، مما كان يعني حرص حكومة الحزب الوطني المتطهر على توفير الموارد التي تحتاجها القطاعات الاقتصادية المختلفة – إذ دخل العمال الوافدون في الصناعة أيضاً إضافة إلى التعدين والزراعة منذ بدايات الخمسينيات – من العمال في نفس الوقت الذي تتمكن فيه من بسط سلطة سياسية مطلقة على هؤلاء العمال من خلال تحويل الدول الثلاث المعنية بالدمج إلى معازل عمالية تابعة لحكومة الاتحاد .

وفي مقابل الاعتماد المتزايد لجنوب أفريقيا على العمال الوافدين فإنها أصبحت خلال الخمسينيات مصدراً هاماً للبضائع المصنعة لكل من أفريقيا الشرقية وزائير ، كما كان نفس الأمر بالنسبة لاتحاد روديسيا ونياسالاند والمستعمرات البرتغالية ، كما كانت أيضاً سوقاً هاماً للمنتجات التي كانت تنتجها تلك الدول مثل البن والكاكاو (٣) .

---

1. Crush , Jonathan , Migrations Past : An Historical Overview of Cross- Border Movement in Southern Africa (in : McDonald , David A. (editor) , On Borders : Perspectives on International Migration in Southern Africa , Southern African Migration Project , Ontario, 2000 , P. 18
2. Southall , Roger , Lesotho and the Reintegration of South Africa , Africa Insight , Vol. 20 , No.4 , (1990),p. 252.
3. O'Connor, A. M., The Geography of Tropical African Development: A Study of Spatial patterns of Economic Change since Independence, Pergamon Press, Oxford, 1978, p. 191.

وفــي عـــام ١٩٦٠ كـــان إجمالـــي عدد العمال الوافدين ٥٨٦,٤٠٠ أفريقي من بينهم ١٠٢,٤٠٠ أو مـــا يشـــكل نســـبة ١٧,٥ % مـــن النســـاء العاملات [١]، وعلى الرغم من تأكـــيد الـــبعض علـــى أن ظـــروف العمـــل فـــي مـــناجم جـــنوب أفريقيا كانت أفضل من ظـــروف العمـــل فـــي الـــدول التـــي يفد منها هؤلاء العمال بالنظر لما يقدم في المناجم من خـــدمات الـــرعاية الصـــحية ، إلا أن طبـــيعة العمـــل في المناجم نفسها تجعل أمر الرعاية الصـــحية هـــذه مجـــرد إجـــراء شكلي لأن الإصابة بالأمراض تكون النتيجة الحتمية للعمل فـــي المـــناجم ، كمـــا أن الهجـــرة الواســـعة للعمال الأفارقة من أوطانهم إلى جنوب أفريقيا أدت إلـــى حـــدوث خلخلـــة ســـكانية فـــي الـــبلاد المصـــدرة للعمال [٢] ، وكذلك انتشار الأمـــراض بـــين جمـــوع العمـــال الـــوافدين [٣] ، خاصـــة في ضوء عدم توجيه رعاية طبـــية كافـــية مـــن قـــبل الســـلطات البيضـــاء نظـــراً لوجود قناعة لديها بأن الأفارقة أكثر قـــبولاً فســـيولوجيا للأمـــراض الفـــتاكة مقارنـــة بالبـــيض ، وكـــان هذا المفهوم سائداً منذ أواخـــر القـــرن التاســـع عشـــر ، ومـــع تبنـــي التفرقة التامة أصبح هذا المفهوم ذا طبيعة أكثر تطرفاً [٧] .

1- De Vletter , Fion , recent Trends and Prospects of Black Migration to South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 23 , No.4 , (December , 1985) , p. 671 .

2- Herington , J. S. and McGlasban , N. D. , Migrant Workers and Cancer Patterns in Southern African , op. cit., p.94.

٣- راجع عن انتشار الإيدز في جنوب أفريقيا وارتباط ذلك بالعمالة الوافدة إليها :

- Gill , Seide , Reconceptulaising Issues Around HIV and Breastfeeding Advice : Findings from Kwa-Zulu Natal , south Africa , Review of African Political Economy , Vol. 27 , No. 86 (December 2000) , pp. 501 - 518

وهـــي دراســـة تتـــناول بإيجـــاز الظـــروف البيئـــية المخـــتلفة لجـــنوب أفريقيا (مناطق ريفية فقيرة أو مناطق شبه حضـــرية أو مـــناطق حضـــرية) والتـــي تهيـــئ الفرصة لانتشار مرض الإيدز ، مع عرض لدراسات حالة لبعض العمـــال الأفارقـــة المصـــابين بالمـــرض فـــي إحـــدى مستشـــفيات بيترماريتزبرج Pietermaritzburg ، وهي وإن كانـــت حـــالات حديـــثة الإصـــابة بالمـــرض إلا أن الظـــروف التـــي انـــتقل فيها المرض تتشابه بشدة مع نفس ظروف إقامة العمال في التجمعات العمالية في الفترة محل الدراسة .

وراجع عن نظام العمالة الوافدة في جنوب أفريقيا في الوقت الراهن :

- Crush , Jonathan and Others , Undermining Labour : Migrancy and Sub-Contracting in the South African Gold Mining Industry , South African Migration Project (SAMP) , Cape Town , 1999 .

3- Chirwa , Wiseman Chijere , Aliens and AIDS in Southern Africa , The Malawi - South African Debate , African Affairs , Vol. 97 , No. 386 (January , 1998) , p.543.

وكانت أهم الدول التي وفد منها عمال للعمل في اتحاد جنوب أفريقيا كل من موزمبيق وباسوتولاند وبتشواناالاند وسوازيلاند ، وهي الدول التي شكلت المصادر شبه الدائمة للعمال حتى أوائل الستينيات ، أما بقية الدول مثل نياسالاند وتنجانيقا وروديسيا الشمالية وغيرها فإنها كانت مصادر ثانوية إما لقلة العمال الوافدين منها أو لكونها مصادر عمالية مؤقتة تماما وكانت تتوقف حركة العمالة الوافدة منها لفترات طويلة أحيانا .

وقد استغلت جنوب أفريقيا العمالة الوافدة – بصورة عامة – كموارد خارجية لعدة أسباب أهمها : أنها رخيصة ، متاحة بوفرة وسهولة ، وسهل السيطرة عليها ، وكان تدفق هذه العمالة ينتظم من قبل بيض جنوب أفريقيا المسيطرين على رأس المال بالتعاون مع اقتصادات الدول الأخرى المحيطة بجنوب أفريقيا (فيما عدا روديسيا الجنوبية) وهي الدول غير القادرة على استيعاب عمالتها ، وتشير الإحصاءات الجنوب أفريقية منذ عام ١٩٦٠ إلى تدهور واضح في أعداد العمال الأفارقة الوافدين من خارج اتحاد جنوب أفريقيا ، ففي عام ١٩٦٠ قدر أن عدد هؤلاء العمال بلغ ٥٨٦٤٠٠ أفريقي منهم ١٠٢٤٠٠ من النساء (بنسبة ١٧,٥ %) (١) ، في حين هذا الرقم وصل في بعض الأعوام بعد ذلك إلى ما يقل عن ٣٠٠ ألف عامل في ضوء التغيرات السياسية التي شهدها إقليم أفريقيا الجنوبية والقارة الأفريقية عموما بعد عام ١٩٦٠ .

1- de Vletter , Fion , Recent Trends and Prospects of Black Migration to South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 23 , No. 4 (Dec. 1985), pp. 667-671.

جدول رقم (١٤)

أعداد العمال المهاجرين من دول إقليم أفريقيا الجنوبية إلي اتحاد جنوب أفريقيا للعمل في المناجم

(١٩٢٠ – ١٩٦٥)

العام	موزمبيق	باسوتولاند	بتشواناالاند	سوازيلاند	نياسالاند	أنجولا	روديسيا الشمالية	تنزانيا	روديسيا الجنوبية	أخرى	إجمالي
١٩٢٠	٧٧,٩٢١	١٠,٤٣٩	٢,١١٢	٣,٤٤٩	٣٥٤	--	١٢	--	١٧٩	٥,٤٨٤	٩٩,٥٠
١٩٢٥	٧٣,٢١٠	١٤,٢٥٦	٢,٥٤٧	٣,٩٩٩	١٣٦	--	٤	--	٦٨	١٤	٩٤,٢٣٤
١٩٣٠	٧٧,٨٢٨	٢٢,٣٠٦	٣,١٥١	٤,٣٤٥	--	--	--	١٨٣	٤٤	٥	٩٩,٣٥٥
١٩٣٥	٦٢,٥٧٦	٣٤,٧٨٨	٧,٥٠٥	٦,٨٦٥	٤٩	--	٥٧٠	١٠٩	٢٧	٩	١١٢,٤٩٨
١٩٤٠	٧٤,٦٩٣	٥٢,٠٤٤	١٤,٤٢٧	٧,١٥٢	٨,٠٣٧	٦٩٨	٢,٧٢٥	--	٨,١١٢	٧٠	١٦٨,٠٥٨
١٩٤٥	٧٨,٥٨٨	٣٦,٤١٤	١٠,١٠٢	٥,٦٨٨	٤,٩٧٣	٨,٧١١	٢٧	١,٤٦١	٨,٣٠١	٤,٧٣٢	١٥٨,٩٦٧
١٩٥٠	٨٦,٢٤٦	٣٤,٤٦٧	١٢,٣٩٠	٦,٦١٩	٧,٨٣١	٩,٧٦٧	٣,١٠٢	٥,٤٩٥	٢,٠٧٣	٤,٨٢٦	١٧٢,٨١٦
١٩٥٥	٩٩,٤٤٩	٣٦,٣٣٢	١٤,١٩٥	٦,٦٨٢	١٢,٤٠٧	٨,٨٠١	٣,٨٤٩	٨,٧٥٨	١٦٢	٢,٢٩٩	١٩٢,٩٣٤
١٩٦٠	١٠١,٧٣٣	٤٨,٨٤٢	٢١,٤٠٤	٦,٦٢٣	٢١,٩٣٤	١٢,٣٦٤	٥,٢٩٢	١٤,٠٢٥	٧٤٧	٨٤٤	٢٣٣,٨٠٨
١٩٦٥	٨٩,١٩١	٥٤,٨١٩	٢٣,٦٣٠	٥,٥٨٠	٣٨,٥٨٠	١١,١٦٩	٥,٨٩٨	٤٠٤	٦٥٣	٢,٦٨٦	٢٣٢,٦١٠

- Crush , Jonathan , Migrations Past : An Historical Overview of Cross- Border Movement in Southern Africa , op. cit.,p.16.

ثانيا – اتجاهات العمالة الوافدة إلى اتحاد جنوب أفريقيا .

أ- العمالة الوافدة من موزمبيق .

كانت موزمبيق هي ثاني أكبر مستعمرات البرتغال من حيث المساحة (تبلغ ٢٩٧,٧٣١ ميل مربع) ، كما كانت المستعمرة الأكثر عدداً في السكان (بلغ عدد سكانها في أوائل الثلاثينيات حوالي أربعة ملايين نسمة) ، وكانت تهم السياسة البريطانية بصورة خاصة لكونها الجزء الوحيد الذي تتجاور فيه الإمبراطورية البريطانية مع نظيرتها البرتغالية [١] ، كما كانت موزمبيق جزءاً من نظام تقسيم العمل الدولي ، فقبل الحكم الاستعماري بوقت طويل خدمت موانئ موزمبيق طرق النقل إلى داخل أفريقيا لصالح تجار من أجزاء عديدة من العالم [٢] .

وقد استطاعت البرتغال أن تبقي على وجودها وسيطرتها على إمبراطوريتها الاستعمارية في أفريقيا عقب مؤتمر برلين لسبب وحيد هو دعم بريطانيا لما سمي حينذاك بـ " رجل أوروبا المريض " ومنذ توقيع معاهدة ميثيون Methuen Convention بين بريطانيا والبرتغال في عام ١٧٠٣ سيطرت بريطانيا على الاقتصاد البرتغالي ، ومن ثم فقد أصبحت البرتغال بوابة استعمارية خلفية للمصالح الاقتصادية البريطانية ، ونظراً لنقص رأس مال الأفارقة في موزمبيق فإن الاستعمار البرتغالي اتخذ شكلاً خاصاً جداً ، إذ حصلت الشركات الأجنبية على امتيازات شبه مطلقة في شمال موزمبيق ووسطها ، في ظل هيمنة للسلطات البرتغالية يمكن أن تشبه النظام الإقطاعي [٣] ، واستغلت البرتغال المستعمرة من خلال التفويض كما هو الحال في منطقتي شمال ووسط موزمبيق ، ووفق نظام الشركات المؤجرة chartered companies فإن الحكومة البرتغالية قامت بتأجير مساحات كبيرة

1- Mendes , F. Ferreira , Portugal and Her Colonial Empire , Journal of the Royal African Society , Vol. 39 , No. 157 , (October , 1940) , p. 336.
2- Mittelman, James H., Marginalization and the International Division of Labour: Mozambique's Strategy of opening the Market, African Studies Review, Vol. 34, No. 3, (December, 1991), p. 39
3- Munslow , Barry , State Intervention in Agriculture : The Mozambican Experience , The Journal of Modern African Studies , Vol.22 ,No.2 (June , 1984), pp.199-201 .

مــن الــبلاد بصــفتها امتــيازات لرأس المال الأجنبي الخاص ، والذي لم يكن له الحق في مجــرد الاســتغلال الاقتصــادي فقــط لكــن في السيطرة الإدارية والسياسية على المناطق المؤجــرة ، وهكــذا فــإن شــركة مــثل شركة نياسا Niassa Company التي تأسست عام ١٨٩١ بــرأس مــال غالبيــته ألمانــي كانــت تسيطر على مساحة تزيد على ١٩٠ ألف كم مــربع ، وشــركة موزمبــيق Mozambique Company التــي تأسســت فــي نفس العام بــرأس مــال بريطانــي – فرنســي حصــلت علــى امتيازات في أراضي مساحتها ١٥٥ ألــف كــم مــربع ، وأيضــاً شــركة الزمبــيزي The Zembesi Company التي تأسست عــام ١٨٩٢ بــرأس مــال فرنســي وهــي الشــركة التــي ســيطرت على معظم مساحة موزمبــيق (بالاشــتراك مــع شــركات أخــري مــثل Societe du Modal عــام ١٩٠٤ و Britain's Sena Sugar Estates)[1].

ومــع خضــوع جنوبــي موزمبــيق للحكــم الاســتعماري البرتغالــي رســمياً مــع الاحــتلال العســكري لمملكــة جــازا Gaza في عام ١٨٩٥ ، كانت الأجزاء الجنوبية من موزمبــيق توفــر لجــنوب أفريقــيا المــزيد مــن العمــال لصــالح الاقتصــاد الرأسمالي المتســارع فــي جــنوب أفريقــيا ، وكــان تطــور التعدين الرأسمالي خلال النصف الثاني مــن القــرن التاســع عشــر قــد أدى إلــى نمو متسارع لنمط العمالة المهاجرة من جنوب موزمبــيق إلــى جــنوب أفريقــيا ، ودفــع الاســتعمار البرتغالي عملية التوسع في خدمات الموانــئ والســكك الحديديــة الموزمبيقــية لخدمــة الــتجارة الخارجــية المــتزايدة [2]، وزادت أهمــية ميــناء لورنــزو ماركــيز (أقصــى جــنوب موزمبــيق) ذي الإمكانات الطبيعــية الممــتازة خاصــة بعــد امــتداد مجموعة خطوط سكك حديدية منه قامت بالربط بيــن معظــم الوحــدات السياســية فــي إقلــيم أفريقــيا الجنوبية إذ تمتد منه خطوط سكك حديديــة تــربط كــل مــن المــنطقة المحلــية المحــيطة به داخل موزمبيق واتحاد جنوب أفريقــيا وســوازيلاند والروديســيتين الشــمالية والجنوبــية وإقلــيم كاتنجا البلجيكي ، وقد

1- First, Ruth, Black Gold: The Mozambican Miner, Proletarian and Peasant, St. Martin's Press, New York, 1983, pp. 13-14.
2- Roesch , Otto , Migrant labour and Forced Rice Production in Southern Mozambique , The Colonial Peasantry of the Lower Limpopo Valley , Journal of Southern African Studies , Vol.17 , No.2 (June , 1991), pp. 241-242

اكـتمل أول خـط سـكة حديـد من الميناء إلى بريتوريا مروراً بكل من ريسانو جارثيا Ressano Garcia وكوماتـي بـوورت Komatipoort وحقـول فحـم ويتبـنك Witbank ، واسـتغرق بـناؤه مـن قـبل الشـركات الأمريكـية والبرتغالـية والألمانية المشـاركة فـيه حوالـي ثمانـية أعـوام (١٨٨٦ – ١٨٩٤) ، وفـي عـام ١٩١٢ بدأ تشـغيل خـط بيـن لورنـزو ماركيز وجوهانسبرج مارا بمحمية سوازيلاند ، وبحلول عام ١٩٢٥ كـان قـد تـم إضـافة فرعيـن لهـذا الخـط الرئيس لخدمة المناطق الداخلية في موزمبـيق ، وفـي عـام ١٩٥٥ تـم تشـييد خط الليمبوبو ليربط السكك الحديدية لروديسيا بمديـنة بـافوري Pafuri فـي موزمبـيق والتـي تبعد عن حدود روديسيا الجنوبية بنحو ٤٠٠ ميل (١)

وكـان الـتدهور الاقتصـادي للـبرتغال يعنـي عدم قدرتها على الاعتماد الكبير على الاسـتدانة مـن أسـواق المـال الأوروبـية مـن أجـل إدخال تنمية استعمارية ، وكانت الأمـوال المـتاحة مطـياً للاسـتثمار في المستعمرات قليلة للغاية ، وهكذا فإن البرتغال لم تكـن تسـتطيع فعـل الكثـير لتحسـين اقتصـاد موزمبـيق ، ولـم يكـن ثمة حل سوى الاسـتمرار فـي مـنح امتـيازات للرأسـماليين علـى أمل أن تجذب هذه الامتيازات رأس المال الأجنبي للمستعمرة (٢).

1- Hance, William A. and van Dongen , Irene S. , Lournco Marques in Delagoa Bay , Economic Geography , Vol. 33 , No. 3 , (July , 1957) , p. 244

وكـان لشـدة اعـتماد أقالـيم جـنوب أفريقـيا علـى هـذا الخـط أن قامـت حكومة الاتحاد بربط الترانسـفال بميـناء ديـربان مـن خـلال خـط سكك حديدية آخر حتى يتم استيعاب الحركة التجارية من وإلـى الترانسـفال وكسـر احـتكار الخـط المـتجه إلـى لورنـزو ماركـيز للحركة التجارية الخارجية للترانسـفال ، كمـا تـم تحسـين القـدرة التشـغيلية لميـناء ديـربان من خلال شق قناة في مدخل الميناء وذلـك بإزالـة جـزء مـن الحاجـز الرملـي المـتجمع أمـام الميناء والذي كان يحجم القدرة الاستيعابية للميناء ، كما تم تجهيز الميناء بالمعدات الحديثة لملاحقة الحركة المتزايدة للبضائع :

- Ibid.

راجـع بالتفصـيل عـن دور السـكك الحديديـة فـي نقـل العمـال الأفارقة في المناطق المحيطة باتحاد جنوب أفريقيا إلى مناجم جنوب أفريقيا:

- Pirie , Gordon , Railways and Labour Migration to the Rand Mines : Constraints and Significance , Journal of Southern African Studies , Vol. 19 , No.4 , (December , 1993) , pp. 713-730

2- Vail , Leroy , Mozambique's Chartered Companies : The Rule of the Feeble , The Journal of African History , Vol. 17 , No.3 , (1976) , p. 390

ويحلــل ديــرك ويلســون حالـــة التبعــية المــزدوجة لاقتصاد موزمبيق ، وهي التبعية التـــي كانـــت تقـــوم مـــن ناحـــية علـــى التخلف النسبي للاقتصاد البرتغالي مقابل الاعتماد علـــى رأس المـــال الأوروبـــي ، ومـــن ناحـــية أخـــرى فـــإن الاقتصـــاد الموزمبيقي كان خاضـــعا لاحتـــياجات الاقتصـــاد الجـــنوب أفريقـــي المعقد ، لدرجة أن الأخير هيمن على التركيـــب الاقتصـــادي الاســـتعماري لموزمبـــيق ، وكانـــت القـــوة الإنتاجـــية الرئيســـية لموزمبـــيق قـــد تشـــكلت لـــيس وفقـــاً لاحتياجات التنمية الرأسمالية في البرتغال ،لكن وفقا لاحتـــياجات الـــتراكم الرأســـمالي فـــي جـــنوب أفريقـــيا ، وظلت البرتغال كقوة استعمارية تحقـــق دخلهـــا الرئيســـي مـــن المكاســـب الســـرية والمضـــاربة ببـــيع القوي العمالة في موزمبـــيق [١]، مـــع دفـــع نســـبة مـــن الأجـــور فـــي شـــكل ذهب لبنك لشبونة الوطني Nacional Lisbon's Banco [٢].

وقـــد بـــدأت الهجـــرة إلـــى جـــنوب أفريقـــيا من منطقة لورنزو ماركيز ، وخاصة مـــن بيـــن قـــبائل الـــتونجا Thonga منذ أواخر الستينيات من القرن التاسع عشر ، وبدأت جمعـــية العمالـــة الوطنـــية بويـــتووترزراند العمـــل فـــي موزمبـــيق بصورة غير قانونية ومثـــيرة للريـــبة ، بمـــا فـــي ذلـــك تشكيل فرق مسلحة عرفت باسم emigration police ويـــرتدي أفـــرادها أزيـــاء رســـمية مماثلـــة لما في أذهان الأفارقة عن أزياء الشرطة ، وقد قـــدر عددهـــا بـــنحو ٦٥٠٠ ، كمـــا قامـــت معســـكرات لتجمـــيع العمالـــة الأفريقـــية في الأراضـــي البرتغالـــية ، وقامـــت الجمعـــية برشـــوة الزعماء القبليين للعمل مع المنظمة في تحقـــيق أهدافهـــا وحمـــل رعايـــاهم علـــى العمل في المناجم ، إضافة إلى ذلك فإن الجمعية شـــجعت بشـــدة الهجـــرات غـــير القانونية بما يزيد بشدة عن إجمالي ما ورد في الاتفاقيات بين حكومتي جنوب أفريقيا والبرتغال [٣].

1- Wilson , Derek , A History of South and Central Africa , Cambridge University Press , New York , 1975 , p. 212.
2- Mittelman, James H., Marginalization and the International Division of Labour: Mozambique's Strategy of opening the Market, African Studies Review, Vol. 34, No. 3, (December, 1991), p. 39.
3- Bailey , Norman A. , Native and Labor Policy (in : Abshire , David M. and Samuel , Michael A. (eds.) , Portuguese Africa , A Handbook) , Pall Mall Press , London , 1969, p.173.

وكانــت الــنقطة الجوهــرية فــي الاتفاقــات المعقودة بين موزمبيق وجنوب أفريقيا بخصــوص العمــال الوافديــن هــي تحقــيق مصالح حجرة المناجم ومنحها امتيازات تجنيد العمــال علــى نطــاق واســع فــي الجــزء الجنوبــي من موزمبيق مقابل ضمان حصول موزمبــيق علــى نســبة محــددة مــن جمــارك واردات المنطقة المسماة بالمنطقة التنافسية Competitive Zone (وهــي المــنطقة المحــيطة بجوهانســبرج) ، ووجــوب مــرور نســبة معيــنة مــن البضــائع الداخلــة لهــذه المنطقة عبر ميناء لورنزو ماركو وأن تكون هــذه النســبة أكــبر مــن مثيلــتها في موانئ ديربان وإيست لندن وبورت اليزابيث وكيب تــاون ، كمــا كــان نظــام الدفــع الــنقدي المباشــر للســلطات البرتغالية مقابل كل عامل موزمبيقــي يــتم تجنــيده عــاملاً حافــزاً لتشــجيع تلك السلطات تهجير العمال الأفارقة ، ووفقــا للاتفاقــات المتعاقــبة كانــت حصــة ميــناء لورنــزو ماركيز من واردات المنطقة التنافسية ٤٧,٥% كحد أدنى (١).

وتــم تخويــل وزارة شــئون الوطنييــن البرتغاليــة Portuguese Native Affairs ســلطة تأســيس مركــز واحــد (فــي كل منطقة) لجمع الضرائب داخل الاتحاد ، وأطلق علــى هــذا الــنوع مــن المراكــز اســم كورادوريا *Curadoria* ، وقد أورد كورادوريا الترانســفال *Curadoria do Transvaal* فــي عــام ١٩٥٤ إحصــاء قــدر فيه أنه يوجد ٢١,٥٩٦ عامل موزمبيقي يعملون بصورة غير قانونية أو كعمالة سرية (٢).

ومــع اتــباع الاســتعمار البرتغالــي فــي موزمبــيق سياســات استغلال المواطنين الموزمبيقييــن علــى نطــاق واســع أصــبح هناك ستة أنماط من العمال داخل المستعمرة ، وهذه الأنماط الستة هي :

١- العمالــة الإصــلاحية Correctional Labour ، ويــتم فــي إطارهــا الاستعانة بمــن يحكــم علــيهم بالســجن وفــق القــانون الإجرامي criminal code أو من يعجزون عن دفع الضرائب ، وهذا النوع من العمالة غير مأجور .

1- Harris , Marvin , Labour Emigration among the Mocambique Thonga : Cultural and Political Factors , Africa , Vol. XXIX , No.1 (January , 1959), p.50.

2- Ibid., p. 51.

٢- العمالة الإلزامية Obligatory Labour ، ويقوم هذا النوع على النشرة الحكومية الصادرة في ٥ مايو عام ١٩٤٧ والتي تأمر كل الوطنيين " بالعمل ستة أشهر سنوياً لصالح الدولة أو شركة ما أو شخص ما ، واستمر تنفيذ هذه النشرة قائماً حتى عام ١٩٦١ ، ويأخذ هذا النوع من العمالة أجراً متدنياً للغاية ، وتشترك في أعمال بناء الطرق والأعمال العامة القريبة من ذلك .

٣- العمالة المتعاقدة contractory labour ، وهي العمالة الريفية المقيمة ، وسميت بالعمالة المتعاقدة ؛ لأن العلاقة بين صاحب العمل والعامل تأخذ شكل تعاقد contract ، وإذا فشل العامل في الوفاء بالتزامه فإنه يعاقب بعقوبات مدنية عديدة قد تصل إلى الإدانة الجنائية وبإلحاقه بالعمالة الإصلاحية .

٤- العمالة الاختيارية (المتطوعة) voluntary labour حيث يلتحق العمال بالعمل لدي صاحب العمل مباشرة من خلاله ، وغالباً ما يعمل عمال هذا النمط في أعمال الخدمة المنزلية ، ونادراً ما توجد خارج المدن .

٥- الزراعة الإجبارية forced cultivation حيث لا يؤجر العامل على أجره لكنه يأخذ مما يقوم بزراعته .

٦- العمالة المصدرة export labour أو العمالة التي يتم إرسالها للخارج – وبصفة أساسية إلى جنوب أفريقيا – مقابل دفع مبالغ للحكومة البرتغالية ، وقام هذا النوع على اتفاق بين الحكومتين البرتغالية والجنوب أفريقية وتم توقيعه في سبتمبر ١٩٢٨ ويعرف باسم معاهدة هجرة الوطنيين من موزمبيق إلى الترانسفال : قضايا متعلقة بالسكك الحديد والعلاقات التجارية بين مستعمرة موزمبيق وجنوب أفريقيا Agreement on the Emigration of Natives from Mozambique to the Transvaal : Questions Related to the Railways and Commercial Relations between the Colony of Mozambique and South Africa ، وهو الاتفاق الذي سمح بتجنيد ما بين ٦٥ إلى ١٠٠ ألف عامل موزمبيقي سنويا (وهو الرقم الرسمي الوارد في الاتفاقية ولكن لم يتم الالتزام الصارم به) في اتحاد جنوب أفريقيا(١) .

1- Mondlane , Enduardu , The Struggle for Mozambique , Penguin Books , Middlesex , 1969, pp.91-92 .

ووصلت نسبة ما تقدمه موزمبيق من عمال إلى مناجم الذهب وحدها حوالي ربع قوة العمل في البلاد ككل (١)، وأدى بروز هذا النمط من الهجرة إلى بروز دور المرأة كربة منزل تقوم على عاتقها مهمة الفلاحة بينما يعمل الرجال كعمالة أجيرة ، وكان الرجال يتعاقدون مع المناجم للعمل بها لفترات تتراوح ما بين ١٢ إلى ١٨ شهراً مرة واحدة (للعقد) ، وبصفة عامة فإن العمال المهاجرين كانوا يقضون نصف فترة حياتهم العملية النشطة في المناجم ، ويمكثون لمدة تتراوح حول سبعة أشهر في وطنهم قبل عودتهم لتوقيع عقود جديدة (٢) ، وأدت هجرة العمالة الموزمبيقية إلى المناجم في جنوب أفريقيا إلى قلة اعتماد الفلاحين في موزمبيق على الإنتاج الزراعي (٣).

وبعد وصول أنطونيو سالازار Antonio Salazar للسلطة في البرتغال (عام ١٩٢٦) تم بذل محاولات حثيثة لجعل المستعمرات أكثر توفيرا للموارد الخام والتبادل الخارجي وأن تكون هذه المستعمرات أسواقا مستوعبة للإنتاج البرتغالي ، ويظهر ذلك بوضوح في حالة القطن ، ففي الفترة السابقة على سالازار كانت معظم واردات المواد الخام اللازمة لصناعة النسيج في البرتغال تأتي من دول ذات علاقات تجارية محدودة مع البرتغال ، وفي عام ١٩٢٦ مثلا كانت المستعمرات تمد البرتغال بنحو ١١٦٧ طناً من القطن (وهو المحصول النقدي الرئيسي في موزمبيق والذي نافس العائدات من أجور العمال الموزمبيقيين المهاجرين) مقارنة بإجمالي واردات قدره ١٦,٤٧١ طن (بنسبة ٧% فقط من إجمالي واردات القطن) ، وفي عام ١٩٣٦ اتبعت البرتغال أساليب تفضيلية وتم فرض نظام حصص إجبارية

1- Herington , J. S. and McGlasban , N. D. , Migrant Workers and Cancer Patterns in Southern African , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No. 1 , (October , 1976), p. 97 .
2- Munslow , Barry , State Intervention in Agriculture ,op. cit., pp. 200-201

عن تأثير هجرة العمال الموزمبيقيين على أوضاع النساء في المناطق الريفية في موزمبيق راجع :

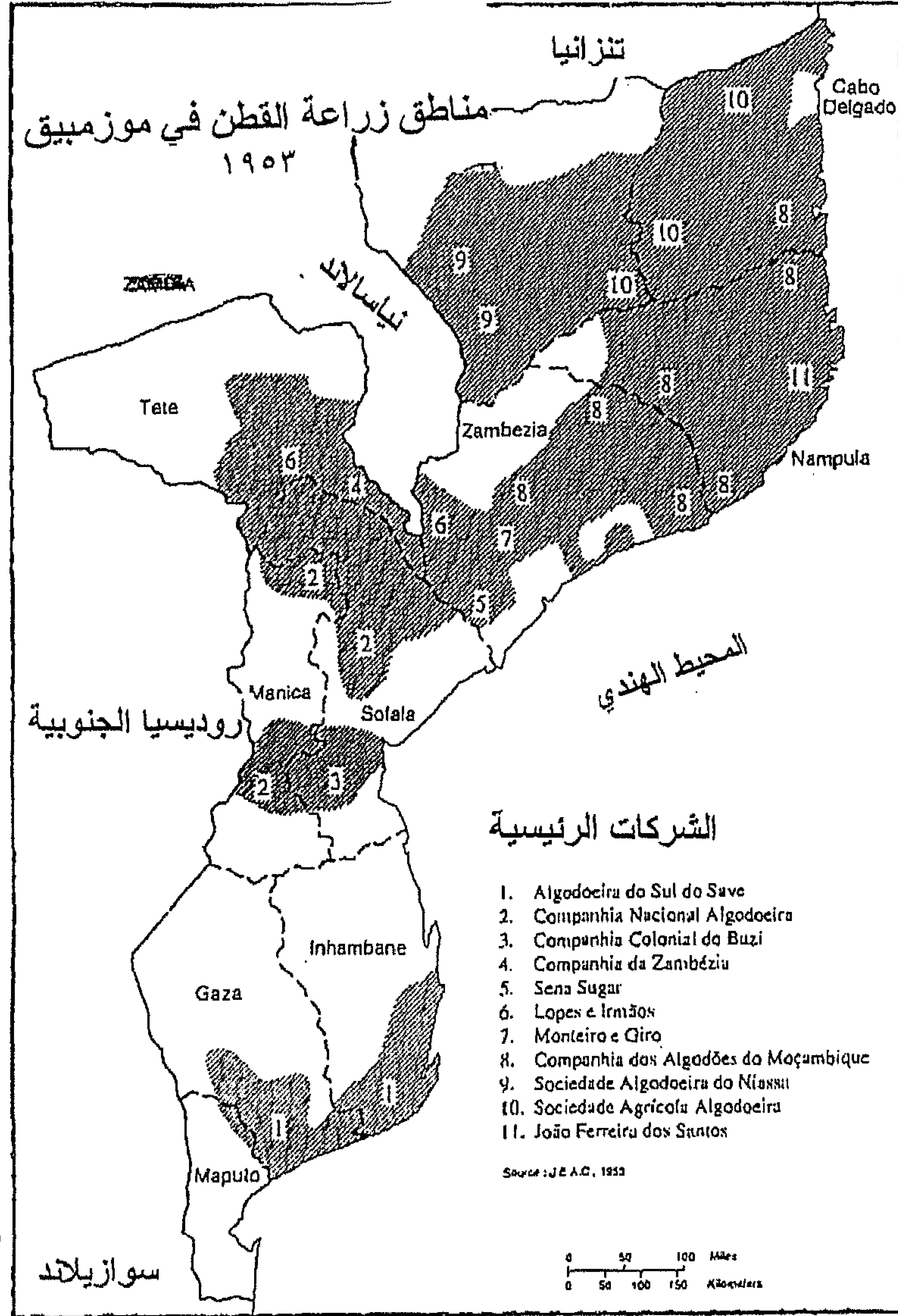
- Kruks , Sonin and Wisner , Ben , The State , the Party and the Female Peasantry in Mozambique , Journal of Southern African Studies , Vol. 11 , No. 1 , (October , 1984) , pp. 106-127
- وبصفة خاصة pp. 111-113

3- Minter , William , Apartheid's Contras : An Inquiry into the Roots of War in Angola and Mozambique , Zed Books , London , 1994 , p. 212.

لتخصيص مساحات معينة في المستعمرات تزرع بالقطن ، وهو الأمر الذي أدى إلى زيادة نسبة إسهام هذه المستعمرات في واردات البرتغال من القطن لتصل إلى ٩٦% ، وحددت تشريعات تم تمريرها في عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٦ دور المستعمرات كمصدر إمدادات بالمواد الخام ، وتم التوسع في سياسة الزراعة الإجبارية خاصة القطن حيث تضاعف عدد الفلاحين الذين يعملون في زراعته ووصلت قوة العمل به في أواخر الثلاثينيات إلى ٧٩١ ألف عامل وثبتت بعدئذ في عام ١٩٤٤ حول رقم نصف مليون عامل (١)

واقتصادياً لم تكن مزارع المستوطنين (كأفراد) في موزمبيق قادرة على تقديم أجور متنافسة مع الأجور التي تقدمها المناجم الجنوب أفريقية ، كما أن المستوطنين في موزمبيق لم يستطيعوا احتكار إمدادات العمال الأفارقة لضعف القدرة الإنتاجية لهذه المزارع ، كما أن الاعتماد ظل قائماً على نظام العمل الإجباري وهو النظام الذي كان في حد ذاته دافعا لهجرة الموزمبيقيين إلى الدول المجاورة لموزمبيق (٢)، فعلى سبيل المثال فإنه في مقاطعة موسوريز Mossurize في شمالي موزمبيق لم يكن هناك طريق يصل المقاطعة بالعاصمة الإقليمية حتى خمسينيات القرن العشرين عندما ازدهرت بالمقاطعة زراعة القطن على يد المستعمرين ، وكانت توجد مزرعة استيطانية واحدة بالمقاطعة يسكنها عدد قليل من المستوطنين ، وعلى بعد أميال عديدة في الجزء الشمالي من المقاطعة يوجد المكان الأقرب للعمالة بأجر ، وعلى الرغم من ذلك فإن المصدر الأساسي للأسر في هذه المقاطعة كان العامل المهاجر خاصة إلى كل من روديسيا الجنوبية وجنوب أفريقيا (٣).

1- Munslow , Barry , State Intervention in Agriculture ,op. cit., p.201.
2- Bowen , Merle L., The State Against the Peasantry , Rural Struggles in Colonial and Postcolonial Mozambique , University Press of Virginia , London , 2000 , p. 34.
3- Schafer , Jessica , Guerrillas and Violence in the war in Mozambique : De-Socialization or Re-Socialization ? , African Affairs , Vol. 100 , No. 399 (April , 2001), p.220.



Isaacman , Allen , Coercion , Paternalism and the Labour Process op. cit., p. 494.

ووفقـاً لنشـرة circular صـدرت فـي عـام ١٩٤٢ من قبل السلطات البرتغالية فإنه علـى كـل الأفارقـة (داخـل موزمبـيق) الذين بلغوا سن العمل أن يبرهنوا على قيامهم بـالعمل لصـالح الدولـة مـدة سـتة أشـهر في كل عام ، وهو التصريح الذي كان يمكن للأفارقـة الحصـول علـيه مـن خـلال جهة عمل محلية (بعد العمل لها بأجر) أو تعاقد مـع إحـدى جهـات التجنـيد أو الأفـراد المعترف بهم للعمل في الخارج (١) ، ومنذ بداية الأربعينـيات ، ومـع الـنمو الصـناعي فـي اتحـاد جـنوب أفريقـيا تضـمنت العمالة الموزمبيقـية آلاف الـرجال الذيـن يعملـون في حرف خاصة ومتنوعة ، ووفد عمال هذه الحـرف مـن مقاطعتـي نياسـا Niassa وكـابو ديلجـادو Capo Delgado اللتيـن خضـعتا لسـيطرة ومراقـبة السـلطات البرتغالـية لمـثل هذه الهجرة ؛ لأن هذه المناطق كانـت تتسـم بالخصـوبة وتقـدم المسـتوي المهنـي للعمال بها لذلك رغبت السلطات في كبح الهجرة منها ، مما جعل هذه الهجرة تتسم بكونها هجرة متذبذبة (٢) .

ومـنذ بدايـة الأربعينـيات أصـبح العمال الأجانب المصدر الأساسي للإمداد بالعمال فـي مـناجم الذهـب – نتـيجة لاندلاع الحرب العالمية الثانية وانضمام الكثير من مواطني جـنوب أفريقـيا للمجهـود الحربـي – فـإن نظـام التجنـيد عاد إلى دوره المحوري مرة أخـرى ، لكـن تغـيرت طبيعـته نسـبياً عـن الأيـام الأولى إذ فرضت حكومة موزمبيق قـيودا حـادة علـى حصـص جمعـية العمالـة الوطنية بويتووترزراند بعد عام ١٩٢٨ ، وهـو الأمـر الـذي دفـع المـناجم للعـودة فوراً إلى الموارد المحلية غير المستغلة وإلى الأقالـيم الاسـتوائية التـي كانـت قـد اسـتبعدتها مـنذ عـام ١٩١٣ (إثر صدور قانون الهجرة) (٣) .

1- Lucas , Robert E. B. , Emigration to South Africa's Mines , The American Economic Review , Vol. 77 , No. 3 , (January , 1987) , p. 319.
2- Alper , Edward A. , " To Seek a Better Life:" The Implications of Migration from Mozambique to Tanganyika for Class Formation and Political Behavior , Canadian Journal of African Studies , Vol. 18 , No.2 , (1984), p.369.
3- Yudelman , David and Jeeves , Alan , New Labour Frontiers for Old : Black Migrants to the South African Gold Mines , 1920 - 85 , Journal of Southern African Studies , Vol. 13 , No. 1 , (Oct., 1986) , pp. 103-105.

وأكدت السياسة المالية البرتغالية على أن التنمية يجب أن تقوم على الدخل الجاري ، وكان يتم تجنب عجز الميزانية ووقف التضخم ، وارتكزت خطة التنمية الأولى المقررة في عام ١٩٥٣ على تنمية القوى الكهرومائية ومساعدة الزراعة وإنتاج البتروكيماويات والسيليلوز والأسمدة الكيميائية ، كما شهد المجتمع البرتغالي نفسه تغيرات حادة في تركيبته إذ تزايد انتقال الناس للعيش في المدن ، وتدهورت أعداد العمال في الزراعة والصيد والثروة الغابية بحدة مع بداية الستينيات ، وعلى العكس من ذلك فإن موزمبيق ظلت ذات اقتصاد متخلف نسبيا خلال نفس الفترة (الخمسينيات والستينيات) واستمرت في مواجهة مشكلات صعبة متعلقة بالمدفوعات الخارجية والاعتماد الشديد على الزراعة والخدمات مع توسع هائل في القطاع الخدمي الذي أصبح شكل نحو ٥٠% من قيمة الاقتصاد النقدي لموزمبيق ، وتضمن قطاع الخدمات السكك الحديدية والخطوط الجوية والموانئ التي تقدم تسهيلات لكل من جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية وزامبيا ومالاوي [١] ، وظل تصدير العمال محدداً شديد الأهمية للاقتصاد الموزمبيقي ففي عام ١٩٦٠ كان هناك أكثر من ٤٠٠ ألف عامل موزمبيقي في اتحاد جنوب أفريقيا وروديسيا الجنوبية ، وكانت ميزانية عام ١٩٦١ لدولة موزمبيق تتضمن دخلا إجماليا قدره ٦,٣٠٠ مليار إسكودس escudos (عملة البرتغال) وأسهمت الضريبة المتحصلة من أجور العمال الموزمبيقيين المهاجرين بـ ١,٢٠٠ مليار إسكودس ، أو ما نسبته ١٩,١% من إجمالي الميزانية [٢]، كما ظلت معاهدة موزمبيق Mozambique Convention (١٩٢٨) والتي سمحت بزيادة عدد العمال المجندين من موزمبيق بما يتراوح – رسمياً – بين ٨٥-١٠٠ ألف عامل سنوياً ، مع استمرار حظر تجنيد العمال شمال دائرة عرض ٢٢ درجة جنوب خط الاستواء ، إلا أن هذا الحظر ألغي بعد أبحاث علمية مولتها صناعة التعدين الجنوب أفريقية تم خلالها التأكيد على انخفاض معدل الوفيات بين سكان هذه المناطق ، وحصلت حجرة المناجم على ترخيص بتوسيع نطاق عمليات التجنيد في موزمبيق ، وظلت هذه المعاهدة سارية حتى عام ١٩٦٤ عندما تم إحلالها بمعاهدة أخرى[٣] .

1- Gann , L. H. , Portugal , Africa and the Future , The Journal of Modern African Studies , Vol. 13 , No. 1 (1975) , pp. 1-4.
2- Mondlane , Eduardo , The Struggle for Mozambique , Zed Press , London , 1983 , pp. 92-93.
3- Prothero , R. Mansaal , Foreign Migrant Labour for South Africa , International Migration Review , Vol. 8 , No. 3 (Autumn , 1974), p. 385.

والجديـر بالذكـر أن العـامل الثانـي المحـدد للسياسـة الاقتصـادية البرتغالية في موزمبـيق – إضـافة إلـى تصـدير القـوى العاملة – كان زراعة القطن في المستعمرة ، وهـو العـامل الـذي كـان مؤثـراً علـى حـركة الهجرة العمالية الموزمبيقية إلى اتحاد جـنوب أفريقـيا خاصـة بعـد عـام ١٩٣٨ عـندما فـرض الـنظام الاستعماري نظاماً إجـبارياً لـزراعة القطـن فـي أنحـاء موزمبـيق عقب تأسيس الهيئة الاستعمارية للقطن Colonial Cotton Board فـي لشـبونة فـي عـام ١٩٣٨ ، الـذي مثل تدشينا لبدء نظـام سـالازار حملـة لتسـخير الفلاحيـن الأفارقة في المستعمرات البرتغالية في زراعة القطـن ، وحـدد المكتـب مسـاحات شاسعة في موزمبيق يجب على الفلاحين أن يزرعوا فـيها القطـن ، كمـا تـم تحدي المواعيد التي تجب فيها هذه الزراعة ، ومختلف الجوانب المـتعلقة بعملـية الـزراعة ، وبحلـول عـام ١٩٤١ تـم إجـبار نحـو ٧٠٠ ألف فلاح موزمبيقـي علـى زراعـة القطـن ، ونظـرا لأن الأجـور فـي موزمبيق لم تكن لتقارن بنظـيرتها فـي اتحـاد جـنوب أفريقـيا فقـد استمرت هجرة العمال إلى الاتحاد للعمل في المـزارع والمـناجم بـه [١]، و فـي عـام ١٩٤٢ ارتفعـت نسبة واردات البرتغال من قطـن مسـتعمراتها الأفريقـية بصـورة هائلـة لتصل إلى نحو ٩٠% من إجمالي وارداتها ، مـع زيـادة حجـم الـواردات مـن ٢٥٠٠ طـن فـي عام ١٩٣٨ (أو نسبة ٢٥% من إجمالـي واردات الـبرتغال مـن القطـن) إلـى ١٨,٥ ألف طن في عام ١٩٤٢ ، وكانت موزمبـيق هـي الممـد الأكـبر للـبرتغال بالقطن ، إذ كان إسهامها من ورادات البرتغال يـتراوح مـا بيـن ٧٥% إلـى ٨٠% عـند نهاية الحرب العالمية الثانية ، وفي الوقت ذاته ارتفعـت نسـبة البضـائع القطنـية التـي تسـتوردها موزمبيق من البرتغال (من إجمالي واردات موزمبـيق مـن البضـائع القطنـية) مـن ٥٨% عام ١٩٣٩ إلى ٨٥ عام ١٩٤٢ ، وزادت أسـعار البضـائع القطنـية المـباعة فـي المسـتعمرات البرتغالية بنحو الأربعة أمثال [٢].

1- Isaacman , Allen , Coercion , Paternalism and the Labour Process : The Mozambican Cotton Regime , 1938 - 1961 , Journal of Southern African Studies , Vol. 18 , No. 3 , (September , 1992) , pgs. 487,491,493.
2- Clarence-Smith , Gervase , The Impact of the Spanish Civil war and the Second World war on Portuguese and Spanish Africa , the Journal of African History , Vol. 26 , No.4 (1985) ,pp.315-317

وكانت كل البضائع المصنعة خارج البرتغال أو المستعمرات البرتغالية تخضع لأعباء جمركية ثقيلة ، كما تعمقت سياسة جعل المستعمرات سوقا للمنتجات البرتغالية ، وفرضت على الشركات الأجنبية في موزمبيق ضرائب ثقيلة ، واتبع سالازار لسنوات عديدة سياسة عدم تشجيع الاستثمار الأجنبي في موزمبيق ، وكان أحد أسباب ذلك خوفه من أن سياساته الانعزالية والقمعية كانت آخذة في الضعف مع وجود عناصر اكثر ليبرالية في المستعمرات ، وساعدت الحواجز الجمركية على جعل موزمبيق مصدراً مالياً ثابتاً على حساب الموزمبيقيين الأفارقة [١] .

وتركز دور الدولة في موزمبيق منذ الحرب العالمية الثانية على تسويق السلع الزراعية [٢] ، و استخدام موزمبيق كاحتياطي عمالي لرأس المال الجنوب أفريقي وهو الأمر الذي كان يتسق مع الطبيعة الضعيفة والتابعة للاستعمار ورأس مال البرتغاليين عبر تاريخه ، وقد نتج عن نقص رأس المال البرتغالي اعتماد برتغالي شبه كامل على رأس المال البريطاني والأوروبي ، ثم الجنوب أفريقي لاحقا ، وكان هذا يعني افتقاد النظام الاستعماري البرتغالي للقدرة على تنظيم الإنتاج وتثبيت الموارد العمالية للمستعمرة ، وعلى السيطرة على العمليات المتراكمة التي بدأت هناك ، ومن ثم الاستفادة منها [٣] ، وأدت الحرب إلى تضرر موزمبيق بشدة نظراً لوارداتها الهائلة من المحاصيل الغذائية واعتمادها على أرز جنوب شرق آسيا ، ومما زاد الوضع الغذائي سوءاً في موزمبيق هو التشدد في إلزام المزارعين في موزمبيق بزراعة القطن وهو الأمر الذي أدى إلى نقص حاد في المحاصيل الغذائية المحلية ، وأصبح العمل الإجباري عبئاً كبيراً خاصة بعد عام ١٩٤٢ ففي هذه السنة أصدر الحاكم العام لموزمبيق قرار عرف باسم الالتزام الأخلاقي Moral Obligation وهو القرار القائم وفق قانون العمالة الصادر عام ١٩٢٨ ، ويقضي هذا القرار بإلزام الأفارقة في موزمبيق بالعمل لصالح الحكومة دون أي مقابل [٣] .

1- Wilson , Derek , A History of South and Central Africa , op. cit., pp. 212-213.

2- Harrison , Graham , Marketing Legitimacy in Rural Mozambique : The case of Mecufi District , Northern Mozambique , The Journal of Modern African Studies , Vol. 36 , No. 4 (Dec. , 1998).p.

3- First , Ruth , Black Gold : The Mozambican Miner , op. cit., and p. 13.

4- Clarence-Smith , Gervase , The Impact of the Spanish Civil War , op. cit., p. 321

وأصبحت هناك مشكلتان أمام زراعة القطن في موزمبيق ، تتعلق الأولي بهروب العمال من نظام العمل الإجباري ، والثانية هي هجرة العمال إلى جنوب أفريقيا بصورة خاصة وكون الاقتصاد السياسي لموزمبيق قائماً على هذه الهجرة ، وهو الأمر الذي أدى إلى ما يمكن تسميته بتحلل الاقتصاد الموزمبيقي واستنزافه دون تحقيق أدنى فائدة أو تراكم رأسمالي لهذا الاقتصاد (١) ، في ظل تردي الخدمات التي كانت تقدمها الدولة ، ففي عام ١٩٥٩ مثلا كان عدد الطلبة الملتحقين بالمدارس الثانوية ٤١ أفريقياً موزمبيقياً فقط ، وكان معدل انتشار الأمية ٩٣% من السكان الأفارقة (٢) ، وكانت الخدمات الطبية شبه قاصرة على الجالية الأوروبية التي وصل عددها في عام ١٩٦٠ إلى ٨٥ ألف أوروبي مقيمين في منطقة لورنزو ماركيز بصورة أساسية (٢) .

السكان الأوروبيون في أفريقيا البرتغالية بالألف (٤)

الدولة / السنة	١٩٣٠	١٩٤٠	١٩٥٠	١٩٦٠
أنجولا	٣٠	٤٤	٧٨	١٧٠
موزمبيق	١٨	٢٧	٤٨	٨٥

1- Pitcher , M. Anne , Sowing the Seeds of Failure : Early Portuguese Cotton Cultivation in Angola and Mozambique , 1820-1926 , Journal of Southern African Studies , Vol. 17 , No.1 (March , 1991) , p. 49.
- Isaacman , Allen and Others , " Cotton Is the Mother of Poverty " : Peasant Resistance to Forced Cotton Production in Mozambique , 1938 - 1961 , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 13 , No.4 , (1980) , p. 587.
2- Wilson , Derek , A History of South and Central Africa , op. cit., p. 219.
3- Hall, Margaret and Young, Tom, Confronting Leviathan Mozambique since Independence, Hurt and Company, London, 1997, p. 5.
4- Ibid.

ب- العمالة الوافدة من باسوتولاند .

يعتبر نظام العمالة المهاجرة هو أهم ما يربط باسوتولاند بجنوب أفريقيا ، وقد كان تدني الإنتاجية في قطاع العمل بأجر والحرف التقليدية وعدم كفاية فرص العمل في القطاع الحديث في باسوتولاند والارتفاع النسبي للأجور في جنوب أفريقيا قد جعل الكثير من الرجال يهاجرون مؤقتاً للعمل هناك ، وقد دعمت هذه الهجرة ما عرف باستقطاب الموارد في أفريقيا الجنوبية لصالح جنوب أفريقيا كما أسهمت في تطوير التعدين والصناعة التحويلية في جنوب أفريقيا وأعاقت التنمية الزراعية والصناعية في باسوتولاند ، وقد كان المجال الرئيس لعمل العمال المهاجرين من باسوتولاند هو دق الأعمدة shaft sinking وهي العملية التي كانت ضرورية للغاية لتثبيت جدران المناجم ، ونتيجة لازدهار التعدين في جنوب أفريقيا خاصة منذ بداية الأربعينيات فإن معدلات عمل الباسوتو قد ازدادت أيضاً في تلك الفترة ، وكان يتم إلحاق العمال في المناجم من خلال عقود تتراوح مدتها ما بين ستة إلى تسعة أشهر سنوياً ، وهي العقود السائدة نظراً لقرب باسوتولاند من مناطق التعدين في أورانج فري ستيت أو الترانسفال ، إذ تقع باسوتولاند داخل اتحاد جنوب أفريقيا ، وأحياناً يمتد العقد إلى عامين (٢)، وكانت الأجور المتحصلة من العمل العادي في باسوتولاند عام ١٩٣١ تقدر بما يتراوح ما بين ٣٠ - ٩٦ راندا سنوياً (٣)، بينما وصل معدل أجر العمل اليومي للعمل تحت سطح الأرض إلى ٠,٤٥ راند في أوائل الستينيات ، أو دخل صافي قدره ١٥٠ راند سنوياً إذ يتم تزويد العمال بالطعام والمسكن داخل التجمعات العمالية التابعة للمنجم (٤) .

1- Lundahl , Mats and Peterson , Lennart , The Dependent Economy : Lesotho and the Southern African Customs Union , Westview Press , Boulder , 1991, p.39.
2- Toure , Mamoudou , Surveys of African Economics , Vol.5 : Botswana , Lesotho , Swaziland , Burundi , Equatorial Guinea and Rwanda , International Monetary Fund , Washington , 1973 .p.126.
3- Murray , Colin , and Marital Strategy in Lesotho : The Redistribution of Migrant Earnings , African Studies , Vol. 35 , No. 2 (1988) , p. 109.
4- Toure , Mamoudou , Surveys of African Economics , op. cit., p. 126

وكان نظام تجنيد العمال في باسوتولاند ينقسم إلى نوعين ، النوع الأول الخاص بالعمال في التعدين ، وهم الغالبية العظمى من العمال المهاجرين ، ويعمل وكلاء التجنيد لهذا النوع من داخل باسوتولاند ويكون لديهم أتباع يقومون بتجنيد الرجال المناسبين للعمل ، كما يقدم بعض العمال أنفسهم لهؤلاء الوكلاء بالذهاب للمراكز الخاصة بالتجنيد ، ويتدخل الزعماء والمفوضون الحكوميون فقط عند إبرام العقود لتحصيل الضريبة المسبقة المستحقة على العامل قبل سفره ، ويستخدم النوع الثاني من العمال المجندين في المزارع ، ويقوم المزارع الأبيض بالتوجه بنفسه بالتوجه إلى باسوتولاند ويذهب لمقر مفوض المقاطعة District Commissioner ويحصل منه على تصريح بالقيام بتجنيد عمال ثم يتجول في البلاد بحثاً عن العمال (١)

ومن أهم العوامل التي أدت إلى ازدهار هجرة العمال من باسوتولاند التغيرات الهامة في الوضع الاقتصادي لمستعمرة باسوتولاند ، إذ تحولت باسوتولاند التي كانت مصدراً هاماً للحبوب في أواخر القرن التاسع عشر بسرعة لتصبح مجرد معزل عمالي للمزارع والمناجم في كل من أورانج فري ستيت والترانسفال وناتال منذ بدايات القرن العشرين ، وكانت هذه التغيرات نتاجاً للسياسة الاستعمارية (٢) التي أدت إلى حدة نقص الأراضي الزراعية المخصصة للأفارقة في باسوتولاند و زيادة سلطة الزعماء القبليين من خلال السلطة المخولة لهم لتقسيم الأراضي ، وأصبح هذا الموقف مرتعاً خصباً لإساءة استعمال الزعماء له لأنهم استعملوا سلطاتهم تلك لاقتلاع العمال والموارد من السكان والاستفادة من الدخول التي تحصل عليها العمالة المهاجرة والمساعدات الخارجية ، كما تعاونت الإدارة الاستعمارية مع أصحاب المصالح الزراعية في جنوب أفريقيا من أجل تحويل باسوتولاند إلى معزل عمالي لجنوب أفريقيا (٣).

1- Khakhetla , B. M., Lesotho 1970 : An African Coup under the Microscope , University of California Press , Berkeley , 1972, pp. 60-61.
2- Gocking , Roger , Colonial Rule and the ' Legal Factor ' in Ghana and Lesotho , Africa , Vol. 67 , No. 1 , 1997, p.34.
3- Coplan , David B. and Quinlan , Tim , A Chief by the People : Nation versus State in Lesotho , Africa , Vol. 67 , No.1 , 1997 , p. 30.

وفي ظل دعم الاستعمار البريطاني للنظام القبلي في باسوتولاند كان هناك قشور نظام ديموقراطي وهو الذي طبق مبدأ حرية تنظيم العمال والمعارضين للحكومة ، ومن هنا نشأت في باسوتولاند حركة نقابية مرتكزة على تنظيم عمال الطبع والتجارة والنقل والمستخدمين العموميين خاصة خلال فترة الخمسينيات ، وهي الحركة التي نظمت احتجاجات عمالية ضد الاستعمار (١)، غير أن القوى الرافضة لمطالب العمال – التي كانت ستؤدي بدورها إلى تقويض نظام العمالة المهاجرة – كانت ذات موقف قوي مدعوم من كل من الدولة ورأس المال والزعماء القبليين ، وهناك نموذج لفشل تدخل قوة فاعلة في باسوتولاند لصالح العمال متمثل في جهد الإرسالية الكاثوليكية الرومانية Roman Catholic Mission (ذات النزعة المحافظة) منذ أواخر الثلاثينيات إلى تبني حملة واسعة النطاق من أجل تحقيق تنمية ريفية لصالح الفقراء الأفارقة ومواجهة التوجه الاحتكاري للرأسمالية ، على الرغم من المعاداة الإيديولوجية للكنيسة تجاه التوجهات الشيوعية التي كانت تطالب بنفس هذه التطورات ، إلا أن أصحاب رؤوس الأموال واجهوا هذا التوجه الكنسي وهو الأمر الذي تجسد في إقالة الأسقف جوزيف بونهوم Joseph Bonhomme رئيس الإرسالية من منصبه في عام ١٩٤٧ لهجومه الحاد على كل من الإدارة الاستعمارية والتجار ووكلاء تجنيد العمال لصالح مناجم جنوب أفريقيا وظروف العمل في هذه المناجم (٢)، لتستمر سياسة السلطات الاستعمارية في باسوتولاند التي تعمل على تكريس كل الطاقات لخدمة الإنتاج البدائي من المواد الخام والتعدين والزراعة والثروة الغابية (٣) ، والارتباط اقتصاديا باتحاد جنوب أفريقيا ، وهو الارتباط الذي وصل إلى القيام بعدة محاولات لضم باسوتولاند للاتحاد ، وهو الأمر الذي ذكرته صراحة حكومة هيرتزوج – سمتس في عام ١٩٣٢ عندما أعلنت ضرورة ضم باسوتولاند لجنوب أفريقيا التي تقدم لباسوتولاند حرية العمل وانتقال

1- Southall , Roger , The Labour Market and Trade Unions at South African Periphery : Lesotho and Transkei , African Affairs , Vol. 93 , No. 373 (October , 1994) , p. 575.
2- Epprecht , Marc , Women's ' Conservatism ' and the Politics of Gender in late Colonial Lesotho , the Journal of African History , Vol. 36 , No.1 (1995) , p. 33.
3- Crush , Jonathan and Wellings , Paul , The Southern African Pleasure Periphery , 1966 - 83 , The Journal Of Modern African Studies , Vol. 21 , No.4 (Dec., 1983) .p.

الأموال ، وكان الاتحاد يعامل تلك المحمية البريطانية على أنها جزء داخلي منه (١)

وقد أحدث نظام العمالة المهاجرة سمات عامة بالنسبة لقوة العمل في باسوتولاند تمثلت في الاعتماد الملحوظ على العمالة النسوية في ظل ارتفاع معدلات التعليم بين النساء في باسوتولاند (وصلت لأكثر من ٧٠ بالمائة) وارتفاع مستوي هجرة النساء إلى المناطق الحضرية في باسوتولاند للالتحاق بأي عمل يدر دخل ، ووصل الأمر لدرجة أن أصبح ٢٨% من أصحاب البيوت في باسوتولاند من النساء ، وهو الأمر الذي كان نتيجة مباشرة للهجرة المفرطة للرجال إلى مناجم جنوب أفريقيا (٢)، فمع تزايد هجرة الذكور وتزايد فترة بقاءهم في جنوب أفريقيا اضطررن إلى لعب دور أكبر في إدارة الشئون المنزلية ، كما اشتغلن في تصنيع البيرة والبغاء وكعاملات في مصانع النسيج (٣) .

وفي الخمسينيات ، ومع تزايد ندرة الأرض المتاحة أمام الزراعة (بالنسبة للأفارقة) وتزايد أعباء الضرائب والطلب على السلع الاستهلاكية ؛ فقد أسهم كل ذلك في اتساع نطاق الهجرة العمالية ، وأصبحت ندرة الأرض هي المشكلة الجوهرية مع تحول الفائض في الإنتاج المحصولي إلى الاعتماد الكلي على الواردات المحصولية ، وهو الأمر الذي تطلب الحصول على دخول incomes لمواجهة هذا الطلب الاستهلاكي المتزايد ، وفي نفس الوقت فإن الصلات القائمة مع الاقتصاد الجنوب أفريقي والمتمثلة في الهجرة العمالية دعمت من نزعة استهلاك السلع المصنعة وجعلت الحاجات الاقتصادية أكثر تنوعاً ، مما دعم من استمرار تزايد الطلب الجنوب أفريقي على العمال من باسوتولاند (٤) .

1- Makoa , F. K. , Debates about Lesotho's Incorporation into the Republic of South Africa : Ideology versus National Survival , Africa Insight , Vol. 26 , No.4 ,(1996) , p. 348
2- Raylies , Carolyn and Wright , Caroline , Female Labour in the Textile and Clothing Industry of Lesotho , African Affairs , Vol. 92 , No. 369 , p. 585.
3- Maloka , Tshidiso , Khomo Lia Oela , Canteens , Brothels and Labour , Migrancy in Colonial Lesotho , 1900 -40 , The Journal of African History , Vol. 38 , No. 1 ,(1997), p. 101.

وتعني Khomo Lia Oela "الماشية تسقط" وهو مثل للسوتو يشير إلى فقدان الرجال للمال عندما يزورون بيوت اللهو أو الدعارة .

4- Lundahl , Mats and Peterson , Lennart , The Dependent Economy , op. cit., p. 40.

جدول رقم (١٥)

الحالة الاجتماعية لنساء الباسوتو

(١٩١١ -١٩٤٦)

الحالة الاجتماعية	١٩١١	%	١٩٣٦	%	١٩٤٦	%
عازبة	١٢٤,٠٩٩	٥٦,٦	١٦٢,٣٠٠	٥٠,٦٣	١٤٨,٣٢١	٤٧,٠٩
متزوجة	٧٧,٣٠٠	٣٥,٣	١١٣,٢٧٣	٣٥,٣٤	١١٧,٧٢٥	٣٧,٣٨
أرملة	١٧,٨٠٧	٨,١	٤٢,١٠٤	١٣,١٣	٤٥,٠٥٦	١٤,٣١
مطلقة	٨	---	٢,٣٤١	٥,٧٣	٢,٢١٦	٠,٧٠
غير معروفة	١٠	---	٥٥٠	٠,١٧	١,٦٢٧	٠,٥٢
إجمالي	٢١٩,٢٢٤	١٠٠	٣٢٠,٥٦٨	١٠٠	٣١٤,٩٤٥	١٠٠

Maloka , Tshidiso , Khomo Lia Oela , op. cit., p.102

ومـــع اســتمرار هــذه الهجــرة كـــان هــناك عائقــاً كبيراً أمام تطور الصناعة داخل باســـوتولاند فـــي ضـــوء أن أجـــور العمـــل فـــي الصـــناعة في باسوتولاند كانت أقل من أجـــور العمـــل فـــي مـــناجم اتحـــاد جـــنوب أفريقيا [١] ، خاصة مع ارتفاع عدد العمال المهاجريـــن مـــن ١٠ آلاف عـــامل فـــي العقـــد الأول مـــن القرن العشرين إلى ٢٠ ألف عـــامل فـــي العقـــد التالـــي ، ووصول هذا الرقم منذ أوائل الستينيات إلى ٨٠ ألف عامل ، مـــع الارتفـــاع المنـــتظم لعـــدد الذكـــور الأفارقة الغائبين من ٢٢ ألف في عام ١٩١١ إلى ١٦٣ ألـــف فـــي عـــام ١٩٥٦ (والغالبـــية العظمى من الغائبين ممن يعملون بصورة غير شرعية في اتحاد جنوب أفريقيا) [٢].

1- Selwyn , Percy , The Dual Economy Transcending national Frontiers : The case of Industrial Development in Lesotho , Institute of Development (The University of Sussex) , Houghton ,(w. d.), and p.11.
2- Lundahl , Mats and Peterson , Lennart , The Dependent Economy , op. cit., p.42

ج-العمالة الوافدة من بتشوانالاند .

تعتبر بتشوانالاند – مقارنة بغالبية الدول الأفريقية – ذات اتساق عرقي ، إذ أنه ما بين ٨٠-٩٠ % من عدد السكان ينتمون لأحد قبائل التسوانا الثمانية الكبرى ، ونسبة أكبر من ذلك من السكان تتحدث نفس اللغة ولها نفس الشكل الثقافي ، وعلى الرغم من تأسيس بريطانيا لتلك المحمية في عام ١٨٩٥ إلا أن زعماء التسوانا ظلوا يحكمون بصورة تكاد تكون غير مقيدة وبدعم من السلطات الاستعمارية حتى منتصف الخمسينيات (١)

وقد كان النظام القبلي في الفترة السابقة على الاستعمار يسيطر على العامة وأقنان الأرض serfs سيطرة تامة (٢) ، وتشكلت خلال القرن التاسع عشر مجتمعات شديدة التراتبية ، وكان الزعماء القبليون هم المسيطرون على الموارد الاقتصادية ، وعلى المدى الطويل على كل من الأرض والعمالة والماشية ، وأصبحوا من أصحاب تراكم الثروة في بتشوانالاند ، وكان هناك نظام الالتزام وحق الانتفاع بالأرض لصالح الزعيم ، ومن خلال النظام المعروف باسم كجاميلو Kgamelo (بمعني أبريق اللبن milk jug) فإنه صار على العامة التزام بتزويد الزعيم باللبن واللحم والقيام بأي مهمة يطلبها منهم (٣) ولم يعارض الاستعمار تلك النظم السائدة ، وتطور التعاون بينه وبين النخبة الحاكمة ، وساعد الاستعمار على تحسين استغلال موارد بتشوانالاند خاصة في مجال إنتاج الماشية (٤) .

وكان مجتمع بتشوانالاند تكافلياً بصورة واضحة ، إذ أنه لدى قبيلة التسوانا يمكن لشخص ما أن يخلف الآخر في القيام بعمل خاص من أجله مثل بناء وتسقيف سطح الكوخ ، وتمهيد الأرض للزراعة وتقطيع الأغصان للكوخ وحفر بئر أو إحضار حزمة خشب وقود ، وتتم كل تلك الأنشطة بالتبادل لكن بشرط الاتفاق سلفاً على

1- Molutsi , Patrick P. and Holm , John D. , Developing Democracy When Civil Society Is Weak : The Case of Botswana , African Affairs , Vol. 89 , No. 356 (July , 1990) , p. 324.
2- Good Kenneth Interpreting the Exceptionality of Botswana , The Journal of Modern African Studies , Vol. 30 , No. 1(March , 1992), pp.71-72.
3- Ibid , p. 67.
4- Ibid, p.72

كيفية هذا التبادل (عمل مقابل عمل) أو مقابل أجر محدد ، لكن لا يتم تسليم هذا الأجر إلا بعد انتهاء العمل تماما ، وثمة نوع من التعاقد على عمل معروف باسم مولالتسا Molaletsa أو لتسيما Letsema والذي بمقتضاه عندما يرغب المرء في إنجاز عمل محدد (مثل تنظيف الأشجار أو تقشير الذرة) فإنه يدعو أصدقائه وجيرانه ليساعدوه في يوم محدد ، ويؤجر كل المشاركين في العمل ، وعادة ما يكون الأجر عبارة عن بيرة أو لبن رائب أو دخان ، وأحياناً يكون عبارة عن لحم أو عصيدة أو ملح (١)

وكان زعيم قبيلة التسوانا يمتلك أعدادا هائلة من الماشية ، تكاد تصل إلى نصف الثروة الحيوانية في البلاد ، ففي بدء حكمه امتلك خاما الثالث Khama ، ما بين ٧-٨ آلاف رأس من الماشية ، وكان دخله الشهري يقدر بثلاثة آلاف جنيه إسترليني يتلقاها من السلطات الاستعمارية مقابل تسهيل السيطرة على أتباعه من أبناء القبيلة ، أما تشيكيدي Tshekedi الذي حكم في منتصف عشرينيات القرن العشرين فقد امتلك ٥٠ ألف رأس وأعلن أنه قد ورث كل ماشية خاما والأراضي التي ترعى فيها هذه الماشية ، وفي عام ١٩٣٨ كان قد تمكن بالفعل من السيطرة على الجزء الأكبر من المحمية ، كما أصبحت نخبة التسوانا شديدة الثراء ، حتى أن الرجال الذين صحبوا تشيكيدي إلى منفاه في رامتسانا Rametsana في أواخر الأربعينيات قد أحضروا معهم ما بين ٢٥ - ٣٠ ألف رأس من الماشية (٢).

وفي ظل هذا الاقتصاد الرعوي - في بيئة بتشوانالاند شبه الصحراوية - كانت المصالح البريطانية على المدى الطويل تحتم دمج اقتصاد المحمية مع اقتصاد جنوب أفريقيا ، ولهذا تم تبسيط الإجراءات الإدارية أمام حركة تنقل الرجال والنساء من بتشوانالاند إلى جنوب أفريقيا للعمل في المزارع والمصانع والمناجم بها ، وفي عام ١٩٣٢ قدر عدد الرجال الذين يعملون في مناجم جنوب أفريقيا بـ ٤٣٠٤ رجل من بتشوانالاند ، وعلى سبيل المثال فإن ما نسبته ٤٤ % من دافعي الضرائب

1- Shapera , I , A Handbook of Tswana Law and Custom , Oxford University Press , London , 1959 , p. 254.
2- Good , Kenneth , At the Ends of the Ladder : Radical Inequalities in Botswana , The Journal of Modern African Studies , Vol. 31 , No. 2 (June , 1993) , p. 209.

من قبيلة باكجتلا Bakagtla كانوا يعملون أو يقيمون خارج المعزل المخصص لهذه القبيلة ، وفي الثلاثينيات أصبح الزعماء مجرد موظفين بأجر تحت سلطة النظام الاستعماري ، الذي كان اهتمامه الأساسي بالمحمية منصبا على جلب العمال منها إضافة الحصول على الماشية لاتحاد جنوب أفريقيا (١) .

ومن أهم الأسباب التي أدت إلى هجرة العمالة من بتشوانالاند إلى جنوب أفريقيا هو الحاجة الاقتصادية ، إذ كانت هناك حاجة ماسة للأموال لدفع الضرائب والوفاء بالالتزامات المالية الأخرى للدولة لشراء تلك السلع التي أصبحت بعد الاتصال بالأوروبيين من الضروريات مثل الثياب والأثاث والمواد الغذائية ، وإضافة إلى ذلك فإنه في المعازل الصغيرة كان يوجد ضغط على الأرض المتاحة والزراعة ، وهو الأمر الذي يجعل من الصعوبة بمكان لبعض الناس أن يجدوا طعامهم أو يرعوا ماشيتهم ، إضافة إلى نقطة هامة يشير إليها د. شابيرا Schapera في دراسة له بعنوان Migrant Labour and Tribal Life (نشرت عام ١٩٤٧) وهي أن بيع الأفريقي من التسوانا لعمله يعد أمراً تقليدياً فمعظم صغار السن كانت تتم تربيتهم على فكرة انهم سيقومون بعمل سحري a spell work في المناجم (٢) .

وبحلول أواخر الثلاثينيات اعتمد اقتصاد بوتسوانا بشدة (كما هو الحال بالنسبة لكل من ليسوتو وسوازيلاند وموزمبيق ومالاوي) على اقتصاد جنوب أفريقيا ، وأصبحت هجرة العمالة من بوتسوانا إلى جنوب أفريقيا أكبر مصدر للدخل لبوتسوانا ليحل هذا النشاط محل الزراعة في الإسهام في الدخل القومي لبوتسوانا ، وقد رسخت أهمية هجرة العمالة إلى جنوب أفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية ، وهو الأمر الذي يمكن إرجاعه إلى :

١- هيمنة سياسة التجاهل البريطانية إزاء الأوضاع الاقتصادية والسياسية في بتشوانالاند وعدم تطوير الموارد المحلية للبلاد .

٢- السياسة المتعلقة بالهجرة العمالية والتي كانت تستفيد من فرض الضرائب على العمال الأفارقة وأسرهم .

1- Parson , Jack , Political Culture in Botswana : A Survey Result , The Journal of Modern African Studies , Vol. 15 , No.4 (Dec., 1977)pp.639-640 .

2- Sillery , A. , The Bechuanaland Protectorate , Oxford University Press , Cape Town , 1952, pp.206-207.

٣- اتفاق الزعامات القبلية على ضرورة استمرار نظام العمالة المهاجرة إلى جنوب أفريقيا .

٤- تعاون الزعماء القبليين مع منظمات تجنيد العمال في الحصول على العمالة في بوتسوانا .

٥- تفضيل السكان البيض في الإنفاق الحكومي ، وكذا الإنفاق على تسويق الماشية وإعطاء البيض السلالات الأفضل منها (١) .

وكان لغياب نسبة كبيرة من الشباب الأقوياء الذين كانت أعمارهم تتراوح ما بين ١٥-٣٤ عاما (وكانوا يتسمون عموماً بانخفاض مستواهم التعليمي) قد أدى إلى تدهور حاد في الاقتصاد الريفي ، وذلك على الرغم من عودة الكثير من هؤلاء الشباب في موسم الحرث ومشاركة النساء في الزراعة ، كما تدهورت تربية الماشية التي كان يقوم على رعايتها الفتيان حتى سن الزواج ، كما أن نظام العمالة المهاجرة قد أثر بشدة على الحياة الاجتماعية للناس ، وكذا انتشار أنماط جديدة من الأمراض وإن كان للإباحية الأخلاقية أيضا دور في ذلك إذ خلفت هجرة العمال تغييرات عديدة على بناء الأسرة التسوانية أسهمت في إضعافه وانتشار الأمراض الجنسية في المجتمع التسواني (٢) ، ويري البعض - في تحليله لذلك التأثير من قبل هجرة العمال على المجتمع التسواني - أن تدافع العمال الذكور في هجرة إلى جنوب أفريقيا قد أدي إلى تدني وضع المرأة في المناطق التي يصيبها ندرة في الأمطار والتي تنجم عنها حالات جفاف في بوتسوانا ، وهو الأمر الذي أثر بدوره على وجود علاقات جنسية عابرة كبديل عن الزواج الثابت نظرا للمهور العالية من الماشية (٣) .

1- Mhone , Guy , Botswana Economy Still an Enclave , Africa Development (Journal of Council for the Development of Social Science Research in Africa , Dakar) , Vol. XXI , Nos. 2-3 , 1996 , p. 94.

2- Gaisie , Samuel Kwesi , Fertility Transition in Botswana , Journal of Contemporary African Studies , Vol. 16 , No. 2 (1998) , p. 279.

- Sillery , A. , The Bechuanaland Protectorate , op. cit., pp.206-207.

3- Glikman , Maurice , Thoughts on Certain Relationships Between gender , Kinship and development Among the Tswana of Botswana , African Studies , Vol. 47 , No.2 , 1988 , p. 81.

جدول رقم (١٦)

مصادر الدخل في بتشوانالاند (بالجنيه الإسترليني)

(المتوسط في الفترة ١٩٤٢-١٩٤٥)

المصدر	المبلغ	% من الإجمالي
بيع الإنتاج الزراعي	٢٤٢,٥٠٠	%٣١,٥
العمل داخل الدولة	١٣٥,٨٠٠	%١٧,٧
حصص من مدفوعات الجيش	٦١,٠٠٠	%٧,٩
العمل خارج الدولة	٣٣٠,٠٠٠	%٤٢,٩
الإجمالي	٧٦٩,٣٠٠	%١٠٠

Morapeal , Wazha G. , Migrant Labour and the Peasantry in the Bechuanaland Protectorate , 1930-1965 , Journal of Southern African Studies , Vol. 25 , No.2 , (June , 1999) , p. 210

كمـــا شـــكلت أجـــور العمالـــة المهاجـــرة للاتحاد مصدراً أولياً من النقد للمحمية ، فقد كانـــت نســـبة العمـــال المهاجريـــن تســـاوي ربع الذكور البالغين ، وتصل بعض التقديرات بالنســـبة إلـــى ثلـــث الذكـــور البالغيـــن ، كما قدر دخل العمال سنوياً بنحو ٧٢٤ ألف جنيه إســـترليني (فـــي أوائـــل الخمســـينيات) يصـــل مـــنها ٣٣٠ ألف جنيه إسترليني للمحمية سواء بطريقة الدفع المباشر أو بطرق أخرى (١).

وأصـــبح واضـــحاً أن تحـــول النخـــبة القبلـــية الحاكمـــة فـــي بتشواناالاند إلى مجرد بورجوازيـــة صـــغيرة تملـــك بعـــض وســـائل الإنـــتاج لكـــنها عاجـــزة عن تحقيق تراكم رأســـمالي فـــي ثـــروتها فـــي ظل سيطرة سوق الماشية في اتحاد جنوب أفريقيا وإجراءات الإدارة الاســـتعمارية المـــتحكمة فـــي النشـــاط الاقتصـــادي فـــي المحمـــية وعملية التحول البيروقراطـــي bureaucratization التـــي فرضـــتها الإدارة علـــى النخبة القبلية لتصبح ذات دور إشـــرافي مـــنفذ لسياســـة الإدارة الاســـتعمارية (٢)، أصـــبح واضـــحا أن هـــذا الـــتحول وثـــيق الصـــلة بتشـــجيع الإدارة الاســـتعمارية لهجـــرة العمال من بتشواناالاند إلى اتحـــاد جـــنوب أفريقـــيا ، وهـــو التشـــجيع الذي تمثل في الترتيب مع هيئة تجنيد الوطنيين وجمعـــية ويـــتووترزراند لتجنـــيد العمـــال الوطنييـــن ، وتشجيع عمل وكالة الراند بصورة خاصة (٣).

وكـــان عـــدد العمـــال المهاجريـــن ســـنويا من بتشواناالاند إلى جنوب أفريقيا يتراوح حـــول رقـــم ٢٠ ألـــف عـــامل فـــي أواخـــر الأربعينـــيات مقارنة بنحو ٢٣ ألف عامل في الفـــترة الســـابقة علـــى انـــدلاع الحـــرب العالمـــية الثانية ، وكانت بريطانيا تعطي الأولوية فـــي المحمـــية لتشـــجيع الإنـــتاج الحيواني وهجرة العمال على حساب أي دور لبتشواناالاند فـــي القطـــاع الـــتجاري أو الـــزراعة ، وكـــان اهـــتمام بريطانـــيا المحـــدود بالزراعة في بتشواناالاند راجعاً إلى قلة عدد المستوطنين الأوروبيين في المحمية(٤).

1- Gaisie , Samuel Kwesi , Fertility Transition in Botswana, op. cit., p. 279.
2- Parson , Jack , Cattle , Class and the State in Rural Botswana , Journal of Southern African Studies , Vol. 7 , No.2 , (April , 1981) , p. 240.
3- Picard , lowis A. , The Politics of Development in Botswana : A Model for Success ? , Lynne Rienner Publishers , Boulder , 1987, pp. 111-112.
4- Ibid, pp112-113.

ومع مطلع الستينيات وصل معدل تزايد قوة العمل في بتشوانالاند إلى عشرة آلاف عامل سنويا ، إلا أن صناعة التعدين في بتشوانالاند لم يكن يمكنها استيعاب كل هذه الزيادات كما أن نسبة كبيرة من قوة العمل تتسم بكونها عمالة متنقلة وتتحكم فيها عوامل موسمية وكذا معدلات سقوط الأمطار ، إذ أن مواسم الجفاف تدفع الناس إلى البحث عن وسائل بديلة لمواصلة الحياة ، وهو الأمر الذي ينتج عنه زيادة منتظمة في البطالة داخل مدن بتشوانالاند ، وأدت الظروف الضاغطة على القطاع الزراعي – خاصة منذ أوائل الستينيات – والناتجة عن طول فترات الجفاف بالتضافر مع نمو المراكز الحضرية خاصة في جابروني Gaborone إلى ظهور مشكلة البطالة الحضرية ومن ثم تزايد إلحاح الحاجة للهجرة المؤقتة إلى اتحاد جنوب أفريقيا للعمل فيه [١] ، وهي الهجرة التي حلت مشكلة البطالة في بتشوانالاند في مطلع الستينيات إذ أنه كان هناك نحو من ١٢% من قوة العمل في بتشوانلاند تعمل في اتحاد جنوب أفريقيا (مع الأخذ في الاعتبار أن النساء كن يشكلن نسبة كبيرة من قوة العمل داخل المحمية لكنهن لم يهاجرن للعمل في الاتحاد كالرجال) [٢] ، ويقدم إسماعيل سماتر مؤشراً آخر لأهمية هذه الهجرة بذكره أن الهجرات العمالية من بتشوانالاند كانت تستوعب نحو ٦٠ % من عدد دافعي الضرائب في المحمية ، وهي نسبة كبيرة توضح مدى اعتماد الإدارة الاستعمارية على عائدات هؤلاء العمال [٣] .

1- Toure , Mamoudou , Surveys of African Economics , Vol.5 : Botswana , Lesotho , Swaziland , Burundi , Equatorial Guinea and Rwanda , International Monetary Fund , Washington , 1973 .p.64.
2- Jackson , Dudley , Income Differentials and Unbalanced Planning , The Case of Botswana , The Journal of Modern African Studies , Vol. 8 , No.4 (December , 1970) , p. 562.
3- Samatar , Abdi Ismail , An African Miracle , State and Class Leadership and Colonial Legacy in Botswana Development , Heinemann , Portsmouth , 1999, p. 51.

د- العمالة الوافدة من سوازيلاند .

عانت دولة سوازيلاند من مصاعب اقتصادية عديدة ، فقد كان نظام حيازة الأرض عائقاً من ضمن عوائق التقدم الاقتصادي الصناعي في باسوتولاند ، إذ اقتصرت حيازة الأرض على الزعيم القبلي ، والذي تحكم في الأرض ومن عليها من عمال [1] ، وكان قبول الفئة الحاكمة الأفريقية لهيمنة البيض والتبعية لهم قد كون مجتمعاً مزدوجاً ، وبدأت هذه الازدواجية تزداد حدة بصدور قانون الأرض عام ١٩٠٧ الذي سهل تحويل ملكية ٦٣% من مساحة المملكة لأراضي تابعة للتاج ، وظل ٣٧% من مساحة المملكة أرضاً مشاعاً ، وتم تمليك المزارع الواسعة للبيض ، لتحدث أزمة زراعية بالنسبة للأفارقة وتكون هجرة العمال للعمل في مناجم الاتحاد هي الحل المنطقي [2] ، وكان من الأسباب الأخرى ضعف القوة الشرائية للسكان ، وعدم توفر الطاقة الكهربائية (على الرغم من توفر الموارد المائية) ، وصعوبة منافسة المؤسسات الصغيرة في باسوتولاند منتجات الصناعة الجنوب أفريقية ذات الإنتاج الكبير والقريبة جغرافياً منها (خاصة ناتال والترانسفال) ، وإضافة إلى كل ذلك وضع باسوتولاند كدولة حبيسة داخل اتحاد جنوب أفريقيا [1] .

ويمكن مقارنة سوازيلاند بالبانتوستانات المجاورة لها (في اتحاد جنوب أفريقيا) ، فقد كانت الأسرة الحاكمة في فترة ما قبل الاستقلال تتلقى مساعدة تنظيمية من قبل الحزب الوطني الحاكم في اتحاد جنوب أفريقيا ، وقد كون أفراد الأسرة الحاكمة في سوازيلاند بورجوازية صغيرة ، ولم تكن لهم أي تحفظات على

1- Spence , J. E., Lesotho , The Politics of Dependence , Institute of Race Relations , London , 1968 , p. 62.
2- Sihlongonyane , Mfaniseni , Development Planning in Swaziland : A Historical Overview , Africa Insight , Vol. 28 , Nos. 1-2 , (1998) , pp. 69-70.
3- Spence , J. E., Lesotho , The Politics of Dependence, op. cit., p. 62.

الحفاظ على مصالحهم وإن كانت ضد شعب السوازي [١]، كما لم تشهد سوازيلاند أية إصلاحات في نظام الحكم خلال الثلاثينيات والأربعينيات من القرن العشرين على عكس العديد من المستعمرات البريطانية الأخرى ، وعلى الرغم من محاولات الحد من سلطات سابهوزا Sabhuza كزعيم للبلاد في عامي ١٩٤٤ و ١٩٥٠ فإنه لم يتم على أرض الواقع تغيير أوضاع الأفارقة واستمرار تحكم الزعيم في العمالة والأراضي الزراعية [٢].

ويقدر عدد العمال الذين يعملون سنويا في جنوب أفريقيا من سوازيلاند بما بين ١٣-١٤ ألف عامل وفقا لأرقام تراخيص المرور المقدمة رسميا ، وفي عام ١٩٣٨ كان هناك ١٣,٩٤٦ عامل أفريقي من سوازيلاند يعملون في مناجم الراند ، وكانوا مقسمين كما يلي :

عدد المجندين بعقد	٦,١٥٣	%٤٤,١
عدد المجندين وفق نظام المساعدة التطوعية The Assisted Voluntary System	١,٨٧٧	%١٣,٥
بحث ذاتي عن العمل	٢,٥١٥	%١٨
زيارة وأعمال خاصة	٣,٤٠١	%٢٤,٤

وكانت غالبية هؤلاء العمال يعملون في مناجم الراند وفي مناجم الفحم والأسبستوس حول باربرتون Barberton وفي مناجم الفحم في شرقي الترانسفال وناتال ، وهذا الرقم المذكور هو ضعف عدد العمال داخل سوازيلاند ، وفي استبيان قامت به هيلدا كوبر (في منتصف الأربعينيات) داخل مقار رابطة تجنيد العمال الوطنيين بجوهانسبرج مع ٥٢ عاملاً من السوازي كان هناك سؤال عن سبب الالتحاق بالعمل في اتحاد جنوب أفريقيا ، وأكد ٣٩ عاملاً على أن السبب الأهم هو الضغوط الاقتصادية مثل عدم كفاية الأرض أو أعباء الضرائب أو الحاجة لشراء طعام أو الديون ، ووفق الاستبيان كان هناك ٥٠ حالة من العامة ، وحالتين من أبناء

1- Bischoff , Paul-Henri , Why Swaziland is different : An Explanation of the Kingdom's Political Position in Southern Africa , The Journal of Modern African studies , Vol. 26 , No. 3 , (September 1988) , pp.457-458.
2- Picard , Louis A. , Traditionalism , The Bureaucracy and Local Administration : Community and Change in Swaziland , The Journal of African studies , Vol. 13 , No. 4 (Winter 1986-1987) , p. 118.

الزعماء لكن من زوجتين غير هامتين (١)

وتتميز هجرة العمال السوازي غير المهرة إلى جنوب أفريقيا بأنها هجرة موسمية ومؤقتة وقصيرة الأجل للغاية ، إذ لا تتجاوز مدة تسعة أشهر نظراً لقرب المسافة بين المحمية ومناطق الإنتاج الرئيسية ، وقد قدر إجمالي سكان سوازيلاند في إحصاء عام ١٩٥٦ بـ ٢٤٠,٥١١ نسمة ، من بينهم ٢٣٣,٢١٤ من الأفارقة (بنسبة ٩٧% من إجمالي عدد السكان) و ٥,٩١٩ من الأوروبيين (بنسبة ٢,٤ %) و ١,٣٧٨ من الأفارقة الأجانب (بنسبة ٠,٦ %) ، كما تضمن الإحصاء أن ١١,٧٢٨ من السوازي يعملون خارج البلاد بصورة مؤقتة (بنسبة ٤,٩% من إجمالي عدد السوازي) مقارنة بتسعة آلاف عامل في عام ١٩٥٠ ، أي بزيادة محدودة ، وفي المقابل يعمل نحو ٣,٤٧٠ أفريقياً من خارج سوازيلاند مؤقتاً في البلاد ، وفي الفترة ١٩٤٦ – ١٩٥٦ تزايد السكان الأفارقة بنحو ٥١,٩٤٥ منهم ٤,٨٥٤ عن طريق الهجرة ، وعلى الرغم من أن إجمالي الأفارقة من غير السوازي يقدر بـ ٨,٠٤٨ أو ما نسبته ٣,٤ % من إجمالي السكان الأفارقة إلا أن معدل زيادة المهاجرين تزايد بنحو ١٥٢% (٢) .

وهو الأمر الذي كان يعني أن حركة هجرة العمال من سوازيلاند لم تكن ذات تأثير خطير سواء بالنسبة لاقتصادها أو بالنسبة لاقتصاد اتحاد جنوب أفريقيا ، فقد كانت سوزايلاند تخدم خطوط السكك الحديدية الجنوب أفريقية ، خاصة عند مدينة مانزيني Manzini وهي أكبر رقعة استيطانية في سوازيلاند وينظر إليها باعتبارها المركز التجاري للبلاد ، وكان الموقع الاستراتيجي لتلك المنطقة الوسطى أكثر وضوحاً عندما قررت إدارة السكك الحديدية الجنوب أفريقية South African

---

1- Spence , J. E., Lesotho , The Politics of Dependence, op. cit., pp. 16-17.

2- Kuper , Hilda , The Swazi : A South African Kingdom , Holt , Rinehart and Winston , New York , 1963 , pp. 76-77.

- Hailey , Lord ,Native Administration in the British African Territories , Part V. , Commonwealth Relations Office , London , 1953 , p. 345.

Railways جعلهـــا مقـــراً لمعـــدات الـــنقل فـــي المديـــنة ، ومنذ ذلك الحين زادت أهمية مانزينـــي الـــتجارية (١) ، وكانـــت التبعـــية لاقتصـــاد جـــنوب أفريقيا تقوم على الاستغلال الأمـــثل لهـــذه المـــنطقة الحضـــرية (حـــول مانزينـــي) كـــنقطة تجمـــع لخطوط السكك الحديدية بين موزمبيق واتحاد جنوب أفريقيا .

1- Lea , John P. , Underlying Determinants of Housing Location : A Case Study from Swaziland , The Journal of Modern African Studies , Vol. 11 , No. 2 (June , 1973) , p. 212.

هـ - العمالة الوافدة من نياسالاند .

كانت نياسالاند مورداً هاماً للعمال الداخلين في سوق العمل الجنوب أفريقية ، وإن تحولت إلى إمداد روديسيا الجنوبية وحدها بالعمال منذ عام ١٩٥٣ بعد قيام اتحاد روديسيا ونياسالاند (١٩٥٣-١٩٦٣) ، وتعود هجرة العمال من نياسالاند إلى جنوب أفريقيا إلى القرن التاسع عشر ، ومنذ البدايات الأولى لهذه الهجرة أصبحت مقاطعة ديدزا Dedza في الإقليم الأوسط من نياسالاند هي المركز الأكبر في نياسالاند لتجنيد العمال لصالح جمعية تجنيد العمال الوطنيين ، وذلك لأن هذه المقاطعة افتقدت قيام نشاط زراعي يستوعب الأيدي العاملة الموجودة فيها (١) .

ولم تشهد نياسالاند خلال الحكم الاستعماري أية توسعة في ملكية الأرض أو أي عمل توسعي للمزارعين من صغار الملاك ، وتم تخصيص الأراضي الخصبة للمستوطنين الأوروبيين ، وكانوا هم وحدهم الذين يتلقون خدمات زراعية استشارية ، وكانت تفرض على صغار الملاك الأفارقة التوصيات الزراعية ، أما الملاك الأصغر فقد أجبروا على اتباع التعليمات الزراعية(٢)، وهو الأمر الذي كان يتسق مع طبيعة الاقتصاد الاستعماري البريطاني ، إذ خضعت نياسالاند كلية لهذا الاقتصاد ، وترسخت هيمنة المزارعين المستوطنين في زراعة المحاصيل النقدية مثل البن والتبغ ، هذا في الوقت الذي استورد فيه المستوطنون البضائع الاستهلاكية المصنعة لأنه لم يكن ثمة صناعة تحويلية محلية ، أما المزارعين الأفارقة فقد قاموا بزراعة المحاصيل المعيشية الضرورية ، باستثناء بعض المزارعين الذين زرعوا بالتنسيق مع المزارعين الأوروبيين القطن والتبغ بهدف التصدير من خلال بيعها لهيئات تسويقية أو من خلال الملاك الأوروبيين ، وكان هذا الضغط على الأراضي

1- Englund , Harri , The Self in Self-interest : Land , Labour and Temporalities in Malawi's Agrarian Change , Africa , Vol. 69 , No.1 , 1999 , p. 147 .

2- Nambote, M. A., Agricultural Extension Policy in Malawi: Past Experiences and Future Directions (in: Ahmed, Abdel Ghaffar M. and Mlay Wilfred (eds.), Environment and Sustainable development in Eastern Africa: Some Critical Issues), Macmillan Press Ltd., London, 1998, p. 178.

الزراعية – المتمثل في ترك مساحة ضئيلة للغاية للمزارعين الأفارقة بعد إخضاع معظم هذه الأراضي للسيطرة الأوروبية – قد سبب اندفاع موجات من العمال المهاجرين خارج نياسالاند ، مع الأخذ في الاعتبار هيمنة الآسيويين على التجارة في البلاد (١) وقيام المستوطنين الأوروبيين باستقدام عمال للعمل في مزارعهم ، ففي عام ١٩٤١ على سبيل المثال كانت نسبة العمالة الوافدة من شرق أفريقيا البرتغالية في مزارع الشاي في نياسالاند تبلغ ٢٥ % من إجمالي العمالة الأفريقية في هذه المزارع ، وكانت هذه النسبة في الفترة ما بين عامي ١٩٥٤ و ١٩٥٩ تتراوح ما بين ١٥,٦ % إلى ٢٥,٥ % من إجمالي العمال الأفارقة (٢) ، وهما الأمران اللذان شكلا ضغطاً إضافياً على العمال المحليين للهجرة خارج البلاد .

وارتبط التوسع في الطلب على العمال المحليين في نياسالاند بترك اتحاد جنوب أفريقيا لقاعدة الذهب عام ١٩٣٣ ، وهو الأمر الذي أعقبه توسع سريع في إنتاج الذهب ، وقامت جمعية العمال الوطنيين من جهتها بتوسيع نطاق بحثها عن العمال داخل أقاليم أفريقيا الجنوبية ، وفضلت حكومة نياسالاند نظام التعاقد الذي تعتمده الجمعية كأفضل بديل عن التدفق عن المنتظم للعمال من المحمية ، لأن هذا النظام كان يضمن إعادة العمال بعد انتهاء فترة تعاقدهم ، وإدخال دخل لحكومة المحمية وهو الأمر الذي لعب دوراً هاماً في التطور الاقتصادي (٣) .

1- Kaunda, Jonathan Mayuyuka, Malawi: The Post-Colonial State, development and Democracy, Africa (Rivista Trimestrale di Studi e Documentazione dell' Instituto Italo-Africano, Roma), Anno L, N. 3 (Setembre, 1995), pp. 309- 310.
2- Palmer , robin , Working Conditions and Worker Responses on Nyasaland Tea Estates , 1930- 1953 , The Journal of African history , Vol. 27 , No.1 (1986) , p. 108.
3- Johnson , David , Settler Farmers and Coerced African Labour in Southern Rhodesia , 1936-46 , The Journal of African History , Vol. 33 , No. 1 (1992) , p. 113.

وخـــلال الثلاثينـــيات حـــدث توســـع كبـــير فـــي إنـــتاج الشـــاي في نياسالاند ، إذ تنافســـت مؤسســـتا ذي كولـــو The Cholo و ملانجـــي بلانـــترز Mlanje Planters علـــى تقســـيم ١٧ ألـــف آكـــر وهـــي المســـاحة التـــي حددتهـــا لجـــنة الشـــاي الدولـــية International Tea Committee لنياســـالاند لـــزراعة الشـــاي ، وهمـــا المؤسســـتان اللـــتان جلبـــتا عمـــالاً مـــن موزمبـــيق لتقوم بالأعمال الأكثر دونية التي لا يقوم بها عمال نياســـالاند نظـــرا للتدنـــي الشـــديد فـــي أجـــور هذه الأعمال ، مما أدى إلى تدهور حاد في الأجـــور للعمـــال المحلييـــن وتضـــاعف حـــركة الهجـــرة من البلاد إلى روديسيا الجنوبية واتحـــاد جـــنوب أفريقـــيا ، وكـــان انتشـــار الســـكك الحديديـــة يعني أيضا انخفاض تكلفة الأجور لهذه العمالة (١) .

غـــير أنـــه مـــع انـــدلاع الحـــرب العالمية الثانية حدثت ظاهرة ملفتة بالنسبة لحكومة نياســـالاند ، إذ قامـــت جمعـــية تجنـــيد العمـــال الوطنيين بتسخير العمال الأفارقة المجندين مـــن الـــبلاد للخدمـــة فـــي الكتائـــب الأفريقية لدعم القوات العسكرية المشاركة في الحرب ، لـــذا فرضـــت حكومـــة نياســـالاند حظـــرا علـــى قيام الجمعية بتجنيد العمال خلال الفترة ١٩٣٩-١٩٤٢ (٢).

وعلـــى الـــرغم مـــن الـــبعد السياسي لهذا القرار ، فإنه كان ثمة بعد اقتصادي له ، وربمـــا تجـــاوز فـــي أهميـــته الـــبعد السياسي ، إذ طبقت الحكومة البريطانية في نياسالاند مشـــروعاً زراعـــياً عـــرف باســـم Master Farmers' Scheme لمواجهة الآثار الناجمة عـــن تدنـــي الإنـــتاج الزراعـــي فـــي هذه الفترة ، وباعتبار أن هذه الآلية جزء من آليات قـــانون التنمـــية والرفاهـــية الاســـتعماريتين The Colonial Development and Welfare Act الصـــادر عـــام ١٩٤٠ والـــذي تـــم إقـــراره لمعالجة المشاكل التي طرأت في المستعمرات البريطانية مثل عدم كفاية الإمدادات الغذائية وتفشي البطالة (٥٧) .

1- Palmer , Robin , White Farmers in Malawi : Before and After the Depression , African Affairs , Vol. 84 , No. 335 (April , 1985) .p.216.
2- Johnson , David , Settler farmers and Coerced African Labour in Southern Rhodesia , 1936-46 , The Journal of African History , Vol. 33 , No. 1 (1992), p. 114.
3- Kalinga , Owen , J. M. , The Master Farmers' Scheme in Nyasaland , 1952 - 1962 : A Study of a Failed Attempt to Create a " Yeoman " Class , African Affairs , Vol. 92 , No. 368 (July , 1993) , pp. 367-370.

وكان يتم – بمقتضى هذه الآلية – اختيار بعض الفلاحين الأفارقة الذين يطبق عليهم هذا النظام ، ويكونون بطبيعة الحال من ذوي الهيمنة والسلطة في المنطقة التي يقيمون بها ، ويقدم لهؤلاء المزارعين بذور ومخصبات وأدوات وخدمات استشارية ، وكانت فكرة هذا النظام هي وجوب خضوع أولئك الزراع للممارسات الزراعية الموصى بها ، ومن ثم يقوم جيرانهم بالنقل عنهم ، لكن ذلك لم يحدث أبدا لأن المزارعون الذين يطبقون الآلية كانت لديهم الثروة التي تمكنهم وحدهم من أداء ذلك ، في حين أن المزارعين الصغار لم تكن لديهم أية إمكانات لفعل ذلك [١] ، وتم تعيين وزير زراعة جديد لتنفيذ الآلية وهو ريتشارد كيتلويل R. Kettlewell والذي رأي ضرورة تفكيك التجمعات الريفية القائمة وإعادة ترتيبها وتخصيص إنتاجيتها من الموارد المختلفة وتقديم قروض للعمالة الزراعية ، إلا أن الذين استفادوا من هذه التغييرات كان معظمهم رؤساء قرى أو زعماء قبليين [٢] ، لذلك أصبحت هجرة العمال هي الحل الأمثل للعمال الذين لا يجدون الفرص الملائمة داخل بلادهم ، ووفقا للتقديرات الرسمية في نياسالاند عن عام ١٩٣٦ فإنه كان هناك ٤٩ ألف مواطن أفريقي نياسالاند يعملون في داخل البلاد مقارنة بـ ١٢٠ ألف يعملون خارجها (بنسبة ٢٤٥% من حجم قوة العمل داخل البلاد) ، منهم ٨٣% يعملون في الروديسيتين الشمالية والجنوبية و ١٧% في جنوب أفريقيا [٣] ، وعمل عدد كبير من العمال النازحين من نياسالاند في الأعمال الزراعية ، إذ تشير الإحصاءات إلى أن عدد من عملوا في مناجم الذهب في جنوب أفريقيا من نياسالاند كان ٤٩ عاملا في عام ١٩٣٥ ، و ٨,٠٣٧ في عام ١٩٤٠ ، و ٤,٩٧٣ في عام ١٩٥٠ [٤].

1- Nambote, M. A., Agricultural Extension Policy in Malawi, op. cit., pp. 178-179.
2- Kalinga , Owen , J. M. , The Master Farmers' Scheme in Nyasaland, op. cit., p. 370.
3- Christianses , Robert E. and Kydd , Jonathan G., The Return of Malawian Labour from South Africa and Zimbabwe , The Journal of Modern African Studies , Vol. 21 , No.2 , (January , 1983) , p. 313.
4- Jonathan , Crush , An Historical Overview of Cross-Border Movement in Southern Africa , op. cit. , p. 15.

ولجأت نياسالاند إلى تشجيع هجرة العمالة منها إلى كل من روديسيا الجنوبية واتحاد جنوب أفريقيا لتغطية عجزها التجاري مع هاتين الدولتين خاصة خلال فترة الأربعينيات والخمسينيات [١] بعد فشل الإصلاح الزراعي في نياسالاند وحدوث عمليات تدمير للتربة على نطاق واسع نتيجة لاعتماد وسائل خاطئة في الري والاستنزاف المفرط لخصوبة التربة [٢] ، في الوقت الذي اعتادت فيه روديسيا الجنوبية الاستعاضة عن نقص العمالة لديها باستقدام العمالة من نياسالاند [٣] ، وكان هذا الهدف أحد أسباب قيام اتحاد وسط أفريقيا عام ١٩٥٣ ، وأصبح تجنيد عمال نياسالاند لصالح مناجم الذهب في جنوب أفريقيا يتم في روديسيا الجنوبية (وصل عددهم في عام ١٩٥٥ إلى ١٢,٤٠٧ وفي عام ١٩٦٠ إلى ٢١,٩٣٤ نظرا لارتفاع الأجور في الاتحاد مقارنة بروديسيا الجنوبية).

ويرى وليام هاوس أن السبب الرئيس وراء اندفاع العمال للعمل خارج نياسالاند كان هو الفقر ، والذي أرجع أسبابه إلى :

- فرص التوظيف المحدودة في سوق العمالة .
- ضعف إنتاجية الأرض والعمال وهو الذي كان يعوق تكافؤ عوامل الإنتاج مثل رأس المال والتكنولوجيا مع النمو المتسارع لقوة العمال .
- انخفاض مستويات رأس المال البشري نتيجة لضعف الصحة والتعليم الأساسي والتدريب .
- النمو السكاني السريع الذي يزيد من الضغوط على موارد الأرض وأسواق العمالة وكفاءة الخدمات الاجتماعية [٤] .

1- Chilivumbo , Alifeyo , On Rural Development : An Note on Malawi's Programmes of development for Exploitation, Africa Development , Vol. III , No.2 (April-June , 1978) , p.51.
2- Nambote, M. A., Agricultural Extension Policy in Malawi, op. cit., pp. 178-179.
3- Myer , Edgar and Ames , Glenn C. W. , Land Tenure and Agricultural Development in Zimbabwe , The Journal of African Studies , Vol. 11 , No.2 (Summer , 1984) , p. 84.
4- House , William J. and Zimalirana , George , Rapid Population Growth and Poverty Generation in Malawi , The Journal of Modern African Studies , Vol. 30 , No. 1 (March , 1992) , p. 147.

واستمرت حركة هجرة العمال من نياسالاند إلى اتحاد جنوب أفريقيا حتى منتصف الثمانينيات ، ولم تتعرض هذه الهجرة خلال هذه الفترة سوى لهزة واحدة في عام ١٩٧٤ عندما عادت جثث ٧٤ عاملاً من نياسالاند كانوا يعملون في جنوب أفريقيا بعد حادث تحطم الطائرة التي كانت تقلهم في فرانسيستاون Francistown ، وأعلن الرئيس النياسالاندي باندا عن منع كل أنشطة تجنيد العمالة في بلاده ، وهو القرار الذي كلف صناعة التعدين الجنوب أفريقية خسارة قدرها نحو ٧ملايين راند ، وقام باندا بإغلاق المباني التابعة لكل من منظمة ويتووترزراند للعمالة الوطنية وجمعية العمال الوطنيين والمكتب الروديسي للعمالة الوطنية Rhodesian Native Labour Bureau والذي كان يعرف محليا باسم مثانديزي Mthandizi ، مع ملاحظة أن عمل الأخير كان قد توقف بالفعل وبصورة رسمية في أواخر خمسينيات القرن العشرين [١]، لتتوقف الحركة بشكل مؤقت ثم تعود لطبيعتها مرة أخرى ، لكن بمعدلات متدنية للغاية ، فقد بلغ عدد العمال المهاجرين لمناجم الذهب في جنوب أفريقيا عام ١٩٧٠ ٧٨,٤٩٢ عاملاً ، بينما وصل عددهم في عام ١٩٧٥ إلى ٢٧,٩٠٤ ، وكان هذا الانخفاض رهنا بعوامل أخرى غير الحادث المذكور [٢] .

1- Chirwa , Wiseman Chijere , The Malawi Government and South African Labour Recuiters , 1974 - 92 , The Journal of Modern African Studies , Vol. 34 , No. 4 (December , 1996)p. 455.

2- Jonathan , Crush , An Historical Overview of Cross-Border Movement in Southern Africa , op. cit. , p. 15.

و- نظام العمالة الوافدة من بقية دول إقليم أفريقيا الجنوبية .

شـهد إقلـيم أفريقـيا الجنوبـية نظـم حكـم اسـتيطانية ، حيـث قامت القوات العسـكرية التـي احتلـت أنحـاء هذا الإقليم بتسهيل استقدام العناصر الأوروبية للاستيطان فـيه ، وهكـذا أسـس المسـتوطنون الأوروبـيون دولاً محلـية على نمط الدولة الإقليمية الأوروبـية European Metropolitan State بحيـث تكـون هـذه الـدول ملائمـة لتوسـع القطـاع الرأسـمالي القـائم علـى العمالـة الرخيصـة مـن السـكان الأصليين المسـتعمرين كمـا كـان الرأسـماليون المسـتوطنون مـتفقون تمامـاً علـى الاتساق مع محـددات الـتفرقة العرقـية بمـا يضـمن تهمـيش الغالبية العظمى من السود على أساس العـرق ، وتعتـبر حالـة جـنوب أفريقـيا هي الحالة الأكثر تجسيدا لذلك ، إضافة إلى كل من روديسيا الجنوبية والمحميات البريطانية في الإقليم (١) .

ومـع انـتهاء حـرب الـبوير فـي جـنوب أفريقيا (١٩٠٢) فإن مناجم الذهب بالترانسـفال ضـاعفت مـن إنـتاجها ، وطلبت الحصول على مزيد من العمالة الرخيصة ، وتولـت جمعـية تجنـيد العمـال الوطنيـين هـذه المهمة ، وأجرت مفاوضات حثيثة مع الحكومـة الاسـتعمارية الألمانـية فـي جـنوب غـرب أفريقيا الألمانية ، وحصلت جمعية تجنـيد العمـال الوطنيـين بمقتضـى الاتفـاق الذي تم التوصل إليه على حق تجنيد العمالة الأفريقـية فـي الـبلاد فـي مقـابل أن تقـوم جمعـية تجنيد العمال الوطنيين بضمان فتح أسـواق الماشـية فـي الترانسـفال أمام الاستيراد من جنوب غرب أفريقيا الألمانية ، وكذا دفـع عشـرين ماركـاً ألمانـيا للسـلطات الألمانـية علـى كل عامل يتم تصديره لصالح جمعـية تجنـيد العمـال الوطنيـين (٢) ، وظـل هـذا الاتفـاق سارياً مع إدخال تعديلات طفـيفة علـى قـيمة مـا يـتم دفعه للحكومة الألمانية ، وتزايد معدل الهجرة بعد قيام قوات جنوب أفريقيا باحتلال المستعمرة عام ١٩١٥ .

1- Rich , Paul , The Peripheralisation of Africa in Global Politics (in : Bakut , Bakut Tswah and Dutt , Sagarika (eds.) , Africa at the Millennium : An Agenda for Mature Development , Palgrave Publishers Ltd. , London , 2000.pp. 16-17 .

2- Gewald , Jan-Bart , The Road of the Man Called Love and Sack of Sero : The Herero- German War and the Export of Herero labour to the South African Rand , The Journal of African History , Vol.40 , No.1 (1999) , p. 25.

وبالنسبة لروديسيا الجنوبية فقد كان توجه رأس مال شركة جنوب أفريقيا البريطانية في أواخر القرن التاسع عشر يقوم على افتراض استغلال عائدات الذهب الذي يمكن العثور عليه في روديسيا بجانب العائدات الهائلة لويتووترززراند ، وفي عام ١٩١٠ بعد تكوين اتحاد جنوب أفريقيا ثبت خطأ هذا الافتراض ، وبدأ التأكيد على أهمية النشاط الزراعي في روديسيا (١) ، و كان هناك نحو خمسة آلاف مالك أبيض للمزارع التجارية في زيمبابوي وكانوا مسئولين عن ٩٠% من الناتج الزراعي لزيمبابوي كلها ، بينما عمل ما يزيد على مليون فلاح أفريقي فيما سمي بأراض الوصاية القبلية tribal trust lands وكانوا ينتجون ما قيمته ٥%فقط من إنتاج البلاد من الحبوب والقطن (٢) ، ونظرا لحاجة روديسيا الجنوبية من العمالة فإنها كانت وسيطاً هاماً لنقل العمال الأفارقة إلى اتحاد جنوب أفريقيا وكان لجمعية تجنيد العمال الوطنيين مندوبين في سالزبوري خاصة بعد الحرب العالمية الثانية ، وكان هؤلاء المندوبين يرأسون معسكرات ترحيل العمالة التي يتم فيها فحص الأفارقة القادمين من المستعمرات البرتغالية لاختيار العناصر الملائمة للعمل في المناجم في جنوب أفريقيا (٣) .

وكان احتياج اقتصاد روديسيا الجنوبية للعمالة الأفريقية من خارج راجعا إلى عمل الأفارقة الوافدين في الأعمال التي لم تكن تلقى إقبالاً من رجال القبائل في روديسيا الجنوبية ، خاصة أن مستوى معيشتهم كان أفضل نسبياً من تلك العمالة الوافدة من قري نيسالاند ، وموزمبيق ، وبتشوانالاند وروديسيا الشمالية. (٤)

---

1. Bratton , Michael , Structural Transformation in Zimbabwe : Comparative Notes from the Neo-Colonialization of Kenya , The Journal of Modern African Studies , Vol. 15 , No.4 (Dec. , 1977).
2. Moyo , Jonathan N. , State Politics and Social Domination in Zimbabwe , The Journal of Modern African Studies , Vol. 30 , No.2 (June , 1992) , p. 318.
3. Ranger , Terence , The Mobilization of labour and the Production of Knowledge : An Antiquarian Tradition in Rhodesia , The Journal of African History , Vol. 20 , No. 4 (1979) , pp.512-513.
4. Kay , George , Towards a Population Policy for Zimbabwe-Rhodesia , African Affairs , Vol. 79 , No. 314 (January , 1980) ,p. 100.

وبقيام الحرب العالمية الثانية كانت إمدادات العمالة لروديسيا الجنوبية قد تم تأمينها ، وفي المقابل كانت حالة المعازل تزداد سوءاً نتيجة لتدهور الإنتاجية الزراعية بها ، وكانت الحكومة تقوم بعمليات المحافظة على التربة ، وهي الأعمال التي لم تسهم إلا باعتبارها محاولات لوقف مزيد من التدهور في التربة الزراعية ، وكان كل الإنفاق الحكومي في المعازل تقريباً خلال الأربعينيات والخمسينيات ينصب على أعمال المحافظة على التربة (١)، إلا أن الذي دعم الوضع الاقتصادي لروديسيا الجنوبية كان تعدين الذهب ، والقرار الذي اتخذته في ١٢ أكتوبر ١٩٥٣ بالاتفاق مع كل من روديسيا الشمالية ونياسالاند من جهة وبريطانيا من جهة أخرى باعتماد نظام التبادل بالجنيه الإسترليني Sterling Exchange System (٢).

بعد الحرب العالمية الثانية وعندما زاد النمو الصناعي بشدة وزادت فرص العمل في المناطق الحضرية فإن مدناً مثل سالزبوري توسعت بسرعة فائقة ، ومنذ ذلك الحين وعدد السكان الأفارقة في الحضر يتضاعف مرة كل عقد ، مع ملاحظة أن النسبة العامة لسكان الحضر بالنسبة لبقية السكان من الأفارقة كانت نسبة ضئيلة (وصلت في منتصف السبعينيات إلى ما يقل عن ٢٠% بقليل من إجمالي السكان الأفارقة) ، ولا يعود تدني مستوى التحضر في روديسيا الجنوبية إلى الناحية الاقتصادية بقدر ما يعود إلى تدخل الدولة والتي رأت أنه من أجل مواصلة التنمية الرأسمالية الاستيطانية فإنه يلزم خفض تكلفة الأجور للعمال الأفارقة ، وفضلت الحكومة في روديسيا ، كما هو الحال في جنوب أفريقيا ، تشغيل العمال الذكور بصورة فردية (دون إحضارهم لعائلاتهم) ، وشجعت نظام العمالة الوافدة ، وحظرت قوانين المرور إقامة السكان الأفارقة خلال فترات التوقف عن العمل ، وكان هناك نظاماً معقداً لتسجيل السكان الأفارقة بالحضر ، وكانت كل الإجراءات تصب في النهاية لصالح جعل حياة الأفارقة الذكور في المناطق الحضرية أمراً مؤقتاً (٣).

1- Duggan , William R. , The Native Land Husbandry Act of 1951 and the Rural African Middle Class of Southern Rhodesia , African Affairs , Vol. 79 , No. 315 (April , 1980) , pp. 228-229.
2- Hulec , Otakar , Some Aspects of the 1930s Depression in Rhodesia , The Journal of Modern African Studies , Vol. 7 , No. 1 (April , 1969),p. 100.
3- Anderson , Jens A. , Reinterpreting the Rural - Urban Connection : Migration Practices and Socio-Cultural Dispositions of Buhera Workers in Harare , Africa (The Journal of the International African Institute , London) , Vol. 71 , No.1 (2001) pp.85-86 .

كما سيطر الاستعمار الاستيطاني في روديسيا الجنوبية بصورة تامة على السلطة في البلاد ، وسهل لوكالات تجنيد العمال الجنوب أفريقيا العمل انطلاقاً من الأراضي الروديسية واعتبارها محطة انتقالية لنقل العمال إلى اتحاد جنوب أفريقيا (١)

إلا أن المسئولين في روديسيا الجنوبية أثاروا قضية انتهاك وكلاء جمعية تجنيد العمال الوطنيين للقوانين التي تحظر تجنيد العمال في روديسيا الجنوبية لصالح مناجم الذهب في الراند باستخدام وسطاء يعملون لصالح جمعية تجنيد العمال الوطنيين ، وبينما أنكرت حجرة المناجم هذه الاتهامات بقوة فإن وزير شئون الوطنيين في روديسيا الجنوبية تشارلز بولوك C. Bullock ضاعف من التحذير من دعاية جمعية تجنيد العمال الوطنيين التي تؤدي إلى زيادة الهجرة غير المشروعة (أي هجرة العمال المحليين من سكان روديسيا الجنوبية) إلى الاتحاد ، وأكد على أن حجرة المناجم لا تمارس سيطرة على العمال المهاجرين ، وأن حكومة الاتحاد تشجع هذه الهجرة ، وفي أواخر الثلاثينيات كان هناك عدد كبير من الأفارقة الذين خرجوا من روديسيا الجنوبية للعمل في المدن الجنوب أفريقية والذين قامت جمعية تجنيد العمال الوطنيين بتمريرهم سراً وبصورة غير قانونية ، وفي منتصف الأربعينيات اشتكى المسئولون الروديسيون الجنوبيون في مدينة ميسينا Messina الحدودية مع اتحاد جنوب أفريقيا من أن " تجنيد (العمال) الوطنيين الأجانب أصبح خارج السيطرة " ، وكانت هناك تقارير متواترة عن أن مجندي العمال يقومون " بسرقة " الوطنيين من بعضهم البعض ، حتى في حالة كون هؤلاء المجندين يعملون لصالح شركة تجنيد واحدة ، كما ذكرت التقارير أيضا أن افتقار المناطق الحدودية لقوات شرطة كافية أو خلوها من السكان قد أدى إلى إطلاق يد مجندي العمال وتمركزهم عند النقاط الاستراتيجية (٢) .

1- Good , Kenneth , Settler Colonialism in Rhodesia , African Affairs , Vol. 73 , No. 290 , (January 1974) , p. 20.
2- Murray , Martin J. , " Black birding ' at ' Crooks ' Corner ": Illicit Labour Recruiting in the Northeastern Transvaal , 1910-1940 , Journal of Southern African Studies , Vol. 21 , No.3 , (September , 1995) , pp. 395-396

وكانــت شــبكة العلاقــات بيــن دول إقلــيم أفريقــيا الجنوبــية (مع استثناء اتحاد جـنوب أفريقــيا) تقــوم علــى قطــاع الخدمــات أكــثر من التجارة والاستثمار أو حتى العمالــة المهاجــرة ، وهــناك مــثال واضــح علــى ذلــك وهو أنه منذ إنشاء جسر سينا Sena علــى نهــر زمبــيزي عــام ١٩٣٥ فــإن نياســالاند التي تمتعت بخط سكة حديد مباشــر إلــى ميــناء بــيرا Beira فــي موزمبــيق لم تدخل في حركة تبادل اقتصادي مع موزمبــيق إلا بمــا يســمح بــه حجــم عائد موزمبيق من تشغيل هذا الخط ، وخلال الفترة التــي شــهدت قــيام اتحــاد وســط أفريقيا Central African Federation (١٩٥٣ – ١٩٦٣) قامــت نياســالاند بــنقل صــادراتها مــن الشاي والدخان بواسطة هذا الخط لكي تــنقل بعدئــذ بحــراً ، وكــان تركــيز الدكــتور هاســتنجز كــاموزو باندا Hastings Kamuzu Banda أثــناء حملــته القومــية الرامــية إلــى انفصــال نياسالاند عن الاتحاد علــى أهــم الجوانــب الاقتصــادية مــن وجهة نظره وهو ضرورة مد خطوط سكك حديد إضــافية مــن نياســالاند إلــى المحــيط الهندي ، وهو الأمر الكفيل بتحقيق تنمية اقتصادية للبلاد [١].

ويمكــن القــول إن نظــام العمالــة الوافــدة فــي إقلــيم أفريقــيا الجنوبية كان مؤشرا واضــحا علــى هيمــنة اقتصــاد جــنوب أفريقيا في الإقليم ، وثمة مثال واضح على المدى الــذي وصــلت إلــيه هــذه الهيمــنة ، إذ أنــه بعد تأسيس بنك الاحتياطي الجنوب أفريقي The South African Reserve Bank عــام ١٩٢١ أصــبح الجنــيه الجــنوب أفريقي مــتفردا لــيس فقــط فــي اتحــاد جنوب أفريقيا ولكن أيضاً في المحميات البريطانية ، وفي عــام ١٩٦٠ أحلــت جــنوب أفريقــيا الــراند محل الجنيه ، وبعد استقلال كل من بوتسوانا وليســوتو وســوازيلاند ظــل الــراند هــو العملــة الوحــيدة المتداولة على الرغم من عدم وجــود اتفــاق بهــذا الخصــوص بيــن حكومــات كــل مــن هــذه الدول المستقلة حديثا وجمهوريــة جــنوب أفريقــيا[٢] ممــا شــكل استمراراً لنظام العمالة الوافدة كمحدد أساسي في العلاقات بين جنوب أفريقيا والدول الواقعة في الإقليم.

1- Henderson , Robert D'a , Relations of Neighbourliness : Malawi and Portugal , 1964 - 1974 , The Journal of Modern African Studies , Vol. 15 , No. 3 (Sep. 1977), pp.426-428.
2- Collings , Francis d' A. , The Rand and the Monetary Systems of Botswana , Lesotho and Swaziland , The Journal of Modern African Studies , Vol. 16 , No. 1 (March 1978), pp. 97 - 98 .

ثالثاً – أثر العمالة الوافدة على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا .

لعبت حركة العمالة الوافدة دوراً محورياً ومؤثراً على الحركة العمالية الأفريقية في اتحاد جنوب أفريقيا بنفس القدر الذي أثرت فيه على تبعية الدول المحيطة بالاتحاد له ، فمنذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل بداية القرن العشرين قامت هذه الدول بتوفير العمالة الرخيصة لاقتصاد جنوب أفريقيا بدرجات مختلفة ، و استخدم رأس المال الجنوب أفريقي نظام العمالة الوافدة كسياسة لضمان تراكم أكبر لرأس المال في الدولة – ومن ثم جعل جنوب أفريقيا الدولة الأقوى في أفريقيا الجنوبية – وهو الأمر الذي كان له فوائد عديدة بالنسبة لرأس المال الجنوب أفريقي ، فالوافدون يتلقون أجوراً متدنية للغاية لدرجة أن هذه الأجور لا تكفي لإطعام عائلة العامل في حالة وجودها معه ، وفي نفس الوقت تمت سيطرة شبه كاملة على تحركات العمال المحليين وتحديد العلاقة بين صاحب العمل والعامل باعتبارها علاقة أحادية الجانب ، يقوم فيها صاحب العمل بتحديد الأجر/ المناسب للعامل (١) .

وكان العامل الأكبر في تأثير حركة العمالة الوافدة على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية هو حالة الوفرة في سوق الأيدي العاملة بالنسبة للاقتصاد الجنوب أفريقي ، فقد قدر العمال الأفارقة الأجانب في جنوب أفريقيا بما بين نصف إلى ثلاثة أرباع إجمالي قوة العمل ، وكما يلاحظ باري منسلو فإن اعتماد المناجم على العمالة الوافدة كان له تأثير مباشر على تدني الأجور ، ليس فقط في المناجم ولكن في الصناعة أيضاً ، وهي القطاع الذي اعتمد على العمال الأفارقة

1- Brochmann , Gete , Migrant Labour and Foreign Policy , The Case of Mozambique , Journal of Peace Research , Vol. 22 , No. 4 (December , 1985) . p. 336

جدول رقم (١٧)

نمو فرص العمل في الصناعة الثانوية والتعدين

(١٩٠٤ – ١٩٣٩)

لأقرب ألف

السنة	الصناعة الثانوية			السنة	التعدين		
	أوروبيون	غير أوروبيين	الإجمالي		أوروبيون	غير أوروبيين	الإجمالي
١٩٠٤	٣٠	٥٦	٨٦	١٩١٥	٢٩	٢٥٠	٢٧٩
١٩١٥–١٩١٦	٤٠	٦٢	١٠٢	١٩٢٠	٣٩	٢٧٠	٣٠٩
١٩٢٠–١٩٢١	٦٣	١١٧	١٨٠	١٩٢٥	٣٣	٢٧٢	٣٠٥
١٩٢٥–١٩٢٦	٧٦	١١٧	١٩٣	١٩٣٠	٣٧	٣١٦	٣٥٣
١٩٢٩–١٩٣٠	٩١	١٢٧	٢١٨	١٩٣٥	٤٤	٣٦٢	٤٠٦
١٩٣٥–١٩٣٦	١٢٩	١٧٥	٣٠٤	١٩٣٩	٥٥	٤٢٥	٤٨٠
١٩٣٨–١٩٣٩	١٤٥	٢٠٨	٣٥٣				

- Stent , G. E. , Migrancy and Urbanization in the Union of South Africa , Africa , Vol. XVIII , No. 3 , (July , 1948) , p. 164 .

المحليين في ظل تكوين جيش " نظامي " من العمال الوافدين ، ويلاحظ أيضاً أن الأجر في الوردية الواحدة في المناجم ظل ثابتاً تقريباً في الفترة ١٩١٠-١٩٤٥ (١).

مع ملاحظة أن تزايد عدد العمال الوافدين ارتبط في أحد جوانبه بحركة العمال الأفارقة المحليين داخل الاقتصاد الجنوب أفريقي ، ففي الفترة ما بين عام ١٩٣٩ وعام ١٩٤٩ مثلاً تزايد عدد العمال الأفارقة المحليين في مجال الصناعة التحويلية والبناء من ١٢٠,٩٦٩ عاملاً إلى ٢٢٨,٠٥٩ عاملاً وهو ما شكل زيادة قدرها ١٨٨,٥% في قوة العمل الأفريقية في هذا القطاع ، كما زادت نسبة مشاركة قوة العمل الأفريقية في هذا القطاع من إجمالي القوى العاملة فيه من نسبة ٤٥% إلى ٤٩% (ووصلت النسبة في عام ١٩٥٨ إلى ٥٤%) ، وخلال نفس الفترة (١٩٣٩ -١٩٤٩) وصلت معدلات عمل العمال الأفارقة الوافدين مقارنة بالعمال البيض في مجال تعدين الذهب لأعلى مستوياتها (وصل المعدل في عامي ١٩٤١ و ١٩٤٢ إلى ٩أمثال و ٨,٩ مثلا على الترتيب مقارنة بمعدل أقل من ٧ أمثال في معظم فترة الخمسينيات) ، وكان هذا الارتباط مؤثرا بشدة على تدني أجور العمال الأفارقة المحليين في قطاع البناء والصناعة التحويلية - بصورة خاصة - لكون الإطار العام للأجور الأفريقية محدداً بأجور العمال الوافدين (٢)، ففي عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ مثلا كان أجر الأفريقي في مجال التصنيع والبناء ٢٣٤ و ٣٧١ راندا سنوياً على التوالي ،وهو أجر ضئيل للغاية عند مقارنته بأجور العمال البيض في نفس المجال ، ومطالبة المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات في عام ١٩٥٦ بأجر يومي قيمته راندين (أو حوالي ٧٠٠ راند سنوياً) ، وفي ضوء أن معدل أجور العمال في التعدين كان في عامي ١٩٥٠ و ١٩٦٠ قد بلغ ١٢٠ و ١٦٠ راندا سنويا على التوالي (أو نصف الأجر الأفريقي في الصناعة والبناء تقريبا) يتضح صعوبة أداء النقابات الأفريقية لدورها الاقتصادي في ظل مستوى أجور شديد التدني (٢).

---

1. Munslow , Barry , Mozambique : The Revolution and Its Origins , Longman , London , 1983 „ p.20.

٢- راجع الجداول أرقام ١٨ ،١٩، ٢٠ .

جدول رقم (١٨)

أعداد العمال في مناجم الذهب

(المسجلة في غرفة المناجم)

(١٩٣٩-١٩٦١)

التاريخ	البيض (أ)	الأفارقة (ب)	معدل الأفارقة / البيض	ملاحظات
١٩٣٩	٤٣,١٨٣	٣٢١,٤٠٠	١ : ٧,٥	
١٩٤٠	٤٢,٨٥٢	٣٥١,٨٢٦	١ : ٨,٣	زيادة في إمدادات العمالة الأفريقية
١٩٤١	٤١,٤٢٤	٣٦٨,٤١٧	١ : ٩,٠	
١٩٤٢	٤٠,٥٥٥	٣٥٧,٥٧٣	١ : ٨,٩	
١٩٤٣	٣٨,٥٠٨	٣٠٦,٢٨٥	١ : ٨,٠	
١٩٤٤	٣٧,١٦٦	٢٩٧,٥٩١	١ : ٨,١	
١٩٤٥	٣٦,٣٢٨	٣٠٧,٢٩١	١ : ٨,٥	
١٩٤٦	٣٩,٦٤٢	٣٠٤,٧٨٢	١ : ٧,٧	إضراب عمال المناجم الأفارقة
١٩٤٧	٣٨,٨٢٩	٢٩٥,٨٦٧	١ : ٧,٧	
١٩٤٨	٣٩,٠١٩	٢٧٩,٢١٨	١ : ٧,٣	
١٩٤٩	٣٩,٥٢٧	٢٩٤,١٨٠	١ : ٧,٥	زيادة حادة في أسعار الذهب عالميا
١٩٥٠	٤٣,١٠٩	٣٠٥,١٦٥	١ : ٧,٢	
١٩٥١	٤٤,٢٩١	٢٩٨,٧٥٤	١ : ٦,٩	نقص حاد في العمالة الأفريقية
١٩٥٢	٤٥,١٠٥	٢٩٨,٩٨٠	١ : ٦,٨	
١٩٥٣	٤٦,٣٥٥	٢٩٠,٩٦٢	١ : ٦,٤	
١٩٥٤	٤٧,٩٦٧	٣١٤,٣٩٩	١ : ٦,٧	
١٩٥٥	٤٩,٢٦٦	٣٢٧,٤٧٥	١ : ٦,٧	
١٩٥٦	٤٩,٤٦٩	٣٣٦,٢١٥	١ : ٦,٨	
١٩٥٧	٤٧,٩٠٣	٣٣٥,٠٩٨	١ : ٧,٠	
١٩٥٨	٤٧,٣٠٣	٣٣٩,٨٦٧	١ : ٧,٢	
١٩٥٩	٤٨,٦٠٠	٣٨٠,٤٧٣	١ : ٧,٧	تدفق هائل للعمالة الأفريقية
١٩٦٠	٤٩,٦٨٨	٣٨٧,٥٧٧	١ : ٧,٧	
١٩٦١	٤٩,١٤٤	٣٩٩,٠٠٩	١ : ٨,١	

أ- الأرقام من ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ تستبعد حوالي ٥٠٠٠ عامل يعملون في الخدمة الوطنية (الجيش) بصورة كاملة.

ب- تتضمن هذه الأرقام عدداً ضئيلاً من العمال الملونين والهنود .

- **Wilson , Francis, Labour in the South African Gold Mines ,op. cit., pp.157-158.**

جدول رقم (١٩)

العمال في مجالي الصناعة التحويلية والبناء وفقاً للتقسيم العرقي

(١٩٢٨ - ١٩٥٨)

السنة	الإجمالي	الأوروبيون	%	الأفارقة	%	الملونون	%	الآسيويون	%
١٩٢٨-١٩٢٩	١٥٦,٨٩٣	٥٥٠,١٦	٣٥	٦٩,٧١٩	٤٤	٢٢,٧٠٩	١٥	٩,٤٩٩	٦
١٩٣٨-١٩٣٩	٢٦٨,٣٩٢	١٠٣,٧٢٠	٣٩	١٢٠,٩٦٩	٤٥	٣٠,٣٥٠	١١	١٣,٣٥٣	٥
١٩٤٨-١٩٤٩	٤٦٢,٧٨١	١٥٠,٥٠٥	٣٣	٢٢٨,٠٥٩	٤٩	٦٥,٨٤١	١٤	١٨,٣٧٦	٤
١٩٥٨	٦٤٥٥٦١	١٧١,٦٠٢	٢٧	٣٥١,٠٦٢	٥٤	٩٤,٣١٥	١٠	٢٨,٥٨٢	٤

Van der Horst , Sheila T. , The Changing Face of the Economy , (in : Hellmann , Ellen and Lever Henry (eds.) , Race Relations in South Africa 1929-1979) ,South African Institute of Race Relations , Johannesburg , 1980 , p. 101

جدول رقم (٢٠)

معدل أجور العمال السود في قطاعات مختارة

(الأجر السنوي بالراند)

القطاع	١٩٥٠	١٩٦٠	١٩٧٢
مزارع البيض	٧٢	١٣٥	٢١٧
تعدين الذهب	١٢٠	١٦٠	٢٩٥
التصنيع والبناء	٢٣٤	٣٧١	٧٢٠

Massey , David , Class Struggle and Migrant Labour in South African Gold Mines , Canadian Journal of African Studies , Vol.17 , No.3 , (1983), p. 438.

وكـــان التأثيـــر الآخـــر لـــنظام العمالة الوافدة – إضافة إلى خفض مستوى الأجور – على الـــدور الاقتصـــادي للحـــركة العمالـــية الأفـــريقية يتمثل في بدء دخول العمال الوافدين ، خاصـــة مـــن كـــل مـــن باســـوتولاند (ثانـــي أكبر ممد بالعمالة الوافدة لجنوب أفريقيا بعد موزمبـــيق) وســـوازيلاند فـــي مجـــال العمـــل فـــي الصـــناعة إضافة إلى مجالي التعدين والـــزراعة ، وهـــو الأمـــر الـــذي أدى – خاصة منذ بداية الخمسينيات – إلى حدوث وفرة نـــوعاً مـــا فـــي عـــدد العمـــال الأفارقـــة في الصناعة ، مما مثل تهديدا للقطاع الذي تمثله الـــنقابات الأفـــريقية بصـــورة أساســـية ، مـــع الأخـــذ في الاعتبار أنه كانت هناك صعوبة قائمـــة أمـــام الأفارقـــة المحليـــين فـــي الحصـــول علـــى فرص عمل ماهرة وإدارية في جـــنوب أفـــريقيا ، كمـــا أن القائمـــين علـــى صـــناعة الـــتعدين الجـــنوب أفريقية مارسوا ضـــغوطاً ناجحـــة مـــن أجـــل حظـــر تشغيل العمال الوافدين من الدول المتاخمة في أعمال غيـــر تعدينـــية ، وكانـــت هـــذه الضغوط هي التي مكنت صناعة التعدين من استمرار دفع أجـــور أقـــل للعمـــال الأفارقـــة عـــن مستويات الأجور في الصناعة (١)، إلا أن محاولات الحكـــومة لتثبـــيت إقامـــة الأفارقـــة المحليـــين داخـــل المعازل مع تجاهلها توصيات تقرير بعـــثة توملنســـون (كـــونت اللجـــنة فـــي عـــام ١٩٥٠ وصدر تقريرها البالغ أربعة آلاف صـــفحة فـــي عـــام ١٩٥٤) بإنشـــاء صـــناعات داخـــل مناطق المعازل وإنفاق نحو ١٠٤ ملـــيون جنـــيه علـــى المعـــازل وإعـــادة توطين نحو مليوني أفريقي (٢)، شكل هذا تناقضاً واضـــحاً ، ففـــي الـــرد الحكومـــي علـــى التقرير – والذي قيل أن من أعد مسودته هو د. فيـــرفورد – تـــم تفنـــيد توصـــيات التقريـــر (والمـــتعلقة بـــتكوين صناعات في المعازل الأفريقية) بالتأكيد على أن :

- توصـــية البعـــثة بـــأن تطويـــر طـــبقة من المقاولين *entrepreneurs* الأفارقة هـــو أمـــر ضـــروري لـــنجاح بـــرنامج التنمـــية يـــتجاهل أن هذا التطوير لن يتم بالســـرعة الكافـــية ، وفـــي هـــذه الأثـــناء يجب تشجيع المقاولين الأوروبيين على تكوين صناعات في المعازل .

---

1. Selwyn , Percy , Industries in the Southern African Periphery : A Study of Industrial Development in Botswana , Lesotho and Swaziland , Westview Press , Boulder , 1975 , p. 55.
2. DO35/4382 , Inward Telegram to Commonwealth Relations Office (received : 9th April , 1956) , South Africa Fortnightly Summary , 22nd March , 1956 To 4th April , 1956, p. 2.

- إن تقـديم مسـاعدة رأسـمالية للصـناعات الأفـريقية من خلال تكوين هيئة تنمية صـناعية Industrial Development Corporation ومسـاعدة وزيـر شـئون الوطنيـين فـي توجـيهه للعمـل التنموي من خلال تكوين مجلس تنمية مكون من خبـراء ومستشـارين فـإن الحكـومة " لا تـرى أنـه من المرغوب فيه في هذه المـرحلة تكـوين هيـئة تنمـية أو مجلـس تنمية لكنها سوف تعين مسئولاً خاصاً فـي وزارة شـئون الوطنيـين للـتعامل مـع القضايا المطروحة (المتعلقة التنمية الصـناعية) ، أمـا مسـألة تمـويل رجـال الصـناعة الأفارقة فإن ذلك يجب أن يقـوم علـى مـبدأ المسـاعدة الذاتـية من خلال جمع mobilization رأس المال البانـتوي ، وتقـديم ملـيون جنـيه إسـترليني مـن صـندوق الائـتمان الوطني The Native Trust Fund (١) .

وكانـت القـرارات الحكومـية المـتعلقة بتوصـيات التقريـر متسـقة مـع هـذا التـناقض ، ففـيما يـتعلق بتوصـية التقريـر بتنمية التعدين البانتوي أكدت الحكومة على تعاطفهـا مـع هـذه التوصـية التـي لا تختلف كثيراً عن توصيات اللجنة الوزارية التي تم تعييـنها فـي أواخـر الأربعينـيات ، لكـنها - الحكـومة - تـرى أنه من غير الملائم المضـي قـدما وتجـاوز مـا هـو قـائم حالـياً حتى يتم إجراء مسح جيولوجي وطبيعي geophysical للمعازل (٢) .

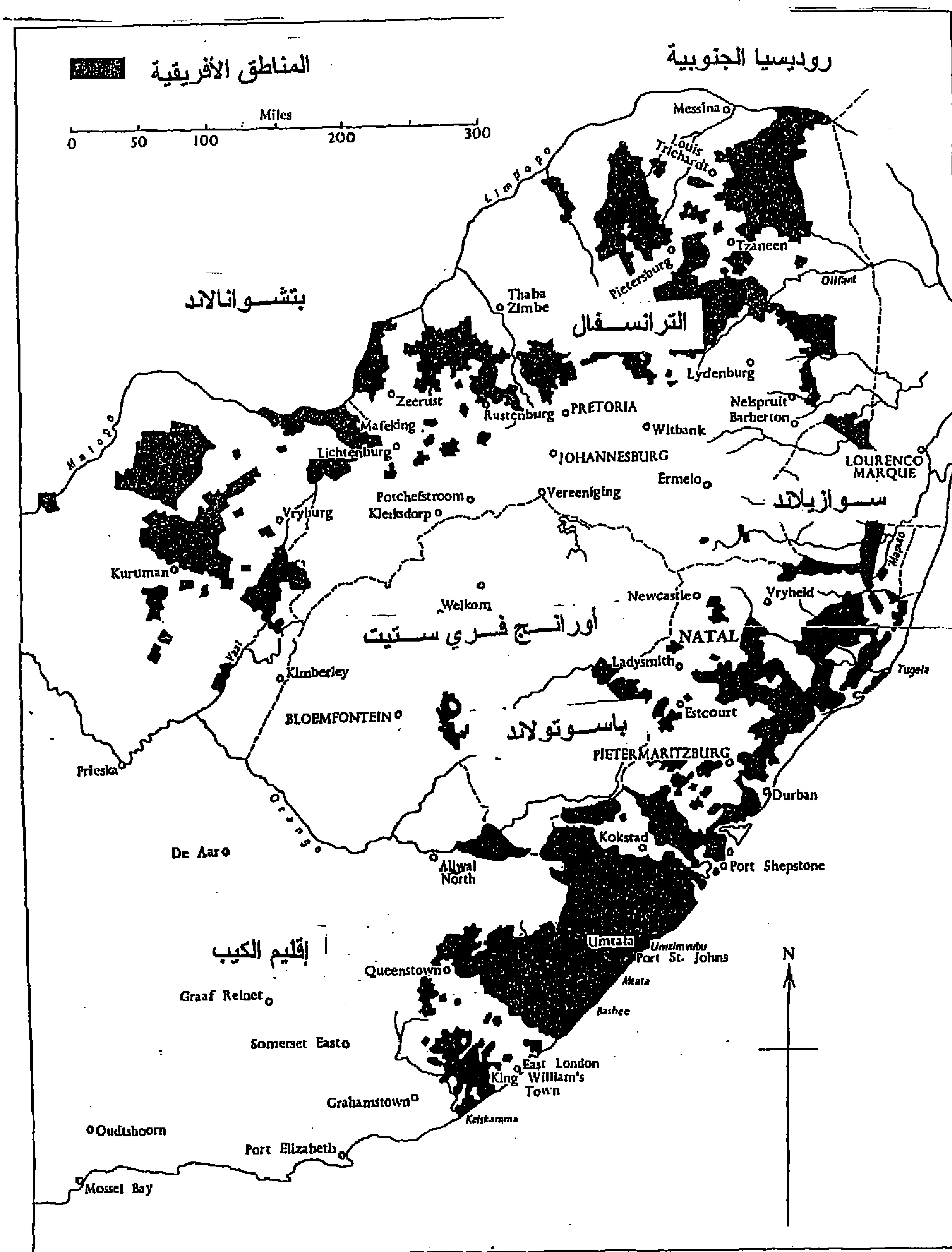
وكـان هـذا الضـغط يعنـي أن جهـود الحـركة العمالية في تحقيق مكاسب اقتصادية للعمـال الأفارقـة فـي المـناطق " الأوروبـية " كانـت تعاني ضغطاً مزدوجاً من العمال الـوافدين والسياسـة العمالـية للـنظام العنصـري في آن واحد ، وهو الأمر الذي ضاعف من تأثير العمال الوافدين .

كمـا حـرمت حـركة العمالـة الوافدة الحركة العمالية الأفريقية من فصيل هام للغاية لـدعمها ، وهـو المتمـثل فـي عمـال التعدين ، إذ كان من أسباب حرص حجرة المناجم

---

1. DO. 35/4382 , 63/54 , South Africa : Report of The Tomlinson Commission ,Commonwealth Relations Office , 22nd August , 1956 , pp.4-5.
2. DO. 35/4382 , 63/54 , Government Decisions on the Recommendations of the Commission for Socio-Economic Development of the Bantu Areas within the Union of South Africa , Memorandum , 1956, p. 7.
3. Yudelman , David and Jeeves , Alan , New Labour Frontiers for Old : Black Migrants to the South African Gold Mines , 1920 - 85 , Journal of Southern African Studies , Vol. 13 , No. 1 , (Oct., 1986) ,p. 112.

مناطق الأفارقة في اتحاد جنوب أفريقيا عام ١٩٥٩



Macmillan , W. m. , Bantu , Boer and Briton : The Making of the South African Native Problem , The Clarendon Press , London , 1963 , pp. 354-355.

جدول رقم (٢١)

معدل الأجور الحقيقية (متضمنة قيمة الأغذية والخدمات التي تقدمها المناجم للعمال الأفارقة) بالمناجم لسنوات مختارة (بأسعار وقيمة الراند في عام ١٩٧٠)

(١٩١٥- ١٩٧٠)

العام	معدل الأجر للعامل	المعدل		معدل الأجر أوروبي / أفريقي	الفجوة بين الأجرين
		للعامل الأوروبي	للعامل الأفريقي		
١٩١٥	٤٠٩	٢٢٥٥	٢١٣	١ : ١٠,٦	٢٠٤٢
١٩٣٥	٤٣٤	٢٣٣١	٢٣٣	١ :١٠	٢٠٩٨
١٩٥٠	٥٠٣	٢٧٥٧	١٩١	١ : ١٤,٤	٢٥٦٦
١٩٦٠	٥٤٤	٣٢٧٥	١٩٤	١ : ١٦,٩	٣٠٨١
١٩٧٠	٥٨٣	٤٢٩٤	٢٠٧	١ : ٢٠,٧	٤٠٨٧

المصدر :

- Natrass , Jill , The South Africa Economy , op. cit., p. 139

جدول رقم (٢٢)

معدلات دخول الأفراد (عرقيا) ومعدلات التفاوت(عن عامي ١٩٤٦- ١٩٤٧ / ١٩٦٠)

(بأسعار عام ١٩٧١)

	الدخل للفرد (سنويا بالراند)		معدل تفاوت أجر البيض بالنسبة للآخرين (بالضعف)	
العام	١٩٤٦-١٩٤٧	١٩٦٠	١٩٤٦-١٩٤٧	١٩٦٠
البيض	٤,٢١٨	٥,١٣٩	----	----
الملونون	٦٧٤	٨١٠	٦ : ٣	٦ : ٣
الهنود	٩٩٠	٨٩٧	٤ : ٣	٧ : ٥
السود	٣٩٨	٤٣٣	١٠ : ٦	١١ : ٩

- Adam , Heribert and Moodley , Kogila , South Africa without Apartheid ,Dismantling Racial Domination , University of California Press , Berkeley , 1986 , p. 176.

على نظام العمالة الوافدة أنها كانت قلقة للغاية من قضية التحول النقابي unionization للعمال الجنوب أفارقة السود ، وقدم العمال الوافدون حلاً لهذا المأزق ، حيث أنهم لم يكونوا مهتمين نسبياً بتوسع القطاع الصناعي الذي يقدم أجورا أفضل ، كما أنهم أكثر مرونة وقابلية لتطبيق التقسيم العرقي للعمل (١) ، لذا وصلت نسبة العمالة الوافدة من إجمالي العمال في التعدين نحو ٩٠% ، وكانوا يعملون بعقود قصيرة الأجل – كما سبق القول – وأصبح من العسير على العمال أن ينظموا أنفسهم في نقابات لأن الحركة المستمرة لهؤلاء العمال بين أوطانهم والمناجم قد أدت إلى صعوبة تجاوز العوائق الجغرافية اللغوية والقومية ، كما أن هذه الحركة المستمرة قد جعلتهم أقل قدرة على تنظيم أنفسهم ضد أصحاب العمل أو الحكومة(٢) ، وطبقاً للقانون فإنه غير مسموح لأي عامل أجنبي البقاء في جنوب أفريقيا لفترة تزيد على العامين ، وكانت غالبية العقود مدتها تسعة أشهر في المتوسط ، وهكذا فإن الخطر السياسي جاء بصورة جوهرية من عمال الصناعة (٣).

غير أن توسع قطاع الصناعة منذ منتصف الأربعينيات (زاد ناتج الصناعة للمرة الأولى عن ناتج التعدين في عام ١٩٣٩ ، وأصبح ناتج الصناعة أكثر من ضعف ناتج التعدين في عام ١٩٤٩) وتحول الصناعة لتصبح مسهمة بنسبة ٢٥% تقريباً في الدخل القومي لاتحاد جنوب أفريقيا في عام ١٩٥٨ مقارنة بنسبة ١٧,٦% في عام ١٩٣٨ ؛ أدى ذلك إلى ضعف تأثير حركة العمالة الوافدة نسبياً على الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية ، فقد تراجع التعدين ليحتل المركز الخامس في القطاعات المسهمة في الدخل القومي للاتحاد في عام ١٩٤٩ ، و أصبحت السياسة العمالية لنظام الحزب الوطني منذ عام ١٩٤٨ هي المؤثر الأكبر والذي لا يدانيه مؤثر آخر في ضعف الدور الاقتصادي للحركة العمالية الأفريقية (٤).

1. Yudelman , David and Jeeves , Alan , New Labour Frontiers for Old : Black Migrants to the South African Gold Mines , 1920 - 85 , Journal of Southern African Studies , Vol. 13 , No. 1 , (Oct., 1986) ,p. 112.
2. Brown, Barbara B., The Impact of Male Labour Migration on Women in Botswana , African Affairs , Vol. 82 , No.328 , (July , 1983), p. 369.
3. Massey , David , Class Struggle and Migrant Labour in South African Gold Mines , op. cit., p. 436.
4. Davies , Robert , Mining Capital , The State and Unskilled White Workers in South Africa , 1901 - 1913 , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No.1 , (October , 1976) , pp. 44-45

جدول رقم (٢٣)

توزيع النسب المئوية لإسهام القطاعات المختلفة في الدخل القومي في جنوب أفريقيا

(١٩١٢ - ١٩٥٨)

(الإجمالي بالمليون جنيه إسترليني)

القطاع	١٩١٢	١٩١٨	١٩٢٨	١٩٣٨	١٩٤٦	١٩٤٩	١٩٥٨
الزراعة والصيد	١٦,١	٢١,١	١٨,٢	١٢,٠٠	١٢,٠٠	١٤,٢	١٢,٣
التعدين	٢٧,٥	٢٠,٣	١٨,٦	١٩,٥	١٣,٦	١٠,٧	١٢,٩
الصناعة	٦,٨	٩,٦	١٣,٢	١٧,٦	٢٠,١	٢٢,٤	٢٤,٥
التجارة	١٣,٨	١٥,٦	١٥,٧	١٣,٨	١٥,٠٠	١٤,٥	١٢,٥
التمويل	---	---	٢,١	٣,٠٠	٢,٤	٢,٤	٣,٦
النقل	٧,٦	٥,٧	٦,٤	٦,٧	٥,٤	٨,٦	٨,١
أخرى	٢٨,٣	٢٧,٢	٢٥,٧	٢٧,٣	٣١,٤	٢٧,١	٢٦,١
إجمالي	١٣٠,٩	١٧٠,٩	٢٧٠,٣	٣٧٣,٦	٧٠٣,٨	٨٩٨,٢	١٩٨٨,١

- Van der Berghe , Pierre 'L. , South Africa, A Study in Conflict, op. cit., p. 300

وكـــان نمـــو قطاعـــي الصـــناعة والبـــناء مـــنذ منتصف الأربعينيات مصحوباً بنمو نســبة مشــاركة العمـــال الأفارقـــة فـــي هـــذا القطاع ، إذ كان الرأسماليون يرون أنه من الأجــدر تشــغيل العمـــال الأفارقـــة غيـــر المهرة بدلاً من البيض من نفس الفئة لأن العمال الأفارقـــة يقـــبلون أدنــــى الأجـــور على عكس العمال البيض كما كان هناك دافع آخر وهو عـــدم وجـــود تعويضـــات للعمـــال الأفارقـــة فـــي حالة الموت أو الإصابة (١) ، ووصلت نســبة مشــاركة العمـــال الأفارقـــة فـــي الصناعة عام ١٩٤٥– ١٩٤٦ نحو ٤٩% مقارنة بنســـبة ٣٢,١% للبـــيض و ١٤,٣% للملونــــين و ٤,٦% للآســــيويين ، بيـــنما تجـــاوزت نســبة مشــاركة العمـــال الأفارقـــة فـــي مهنة البناء نسبة ٦٠% منذ عام ١٩٤٥ (٢) ، كان هـــذا الـــنمو المـــزدوج يـــتم فـــي ظل سياسة عمالية جردت العمال الأفارقة من كافة حقوق المســـاومة ، وفرضـــت سياســـة المجـــالس الصـــناعية التي تكون وتدار وتصدر قراراتها بالاتفـــاق بـــين الحكـــومة وأصـــحاب الأعمـــال ، كمـــا لـــم تقم الحكومة بتطوير المعازل لاســـتيعاب العمالـــة الأفـــريقية ، ففـــي عـــام ١٩٥٩ اتضـــح أن رؤيـــة رئـــيس الوزراء فيـــرفورد تجـــاه المعـــازل الأفـــريقية وتنميـــتها تتشـــابه مع رؤية الحكومات المتعاقبة في الاتحـــاد تجـــاه المحمـــيات البـــريطانية فـــي إقلـــيم أفريقيا الجنوبية بوصفها مجرد معازل للعمالـــة الرخيصـــة والاقتصـــاديات الـــتابعة ن وقـــد اتضـــحت هـــذه الرؤية عندما أعلن فيـــرفورد عـــن رفضـــه تطبـــيق توصـــيات تقرير بعثة توملنسون ، وتأكيده في خطاب له فـــي ١٢ نوفمبـــر ١٩٥٩ علـــى أن الحكـــومة : لـــديها خطط محددة لتمكين مناطق البانتو مـــن احـــتمال ســـكانها علـــى المـــدى الطويل ، مع رفض تخصيص المبالغ المحددة لتنمية هـــذه المعـــازل ، وقـــد ضـــيقت سياســـة الحكومة في المعازل الأفريقية الخناق على العمال الأفارقـــة فـــي المـــناطق " البيضـــاء " ، ذلـــك أن هـــؤلاء العمـــال يعتبـــرون نظـــريا " مهاجـــرون " بصـــورة مؤقـــتة فـــي حين أنه من إجمالي سكان أفارقة في الاتحاد يبلغون ٩,٥ ملـــيون نســـمة فـــإن عـــدد مـــن يعيشـــون في المعازل يبلغ ٣,٥ مليون أفريقي فقط ، والـــباقون مـــنهم ٣,٥ ملـــيون أفريقـــي يعيشـــون ويعملـــون فـــي مزارع البيض ، و ٢,٥ مليون أفريقي في المدن (٣)

---

1. Davies , Robert , Mining Capital , The State and Unskilled White Workers in South Africa , 1901 - 1913 , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No.1 , (October , 1976) , pp. 44-45.
2. انظر جدول رقم (٢٤)
3. DO. 35/8713 , 63/54 , South Africa : Development in Apartheid Policy , Commonwealth Relations Office print , 16th April , 1959, pp. 3-4.

جدول (٢٤)

نسب العمال في بعض القطاعات الرئيسية بالدولة

(وفقاً للتقسيم العرقي)

القطاع	السنة	البيض	الملونون	الآسيويون	الأفارقة	الإجمالي
التصنيع	١٩٤٥-١٩٤٦	٣٢,١	١٤,٣	٤,٦	٤٩,٠	١٠٠
	١٩٥٠-١٩٥١	٣٠,٤	١٤,٤	٣,٧	٥١,٥	
	١٩٥٥-١٩٥٦	٢٦,٠٠	١٤,٢	٤,٤	٥٥,٤	
	١٩٦٠-١٩٦١	٢٦,٧	١٤,٧	٤,٨	٥٣,٧	
البناء والتشييد	١٩٤٥-١٩٤٦	٢٥,٥	٩,٧	٠,٢	٦٤,٦	
	١٩٥٠-١٩٥١	٢٣,٩	١٠,٢	٠,٣	٦٥,٦	
	١٩٥٥-١٩٥٦	٢٤,٠	١٠,٦	٠,٧	٦٤,٧	
	١٩٦٠-١٩٦١	٢١,٨	١٣,٨	٠,٥	٦٣,٨	
السكك الحديدية	١٩٤٥	٥٧,٢	٥,٦	٠,٤	٣٦,٨	
	١٩٥٠	٥٥,٠	٥,٢	٠,٣	٣٩,٥	
	١٩٥٥	٤٩,٣	٥,١	٠,٣	٤٥,٣	
	١٩٦٠	٥٠,٤	٤,٥	٠,٣	٤٤,٨	

- Leistner , G. M. E. , Non-Whites in the South African Economy, (in : Rhoddie , N. J. (editor) , South African Dialogue : Contrasts in South African Thinking on Basic Race Issues) , The Westminster Press , Philadelphia , 1973 , p. 280.

أي أن نحـــو ٦٣% مـــن الســـكان الأفارقـــة يعيشـــون خارج المعازل ، وفي ظل هـــذه الظـــروف المحـــيطة بالعمـــال الأفارقـــة المحليين لم تستطع الحركة العمالية لعب دور اقتصـــادي مـــواز أو مقـــارب للـــدور الـــذي لعبته على الصعيد السياسي ، وكان العامـــل الأكبـــر فـــي تهمـــيش هـــذا الدور الاقتصادي نظام العمالة الوافدة وما استتبعه مـــن تغييـــر فـــي تـــركيبة قـــوة العمـــل فـــي اتحـــاد جنوب أفريقيا نتيجة لبدء العمال الـــوافدين فـــي العمـــل فـــي الصـــناعة إضافة إلىٰ القطاعين التقليديين لهم وهما التعدين والزراعة .

خاتمة

كـان تطـور الحـركة العمالـية الأفـريقية فـي اتحاد جنوب أفريقيا من أهم دوافـع تطـور الحـركة الوطنـية الأفـريقية عموماً في الاتحاد ، كما كان هذا التطور محكـوما باعتـبارات عديـدة مـثل سياسة التفرقة العرقية ورسوخ الاعتماد على نظام العمالـة الرخيصـة والمشـكلات التـي واجهـت الأفارقـة فـي المناطق الحضرية ، وأدت هـذه الاعتـبارات إلـى تـبلور حالـة خاصـة للحركة العمالية الأفريقية ، مما جعـل هـذه الحـركة تناضـل علـى أكثـر مـن مستوى ، وأن تكون داعمة للحركة الوطنـية فـي وقـت كانـت فـيه قـيادة هـذه الحركة عبارة عن نخبة مثقفة مرتبطة بجـذورها القبلـية وتنظـر للـنظام العنصـري الحـاكم نظـرة المغلـوب للغالـب ، وتسـتوعب الـثقافة الغـربية اسـتيعاباً تامـاً ، مما جعل هذه القيادة تنفصل عن جموع الأفارقة حتى منتصف الأربعينيات تقريباً .

وقـد توصـل الـباحث إلـى أن قـيادات الحـركة العمالية الأفريقية كانوا اكثر التصـاقاً بواقـع العمـال الأفارقـة الـذين كانـوا يشكلون غالبية الأفارقة في المناطق الحضـرية ، وكـان لهـذه الصـلة الحمـيمة أثرها في تطوير وعى قومي لدى هؤلاء العمـال تجـاوز فـي بعـض مـراحله وعـى قيادات الحركة الوطنية أنفسهم ، إذ أن المعانـاة التـي لمسـها العمـال فـي مناطق العمل إلى جانب ما قدمته القيادات النقابية مـن توعـية جعلـت هـؤلاء العمال يوقنون بأنه لا توجد فرصة لحل سلمي مع النظام العنصـري ، وأن السـبيل الوحـيد للحصـول على حقوقهم هو الضغط المقابل لضغط التفـرقة العنصـرية ، لهـذا سـبق العمـال الأفارقة القيادات السياسية في التعبير عن سياسـة القـوة فـي مـواجهة القـوة من خلال الإضرابات التي تواترت خلال النصف الأول مـن القـرن العشـرين وزادت كثافـتها فـي عقد الخمسينيات من نفس القرن ، وهـو الموقـف الـذي لـم تـتخذه الحـركة الوطنـية – ممثلة في المؤتمر الوطني الأفريقي – كسياسة رسمية إلا في عام ١٩٦١ .

وبالنسـبة للعـوامل التـي طـورت الوعي العمالي للأفارقة فإنها على الرغم من تعـددها إلا أنهـا كانـت مـتداخلة ومتـرابطة تماماً ، فالتبشير كان في بعض جوانبه

عملية تحضر من خلال ما قامت به الإرساليات التبشيرية من تخصيص نزل للأفارقة الذين يدخلون في المسيحية ، كما كان التحضر في بعض جوانبه عملية تبشير من خلال قطع الروابط القبلية للأفريقي أو تهميشها ، وتغيير نظرة الأفريقي لدينه السابق ، وكان تراكم المشكلات داخل البيئة الحضرية الأفريقية وسوء الظروف الحياتية في هذه البيئة هو الأمر الأكثر تأثيرا في العمال الأفارقة وإدراكهم لأهمية العمل الإيجابي لتغيير أوضاعهم بالغة السوء .

ولم يكن من اليسير الفصل بين السياسة العمالية للنظام الحاكم والسياسة العنصرية الموجهة ضد كل الأفارقة في الاتحاد ، فالقوانين المتوالية في دولة ازدهرت فيها معدلات إصدار القوانين كانت تمس العمال بصور مباشرة وغير مباشرة ، كما كانت هناك قوانين عديدة موجهة ضد العمال مباشرة ، لهذا فإن السياسة العمالية للنظام الحاكم كانت شمولية الطابع وتناولت كافة تفاصيل الحياة اليومية للعمال الأفارقة ، وتحكمت في شتى الجوانب الإنسانية لهؤلاء العمال ، أي أن هذه السياسة كانت تأطيراً لحياة كل عامل أفريقي بحيث يصبح الأخير مجرد آلة في الاقتصاد الجنوب أفريقي .

واتسم التنظيم النقابي للحركة العمالية الأفريقية بكونه تنظيماً دقيقاً على يد قيادات مثقفة ولديها خبرة عمل نقابي كبيرة ، وذلك على الرغم من المعوقات الكبيرة التي كانت تقف أمام التنظيم النقابي ، وصعوبة توفير الموارد المالية لهذه التنظيمات ، وكانت هذه الدقة التنظيمية راجعة إلى وجود قيادات نقابية وفدت من دول شرقي أوروبا أو عملت في النقابات البريطانية إلى جانب القيادات النقابية الأفريقية التي تمرست من خلال العمل اليومي بين العمال ، ونقلت هذه القيادات خبراتها إلى قطاع عريض من العمال الأفارقة بحيث أصبحت الأمور النقابية وتفصيلاتها أمراً متداولاً بين هؤلاء العمال

لكن كانت ثمة اختلافات في الرأي فيما يتعلق بالوسائل الضرورية لمواجهة النظام العنصري وسياسته العمالية القمعية ، وكانت هذه الاختلافات راجعة إلى اختلاف الأسس الإيديولوجية للقيادات النقابية في دولة اتسمت بالتنوع والتباين العرقيين ، كما اتسمت بحركة هجرة مستمرة تزايدت حدتها في أعقاب

اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وهو الأمر الذي أدى إلى تجديد مستمر في الأفكار المتعلقة بالعمل النقابي ، وأدى في نفس الوقت إلى تميز الحركة العمالية الأفريقية في بعض الأحيان عن الحركة العمالية البيضاء في الاتحاد التي تحولت إلى جزء من النظام العنصري وفقدت خصوصيتها إزاءه تماماً .

وكان اتحاد عمال المناجم الأفارقة هو الحلقة المتوسطة في تطور الحركة العمالية الأفريقية خلال النصف الأول من القرن العشرين ، وكان قصر أمد هذا الاتحاد راجعاً إلى ضغط ظروف ما بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ورغبة النظام الحاكم في الحفاظ على معادلة التوازن بين أصحاب رأس المال التعديني وأصحاب المزارع من الأفريكانريين ، وعلى الرغم من ذلك فقد أمكن تلمس إنجازات لهذا الاتحاد تجسدت في القيام بإضراب عام ١٩٤٦ ، وهو الإضراب الذي أثر في تاريخ اتحاد جنوب أفريقيا ككل ، ودفع الحركة الوطنية دفعاً إلى انتهاج خط أكثر راديكالية في مواجهة النظام العنصري ، وجعل القيادات التقليدية للحركة الوطنية في موقف حرج ، حتى وصل الأمر إلى تراجع دورها تراجعا هائلاً وبروز قيادات شابة قادت العمل داخل المؤتمر الوطني الأفريقي ، وحولته من منظمة نخبوية إلى منظمة وطنية ملتصقة بالجماهير الأفريقية .

وقد تبلورت الحركة العمالية الأفريقية في أكثر صورها تكاملاً في المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات ، وتعتبر دراسة تطور هذا التنظيم النقابي ضرورية للغاية لفهم تطور الحركة الوطنية الأفريقية وتوجهها نحو التمثيل الحقيقي للأفارقة ، خاصة أن نشأة هذا المؤتمر كانت نتاجاً مباشراً لفترة طويلة من السياسة العمالية المجحفة تجاه العمال الأفارقة ، وبعد صدور قانون تسوية نزاعات العمالة الوطنية بصورة خاصة ، ومن ثم كانت أهمية المؤتمر الجنوب أفريقي للنقابات تعود – كما توصل الباحث – إلى كون هذا المؤتمر قد تكون نتيجة عدة عوامل لها جذور تاريخية ، مثل السياسة العمالية للنظام العنصري ، وتطور الحركة الوطنية الأفريقية ممثلة في المؤتمر الوطني الأفريقي ، وتوحد القيادات النقابية المعادية للتوجهات العنصرية للنظام الحاكم في جهد مشترك من أجل تكوين حركة نقابية غير عرقية في اتحاد جنوب أفريقيا .

وتوصل الباحث إلى أن الدور السياسي للحركة العمالية الأفريقية كان هو العامل الحاسم في أهمية هذه الحركة في تاريخ الحركة الوطنية الجنوب أفريقية ، فقد كان هذا الدور فعالاً للغاية ، فقد اكتسبت الحركة العمالية الأفريقية من الحزب الشيوعي والكثير من قياداته خبرة كبيرة في العمل النقابي ، وقامت هذه الحركة بدورها بتطوير استراتيجيات عمل الحزب الشيوعي وتحويل توجه الحزب إلى تبني النضال الأفريقي في أواخر الأربعينيات ومواجهة النظام العنصري مواجهة مباشرة إثر قانون قمع الشيوعية ، كما شكل العمال الداعم الأكبر للحزب وقاعدته الجماهيرية ، أما بالنسبة للمؤتمر الوطني الأفريقي فقد كان دور الحركة العمالية أكثر وضوحا ، إذ تحولت قضايا العمال من مجرد بند في أولويات المؤتمر إلى أكثر القضايا أهمية في سياسة المؤتمر ، وذلك بسبب أن المؤتمر نفسه أصبح أشبه بتنظيم عمالي ، إذ كان معظم أعضائه منذ أوائل الخمسينيات من العمال الأفارقة القاطنين في المناطق الحضرية .

كما اتضح أن أهم العوامل التي أثرت على الحركة العمالية الأفريقية وقدرتها على المساومة كان نظام العمالة الوافدة الذي مكن النظام العنصري من توفير احتياجاته من العمال من خارج الاتحاد ، وهو الأمر الذي كان يعني ضعف الموقف التفاوضي للعمال الأفارقة من داخل الاتحاد ، غير أن هذا التأثير لم يكن مطلقاً ، بل كان متركزا في العمالة التعدينية ، أما العمالة الأفريقية في الصناعة فقد كانت غالبيتها العظمى من العمال الأفارقة من داخل الاتحاد ، وشكل نظام العمالة الوافدة حالة خاصة في منطقة الجنوب أفريقي ، ففي هذه المنطقة كانت هناك دول ذات اقتصاد بدائي ، بينما كانت توجد في أقصى الطرف الجنوبي دولة آخذة في النمو الصناعي وذات صلات وثيقة مع اقتصاد العالم الغربي ، وهو التناقض الذي أدى إلى استمرار نظام العمالة الوافدة حتى الوقت الراهن .

الملاحق

العام	عنوان الوثيقة
١٩١٦	The South African Native National Congress, Resolution against the Natives Land Act 1913 and the Report of the Natives Land Commission, 2 October 1916, www.anc.org.za/docs.
١٩٢١	Manifesto of the Communist Party of South Africa (Adopted at the Inaugural Conference of the Party, cape Town, 30 July, 1921), www.anc.org.za/docs
١٩٢٢	The Communist Party of South Africa, The Fight to a Finish, (published for the striking workers of the Witwatersrand on 30 January 1922), The International, No. 321, Vol. VI, 3 February 1922), www.anc.org.za/docs.
١٩٢٧	Speech of J. T. Gumede, President of the African National Congress at the International Congress Against Imperialism, Brussels, 10-15 February 1927, www.anc.org.za/docs
١٩٤٨	The National Executive Committee of the ANC Youth League, ANC Youth League Basic Policy Document, 1948, www.anc.org.docs
١٩٤٩	Central Intelligence Agency, U. S. A. , The political Situation in the Union of South Africa , CIA Historical Review Program , 31 January'1949 , www.foia.gov.com
١٩٥١	DO. 35 /3261, South Africa, Bantu Authorities Act, 1951, Commonwealth Relations Office print (15 January 1952).
١٩٥٢	رقم الإفادة ١١ سري (رقم الملف ٦/١/١) : مقاومة الشيوعية في اتحاد جنوب أفريقيا ، تقرير من قبل المفوضية الملكية المصرية بمدينة بريتوريا ، (تحريرا في ٣٠ يونيو ١٩٥٢) ، إعداد : حسين منصور (القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية بمدينة بريتوريا) .
١٩٥٥	Declaration of Principles Adopted at the Foundation Conference of the South African Congress of Trade Unions, On 5 March 1955, and Included As a Preamble To Its Constitution, www.anc.org.za/ancdocs/history
١٩٥٦	DO35/4382 , Inward Telegram to Commonwealth Relations Office (received : 9th April , 1956) , South Africa Fortnightly Summary , 22nd March , 1956 To 4th April , 1956.
١٩٥٦	DO. 35/4382 , 63/54 , South Africa : Report of The Tomlinson Commission ,Commonwealth Relations Office , 22nd August , 1956 .

	عنوان الوثيقة
١٩٥٦	DO. 35/4382 , 63/54 , Government Decisions on the Recommendations of the Commission for Socio-Economic Development of the Bantu Areas within the Union of South Africa , Memorandum , 1956.
١٩٥٩	DO. 35/8713 , 63/54 , South Africa : Development in Apartheid Policy , Commonwealth Relations Office print , 16th April , 1959.

المفوضية الملكية المصرية بمدينة بريتوريا س س

مقاومة الشيوعية في اتحاد جنوب أفريقيا

(تحريرا في ٣٠ / ٦ سنة ١٩٥٢)

رقم الإفادة ١١ سري

رقم الملف ٦ / ١ / ١

رقم المرفقات ٤

حضرة صاحب السعادة وكيل وزارة الخارجية

اتشرف بأن ارفق مع هذا تقرير المفوضية عن مقاومة الشيوعية في اتحاد جنوب أفريقيا .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

القائم بالأعمال

حسين منصور

أرسلت صورة إلي ديوان جلالة الملك يوم ٨ / ٧

أرسلت صورة إلي مكتب رفعة الرئيس يوم ٨ /٧

الخارجية قسم الوارد ٨ يوليو ١٩٥٢

مقاومة الشيوعية في اتحاد جنوب أفريقيا

ظهرت بوادر الحركة الشيوعية في جنوب أفريقيا في اعقاب الحرب العالمية الأولي فتألف الحزب الشيوعي في سنة ١٩٢٤ ، ولم يكن له في ذلك الوقت شان يذكر ، ثم جاءت الحرب العالمية الثانية وما صاحبها من نهضة البلاد الصناعية وظهور الحركة العمالية ثم تنظيم نقابات العمال ونموها حتي بلغ عدد النقابات المسجلة في الوقت الحاضر ما يقرب من مائتين ، يضاف إلي ذلك زيادة وسائل التعليم بين الزنوج – وهم أغلبية السكان – وانتشار الجرائد التي تنطق بلغاتهم .

وقد فطنت حكومة الجنرال سمطس الراحل منذ نهاية الحرب الماضية إلي خطورة الحركة الشيوعية في البلاد وكان ذلك علي اثر حركة الاضراب بين عمال مناجم الترانسفال في سنة ١٩٤٦ فاظهر التحقيق وقتئذ مدى نشاط الحزب الشيوعي كما ثبت اشتراك بعض نقابات العمال في تحريض الوطنيين علي الاستمرار في الاضراب ، وكان بين المتهمين كثير من الشيوعيين حوكموا بمقتضي القوانين التي كانت سارية في مدة الحرب علي اعتبار ان الاضراب كان غير قانوني ، وقد أثار ذلك اهتمام السلطات المختصة فتقدم وزير العدل وقتئذ إلي مجلس الوزراء بتقرير سري عن الحركة الشيوعية في البلاد منوها بالخطر الي قد تتعرض له البلاد من جراء الدعاية الشيوعية التي سوف تجد الطريق ممهدا بين الملايين من السود ، كما أنه قد اشير في ذلك الوقت إلي اتصال الحزب الشيوعي في جنوب أفريقيا بالمنظمات الشيوعية في البلاد الخرى وإلي أن الهدف الذي يرمي إليه هو الإشراف علي نقابات العمال إلي أن يحين الوقت المناسب للقيام بالثورة الشيوعية العالمية .

حكومة الدكتور مالان :

وقد بقي الحال كذلك ولم تتخذ السلطات أي إجراء إلي ان جاءت الانتخابات النيابية العامة في سنة ١٩٤٨ وما تلي ذلك من نجاح الحزب الوطني وتأليف حكومة الدكتور مالان ، وفي هذه الأثناء كان الحزب الشيوعي ينمو ويزداد نشاطا كما زاد عدد نقابات العمال وامتد نفوذ الحزب المذكور إلي كثير منها ، ولم يكن الحزب الشيوعي ممثلا في البرلمان غلي أن جاءت الانتخابات المذكورة فكان احد النواب الثلاثة الأوروبيين الذين يمثلون الوطنيين السود في مجلس النواب وهو مرشح

الحــزب الشــيوعي ويدعــي ســام خــان فقــد انتخبــه الوطنيون نائبا عنهم في غعدي دوائــر الكــاب ممـــا يشــير إلي اتجاه أفكارهم وما يمكن ان يترتب علي ذلك من خطورة وهم يمثلون غالبية السكان كما ذكر .

ولمــا كــان مـــن المنــتظر ان تكــون سياســة الحكومة الجديدة العنصرية المتطرفة سببا فـــي انتشـــار روح الـــتذمر بيـــن ملايـــن السكان من غير الأوروبيين فقد انتقلت الدعاية الشـــيوعية إلـــي هـــذا المـــيدان – مـــيدان الـــتفرقة العنصـــرية – حيــث وجــد الحزب الشــيوعي المجــال متســعا لبــث دعايــته ونشـــر تعالـــيمه ، ومن العوامل التي كان لها بعــض الأثـــر فـــي هـــذه الناحـــية اشـــتراك عـــدد ليس باليسير من السود والملونين مع قـــوات جـــنوب أفريقـــيا فـــي الحـــرب الماضية فكان وجودهم خارج الاتحاد وما شاهدوه مـــن عـــدم الـــتفرقة بيـــن الأجـــناس في البلاد الأخرى مما نبههم ولفت نظرهم إلي النظام الشاذ السائد في بلادهم والذي ترتب عليه غهدار بعض حقوقهم الأساسية .

قانون مقاومة الشيوعية :

إزاء ذلـــك فقـــد وطـــدت الحكومـــة الحاضـــرة العـــزم منذ تبوأت الحكم للقضاء علي هذه الحـــركة قـــبل اســـتفحالها ولإمكـــان الاســـتمرار في تنفيذ سياستها العنصرية فاستصدرت فـــي يولـــيو ١٩٥٠ قـــانون مقاومـــة الشـــيوعية The Suppression of Communism Act ، وبمقتضـــى هـــذا القـــانون اصـــبح اعتـــناق المبادئ الشيوعية أو الـــترويج لهـــا محـــرما ، وفـــي أثـــناء ذلـــك وقـــبل صـــدور القـــانون اجتمع الحزب الشـــيوعي وقـــررت لجنـــته التنفـــيذية اعتـــبار الحـــزب منحلا من تلقاء نفسه وبذلك فقد انـــتقل النشـــاط الشـــيوعي فـــي هـــذه الـــبلاد إلـــي التستر والخفاء كما أصبح تطبيق هذا القـــانون غـــير متيســـر فلـــم تـــر الحكومة بدا من التقدم إلي البرلمان في السنة التالية (١٩٥١) بمشـــروع قـــانون بـــتعديل القـــانون الســـابق وبمقتضـــي هذا التعديل حصلت (الحكومـــة) علـــي ســـلطات واســـعة شـــبه ديكتاتورية ليس لها مثيل في أي بلد دستوري وذلـــك حتـــي يمكـــنها ان تتعقـــب أصـــحاب المـــيول الشـــيوعية وأن تشل نشاطهم دون تدخـــل الســـلطات القضـــائية ، فيمكـــن للحكومـــة الآن ان توجه تهمة الشيوعية غلي اي أي فـــرد أو هيـــئة حتـــي لـــو كـــان من بين اعضاء البرلمان وكذلك الحال مع أي جريدة ومجلـــة ، وعلـــي مـــن توجـــه إلـــيه التهمة أن يثبت العكس في خلال مدة معينة فإذا لم

يقتنع وزير العدل امكنه القيام بتنفيذ الاجراءات المنصوص عليها في القانون سابق الذكر وتشمل :

١- الفصل او الإقالة من الوظيفة حكومية أو غير حكومية .

٢- حظر الحضور أو الاشتراك في الاجتماعات العامة .

٣- تحريم الانتقال من الولاية التي يقيم بها المتهم إلي ولاية اخرى في بحر سنتين .

علي ان يكون لمجلس النواب الرأى الأخير فيما يتعلق بمن يكون متهما من اعضاء البرلمان وكذلك اعضاء الهيئات النيابية الإقليمية .

اللجنة البرلمانية :

وقد بدأت الحكومة بتطبيق هذه القواعد الجديدة إزاء عضوين بارزين احدهما في مجلس النواب ويدعى سام كاهن Sam Kahn وقد سبقت الإشارة إليه والاخر عضو في مجلس ولاية الكاب ويدعي (فريد كارنسون) Fred Carneson وتألفت لجنة برلمانية لبحث حالتيهما فقررت بإجماع الاراء ان تهمة اعتناق الشيوعية الموجهة إليهما صحيحة ، كما أوصت بأغلبية الأصوات وليس بالإجماع بحرمانهما من عضوية المجلسين أما أقلية أعضاء اللجنة فقد رأت عدم ضرورة تطبيق عقوبة الفصل فلم يثبت أنهما قاما بأي نشاط شيوعي منذ صدور القانون .

وفي ٢٠ مايو الماضي وبعد مناقشات دارت يومين وافق مجلس النواب علي تقرير اللجنة بأغلبية ٧٧ صوت مقابل ٥٥ ، وبناء علي ذلك فقد أخطر كل من هذين العضوين بسقوط صفة النيابة وانتهاء عضويتهما ، فكان لتلك الخطوة الجريئة من الحكومة بالغ الثر داخل البرلمان وخارجه حيث نبهت الأذهان إلي تلك السلطات الواسعة التي قلما تحصل عليها أي حكومة ديمقراطية ، وقد افع النائب سام خان عن نفسه في آخر جلسة حضرها في البرلمان قائلا أنه حقيقة يعتنق المبادئ الشيوعية ولكنه لم يقم بأي عمل يخالف القانون منذ صدوره وأن هذه السلطات الواسعة التي بيد الحكومة تعتبر غير دستورية فليس هناك ضمان يمنع من سوء استعمال الحكومة لها للتنكيل بخصومها السياسيين ، ثم قال غنه إنما يدافع عن بعض المثل العليا وانه حريص علي امانته وليس في ذلك ما يمس القانون ، وقد أخبرني احد النواب وهو وزير سابق علي إثر انتهاء الجلسة التاريخية أنه كان

يشعر بالخجل في أثناء الخطاب المتزن الذي ألقاه النائب المفصول وللطريقة المزرية التي عومل بها عضو في المجلس انتخبه الشعب انتخابا صحيحا ، ويؤخذ علي هذا القانون والسلطات الواسعة التي حصلت الحكومة عليها بمقتضاه أولا رجعيته بمعني غمكان السلطات اتخاذ مثل هذه الإجراءات الشديدة علي من كان شيوعيا فيما مضي ولم يثبت عليه اي نشاط شيوعي بعد ذلك ، وثانيا حرمان المتهم من رفع الأمر إلي المحاكم وكذلك من حق الاستئناف أمام هيئة قضائية وكان من رأي المعارضة وهي تتفق مع الحكومة في ضرورة مقاومة الشيوعية أن مثل هذه السلطات الواسعة لا يجوز استعمالها إلا في حالة الضرورة القصوى كما أنه سوف يترتب علي تصرف الحكومة بهذا الشكل ان يصبح المستر " خان " المشار إليه بطلا في نظر الجماهير أما الدوائر الحكومية فمن رأيها أن هذين العضوين قد قررا بانهما شيوعيان وفي هذا الكفاية .

نقابات العمال :

وفي هذه الثناء قام وزير العدل ايضا بمثل هذا الإجراء في مواجهة ستة آخرين ممن كانوا ينتمون إلي الحزب الشيوعي المنحل ، أربعة أوروبيين واثنان من غير الأوروبيين وهم جميعا من موظفي نقابات العمال أو ممن يشرفون علي بعضها ، وبناء علي ذلك فقد صدرت إليهم الأوامر بالاستقالة من وظائفهم وعدم مغادرة الولاية التي يقيمون بها ونبه عليهم بعدم الحضور أو الاشتراك في أي اجتماع عام فيما عدا الاجتماعات الرياضية أو ذات الصبغة الاجتماعية أو الدينية .

وكان في طليعة هؤلاء مستر (سولومون ساتشس) Solomon Sachs سكرتير عام نقابة الملابس ، وقد ترتب علي ذلك قيام أعضاء هذه النقابة بالمظاهرات وعقد الاجتماعات من أجل الاحتجاج علي ما سموه تدخل الحكومة في شئون النقابات ، وقد حضر Sachs بعض هذه الاجتماعات وخاطب المتظاهرين وقبض عليه البوليس وحصل بعض الشغب حيث اعتدي الجمهور علي البوليس الذي رد العدوان فكان من نتيجة ذلك بعض الاصابات بين الطرفين .

لم تعبا الحكومة بهذه المقاومة واستمرت السلطات في تنفيذ القانون سواء بين نقابات العمال أو زعماء الوطنيين السوط والهنود حتي بلغ عددهم ثمانية عشر من بينهم عدا من ذكر

- سكرتير اتحاد عمال الدخان G. Ponen .
- رئيس مؤتمر الهنود في جنوب أفريقيا Y. Mohammed Dadoo
- سكرتير عام حزب مؤتمر الوطنيين السود Moses Kotane .
- سكرتير حزب مؤتمر الوطنيين – فرع الترنسفال David Wilcox . Bobape
- سكرتير حزب مؤتمر الوطنيين – فرع الناتال Sengan Poonen .
- عضو حزب مؤتمر الوطنيين J. P. Motsele .
- سكرتير المؤتمر الهندي في الترنسفالIsmail Bhoola .

والواقع هو أن بعض العناصر الشيوعية كانت قد تسربت إلي نقابات العمال ولكن مما لا شك فيه أيضا أن بعض هذه النقابات بعيد كل البعد عن الحركة الشيوعية ، وقد يكون من جراء سلوك الحكومة هذا السبيل اضطراب شئون النقابات نتيجة لاقصاء بعض من يشغلون الوظائف الرئيسية بها خصوصا ومعظمهم قام بخدمات لا يستهان بها للعمال فكان ذلك حافزا علي تنظيم جبهة من النقابات لمقاومة طغيان الحكومة بعيدا عن ميدان السياسة ودون الانتصار للمبادئ الشيوعية ولكن حفظا لكيان النقابات وللمحافظة علي حقوق العامل ، ومن أجل ذلك فقد تقرر عقد مؤتمر عام للنقابات يومي ٩ و ١٠ يونيو في جوهانسبرج كما قام حزب العمال في جنوب أفريقيا وكذلك بعض النقابات يناشدون الهيئات بمد يد المساعدة الأدبية والمعنوية إليها ، وقد تقرر في هذا الاجتماع تأليف لجنة من بعض المشرفين علي النقابات لمناشدة الحكومة عدم الاستمرار في هذا الطريق الوعر وضرورة تعديل القانون بحيث يصبح لمن توجه إليه تهمة الشيوعية الحق في استئناف الأمر أمام المحاكم أو علي الأقل بأن تقوم الحكومة بالاتصال بهذه اللجنة كما رأت مواجهة موظفي النقابات بتهمة الشيوعية ، وقد استقر الرأي علي ان يقابل رئيس الحكومة وفد من زعماء نقابات العمال لتقديم مقترحاتهم إليه من اجل الوصول إلي حل لهذه المشكلة .

لم تخف خطورة هذه الحركة علي حكومة الدكتور مالان خصوصا وقد اقترب ميعاد المعركة الانتخابية التي ستكون فاصلة ، فما كاد جنابه يعود إلي بريتوريا بعد انتهاء الدورة البرلمانية حتي بادر بمقابلة أعضاء هذا الوفد ، والمعروف ان الحكومة قد توافق علي حل وسط .

اما فيما يتعلق بالوطنيين السود ورد فعلهم فقد بدأوا بحركة عصيان أو المقاومة لبعض القوانين الجائرة وهي حركة رمزية تتمثل في قيام جماعات منظمة من المتطوعين بمخالفة القوانين العنصرية عمدا ، وكان ذلك ابتداء من يوم ٢٦ يونيو الحالي وقيام البوليس بالقبض عليهم فورا لمحاكمتهم .

ولا يفوتنا في هذه المناسبة الإشارة إلي ما اتخذته السلطات هنا تجاه جريدة The Guardian وهي جريدة أسبوعية يسارية معروفة بميولها الاشتراكية ، كما انها تعطف علي مطالب الوطنيين السود فصدرت إليها الوامر بالتوقف عن الظهور تطبيقا لقانون مقاومة الشيوعية

القائم بالأعمال

DECLARATION OF PRINCIPLES ADOPTED AT THE FOUNDATION CONFERENCE OF THE SOUTH AFRICAN CONGRESS OF TRADE UNIONS, ON 5 MARCH 1955, AND INCLUDED AS A PREAMBLE TO ITS CONSTITUTION

History has shown that unorganised workers are unable to improve their wages and conditions of work on a lasting basis. Only where workers have organised in effective trade unions have they been able to improve their lot, raise their standard of living and generally protect themselves and their families against the insecurities of life.

The whole experience of the Trade Union Movement the world over has furthermore established the fac that the Movement can only progress on the basis of unity and in the spirit of brotherhood and solidarity of all workers. Trade Unions must unreservedly reject any attempts to sow disunity among the workers, on the basis of colour or nationality or any other basis.

Just as the individual worker, or any group of workers, are unable to improve their lot without organisation into Trade Unions, so is the individual trade union powerless unless there is in existence a coordinating body of trade unions which unites the efforts of all workers. For such a trade union federation to be successful, it must be able to speak on behalf of all workers, irrespective of race or colour, nationality or sex.

The future of the people of South Africa is in the hands of its workers. Only the working class, in alliance with other progressive minded sections of the community, can build a happy life for all South Africans, a life free from unemployment, insecurity and poverty, free from racial hatred and oppression, a life of vast opportunities for all people.

But the working class can only succeed in this great and noble endeavour if it itself is united and strong, if it is conscious of its inspiring responsibility. The workers of South Africa need a united trade union movement in which all sections of the working class can play their part unhindered by prejudice or racial discrimination. Only such a truly united movement can serve effectively the interests of the workers, both the immediate interests of higher wages and better conditions of life and work as well as the ultimate objective of complete emancipation, for which our forefathers have fought.

We firmly declare that the interests of all workers are alike, whether they be European, African, Coloured, Indian, English, Afrikaans or Jewish. We resolve that this coordinating body of trade unions shall strive to unite all workers in its ranks, without discrimination, and without prejudice. We resolve that this body shall determinedly seek to further and protect the interests of all workers, and that its guiding motto shall be the universal slogan of working class solidarity: -

'AN INJURY TO ONE IS AN INJURY TO ALL!'

MEMORANDUM

GOVERNMENT DECISIONS ON THE RECOMMENDATIONS OF THE COMMISSION FOR THE SOCIO-ECONOMIC DEVELOPMENT OF THE BANTU AREAS WITHIN THE UNION OF SOUTH AFRICA.

W.P. F—'56]

GOVERNMENT DECISIONS ON THE RECOMMENDATIONS OF THE COMMISSION FOR THE SOCIO-ECONOMIC DEVELOPMENT OF THE BANTU AREAS WITHIN THE UNION OF SOUTH AFRICA.

In connection with the Report of the Socio-Economic Commission it is necessary that the Government should make known its attitude in three respects.

I. *On the work performed by the Commission in ascertaining and compiling all the relevant facts.*

The factual material obtained by valuable basic research of a scientific nature and by the compilation of previously established but often inaccessible data (which together constitute the main objective aimed at in appointing such a commission) is accepted—not only as the basis of the findings and views of the Commission itself but also as a basis for the further development of ideas and the determination of policy, by the Government and the departments concerned, in so far as amplification may prove necessary.

II. *On the stand taken by the Commission on the general policy trends advocated for the country namely*

(*a*) *Integration or Apartheid (that is to say separate development), and*

(*b*) *the planned development of the Bantu Areas based on ethnic grouping.*

The Government welcomes the unequivocal rejection of the policy of Integration and of any theories on a possible middle course, as well as the justification by the Commission of the policy of Apartheid (Separate Development) of the Government, gradually but purposefully applied. It also welcomes the endorsement of the standpoint of the Government, maintained through the years, that sufficiently rapid progress will have been made, and the further advancement of the process of separation guaranteed—in other words that security would be ensured for white civilization and opportunities created for both racial groups in all spheres, each in its own territory or among its own people—if after a period of fifty years an approximately equal proportion of whites and Bantu has been reached in European territory. The Government furthermore welcomes the support given its existing practice of planning and developing the Bantu Areas and the community life of the Bantu in such a way that they can serve their own people, and agrees that the pace should be steadily accelerated.

III. *On the recommendations of the Commission on the administrative and other measures to attain the object in view.*

Choice of the methods by which the agreed aims of the Commission and the Government may best be realised is obviously not, like the determination of facts, a matter of scientific proof but of individual judgment. The Government appreciates the views expressed by the members of the Commission in this respect and carefully weighs each theory and recommendation. In addition the Government must take into account other considered views based upon much wider practical experience of administrative affairs, the possible use of existing state machinery, the applicability of methods suggested and the conduct of the country's finances. Such views can be placed at its disposal by the Public Service or gained by consultation with those in authority. The aim will always be to promote the accepted idea of progressive separation at the desired pace in a manner which will take the financial resources into account, will fit into the general administrative set-up, will not undermine the prosperity of the country or upset the way of life of European or Bantu, and will take into consideration adaptability to the changing circumstances that will arise.

With this in mind the Government announces at this stage the following decisions on various recommendations. The necessary further decisions in connection with the task in hand will obviously have to be taken and announced, and former decisions amended, as practical progress is made from stage to stage. It follows that the necessary appropriation of funds will have to be sought annually from Parliament in accordance with the growing needs, the plans submitted and the country's capacity in each phase to meet such obligations.

Recommendations.	*Decisions.*
1. It is necessary to differentiate between the farming community in the Bantu Areas (by the allocation of economic farming units to suitable families) and the non-farming members of the community for whom other sources of income and places to live in must be provided (p. 113 and 118).	1. This is already the policy of the present Government. It is, however, a lengthy process, and therefore significant results are not yet noticeable. The Government agrees that the tempo should be accelerated as much as possible.
2. A certain basis must be laid down for what would be economic units for different types of farming (p. 113-114) and there must be planning of Bantu farming patterns for various homogeneous agricultural regions (p. 114-116 and 118 (paragraph 47 B) - 119).	2. These proposals are accepted in principle. (The financial implications, the methods of providing funds, and the distribution of new expenditure over the years require further attention).
3. General measures dealing with Bantu Agriculture must be introduced (p. 117-120).	3. *Paragraph* 47 *A*. This embraces what is already largely accepted policy, but careful application in consultation with the Bantu Authorities or Community is essential and (iv) (*a*) - (*c*) concerns the organisation of the Department of Native Affairs to such an extent that their effect upon other functions of the Department must first be investigated. (The same applies to paragraph 47 G). *Paragraph* 47 *C*. The Government is not prepared to do away with tribal tenure of rural land and to substitute individual tenure based on purchase, nor does it propose to give preference to individual acquisition of land above Tribal and Trust purchase in the released areas. It will, as in the past, allow for the possibility of individual purchase by suitable buyers and with proper safeguards in released areas. The desired aim of *stable* occupational rights on allotments in Tribal and Trust area (instead of uncertainty year by year) must be secured rather by modernizing the methods and the conditions which govern the allotment of land by tribal authorities. This is in fact more in accordance with suggestions such as those made under (xii) than private ownership would be. The Government is not prepared to agree at this stage to the acquisition for occupation of more than one economic farming unit by a single individual and thus to

become responsible for the possible development of ownership of large tracts of land by some instead of the proper settlement of many.

Support will be given to other details mentioned under C. The Government is, however, not in favour of the establishment of Bantu Land Boards (p. 195 III (iv) (*e*)). The Bantu Authority System should undertake the task involved in this proposal and where such Authorities do not yet exist appropriate transition measures will be adopted with the co-operation of the Bantu Communities.

Paragraph 47 *D*. This is approved and is in fact already accepted policy.

Paragraph 47 *E*. (See also p. 197 (xvi). The proposals are approved except that (i) is a temporary expedient until (iii), which has already received the attention of the Department for some considerable time, can replace it. The recommendations under (iv) must wait until the problem becomes more urgent because of greater production and until further investigation of marketing problems in European areas has led to more satisfactory solutions there which will prove of value in this connection.

Paragraph 47 *F*. These recommendations largely fall away in as much as they refer to the purchase of land, but where the need for credit exists for individual occupiers of economic units to enable them to develop these properly, the Government wishes to investigate first whether the Native Trust, which grants such aid in certain cases at present, or the Bantu Areas Division (formerly Lands section) of the Department of Native Affairs, is the most suitable agency to provide and control credit.

4. Irrigation farming must be systematically developed according to plan (p. 121).

4. *Paragraph* 18. (See also p. 197 B). By and large this is already Government policy and any new suggestions made under this heading are approved.

Paragraph 19. The policy is to grant stable occupational rights under the proposed type of con-

ditions. General management of a local nature will be by the Bantu Authority concerned, which body, rather than new committees of control, is also the correct Bantu organisation—perhaps with the assistance of a sub-Committee—to attend to the allotment of plots. Bantu Co-operative Societies may be developed for the control of mutual business interests.

5. Plans to promote the growing of sugar cane (p. 122 and 197 C) must be developed.

5. These proposals are approved in principle. (In any case they conform to the plans previously submitted by the Department and approved by the Minister of Native Affairs). Paragraph 19, however, deals with details of administration which are left in the hands of the Department of Native Affairs and paragraphs 21 and 22 are based upon the principle of private land ownership instead of what has been approved viz. stable occupational rights wherever communal Bantu ownership exists, and therefore fall away.

(The financial implications are accepted in principle, but detailed proposals are referred to Treasury for closer investigation and recommendation).

6. Incentive to fibre culture is essential (p. 124 and 125 and 197 D).

6. Similar plans were submitted by the Agricultural Branch of the Department of Native Affairs some years ago, and approved. The Branch is already engaged on the preliminary work such as the cultivation and distribution of plants, and the necessary propaganda. Paragraphs 13-15 and p. 197 D are approved, thus confirming existing policy.

7. Measures must be introduced which will accelerate the development of forestry in Native areas (p. 128 and 198 E).

7. Some considerable time ago the Government approved of an agreement between the Ministers of Native Affairs and Forestry according to which the Department of Forestry will act as agent and technical contractor for the afforestation and maintenance of forests in Bantu areas on behalf of the Department of Native Affairs by means of a special branch of Bantu Forestry which is being established in the Department of Forestry. The Department of Native Affairs will continue to administer the areas and the affairs

of the population concerned, and will also guard the economic interests of the Bantu created by the value of these products. Policy and planning as requested in paragraph 30 (page 128) are already under way as well as arrangements with the Department of Forestry of the nature proposed in paragraphs 34 and 36.

The Department of Native Affairs, in accordance with this agreement, remains responsible for smaller and indigenous forests through its Bantu Areas Division and its Agricultural Branch, and the appointment of a Forestry Section under an Assistant Director is not considered necessary at this stage (paragraph 35).

The method of financing these projects is being determined in consultation with the Minister of Finance on the basis of proposals involving long term planning and the Government is not prepared at this stage to decide upon the suggestion that a Forestry Development Fund for Bantu areas should be created (paragraph 37).

The training of Bantu in forestry and their admission into this industry in Bantu areas is in accordance with policy.

8. The development of Bantu Mining (p. 130-131, paragraphs 18-27; page 198 F) is necessary.

8. The Government is sympathetically disposed towards the general point of view inherent in the proposals on mining in Bantu areas which incidentally do not differ in principle from a report submitted some years ago by an Inter-departmental Committee appointed by the Minister of Native Affairs and on which the Department is already acting. The Government does not consider the time appropriate for going beyond the present practice and therefore regards the introduction of a fully equipped Mining Section or prospecting and mining by Bantu as premature. The grading up of the post of mining expert of the Department of Native Affairs will, however, be considered, as well as the possibility of a geological and geophysical survey whether it be with the assitance of the Mines Department or by its own geologists.

9. The establishment of industries inside Bantu areas (Chapters 34-36) must be undertaken.

9. (i) The Government accepts the policy that Bantu enterprise, unimpeded by European competition, should be enabled to develop its own industries—with or without assistance—*inside* Bantu areas, and therefore not that private European industrialists should be permitted into these areas. (Paragraph 16, p. 138 is therefore, in so far as it deals with this matter, rejected and the minority report paragraph 29, p. 142) accepted). It is realised that Bantu industrialists will begin with smaller undertakings, as also envisaged by the Commission, and that service industries in particular should be encouraged.

(ii) The Government accepts that planning, encouragement and sometimes financial assistance will be required, and that the Department of Native Affairs, after consultation with the State Departments concerned, must be able to guide and assist the Bantu industrialist, even where smaller industries are concerned.

(iii) Such financing should be based chiefly on the principle of self-aid by the mobilization of Bantu capital in a Bantu Areas Investment Organisation. This will be encouraged by making use of funds at the disposal of the Native Trust from which an amount of at least £½ million can be granted immediately for the commencement of this scheme.

(iv) In particular cases the Government would agree to the establishment of potential Bantu undertakings by means of the said Bantu Areas Investment Organisation, so that control and guidance will be offered to the Bantu in the field of industry in exactly the same way as is done in the domain of administration, for as long as such help is required.

(v) The Government considers it advisable that detailed decisions on proposals dealing with wage determinations and labour problems (p. 137-138) be held in abeyance until these become of practical importance. It is, however, in general favourably disposed towards the attitude of the Commission on these matters.

(vi) The provision of basic services (paragraph 14) depends so much upon circumstances that, since Bantu concerns will initially be on a small scale, decisions upon such matters will have to be taken in accordance with local conditions as the occasions arise.

(vii) The Government does not regard it desirable at this stage to decide upon the establishment of a Development Corporation (paragraph 18, page 139), or a Development Council (paragraph 20, page 188 and B (vi) page 205), but will appoint a special officer in the Department of Native Affairs, who will be adequately assisted by the necessary staff and an Inter-departmental Advisory Committee, to commence dealing with the various tasks indicated. Should it appear at a later stage in the light or practical experience that the proposal to establish such a Development Council then deserves serious consideration, it will again be laid before the Cabinet.

As soon as industrial development inside Bantu areas takes shape attention will be given to proposals relating to personnel research and training of the Bantu.

(viii) The possible areas for the establishment of industries within Bantu territories as indicated by the Commission, will be developed for the establishment of Bantu or Bantu Trust enterprises (p. 143-144), when and to the extent needed.

10. Measures should be taken for the establishment of Industries near Bantu areas (p. 140 A and p. 144 (iv)).

10. The Government regards the development of industries owned by Europeans but requiring large numbers of native labourers in suitable European areas near Bantu territory *as of the utmost importance for the sound socio-economic development of the Bantu areas* and intends to take the necessary steps gradually to create the desired conditions for attracting industries to such areas. Among other things it will take into account places indicated by the Commission (p. 144). The recommendation that an amount of £25 million should be placed over a period of 5 years at the disposal of the type of Development Corporation which the Commission had in view, was pre-

sumably based upon the principle, which is not accepted, of the admission of large European privately owned industries into the Bantu areas. This proposal, which in any event means the large scale subsidisation or financing of competitive industries under different conditions to those in which existing industries are functioning, therefore falls away, but the Government intends to provide assistance to private European initiative desirous of establishing industries on suitable sites adjoining Bantu areas, and will investigate the suitability for this purpose, and the readiness to undertake this service, of existing institutions such as the Industrial Development Corporation.

The development of Bantu towns inside Bantu areas but within easy distance of such European areas is one of the steps taken to facilitate the development of industries.

11. The implications for South Africa of inter alia the proposed industrial development should be accepted (Chapter 51).

11. Throughout, the policy of industrial development will be implemented with due regard to the interests of established industries and employees in European areas, and for this reason its application will be effected in the closest cooperation with organisations and departments concerned.

12. Town Development must take place on a large scale inside Bantu areas (p. 149 F and 200 B).

12. The Department of Native Affairs has for some considerable time been occupied with the layout of over 40 such towns or potential cities in which the policy of private ownership of plots is applied. The Government, having previously approved these plans of the Minister of Native Affairs, is therefore already actively carrying out what the Commission recommends. The recommendations of the Commission (page 149, paragraph 66) are therefore approved, except that paragraph 66 (v) is not accepted as a necessary method of organisation at this stage in as much as adequate progress is at present being maintained by a subsection of the Department of Native Affairs, with a Senior official in charge. Should the development later require other more expensive and more involved forms of organisation and control, attention

will be given to the Commission's proposal for a Township Board. Village management councils are to be linked with the Bantu Authority System and the Department of Native Affairs will provide the necessary guidance and training for these bodies just as it is rendering this service to tribal, regional and territorial authorities.

13. Participation in Commerce and the provision for commercial training should be encouraged (p. 150-151, 200).

13. The Government approves of what is recommended on page 200 (vi) (iii) (especially as it is already the practice of the Department of Native Affairs), except that the relevant functions will not be performed by a Development Corporation as under (*c*), but by the Bantu Areas Investment Organisation already mentioned, and furthermore that with reference to (*e*) it is regarded as preferable to second such an official, who is to be an expert on Co-operative Societies, to the Department of Native Affairs, which alone can provide the countrywide administrative machinery to enable him to perform his task satisfactorily.

14. Having regard to the beneficial influence exerted by them on the Bantu in Bantu areas, the State should assist the Churches to perform their task efficiently (p. 154, 156-158, 201).

14. The Government is completely at one with the Commission in its high esteem of the great value of the positive religious work of Churches, performed in the right spirit, and it will render all the assistance which is fitting and within its power.

The establishment of a special branch in the Department of Native Affairs for Church and Mission activities is for the present too ambitious, but the Government is nevertheless prepared to detail a special officer in this Department to deal with matters falling within this category. He will serve as liaison officer between the Department and the Churches and, because of expert knowledge in this field, may be in a position to help them when planning their activities, if requested to do so.

The Native Affairs Commission will in collaboration with the Department of Native Affairs, thoroughly investigate the implications of the recommendations on the registration anew of all Churches and Societies, as well as the recommendations on the issue

of permits to all missionary workers, and in particular to those who desire to work in Bantu areas.

The radius rule has already been abolished since the introduction of the new system of Bantu Education, and on the advice of the Native Affairs Commission new rules for the allocation of occupation rights have been adopted.

The Minister of Native Affairs has repeatedly warned against the haphazard growth of a large number of religious organisations amongst the Bantu, and has appealed to the recognised Churches and the Bantu Community to effect the re-union of allied groups. The policy, already in force for a long time, of refusing to grant privileges to new groups and of demanding a high standard, in terms of congregations served and numbers of registered church members, before considering recognition, has unfortunately not proved to be an effective deterrent. Whether the State should go still further and intervene, as suggested, by a system of licensing approved church workers and thereby possibly curtailing religious liberty, is open to very grave doubt. The Government is not prepared to approve of such steps.

The time is not regarded as opportune for the transfer of the subsidisation of hospitals and medical services to Bantu Authorities or to the Bantu Community, and another transition period in Bantu areas in the meantime, namely transfer to the Union Government, is not deemed advisable.

The Government does not see its way clear to subsidise missionary work as there are recognised denominations whose outlook on the Bantu and his development is not in accordance with the requirements of the Commission itself, and if they were to be assisted the object of the recommendation would be defeated. At the same time it will not be in the interest of the State or of the Churches if the State were to discriminate between denominations by granting subsidies subject to certain tests, as the latter might be regarded as based on political or other partisan con-

siderations. The same objection applies in the case of contributions by the State towards the training of missionary workers.

15. A comprehensive Health Service must be developed in Bantu areas (p. 163 and 202-203).

15. The Government has directed the Departments of Health and Native Affairs to appoint an Interdepartmental Committee in order to investigate fully, in consultation with other interested authorities, the implications—financial, legal and otherwise—and the feasibility, of implementing in practice the proposed transfer and form of co-operation.

16. The reorganisation and development of Welfare Services should be undertaken by the Department of Native Affairs (p. 165 and 201).

16. The Government approves in principle that at the opportune time Bantu Welfare Services should be placed and developed under the guidance of the Department of Native Affairs. When this happens the relevant recommendations will receive the necessary attention. It is, however, not considered desirable to load the Department of Native Affairs with too many new tasks at the same time as this would inevitably place too great a strain on its capacity to adapt itself to the new situation. Since, furthermore, the Bantu Authorities will be of fundamental importance in this connection, but must still be given the opportunity to take proper root, this decision will only be implemented when the Government is satisfied that the time has arrived.

17. Bantu Education must be distinctive and perform its function in the development of the Bantu areas (p. 202).

17. The policy of the Government as far as school education is concerned is embodied in legislation. It is of course well known that the Government, just as the Commission, regards the integration of Bantu Education in the life of the Bantu Community to be of inestimable value, and also that it accepts the great significance of the Bantu areas in the educational system. No new statement of policy is necessary.

The method of organisation of University training for the Bantu will be made known after the Interdepartmental Committee, appointed to deal with this aspect of Education, has submitted its Report.

18. The Department of Native Affairs must be reorganised and expanded (p. 174-177, 186 and 204-205).

18. The proposals dealing with the reorganisation and expansion of the Department of Native Affairs are so drastic and have so many important financial implications, that the Government is not willing to agree lightly to a sudden complete reorganisation which may easily result in large-scale confusion. The same applies to the proposal for a Development Board and the reconstitution of the functions of the Native Trust. These proposals must be studied carefully and at length. Most of them are not regarded as essential for at least the laying of the foundation during the first few years, and certainly not after the Government has already agreed to a whole series of new activities and personnel referred to in the above decisions. In due course, and having regard to the adaptability of the Department at each stage, any reconstruction which is considered essential, will be carried out without dislocation.

The Government rejects the idea of establishing a whole series of departments, each with its own permanent head, under one Minister (paragraph 105, p. 177). The comparisons made are not considered parallel in as much as in the case of the Department of Native Affairs, not only the co-ordination of policy is involved. All the administrative and other activities are interwoven to such an extent that they must be carried out within a unitary organisation.

19. Control over the appointment of personnel in the Department of Native Affairs should be transferred from the Public Service Commission to that Department (p. 177).

19. The Government is not prepared to accept the suggestion (paragraph 133, p. 177) that the Public Service Commission surrender its control in respect of the appointment of personnel of any Department. Should the increased volume of work, or a greater variety of types of personnel, or the demand for more expeditious performance of duties render it necessary, suitable expansion of the Public Service Commission would sooner be considered.

20. Consolidation of the Bantu areas must gradually be accomplished (p. 182-183).

20. The Government accepts the principle that Territorial Authorities, as envisaged in the Bantu Authorities Act, should be founded on an ethnic basis and, furthermore,

that by the exchange of "black ownership spots" in the European areas (with the co-operation of the European farmers concerned) for land adjacent to Bantu areas, more geographic consolidation will be effected. Since large portions of released area must still be acquired under the Native Trust and Land Act of 1936, it is, however, unrealistic to indicate at present vague boundaries on maps which involve further European land the acquisition of which cannot possibly now be considered. Future Governments may have reason to return to such theories. At the present moment this is not a practical issue.

21. Provision must be made for the financial requirements (p. 192-194).

21. Large amounts are already being expended or provided for in loans or some other form for the housing and transport of the Bantu within European areas. The country's expenditure for providing for the Bantu in the European Urban Areas will skyrocket unless opportunities for making a satisfactory living are made available to them in their own areas where it will also be possible to provide for them on a more economic basis.

It is therefore in the interest of the country—also from a financial point of view—to make considerable amounts available for the development of the Bantu areas in the right manner, and there is no question of the ability of the country to afford this.

The Government is therefore prepared to recommend to Parliament in the near future what amount should now be contributed to the Native Trust Fund particularly for making a beginning with the process of accelerating afforestation, soil conservation and irrigation in the Bantu areas.

As indicated in paragraphs 9 and 10 above, assistance will also be rendered for the establishment of Bantu owned industries *within* the Bantu areas, and European owned industries *near* Bantu areas.

The extent and the rate of development in the different fields of activity cannot be determined in advance with any degree of certainty, and the Government therefore does not deem it advisable to

fix at this stage the amounts needed for the various projects recommended in Chapter 50, section X (v) of the Report. As progress is made, the Government will be in a position to decide what further financial aid should be rendered to the Bantu areas. The Government is convinced that the further development of the Union's valuable natural resources, coupled with the maintenance of a sound financial policy, will enable it to carry out at a satisfactory pace an effective programme which will convert their own areas into a prosperous homeland for the Bantu.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

أولا - الوثائق.

أ- الوثائق غير المنشورة

- باللغة العربية.

- رقم الإفادة ١١ سري (رقم الملف ١/١/٦) : مقاومة الشيوعية في اتحاد جنوب أفريقيا ، تقرير من قبل المفوضية الملكية المصرية بمدينة بريتوريا ، (تحريرا في ٣٠ يونيو ١٩٥٢) ، إعداد : حسين منصور (القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية بمدينة بريتوريا) .

- باللغة الإنجليزية .

- FO / 371 / 167549/, What's Apartheid? , 1963.
- F.O. / 371/167549, What Is Apartheid? South Africa, Apartheid.
- What Is Apartheid? , WO/37/167549, Appendix C.
- DO. 35 /3261, South Africa, Bantu Authorities Act, 1951, Commonwealth Relations Office print (15 January 1952).
- DO35/4382 , Inward Telegram to Commonwealth Relations Office (received : 9th April , 1956) , South Africa Fortnightly Summary , 22nd March , 1956 To 4th April , 1956.
- DO. 35/4382 , 63/54 , South Africa : Report of The Tomlinson Commission ,Commonwealth Relations Office , 22nd August , 1956 , pp.4-5.
- DO. 35/4382 , 63/54 , Government Decisions on the Recommendations of the Commission for Socio-Economic Development of the Bantu Areas within the Union of South Africa , Memorandum , 1956.
- DO. 35/8713 , 63/54 , South Africa : Development in Apartheid Policy , Commonwealth Relations Office print , 16th April , 1959.

ب- الوثائق المنشورة .

- Petition to the Prime Minister, from the Rev. John L. Dube, President, South African Native National Congress, 14 February 1914, (Published in *The Cape Argus)*, www.anc.org.za/docs.
- An Appeal to the Members of the Imperial Parliament and Public of Great Britain, A Petition from the South African Native National Congress, 1914, www.anc.org.za/docs.
- Petition to King George V, from the South African native national Congress, 20 July 1914 (published in *The Cape Argus), www.anc.org.za/docs.*
- The South African Native National Congress, Resolution against the Natives Land Act 1913 and the Report of the Natives Land' Commission, 2 October 1916, www.anc.org.za/docs.
- Makgatho, S. A., and Bud-M'Belle, I., Petition to King George V, from the South African Native National Congress, 16 December 1918, www.anc.org.za/docs.
- Speech of J. T. Gumede, President of the African National Congress at the International Congress Against Imperialism, Brussels, 10-15 February 1927, www.anc.org.za/docs.
- Manifesto of the Communist Party of South Africa (Adopted at the Inaugural Conference of the Party, cape Town, 30 July, 1921), www.anc.org.za/docs
- The Communist Party of South Africa, The Fight to a Finish, (published for the striking workers of the Witwatersrand on 30 January 1922), The International, No. 321, Vol. VI, 3 February 1922), www.anc.org.za/docs.
- The South African Question (1928 Resolution adopted by the Executive Committee of the Communist International) , from The communist International , Vol. VI, No. 2 , 15 December 1928 , www.anc.org.za/docs.
- The Communist Party of South Africa, Arm the People ,(Wartime pamphlet , Issued by the CPSA) , Johannesburg , 1943.
- The African National Congress Youth league , The African Mineworkers' Strike - A National Struggle (a flyer) , August , 1946.

- The National Executive Committee of the ANC Youth League, ANC Youth League Basic Policy Document, 1948, www.anc.org.docs.
- Election Statement by The National Party of South Africa , 29 March , 1948 (in : Wroughton , John and Cook , Denys , Documents on World History) , Macmillan Education , London , 1983
- Central Intelligence Agency, U. S. A. , The political Situation in the Union of South Africa , CIA Historical Review Program , 31 January 1949 , www.foia.gov.com
- African National Congress , A Letter from African National Congress to the Prime Minister of the Union of South Africa , Johannesburg (undated,1952) , (in : Kuper , leo , Passive Resistance in South Africa , Yale University Press , New Haven , 1957) .
- The Office of the Prime Minister , Cape Town , 29th January , 1952.
- Central Intelligence Agency ,National Intelligence Estimate : Probable Developments in the Union of South Africa , 20 Oct. 1952 , www.cia.foia.gov.com
- Declaration of Principles Adopted at the Foundation Conference of the South African Congress of Trade Unions, On 5 March 1955, and Included As a Preamble To Its Constitution, www.anc.org.za/ancdocs/history
- General Strike ' , Statement by Nelson Mandela on Behalf of the National Action Council Following the Stay - At - Home in May 1961 (published by the underground ANC and its offices abroad , 3 June 1961) , www.anc.org.za/docs
- Naiker, M. P., The African Miners' Strike of 1946, www.anc.org.za/ancdocs/history
- South African Communist Party, A Distant Clap of Thunder; Fortieth Anniversary of the 1946 Mine Strike, published 1986 , www.anc.org.za/ancdocs/history
- The Letters of Dr. Yusuf M. Dadoo (a Collection), www.anc.org.za/docs

ثانيا– المراجع .

أ– الكتب .

- Abshire , David M. and Samuel , Michael A. (eds.) , Portuguese Africa , A Handbook) , Pall Mall Press , London , 1969.
- Adam, Heribert, Modernizing Racial Domination: South Africa's Political Dynamics, University of California Press, Berkeley, 1971.
- Adam , Heribert (ed.) : South Africa : Sociological Perspectives , Oxford University Press , London , 1971 .
- Adam , Heribert and Moodley , Kogila , South Africa without Apartheid ,Dismantling Racial Domination , University of California Press , Berkeley , 1986.
- Adams , Thomas R. , Government and Politics in Africa South of the Sahara , Random House , New York , 1967.
- Adler, Glenn and Webster, Eddie (eds.): Trade Unions and Democratization in South Africa, 1985- 1997), Macmillan Press Ltd, London, 2000.
- Ahmed, Abdel Ghaffar M. and Mlay Wilfred (eds.), Environment and Sustainable development in Eastern Africa: Some Critical Issues), Macmillan Press Ltd., London, 1998
- Ake , Claude , Revolutionary Pressures in Africa , Zed Press ltd. , London , 1978.
- Albright, David E. (editor), Africa and International Communism, The Macmillan Press Ltd., U. S. A., 1980
- Anderson , David M. and Ruthbone , Richard (eds.) , Africa's Urban Past) , James Currey , Oxford , 2000
- Anne, Joseph C. and Brown , Godfrey N. (eds.), Africa in the Nineteenth and Twentieth Centuries) , Ibadan University Press and Nelson , London ,1968.
- Banton , Michael : Race Relations , Tavistock Publications , London , 1967.
- Barber, James and Barrett, John, South Africa's Foreign Policy: The Search for Status and Security 1945-1988, Cambridge University Press, Cambridge, 1990.
- Bartlett, Vernon, Struggle for Africa, Frederick A. Prager, New York, 1953.
- Beek, Roger, The History of South Africa, Greenwood Press, Westport, 2000, www.questia.com.
- Belinda , Bozzoli (ed.) , labour , Townships and Protest : Studies in the Social History of the Witwatersrand , Ravan Press ,Johannesburg , 1979.
- Bell, Moray, Contemporary Africa: Development, Culture and the State, Longman, London, 1986.
- Benedict, Philip, Christ's Churches Purely Reformed: A Social History of Calvinism, Yale University Press, New Haven, 2002.

- Berger , Iris and White , E. Frances , Women in Sub-Saharan Africa : Restoring Women to History , Indiana University Press , Bloomington , 1999.
- Binns , Tony (editor) , people and Environment in Africa) , John Wiley and Sons , Chichester , 1955.
- Blumenfeld , Jesmond (editor) , South Africa in Crisis , The Royal Institute of International Affairs , London , 1987.
- Boahen , A. Adu , African Perspectives on Colonialism , The Johns Hopkins University Press , Baltimore , 1989.
- Bouwsma , William j. , John Calvin , A Sixteenth - Century Portrait , oxford university Press , New York , 1989 .
- Bowen , Merle L., The State Against the Peasantry , Rural Struggles in Colonial and Postcolonial Mozambique , University Press of Virginia , London , 2000.
- Bozzoli, Belinda (ed.), Labour, Townships and Protest: Studies in the Social History of the Witwatersrand, Ravan Press, Johannesburg, 1979.
- Brotz, Howard, The Politics of South Africa, Democracy and Racial Diversity, Oxford University Press, Oxford, 1977.
- Buell , Raymond leslie , The Native Problem in Africa , Vol. 1 , The Macmillan Company , London , 1928.
- Bunting , Brian , the Rise of the South African Reich , Penguins Books , Middlesex , 1969.
- Bute, E.L. and Harmer H. J. P., The Black Handbook, the People ,History and Politics of African Diaspora, Chassell , London ,1997.
- Cahn , Steven M. (editor) , Classics of Modern Political Theory : Machiavelli to Mill) , Oxford University Press , New York , 1997.
- Carter, Gwendolyn M., The Politics of Inequality, South Africa since 1948, Frederick A. Praeger, New York, 1958.
- Carter, Gwendolen M. and O'Meara, Patrick (eds.), Southern Africa: The Continuing Crisis), Indiana University Press, London, 1979.
- Cell, John, The Highest Stage of White Supremacy: The Origins of Segregation in South Africa and the American South, Cambridge University Press, Cambridge, 1987.
- Christopher , A. J. , The Atlas of Apartheid , Routledge , London , 1994.
- Cobley , Alan Gregor , Class and Consciousness , The Black Petty Bourgeosie in South Africa , 1924 to 1950 , Greenwood Press , new York , 1990 , www.questia.com.
- Coquery-Vidrovitch , Catherine , African Women : A Modern History (translated by, Beth Gillian) , Westview Press , Boulder , 1997.
- Concise Routledge Encyclopedia of Philosophy, Routledge, London, 2000.
- Cooper , Frederick (editor) , Struggle for the City : Migrant Labor , Capital and the State in Urban Africa ,) , Sage Publications , Beverley Hills , 1983 .

- Cope, John , South Africa , Ernest Benn Ltd. , London ,1965.
- Crais , Clifton , The Politics of Evil , Magic , State Power , and the Political Imagination in South Africa , Cambridge University Press , Cambridge , 2002.
- Cross, Sholt and Whiteside , Alan (eds.) , Facing Up to AIDS : The Socio-economic Impact in Southern Africa , The Macmillan Press Ltd., London , 1993.
- Crowder, Michael (editor), The Cambridge History of Africa, Vol.8, from 1940 to 1975), Cambridge University Press, and Cambridge, 1984.
- Crowley, D. W., The Background to Current Affairs, Macmillan and Co. Ltd., London, 1970.
- Crush , Jonathan and Others , Undermining Labour : Migrancy and Sub-Contracting in the South African Gold Mining Industry , South African Migration Project (SAMP) , Cape Town , 1999.
- Crush , Jonathan and James , Wilmot (eds.) , Crossing Boundaries : Mine Migrancy in a Democratic South Africa) , Institute for Democracy in South Africa , Cape Town , 1995.
- Crush , Jonathan , Jeeves , Alan and Yudelman , David , South Africa's Labour Empire : A History of Black Migrancy to the Gold Mines , Westveiw Press , Boulder , 1991.
- Curtin , Philip , African History , Longman Group Ltd. London , 1978 .
- Davenport , T. R. H. , South Africa : A Modern History , Macmillan , London , 1991.
- Davies, Ioan, African Trade Unions, Penguin Books, London, 1970.
- Davis , John A. and Baker , James K. (eds.) , Southern Africa in Transition) , Frederick A. Praeger Publishers , New York , 1966 .
- Desmond , Cosmas , The Discarded People : An Account of African Resettlement in South Africa , Penguin Books , Middlesex , 1971.
- Dethrone O. R. and Wilfred, Leds, Africa in a Prose, Penguin Books Ltd. Middlesex.1969.
- De Wet , Chris , Moving Together , Drifting Apart : Betterment Planning and Villagisation in a South African Homeland , Witwatersrand University Press , Johannesburg , 1995.
- Dillenberger , John (editor) , John Calvin : Selections from His Writings , Scholars Press ,U.S.A. , 1975 .
- Dubow , Saul , Scientific Racism in Modern South Africa , Cambridge University Press , Cambridge , 1995 .
- Du Toit , D. , Capital and Labour in South Africa : Class Struggle in the 1970s , Kegan Paul International Ltd., London , 1981 .
- Ekelund, Robert B. and Hebert, Robert, A History of Economic Theory and Method, Mc Graw Hill Kogakusha Ltd, Tokyo, 1975.
- Ellis, Stepher and Sechaba, Tsepo, Comrades Against Apartheid; The ANC and the South African Communist Party in Exile, James Carry, London, 1992.

- Ergas, Zeki, The Catharsis and the Healing, South Africa in the 1990s, Janus Publishing Company, London, 1994.
- Essack , Karrim , The Road to Revolution in South Africa , Continental Publishers , Dar es Salam , 1984.
- Evans , Ifor L. , Native Policy in Southern Africa : An Outline , Cambridge University Press , Cambridge , 1934.
- Falola , Toyin (editor) , Africa , Vol.4 , The End of Colonial Rule : Nationalism and Decolonization , Carolina Academic Press , Durham , 2000.
- Feit , Edward , African Opposition in South Africa : The Failure of Passive Resistance , Stanford University Press , Stanford , 1967.
- Ferro , Marc , Colonization : A Global History , (translated by , K. D. Prithipaul) , Routledge , London , 1997.
- First , Ruth , Black Gold : The Mozambican Miner , Proletarian and Peasant , St. Martin's Press , New York , 1983.
- Flint, John E., (ed) ,The Cambridge History of Africa, Vol. 5 ,(1790-1870) Cambridge Univ. Press. Cambridge. 1976.
- Forde , Daryll , African Worlds : Studies in the Cosmological Ideas and Social Values of African People , Oxford University Press , London , 1970.
- Frazier, E. Franklin , Race and Culture Contacts in the Modern World, Alfred A. Knopf, New York, 1957.
- Freund, Bill, The African Worker, Cambridge University Press, Cambridge, 1988.
- Freund , Bill , The Making of Contemporary Africa : The Development of African society since 1800 , The Macmillan Press Ltd., London , 1984 .
- Furley , Oliver (editor) , Conflict in Africa , Tauris Academic Studies , London.
- Gardiner, Juliet (editor), what is History Today? , Macmillan Education Ltd., London. 1989.
- Geiss, Imanuel: The Pan - African Movement, (translated by: Keep, Ann), Methuen and Co. Ltd., London, 1974.
- Gerhart , Gail M. , Black Power in South Africa : The Evolution of an Ideology , University of California Press , Berkeley ,1978.
- Gilbert , Alan and Gulger , Josef , Cities , Poverty and Development : Urbanization in the Third World , Oxford University Press , Oxford , 1981.
- Giliomee, Hermann and Schlemmer, Lawrence, From Apartheid to Nation-Building, Oxford University Press, Cape Town, 1989.
- Giliomee , Hermann and Schlemmer , Lawrence (eds.) , Up Against the Fences : ' Poverty , Passes and Privilege in South Africa , St. Martin's Press , New York , 1985.
- Gleave, M. B. (editor), Tropical African development: Geographical Perspectives, Longman Scientific and Technical, Harlow (England), 1992.
- Gluckman , Max , Order and Rebellion in Tribal Africa , Cohen and West , London , 1963 .

- Gordon , April A. and Donald , L. (eds.) , Understanding Contemporary Africa) , Lynne Rienner Publishers, Boulder , 2001.
- Gould , Peter R. (editor) , Africa : Continent of Change, Wadsworth Publishing Company , Belmont , 1961 .
- Greenstein , Ran (editor) , Comparative Perspectives on South Africa) , Macmillan Press Ltd. , London , 1998.
- Groves , C. P., The Planting of Christianity in Africa , Vol. 3 (1878-1914) , Lutter Worth Press , London , 1955.
- -------------------, The Planting of Christianity in Africa, Vol.4 (1914-1954), Lutter Worth Press, London, 1958.
- Hall, Margaret and Young, Tom, Confronting Leviathan Mozambique since Independence, Hurt and Company, London, 1997.
- Hailey , Lord ,Native Administration in the British African Territories , Part V. , Commonwealth Relations Office , London , 1953.
- Hanton, W. Alphaeus, Decision in Africa, Sources of Current Conflict, International Publishers, New York, 1957.
- Hatch, John, Africa Today and Tomorrow : An Outline of Basic Facts and Major Problems, Fredrick A. Praeger Publishers, New York, 1960.
- Hauser , Philip M. (ed.) , World Population and Development : Challenges and Prospects , Syracuse University Press, New York, 1979.
- Hellmann , Ellen and Lever , Henry (eds.) , Race Relations in South Africa 1929 - 1979) , South African Institute of Race relations , Macmillan Press ltd , London, 1980.
- Hellmann , Ellen and Abrahams , Leah (eds.) , Handbook on Race Relations in South Africa , Oxford University Press , Cape Town , 1949.
- Hensley, F. H. (editor) The New Cambridge Modern History, V OL XI, Material Progress and World -Wide Problems (1870-1898), Cambridge, 1962.
- Hepple, Alex, South Africa: A Political and Economic History, Pall Mall Press, London, 1966.
- Herskovits , Melville J. , The Human Factor in Changing Africa, A. Knopf , New York , 1967.
- Hirson , Baurch , Year of Five , Year of Ash , The Soweto Revolt : Roots of a Revolution ? , Zed Press , London , 1979.
- Hoagland, Jim, South Africa, Civilizations in Conflict, George Allen and Unwin Ltd., London, 1973.
- Horrell, Muriel, A Survey of Race Relations in South Africa, 1957-1958, South African Institute of Race Relations, 1958.
- Human Sciences Research Council, The South African Society: Realities and Future Prospects, Greenwood Press, New York, 1981.
- Hunt , Richard N. , The Political Ideas of Marx and Engles , Vol. I, Marxism and Totalitarian Democracy 1818-1850, University of Pittsburgh Press , London , 1975.

- International Commission of Jurists, South Africa and the Rule of law, Geneva, 1960.
- Italiaander, Rolf, the New Leaders of Africa (Translated by, James McGovern), Prentice -Hall Inc. (U.S.A.), 1961.
- James, Selwyn , South of the Congo , John Long Ltd., London.
- Janet , Robertson , Liberalism in South Africa , 1948- 1963 , Clarendon Press , Oxford , 1971 .
- Jones , Stuart (ed.) , The Decline of the South African Economy , Edward Elgar , Cheltenham (U.K) , 2002.
- Kadalie, Clements, My life and the I. C. U.: The Autobiography of a Black Trade Unionist in South Africa (introduced by Helen Bradford), London, 1970.
- Kanczeaki, Zbigniew A., Parpart, Jane L. and Shaw, Timothy M. (eds.), Studies in the Economic History of Southern Africa, Vol. II, South Africa, Lesotho and Swaziland, Frank Cass, London, 1991.
- Keller , Edmond J. and Rothschild , Donald (eds.) , Africa in the New International Order , Rethinking State Sovereignty and Regional Security , Lynne Rienner Publishers , Boulder , 1996.
- Ken , Luckhardt and Wall , Brenda , Organize ... or Starve ! The History of The South African Congress of Trade Unions , Lawrence and Wishart , London , 1980.
- Ken , Luckhardt and Wall, Brenda, Working for Freedom, Black Trade Union Development in South Africa Throughout the 1970s, Programme to Combat Racism, World council of Churches, Geneva, www.anc.org.za/books
- Khakhetla , B. M., Lesotho 1970 : An African Coup under the Microscope , University of California Press , Berkeley , 1972.
- Kirk , Joyce F. , Making a Voice : African Resistance to Segregation in South Africa , Westview Press , Boulder , 1998 , www.questia.com
- Kohler , J. A. and Taylor , J. K. Africa and the Middle East , Edward Arnold , London , 1985.
- Konczacki , Zbigniew A. , Parpart , Jane L. and Shaw , Timothy M. (eds.) Studies in the Economic History of Southern Africa, Vol. II, South Africa, Lesotho and Swaziland), Frank Cass, London, 1991.
- Kowet , Donald Kalinde , Land , Labour Migration and Politics in Southern Africa : Botswana , Lesotho and Swaziland , New York , Africana Publishing Company , 1978.
- Kuper, Adam and Kuper , Jessica (editors), The Social Science Encyclopedia, Routledge, London, 1996 .
- Kuper , Hilda , The Swazi : A South African Kingdom , Holt , Rinehart and Winston , New York , 1963.
- Kuper , Leo , Passive Resistance in South Africa , Yale University Press , New Haven , 1957.
- Legum, Colin, Pan - Africanism, A Short Political Guide, Pall Mall Press, London, 1962.

- Lester , Alan , From Colonization to democracy : A New Historical Geography of South Africa , Tauris Academic Studies , London , 1996 , p. 51.
- Lester , Alan and Others , South Africa , Past , Present and Future : Gold at the End of the Rainbow ? , Longman , 2000.
- Lipton, Merle, Capitalism and Apartheid, South Africa, 1910 - 1986, Wildwood House, Hants, 1986.
- Lodge, Tom, Black Politics in South Africa since 1945, Longman Group Ltd., London, 1983.
- Loudon , J. B. , White Farmers and Black Labour Tenants : A Study of a Farming Community in the South African Province of Natal , Afrika Studiecentrum, Leiden , 1970.
- Lundahl , Mats , Apartheid in Theory and Practice : An Economic Analysis , Westview Press , Boulder , 1992.
- Lundahl , Mats and Peterson , Lennart , The Dependent Economy : Lesotho and the Southern African Customs Union , Westview Press , Boulder , 1991.
- Macmillan , W. M. , The Road to Self-Rule : A Study in Colonial Evolution , Faber and Faber , London , 1959.
- Mager , Anne Kelk , Gender and the Making of a South African Bantustan : A Social History of the Ciskei , 1945-1959 , Heinmann , Portsmouth , 1999.
- Makers of Modern Africa, Profiles in History, Africa Books Ltd. London 1981.
- Marias, J. S., The Fall of Kruger's Republic , Clarendon Press, Oxford , 1961 .
- Marquard , Leo , The Peoples and Policies of South Africa , Oxford University Press , Cape Town , 1960.
- Marx, Karl and Engles, Fredrick, Ireland and the Irish Question, Progress Publishers, Moscow, 1978.
- Marx, Anthony W., Lessons of Struggle, South African Internal Opposition, 1960 - 1990, Oxford University Press, Oxford, 1992.
- Mason, B.F. (editor) , The History of Race Relations in South Africa, University of Cape Town, Cape Town , 1961.
- Mason , Philip , Race Relations , Oxford university Press , London , 1970 .
- Mayer, Philip (editor): Black Villagers in an Industrial Society; Anthropological Perspectives on Labour Migration in South Africa) Oxford University Press, Cape Town, 1980.
- Maylam, Paul, A History of the African People of South Africa: From the Early Iron Age to the 1970s, St. Martin's Press, New York, 1986.
- Mazrui , Ali A. , Towards A Pax Africana : A Study of Ideology and Ambition , Weidenfeld and Nicolson , London , 1967.
- Mazrui , Ali A. and Patel , Hasu H. (eds.) African World Affairs : The Next Thirty Years) , The Third Press , New York , 1973.
- Mbeki , Jovan , The Struggle for Liberation in South Africa , www.anc.org.za/books .

- McDonald , David A. (editor) , On Borders : Perspectives on International Migration in Southern Africa , Southern African Migration Project , Ontario, 2000.
- Mideley , J. , Steyn , J. H. and Graser , R. (eds.), Crime and Punishment in South Africa) , London , 1998.
- Miner , Horace (ed.) , The City in Modern Africa , Pall Mall Press , London , 1967.
- Minter , William , Apartheid's Contras : An Inquiry into the Roots of War in Angola and Mozambique , Zed Books , London , 1994.
- Mondlane , Enduardu , The Struggle for Mozambique , Penguin Books , Middlesex , 1969.
- Mondlane , Eduardo , The Struggle for Mozambique , Zed Press , London , 1983.
- Munger, Edwin S., Afrikaner and African Nationalism, South African Parallels and Parameters, Oxford University Press, London, 1967.
- Munslow , Barry , Mozambique : The Revolution and Its Origins , Longman , London , 1983 , p.20.
- Murdock , Graeme , Beyond Calvin : The Intellectual , Political , political and Cultural World of Europe's Reformed Churches , c. 1540 - 1620 , Palgrave Macmillan , New York , 2004.
- Mushtuk , O. Z. , The Genesis of Trade Unions in Africa , (in : African Studies in The Soviet Union , Yearbook 1989) , Nauka , Moscow , 1990.
- Niddrie, David , South Africa : Nation or Nations? , D. van Norstrand Co. Inc., Princeton, 1981.
- Obudho , R.A and El-Shakhs , Salah (ed.) , Development of Urban Systems in Africa) , Praeger Publishers , New York , 1979.
- O'Connor, A. M., The Geography of Tropical African Development: A Study of Spatial patterns of Economic Change since Independence, Pergamon Press, Oxford, 1978.
- O'Meara, Dan, Forty Lost Years, The Apartheid State and the Politics of National Party, 1948-1994, Ohio University Press, Athens, 1996.
- Omer-Cooper , J. D. , History of Southern Africa , James Currey ,London , 1994.
- Onwuejeogwa, M. Angulu, the Social Anthropology of Africa, An Introduction, Heinemann, London, 1975.
- Padmore, George, Pan - Africanism or Communism? The Coming Struggle for Africa, Dennis Dobson, London, 1956.
- Pacione , Michael : Urban Geography : A Global Perspective , Routledge , London , 2001.
- Parrinder , Geoffrey , Religion in Africa , Penguin Books , Middlesex , 1969.
- Patterson , Sheila , Colour and Culture in South : A Study of the Status of the Cape Coloured People within the Social

Structure of the Union of South Africa , Routledge and Kegan Pall Ltd. , London , 1953 , www.questia.com
- Pettegree , Andrew , Duke , Alastair and Lewis , Gilliam (eds.) , Calvinism In Europe , 1540 - 1620 , Cambridge University Press , New York , 1994 .
- Picard , lowis A. , The Politics of Development in Botswana : A Model for Success ? , Lynne Rienner Publishers , Boulder , 1987.
- Plaatji, Solomon Tshekisho , Native Life in South Africa Before and Since the European War and the Boer Rebellion , Tsala ea Batho , Kimberley , www.anc.org.za
- Posel , Deborah , The Making of Apartheid , 1948-1961 : Conflict and Compromise , Clarendon Press , Oxford , 1991.
- Price , Robert M., The Apartheid State in Crisis : Political Transformation in South Africa , 1975-1990 , Oxford University Press , New York , 1991.
- Price, Robert M. and Rosberg, Carl G. (eds.), The Apartheid Regime, Political Power and Racial Domination), University of California, Berkeley, 1980.
- Rex , John , Race Relations in Sociological Theory , Weidenfeild and Nicolson , London , 1970.
- Rhoddie , N. J. (editor) , South African Dialogue : Contrasts in South African Thinking on Basic Race Issues) , The Westminster Press , Philadelphia , 1973.
- Rich, Paul B. , State Power and black Politics in /South Africa, 1912-51, Macmillan Press Ltd., London.1996.
- Robert , Jean-Louis , Prost , Antoine and Wrigley , Chris (eds.) , The Emergence of European Trade Unions , Ashgate , London , 2004.
- Robertson, Hector Menteith, South Africa, Economic and Political Aspects, Cambridge University Press. London, 1957.
- Robson, Peter, Economic Integration in Africa, George Allen and Unwin Ltd., London, 1968 .
- Ross, Robert, A Concise History of South Africa, Cambridge University Press, Cambridge, 1999.
- Rothberg , Robert I. and Barratt , John (eds.) , Conflict and compromise in South Africa) , Lexington Books , Lexington (U. S. A.) , 1980 .
- Roux , Edward , Time longer Than Rope : A History of the Black Man's Struggle for Freedom in South Africa , The University of Wisconsin Press , London , 1964.
- Russell, Bertrand, History of Western Philosophy, Routledge ,London, 1993 .
- Samatar , Abdi Ismail , An African Miracle , State and Class Leadership and Colonial Legacy in Botswana Development , Heinemann , Portsmouth , 1999.
- Schapera , I. (editor) , The Bantu-Speaking tribes of South Africa : An Ethnographical Survey , Routledge and Kegan Paul Ltd. , London , 1959.

- Schapera , I , A Handbook of Tswana Law and Custom , Oxford University Press , London , 1959.
- Schapera , I. (editor) , Western Civilization and the Natives of South Africa , Studies in Culture Contact , Humanities Press , New York , 1967.
- Scruton , Roger , A Dictionary of Political Thought .Macmillan , London , 1996 .
- Seegers, Annette: The Military in the Making of Modern South Africa, Tauris Academic Studies, London, 1996.
- Selby , John, A Short History of South Africa ,George Allen and Unwin Ltd. , London.
- Selwyn , Percy , Industries in the Southern African Periphery : A Study of Industrial Development in Botswana , Lesotho and Swaziland , Westview Press , Boulder , 1975.
- Selwyn , Percy , The Dual Economy Transcending national Frontiers : The case of Industrial Development in Lesotho , Institute of Development (The University of Sussex) , Houghton ,(w. d.).
- Shannon, Lyle W. (editor), Underdeveloped Africa: A Book of readings and research, Harper and Brothers Publishers, New York, 1957.
- Shepherd , George W., The Politics of African Nationalism : Challenge to American Policy , Frederick A . Prager Inc. New York , 1963.
- Sillery , A. , The Bechuanaland Protectorate , Oxford University Press , Cape Town , 1952.
- Simons, H.J: Struggles in Southern Africa for Survival and Equality, Macmillan Press Ltd, London, 1997.
- Smith , David M. (editor) , Living Under Apartheid : Aspects of Urbanisation and social Change in south Africa) , George Allen Unwin , London , 1982.
- Smith , Edwin W. , The Blessed Missionaries , Oxford University Press , Cape Town , 1950 .
- Southgate , Beverly , History : What and Why , Ancient , Modern and Postmodern Perspectives , Routledge , London , 1996 .
- Sparks, Allister, The Mind of South Africa, Alfred A. Knopf, New York, 1990.
- Spence , J. E., Lesotho , The Politics of Dependence , Institute of Race Relations , London , 1968.
- Stultz, Newell M., Afrikaner Politics in South Africa, 1934-1948, University of California Press, Berkeley, 1974.
- Sundkler , Benget , Bantu Prophets in South Africa : The International African Institute , London , 1961.
- Sundkler, Benget and Steed, Christopher: A History of the Church in Africa, Cambridge University Press, Cambridge, 2000.
- Tabata , I. B. , education for Barbarism in South Africa : Bantu (Apartheid) Education , Pall Mall Press , London , 1960.

- Temu, A. and Sawi,, B., Historians and Africanist History: A Critique, Zed Press, London, 1981.
- Thompson, L. M., The Unification of South Africa (1902–1910), Clarendon Press, Oxford, 1960.
- Timbelake , Lioyd , Africa in Crisis : The Causes , the Cures of Enviromental Bankruptey , An Earthsean Paperback , London , 1985.
- Tosh, John, The Pursuit of History, Aims, Methods and New Directions in the Study of Modern History. Longman, New York, 1991.
- Toure , Mamoudou , Surveys of African Economics , Vol.5 : Botswana , Lesotho , Swaziland , Burundi , Equatorial Guinea and Rwanda , International Monetary Fund , Washington , 1973.
- Van den Berghe , Pierre L. , South Africa : A Study in Conflict , Wesleyan University Press , Middletown , 1965.
- van Diepen , Maria ('editor) , The National Question in South Africa) , Zed Books Ltd. , London , 1988.
- Vatcher , William Henry , White Laager : The Rise of Afrikaner Nationalism , Frederick A. Praeger , New York , 1965 .
- Walker , Cherryl (ed.) , Women and Gender in Southern Africa to 1945 , David Philip , Cape Town , 1990 .
- Walker, Eric. A History of South Africa, Longmans, Green and Co., London, 1941.
- Walker, Eric. (ed) , The Cambridge History of the British Empire, vol. III, South Africa, Rhodesia, and the High Commission Territories Cambridge University Press, London, 1963.
- Walshe, Peter, The Rise of African Nationalism in South Africa; The African National Congress 1912- 1952, University of California Press, Berkeley, 1971.
- Ward , w. E. F., Emergent Africa , George Allen and Unwin Ltd., London , 1971.
- Webster, Eddie, Cast in a Racial Mould: Labour Process and Trade Unionism in the Foundries, Ravan Press, Johannesburg, 1985.
- Whetham, Edith and Currie, Jean I. , The Economics of African Countries, Cambridge University Press, Cambridge, 1991.
- Wilczynski , J. , An Encyclopedic Dictionary of Marxism , Socialism and Communism , walter de Gruyter , Berlin , 1981.
- Wilson , Derek , A History of South and Central Africa , Cambridge University Press , New York , 1975.
- Wilson , Francis and Others (eds.) , Poverty Reduction : What Role for the State in Today's Globalized Economy ? , Zed Books , London , 2001.
- Wilson, Francis, Labour in the South African Gold Mines, 1991-1969, Cambridge University Press, Cambridge, 1972.
- Wilson, Henry S., Africa Decolonization, Edward Arnold, London, 1994.

- Wilson , Henry S. , The Imperial Experience in Sub-Sahara Africa Since 1870 , University of Minnesota , Minneapolis , 1977.
- Wolpe , Harold , Race , Class , and the Apartheid State , James Currey , London , 1988 .
- Worden , Nigel , The Making of Modern South Africa : Conquest , Segregation and Apartheid , Blackwell Publishers , Oxford , 1994 .
- Wroughton , John and Cook , Denys : Documents on World History) , Macmillan Education , London , 1983.
- Yudin , Yu A. , South African New Constitution : The Instrument of Apartheid (in : Africa in Soviet Studies , Annual 1988) , Nauka Publishers , Moscow , 1989 .
- Zegeye , Abebe (ed.) , Social Identities in the New South Africa , After Apartheid - Vol. One , Kwela Books , Cape Town , 2001.

ب- الدوريات

- Adler , Taffy , Lithuania's Diaspora : The Johannesburg Jewish Workers' Club , 1928-1948 , Journal of Southern African Studies , Vol. 6 , No. 1 (Oct., 1979).
- Allen, V. L., The Meaning of the Working Class in Africa , The Journal of Modern African Studies, Vol. 10, No 2 (1972).
- Alper , Edward A. , " To Seek a Better Life:" The Implications of Migration from Mozambique to Tanganyika for Class Formation and Political Behavior , Canadian Journal of African Studies , Vol. 18 , No.2 , (1984).
- Anderson , Jens A. , Reinterpreting the Rural - Urban Connection : Migration Practices and Socio-Cultural Dispositions of Buhera Workers in Harare , Africa , Vol. 71 , No.1 (2001).
- Atkins , Keletso E. , ' Kafir Time ' : Preindustrial Temporal Concepts and Labour Discipline in Nineteenth - Century Colonial Natal ,The Journal of African History , Vol. 29 , No.2 , (1988).
- Baines , Gary , From Populism to Unionism : The Emergence and Nature of Port Elizabeth's Industrial and Commercial Workers' Union , 1918 - 1920 , Journal of Southern African Studies , Vol.17 , No.4, (December , 1991).
- Bank , Leslie , Angry Men and Working Women : Gender , Violence and Economic Change in Qwaqwa in the 1980s , The Journal of Modern Studies , Vol. 53 , No. 1 , (1994).

- Bank , Leslie J. , The Making of the Qwaqwa ' Mafia ' ? : Patronage and Protection in the Migrant Taxi Business , The Journal of Modern African Studies , Vol. 49 , No. 1 (1990).
- Barrell , Howard , The Turn to the Masses : The African National Congress ' Strategic Review of 1978-79 , Journal of Southern African Studies , Vol.18 , No. 1 (March , 1992).
- Beck, Roger B., Bibles and Beads : Missionaries as Traders in Southern Africa in the Early Nineteenth Century, Journal of African History, Vol.30, No.2 (1989).
- Beinart , William , Lowdown on the Highveld , The Journal of African History , Vol. 29 , No.1 (1988).
- Political Expression in Late Victorian Cape Town , The Journal of African History , Vol. 36 , No.3 , 1995.
- Bischoff , Paul-Henri , Why Swaziland is different : An Explanation of the Kingdom's Political Position in Southern Africa , The Journal of Modern African studies , Vol. 26 , No. 3 , (September 1988).
- Boaden, B. G., The Urban Housing Problem in an Apartheid Economy , African Affairs , Vol.77 , No.309 (oct.1978).
- Bonner , Philip , African Urbanisation on the Rand between the 1930s and 1960s : Its Social Character and Political Consequences , Journal of Southern African Studies , Vol. 21 , No. 1 (Mar.1995).
- Bradford, Helen, Mass Movements and the Petty Purgeoisie; the Social Origins of ICU Leadership, 1924-1929, Journal of African History, vol. 25, No. 3, (1984).
- Bratton , Michael , Structural Transformation in Zimbabwe : Comparative Notes from the Neo-Colonialization of Kenya , The Journal of Modern African Studies , Vol. 15 , No.4 (Dec. , 1977).
- Breckenridge , Keith ,'Money with Dignity ' , Migrants, Mine Lords and the Cultural Politics of South African Gold Standard Crisis , 1920-1933, Journal of African History, Vol.36. No. 2(1995).
- Breckenridge, Keith, The Allure of Violence; Men, Race and Masculinity on the South African Goldmines, 1900- 1950, Journal of Southern Studies, Vol.24, No.4, Dec.1998.
- Brochmann , Gete , Migrant Labour and Foreign Policy , The Case of Mozambique , Journal of Peace Research , Vol. 22 , No. 4 (December , 1985).
- Brown, Barbara B., The Impact of Male Labour Migration on Women in Botswana , African Affairs , Vol. 82 , No.328 , (July , 1983).
- Butcher , Kristin F. and Rouse , Cecilia Elena , Wage Effects of Unions and Industrial Councils in South Africa , Industrial and Labour Relations Review , Vol. 54 , No. 2 (January , 2001).
- Campbell , James , ' Like Locusts in Pharaoh's Palace ' , The Origins and Politics of African Methodism in the Orange Free State , 1895-1914 , The Journal of Modern African Studies , Vol. 53 , No.1 (1994).

- Chandler , Tertius and Tarver , James D. , Urbanisation in Colonial Africa , Africa Insight , Vol. 23 , No. 4 , (1993) .
- Chilivumbo , Alifeyo , On Rural Development : An Note on Malawi's Programmes of development for Exploitation, Africa Development , Vol. III , No.2 (April-June , 1978) .
- Chirwa , Wiseman Chijere , Aliens and AIDS in Southern Africa , The Malawi - South African Debate , African Affairs , Vol. 97 , No. 386 (January , 1998) .
- Chirwa , Wiseman Chijere , The Malawi Government and South African Labour Recuiters , 1974 - 92 , The Journal of Modern African Studies , Vol. 34 , No. 4 (December , 1996).
- Christianses , Robert E. and Kydd , Jonathan G., The Return of Malawian Labour from South Africa and Zimbabwe , The Journal of Modern African Studies , Vol. 21 , No.2 , (January , 1983)
- Clarence-Smith , Gervase , The Impact of the Spanish Civil war and the Second World war on Portuguese and Spanish Africa , the Journal of African History , Vol. 26 , No.4 (1985).
- Collings , Francis d' A. , The Rand and the Monetary Systems of Botswana , Lesotho and Swaziland , The Journal of Modern African Studies , Vol. 16 , No. 1 (March 1978).
- Coplan , David B. and Quinlan , Tim , A Chief by the People : Nation versus State in Lesotho , Africa , Vol. 67 , No.1 , 1997.
- Coquery-Vidrovithc , Catherine , The Process of Urbanisation in Africa From Origins to the Beginning of Independence , African Studies Review , Vol. 34 , No. 1 (April , 1991).
- Costa , A. A. , Chieftaincy and Civilisation : African Structures of Government and Colonial Administration in South Africa , African Studies , Vol. 59 , No. 1 , (July , 2000).
- Crush , Jonathan and Wellings , Paul , The Southern African Pleasure Periphery , 1966 - 83 , The Journal Of Modern African Studies , Vol. 21 , No.4 (Dec., 1983) .
- Davies , Robert , Mining Capital , The State and Unskilled White Workers in South Africa , 1901 - 1913 , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No.1 , (October , 1976) .
- Demissie, Fassil , The Urban African Worker and the Crisis of Apartheid, Africa Development, Vol. XVI, No.2, 1991.
- Denoon , D. J. , The Transvaal Labour Crisis , 1901-6 , The Journal of African History , Vol. 8 , No. 3 , (1967) .
- De Vletter , Fion , Recent Trends and Prospects of Black Migration to South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 23 , No.4 , (December , 1985) .
- Duggan , William R. , The Native Land Husbandry Act of 1951 and the Rural African Middle Class of Southern Rhodesia , African Affairs , Vol. 79 , No. 315 (April , 1980).
- du Toit , Brian M. , Missionaries , Anthropologists and the Policies of the Dutch reformed Church , The Journal of Modern African Studies , Vol. 22 , No.4 , 1984.

- duToit , Brian M., Consciousness , Identification , and Resistance in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol.21 , No.3 , 1983.
- Englund , Harri , The Self in Self-interest : Land , Labour and Temporalities in Malawi's Agrarian Change , Africa , Vol. 69 , No.1 , 1999.
- Epprecht , Marc , Women's ' Conservatism ' and the Politics of Gender in late Colonial Lesotho , the Journal of African History , Vol. 36 , No.1 (1995) .
- Fagan , G. Honor , Munc , Ronald and Nadasen , Kathy , Gender , Culture and Development : A South African Experience , The Journal of Development Research , Vol.8 , No.2, (Dec.1996).
- Fair , T. J. D. and Shaffer , N. Manfred , Population and Policies in South Africa , 1951-1960 , Economic Geography , Vol. 40 , No. 3 (July , 1964).
- Feit , Edward , Generational Conflict and African Nationalism in South Africa : The African National Congress , 1949-1959 , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 5, No. 2 , (1972).
- Fortscue, Dominic, The Communist Party of South Africa and the African Working Class in the 1940s, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 24, No. 3 (1991).
- Giffen , Robert , Some Economic Aspects of the War , The Economic Journal , Vol. 10 , No. 38 (June ,1900).
- Gaisie , Samuel Kwesi , Fertility Transition in Botswana , Journal of Contemporary African Studies , Vol. 16 , No. 2 (1998).
- Gaitskell , Deborah , ' Christian Compounds for Girls ' : Church Hostels for African Women in Johannesburg , 1907 - 1970 , Journal of Southern African Studies , Vol. 6 , No. 1 , (October , 1979).
- Gaitskell , Deborah , Housewives , Maids or Mothers: Some Contradictions of Domesticity for Christian Women in Johannesburg 1903-39 , Journal of African History , Vol. 24 , No. 2 , (1983).
- Gann , L. H. , Portugal , Africa and the Future , The Journal of Modern African Studies , Vol. 13 , No. 1 (1975) .
- Garner , Robert C. , Safe Sects ? Dynamic Religion and AIDS in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 38 , No. 1 (2000).
- Garson , N. G. , South African History : A New Look , African Studies , Vol. 29 , No.4 , (1970).
- George , Shepperson , Pan -Africanism and " Pan-Africanism " : Some Historical Notes , Phylon , Vol. 23 , No. 4 (4th. Qtr. , 1962).
- Gewald , Jan-Bart , The Road of the Man Called Love and Sack of Sero : The Herero- German War and the Export of Herero labour to the South African Rand , The Journal of African History , Vol.40 , No.1 (1999) .

- Gill , Seide , Reconceptulaising Issues Around HIV and Breastfeeding Advice : Findings from Kwa-Zulu Natal , South Africa , Review of African Political Economy , Vol. 27 , No. 86 (December 2000) .
- Glikman , Maurice , Thoughts on Certain Relationships Between gender , Kinship and development Among the Tswana of Botswana , African Studies , Vol. 47 , No.2 , 1988.
- Gocking , Roger , Colonial Rule and the ' Legal Factor ' in Ghana and Lesotho , Africa , Vol. 67 , No. 1 , 1997.
- Goodhew , David , Working-Class Respectability : The Example of the Western Areas of Johannesburg , 1930 - 55 , Journal of African History , Vol. 41 , No.2 , (2002) .
- Good , Kenneth , At the Ends of the Ladder : Radical Inequalities in Botswana , The Journal of Modern African Studies , Vol. 31 , No. 2 (June , 1993).
- Good Kenneth Interpreting the Exceptionality of Botswana , The Journal of Modern African Studies , Vol. 30 , No. 1(March , 1992).
- Good , Kenneth , Settler Colonialism : Economic Development and Class Formation , The Journal of Modern African Studies , Vol. 14 , No.4 ,(1976).
- Good , Kenneth , Settler Colonialism in Rhodesia , African Affairs , Vol. 73 , No. 290 , (January 1974) .
- Gray, Richard , Christians and Capitalism, The Journal of African History, Vol.30 (1989), No.3.
- Gupta , Anirudha Das , Indians in Africa : Past , Present and Future , Africa Quarterly , Vol. 37 , Nos. 1-2 (1997).
- Gurney , Christabel , ' A Great Cause ' : The Origins of the Anti-Apartheid Movement , June 1959-March 1960 , Journal of Southern African Studies , Vol.26 , No. 1 (march 2000).
- Hallett , Robin , Desolation on the Veld , Forced Removals in South Africa , African Affairs , Vol. 83 , No. 332 (July , 1984).
- Hance, William A. and van Dongen , Irene S. , Lournco Marques in Delagoa Bay , Economic Geography , Vol. 33 , No. 3 , (July , 1957).
- Hargreaves , J. D.,The Comintern and Anti-Colonialism, New ,Research Opportunities, African Affairs, Vol.92,No367.(April,1993).
- Harris , Marvin , Labour Emigration among the Mocambique Thonga : Cultural and Political Factors , Africa , Vol. XXIX , No.1 (January , 1959).
- Harrison , Graham , Marketing Legitimacy in Rural Mozambique : The case of Mecufi District , Northern Mozambique , The Journal of Modern African Studies , Vol. 36 , No. 4 (Dec. , 1998).
- Harvies ,Patrick , Historical Cocktails , The Journal of African History , Vol. 36 (1995).
- Hastings , Adrian , The Christian Churches and Liberation Movements in Southern Africa , African Affairs , Vol. 80 , No. 320 (July , 1981).

- Hemson, David, Dock Workers, Labour Circulation, and Class Struggles in Durban, 1940-59, Journal of Southern African Studies, Vol. 4, No. 1 (October, 1977).
- Henderson , Robert D'a , Relations of Neighbourliness : Malawi and Portugal , 1964 - 1974 , The Journal of Modern African Studies , Vol. 15 , No. 3 (Sep. 1977).
- Herington , J. S. and McGlasban , N. D. , Migrant Workers and Cancer Patterns in Southern African , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No. 1 , (October , 1976).
- Hexham, Irving, Dutch Calvinism and the Development of Afrikaner Nationalism, African Affairs, Vol. 79, No. 315 (April, 1980).
- House , William J. and Zimalirana , George , Rapid Population Growth and Poverty Generation in Malawi , The Journal of Modern African Studies , Vol. 30 , No. 1 (March , 1992) .
- Hulec , Otakar , Some Aspects of the 1930s Depression in Rhodesia , The Journal of Modern African Studies , Vol. 7 , No. 1 (April , 1969).
- Hyam , Ronald , African Interests and the South African Act , 1908 - 1910 , The Historical Journal , Vol. 13 , No.1 (Mach , 1970).
- Isaacman , Allen and Others , " Cotton Is the Mother of Poverty " : Peasant Resistance to Forced Cotton Production in Mozambique , 1938 - 1961 , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 13 , No.4 , (1980).
- Isaacman , Allen , Coercion , Paternalism and the Labour Process : The Mozambican Cotton Regime , 1938 - 1961 , Journal of Southern African Studies , Vol. 18 , No. 3 , (September , 1992) .
- Israel, Mark and Adams, Simon, 'That Spells Trouble ': Jews and the Communist Party of South Africa, Journal of Southern African Studies, Vol. 26, No.1 (March 2001).
- Jackson , Dudley , Income Differentials and Unbalanced Planning , The Case of Botswana , The Journal of Modern African Studies , Vol. 8 , No.4 (December , 1970).
- Jacobs , Susie , Past Wrongs and Gender Rights : Issues and Conflicts in South Africa's Land Reform , The European Journal of Development Research , Vol. 10 , No.2 , Dec. 1998.
- Jeeves , Alan , The Control of Migratory Labour on the South African Gold Mines in the Era of Kruger and Milner , Journal of Southern African Studies , Vol.2 , No.1 , (October , 1975) .
- Jeeves , Alan H., Over-Reach : The South African Gold Mines and the Struggle for the Labour of Zambesia , 1890 - 1920 , Canadian Journal of African Studies , Vol. 17 , No.3 , (1983).
- J. L. Sedie , Population and Economic Development in South Africa , South African Journal of Economics , Vol. 39 , No.3. (Sep. 1971).
- Johns, Sheridan, The Birth of the Communist Party of South Africa, The International Journal of African Historical Studies, Vol. 9, No. 3 (1976).

- Jolles, Frank and Stephen, Zulu Ritual Immunisation in Perspective, Africa, Vol.70, No.2. (2000).
- Johnson , David , Settler Farmers and Coerced African Labour in Southern Rhodesia , 1936-46 , The Journal of African History , Vol. 33 , No. 1 (1992).
- Kalinga , Owen , J. M. , The Master Farmers' Scheme in Nyasaland , 1952 - 1962 : A Study of a Failed Attempt to Create a " Yeoman " Class , African Affairs , Vol. 92 , No. 368 (July , 1993).
- Katz , Elaine N. , The Underground Route to Mining : Afrikaners and the Witwatersrand Gold Mining Industry from 1902 to the 1907 Miners' Strike , The Journal of African History , Vol. 36 , No.3 , 1995.
- Kaunda, Jonathan Mayuyuka, Malawi: The Post-Colonial State, development and Democracy, Africa (Rivista Trimestrale di Studi e Documentazione dell' Instituto Italo-Africano, Roma), Anno L, N. 3 (Setembre, 1995).
- Kay , George , Towards a Population Policy for Zimbabwe-Rhodesia , African Affairs , Vol. 79 , No. 314 (January , 1980).
- Keegan , Timothy , Crisis and Catharsis in the Development of Capitalism in South African Agriculture , African Affairs , Vol.84,No.336 (July,1985).
- Kruks , Sonin and Wisner , Ben , The State , the Party and the Female Peasantry in Mozambique , Journal of Southern African Studies , Vol. 11 , No. 1 , (October , 1984).
- Kurth, James, War, Peace and the Ideologies of the Twentieth Century, Current History, Vol. 98, No.824 (Jan. 1999).
- Landau , Paul , Explaining Surgical Evangelism in Colonial Southern Africa : Teeth , Pain and Faith , The Journal Of African History , Vol. 37 , No. 2 , 1996.
- Lea , John P. , Underlying Determinants of Housing Location : A Case Study from Swaziland , The Journal of Modern African Studies , Vol. 11 , No. 2 (June , 1973).
- Legassick , Martin , Race , Industrialization and Social Change in South Africa : The Case of R.F.A. Hoernle , African Affairs , Vol.75 , No.229 (April, 1976).
- Lowry , Donald , When the World Loved the Boers (Boer War) , History Today , May , 1999 , www.findarticles.com
- Lucas , Robert E. B. , Emigration to South Africa's Mines , The American Economic Review , Vol. 77 , No. 3 , (January , 1987) .
- Luiz , John M. and Roets , Leon , On Prostitution , STDs and the law in South Africa : The State as Pimp , Journal of Contemporary African Studies , Vol. 18 , No.1 (January , 2000).
- Mabin , Alan , Comprehensive Segregation : The Origins of the Group Areas Act and Its Planning Apparatuses , Journal of Southern African Studies ,Vol. 18 , No.2 ,(June , 1992).

- MacDonald , Michael and James , Wilmot , The Hand on the Tiller : The Politics of State and Class in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 31 , No.3 (1993).
- Makoa , F. K. , Debates about Lesotho's Incorporation into the Republic of South Africa : Ideology versus National Survival , Africa Insight , Vol. 26 , No.4 ,(1996) .
- Makambe , E. P. , The Nyasaland African Labour ' Ulendos ' to Southern Rhodesia and the Problem of the Africa ' Highwaymen ' , 1903 - 1923 : A Study in the Limitation of early Independent Labour Migration , African Affairs , Vol. 79 , No. 317 , (October , 1980) .
- Maloka , Tshidiso , Khomo Lia Oela , Canteens , Brothels and Labour , Migrancy in Colonial Lesotho , 1900 -40 , The Journal of African History , Vol. 38 , No. 1 ,(1997).
- Massey , David , Class Struggle and Migrant Labour in South African Gold Mines , Canadian Journal of African Studies , Vol.17 , No.3 , (1983).
- Matajo ,R. E. , Obstacles on the Road to Trade Union Unity , The African Communist , No. 98 , Third Quarter ,(1984).
- Maylam, Paul, The Rise and Decline of Urban Apartheid in South Africa, African Affairs, Vol. 89, No. 354 (1990).
- Maxwell , David , Historicizing Christian Independency : the Southern African Pentecostal Movement , 1908-1960, The Journal of African History , Vol.40 , , No.2 , (1999).
- Mendes , F. Ferreira , Portugal and Her Colonial Empire , Journal of the Royal African Society , Vol. 39 , No. 157 , (October , 1940) .
- Milburn , Josephine F. , Trade Unions in Politics in the British Commonwealth , The Western Political Quarterly , Vol.17 , No. 2 (June , 1964) .
- Mittelman, James H., Marginalization and the International Division of Labour: Mozambique's Strategy of opening the Market, African Studies Review, Vol. 34, No. 3, (December, 1991).
- Mhone , Guy , Botswana Economy Still an Enclave , Africa Development (Journal of Council for the Development of Social Science Research in Africa , Dakar) , Vol. XXI , Nos. 2-3 , 1996 .
- Molutsi , Patrick P. and Holm , John D. , Developing Democracy When Civil Society Is Weak : The Case of Botswana , African Affairs , Vol. 89 , No. 356 (July , 1990) .
- Moodie, T. Dunbar, Ethnic Violence on South African Gold Mines, Journal of Southern African Studies, Vol.18, No.3, Sep.1999.
- Moodie , T. Dunbar , The South African State and Industrial Conflict in the 1940s , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 21 , No.1 (1988).
- Morapeal , Wazha G. , Migrant Labour and the Peasantry in the Bechuanaland Protectorate , 1930-1965 , Journal of Southern African Studies , Vol. 25 , No.2 , (June , 1999) .

- Morell , Robert , Of Boys and Men :Masculinity and Gender in Southern African Studies ,The journal of Southern African Studies , Vol. 24 , No.4 , (December , 1998).
- Morris , Alan , Continuity or Rupture : The City Post - Apartheid (South Africa) , Social Research (Winter 1998) , www.findarticles.com .
- Morse , Stanley J. , Living under Apartheid : Aspects of Urbanisation and Social Change in South Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol. 21 , No. 4 , (1983).
- Moyo , Jonathan N. , State Politics and Social Domination in Zimbabwe , The Journal of Modern African Studies , Vol. 30 , No.2 (June , 1992) .' Murray , Martin J. , " Black birding ' at ' Crooks ' Corner ": Illicit Labour Recruiting in the Northeastern Transvaal , 1910-1940 , Journal of Southern African Studies , Vol. 21 , No.3 , (September , 1995).
- Munslow , Barry , State Intervention in Agriculture : The Mozambican Experience , The Journal of Modern African Studies , Vol.22 ,No.2 (June , 1984).
- Murray , Colin , and Marital Strategy in Lesotho : The Redistribution of Migrant Earnings , African Studies , Vol. 35 , No. 2 (1988).
- Myer , Edgar and Ames , Glenn C. W. , Land Tenure and Agricultural Development in Zimbabwe , The Journal of African Studies , Vol. 11 , No.2 (Summer , 1984) .
- Porter, Andrew, The South African War (1889-1902): Context and Motive Reconsidered, The Journal of African History, Vol. 31, No. 1, 1990.
- Nasson , Bill , ' Messing with Coloured People ' : The 1918 Police Strike in Cape Town , South Africa , The Journal of African History , Vol. 33 , No. 2 , 1992.
- Nixon , Charles R. , The Conflict of Nationalisms in South Africa , World politics , Vol. II , No. 1 (Oct.,1958).
- O'Meara , Patrick , South Africa : The Politics of change , Current History , (March , 1981) , Vol. 80 , No.463.
- O'Meara , Dan , The Afrikaner Broederbond 1927 - 1948 , Class vanguard of Afrikaner Nationalism , Journal of Southern African Studies , Vol. 3 , No. 2 (April , 1977).
- Orr , Charles A. , Trade Unions in Colonial Africa , The Journal of Modern African Studies , Vol.4 , No.1 (may , 1966).
- Palmer , Robin , White Farmers in Malawi : Before and After the Depression , African Affairs , Vol. 84 , No. 335 (April , 1985).
- Palmer , Robin , Working Conditions and Worker Responses on Nyasaland Tea Estates , 1930- 1953 , The Journal of African history , Vol. 27 , No.1 (1986).
- Parson , Jack , Political Culture in Botswana : A Survey Result , The Journal of Modern African Studies , Vol. 15 , No.4 (Dec., 1977).

- Parson , Jack , Cattle , Class and the State in Rural Botswana , Journal of Southern African Studies , Vol. 7 , No.2 , (April , 1981).
- Petryszak , Nicholas , The Dynamics of Acquiescence in South Africa , African Affairs , Vol. 75 , No. 301 , (Oct. 1976).
- Picard , Louis A. , Traditionalism , The Bureaucracy and Local Administration : Community and Change in Swaziland , The Journal of African studies , Vol. 13 , No. 4 (Winter 1986-1987).
- Pirie , Gordon , Railways and Labour Migration to the Rand Mines : Constraints and Significance , Journal of Southern African Studies , Vol. 19 , No.4 , (December , 1993) .
- Pirie , G. H. , Racial Segregation on Johannesburg Trams : Procedures and Protest , 1904 - 1927 , African Studies , Vol. 48 , No.1 , (1989).
- Pirie , Gordon H. , Rolling Segregation into Apartheid , South African Railways , 1948-53 ,Journal of Contemporary History, Vol. 27 , No. 4 (October 1992).
- Pitcher , M. Anne , Sowing the Seeds of Failure : Early Portuguese Cotton Cultivation in Angola and Mozambique , 1820-1926 , Journal of Southern African Studies , Vol. 17 , No.1 (March , 1991) .
- Porter, Andrew, The South African War (1889-1902): Context and Motive Reconsidered, The Journal of African History, Vol. 31, No. 1, (1990).
- Porter , Andrew , The South African War and the Historians , African Affairs , Vol. 99 , No. 397 (Oct. 2000) .
- Prothero , R. Mansaal , Foreign Migrant Labour for South Africa , International Migration Review , Vol. 8 , No. 3 (Autumn , 1974).
- Ranger , Terence , The Mobilization of Labour and the Production of Knowledge : An Antiquarian Tradition in Rhodesia , The Journal of African History , Vol. 20 , No. 4 (1979).
- Raylies , Carolyn and Wright , Caroline , Female Labour in the Textile and Clothing Industry of Lesotho , African Affairs , Vol. 92 , No. 369 .
- 'Richardson , Peter , The Recruiting of Chinese Indentured Labour for the South African Gold-Mines , 1903-1908 , The Journal of African History , Vol. 18 , No.1 , (1977).
- Richardson , Peter , The Recruiting of Chinese Indentured Labour for the South African Gold Mines , 1903 - 1908 , The Journal of African History , Vol. 18 , No.1 (1977).
- Rounds , John C. , Curing What Ails Them , Individual Circumstances and Religious Choice among Zulu- Speakers in Durban , South Africa , Africa , Vol.52 (1982).
- Roesch , Otto , Migrant labour and Forced Rice Production in Southern Mozambique , The Colonial Peasantry of the Lower Limpopo Valley , Journal of Southern African Studies , Vol.17 , No.2 (June , 1991).

- Schafer , Jessica , Guerrillas and Violence in the War in Mozambique : De-Socialization or Re-Socialization ? , African Affairs , Vol. 100 , No. 399 (April , 2001).
- Seegers , Annette , Towards an Understanding of the Afrikanersation of the South Africa State , Africa , Vol.63 ,No.4, 1993.
- Sihlongonyane , Mfaniseni , Development Planning in Swaziland : A Historical Overview , Africa Insight , Vol. 28 , Nos. 1-2 , (1998).
- Southall , Roger , Lesotho and the Reintegration of South Africa , Africa Insight , Vol. 20 , No.4 , (1990).
- Southall , Roger , The Labour Market and Trade Unions at South African Periphery : Lesotho and Transkei , African Affairs , Vol. 93 , No. 373 (October , 1994) .
- Steir , Oren Baruch ; South Africa's Jewish Complex , Jewish Social Studies , Vol.10 , No. 3 , (Spring-Summer) , 2004.
- Stultz , Newell M. , The Politics of Security : South Africa under Verwoerd, 1961 -6 , The Journal of Modern African Studies , Vol.7 , No. 1 (1969).
- Theen , Rolf H. W., The Idea of the Revolutionary State : Thacher , Trotsky and Lenin , Russian Review , Vol. 31 , No.4 , (October , 1972).
- Tiryakian, Edward A., Apartheid and Politics in South Africa, The Journal of Politics, Vol. 22, No. 4 (Nov., 1960).
- Trapido , Stanley , Political Institutions and Afrikaner Social Structures in the Republic of South Africa , The American Political Science Review , Vol. 57 , No. 1 (March , 1963).
- Turner , Harold W. , African Independent Churches and Education , The Journal of Modern African Studies , Vol. 13 , No. 2 (1975).
- Vail , Leroy , Mozambique's Chartered Companies : The Rule of the Feeble , The Journal of African History , Vol. 17 , No.3 , (1976).
- Van - Helten , J. J. , German Capital, The Netherlands Railway Company and the Political Economy of the Transvaal (1886-1900), the Journal of African History, Vol. 19, No. 3, 1978.
- Van- Helten, Jean. Jacques, La France et L'Ore des Boers: Some Aspects of French Investment in South Africa between 1890 and 1914, African Affairs, Vol. 84, No. 335 , (April 1985).
- Wickins , Peter L. , The One Big Union Movement among Black Workers in South Africa , The International Journal of African Historical Studies , Vol. 7 , No. 3 (1974).
- Yadelman, David, Lord Rothschild, Afrikaner SCABS and the 1907 Strike; A State-Capital Daguerreotype, African Affairs Vol. 81 No. 323 (April 1982).
- Yudelman , David and Jeeves , Alan , New Labour Frontiers for Old : Black Migrants to the South African Gold Mines , 1920 - 85 , Journal of Southern African Studies , Vol. 13 , No. 1 , (Oct., 1986).

- Zorgbibe , Charles , Doctor Malan and the Advent of Apartheid , African Geopolitics , No.12 (fall 2003).

ج- الرسائل العلمية .

- إبـراهيم نصـر الـدين : حـركة التحـرر الأفريقـي في مواجهة النظام السياسي بجنوب أفـريقيا ، رسـالة دكـتوراه غيـر منشـورة ، معهـد الـبحوث والدراسـات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٠.
- السـيد علـي أحمـد فلـيفل: مسـتعمرة الـرأس البـريطانية (١٨٥٣- ١٩١٠) ، رسالة دكـتوراه غيـر منشـورة١٩٧٣، معهـد البحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٨٣.
- محمـد عـبد الحلـيم الـزرقا : اتحـاد جـنوب أفـريقيا ، دراسـة لـتاريخه السياسي و العنصـري (١٩١٠-١٩٤٨) ، رسـالة ماجسـتير غيـر منشـورة ، معهـد الـبحوث والدراسات الأفريقية ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٢.

د- الشبكة الدولية للمعلومات Internet .

- Leon Levy, www.sahistory.org.za.
- A Chronological History of the African National Congress, www.ufh.ac.za/collections.
- www.anc.org.za/images/maps.
-
-

فهرس